التكامل في الإسلام

2264
.11234
.389
.1967

v.4-6

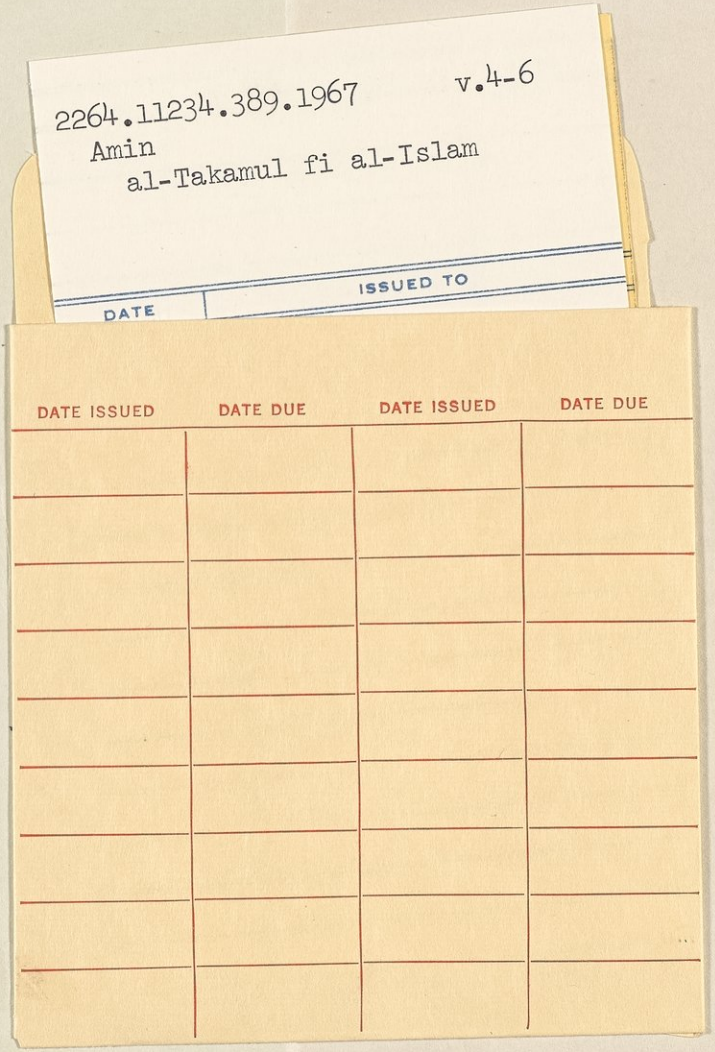

Princeton University Library
32101 073838383

Amīn, Aḥmad

التكامل في الإسلام

al-Takāmul fī al-Islām

بقلم

أحمد أمين

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

2264
.11234
.389
.1967

٧٠٤-٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انحسرت الأوصافُ عن كُنه معرفته (١) ورَدَعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً الى بلوغ غاية ملكوته. هو اللهُ الملك الحقُّ المبين. أحقُّ وأبينُ مما تراه العيون. لم تبلغْهُ العقول بتحديدٍ فيكونَ مشبَّهاً، ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون مُمثَّلاً. خلقِ الخلقَ على غير تمثيل ولا مشورةِ مُشير، ولا معونة معين. فتمَّ خلقُه بأمره. وأذعن لطاعته فأجاب ولم يدفع وانقاد ولم ينازع.

---

(١) من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام. انحسرت: انقطعت وكلَّت وأعيت.

الدين أمر فطري

منذ أن وجد الإنسان على وجه الارض كان يدين بما يمليه عليه عقله من أن لهـذا الكون موجداً وخالقاً مدبراً ، خلق الانسان بهـذا الشكل الخارق العجيب ، وخلق قبلا الهواء والماء والنبات لاستقرار حياته . فكما أن الله تعالى ألهم الانسان أن يستفيد من تجاربه لإدامة حياته ، فيأوى الى الكهف لاتقاء البرد أو يلبس من جلود الحيوانات ويجرب الامور البسيطة من الزراعة والصناعة ، كذلك ألهمه أن يفكر في تلك القدرة العظيمة ، قدرة الله التي لاتتناهى وعظمته التي لاتحد . وقد قال تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » (١) .

وقد أثبتت الحفريات والآثار أن الدين قد رافق الانسانَ منـذ بدء الخليقة . يقول الاثري الدكتور سليم حسن : « دلت البحوث العلمية البحتة حتى الآن على أن لكل قوم من أقوام العالم عامة مهما كانت ثقافتهم منحطة ديناً يسيرون على هديه ويخضعون لتعاليمه » .

يقول الفيلسوف اليوناني الـكبير سوقراط : « يشعر الانسان بحاجته الماسة الى الهواء والماء والطعام ، وكذلك تشعر روحه أنها فى حاجة مبرمة أيضاً

---

(١) سورة الروم : ٣٠

الى غذاء روحي . وهذا الشعور هو في عرفنا : الدين الذي اهتدى اليه أول إنسان . يدلك على ذلك : أننا اذا تتبعنا حياة طفل أتينا به من أقاصي البلاد المتوحشة وتركناه يترعرع بدون أن نلقنه عقيدة دينية مهما كان نوعها ، فانك لتجده عندما يصبح رجلا كامل الشعور يتحرى في أعماق تفكيره عن شيء مجهول ، ويظل باحثاً منقباً تحت تأثير عامل نفسي وغريزي حتى يعثر على بادرة تكون فى أول أمرها مائعة اللون تتمركز فى دماغه ، ثم لاتلبث حتى تتجسم وتتخذ شكلا صوفياً بارزاً يأخذ في التطور رويداً رويداً الى الشيء الذي نسميه (عقيدة) أو (ديناً) لأن هنالك ضرورة خفية وقوية تدفعه الى هذا التدرج ، حتى يصل الى النوع الذي يحلو له للعبادة » .

يقول المؤرخ الاغريقى الشهير (بلوتارك) منذ نحو ٢٠٠٠ سنة : « من الممكن أن نجد مدناً بلا أسوار ولا ملوك ولا ثروة ولاآداب ولا مسارح ، ولكن لم ير الانسان قط مدينة بلا معبد أو لايمارس أهلها عبادة » .

فنحن نقرأ في أسفار الهند المعروفة بالكتب الفيدية : « إن الاله الاكبر قد خلق الارض بكلمة ساحرة ، فأمرها بأن توجد ، فبرزت على الفور الى حيز الوجود » .

ونقرأ فى كتب الصين واليابان القديمة جداً : « ان إله السماء هو الذي يصرف الاكوان ويدبر أمور الانسان » .

ونقرأ في كتب الفرس القديمة مانصه : « هو أقوى القوى في عالم الملكوت ، وهو واهب الانعام المكين ، الكامل القدس ، الحكيم الخبير ، الغني المغني ، السيد المنعم ، القهار ، محق الحق ، البصير ، الشافي ، الخلاق ، العليم بكل شيء » .

ونجد عند الفراعنة من النصوص التي تدل على الابتهال الى الله العلي القدير والتي تثير في النفس شعوراً فياضاً بالايمان والتوحيد . منها :

« أيها الاله الأوحد الذى ليس لغيره سلطان كسلطانه . ياخالق الجرثومة في المرأة ، ويامصانع النطفة في الرجل ، ويا واهب الحياة للابن في جسم أمه ، ويامن يهدئه فلا يبكي ، ويامن يغذيه حتى وهو في الرحم ، . . يامن خلقت الأرض كما يهوى قلبك حين كنت وحيداً . . ألا ماأعظم تدبيرك يا رب الأبدية » .

اقرأوا وصية الملك (آنى) من ملوك مصر القدماء لابنه (خنسو حوتب) « لاتأثم ، خف الله واتق غضبه ، واذا صليت لله فمن العبث ان تجهر أو تصيح ، صل بقلب مؤمن يخاطب الله في غير إعلان يقض الله حاجتك ويستجب دعاءك » .

ولسائل أن يسأل : كيف عبد الناس الأوثان والهوام والبقر والشمس وتسافلوا حتى صاروا يتبركون ببول البقر !

انه تعالى يقول : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » (١) فجعل الله تعالى تقابلاً بين الايمان والفسق . ومعنى ذلك أن الفسق يضاد الايمان ويعاكسه ، فلو تلوثت النفس الانسانية بالفسق فرّ الايمان من وجهه فلا يعود حتى تطهر النفس من فسوقها واجرامها .

انه تعالى يقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون »(٢) وفي آية أخرى : « ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ، وربك أعلم بالمفسدين » (٣) . ومعنى ذلك أن طريق الايمان قد سد على المفسدين . وفي آية أخرى : « ان الله لايهدي من هو كاذب كفار » ، فالكذب يزيل الايمان . وفي آية اخرى : « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا

---

(١) سورة السجدة : ١٨ .

(٢) سورة القلم : ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) سورة يونس : ٤٠ .

الفاسقون » . فالفاسق يكفر بآيات الله بصورة طبيعية .

كان الناس بالفطرة يؤمنون بالله ، يوحدونه ، حتى غلبت عليهم شياطينهم ففسقوا وفجروا وظلموا وأساؤوا ، فانسحب الايمان وسوّل لهم الأبالسة عبادة الأصنام والحيوان على حد قوله تعالى : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

فالالحاد أو الوثنية أمر عارض يناقض الفطرة ويعاكسها . إنه تعالى يقول : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هـذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

فالله تبارك وتعالى قد غرس أصول التوحيد والإيمان في النفس الانسانية في عالم الذر ، في عالم الأرواح إتماماً للحجة « قل فلله الحجة البالغة » (١)

فهناك رسولان : رسول باطني ، وهو العقل ، جعل الله الانسان مسؤولا تجاهه : فـ « العقل ماعبد به الرحمان واكتسب به الجنان » ورسول ظاهري : وهم الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين .

فالناس كانوا في قديم الزمان ، في وقت لايحدده التاريخ مؤمنين بالله يوحدونه ويقدسونه ، ولكن الشيطان قد سول لهم فأطاعوه بتلويث نفوسهم بالفسق والظلم ، فاظلمت النفوس وزاغت عن الصراط : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لايهدي القوم الفاسقين » (٢) ، فصاروا يشركون بالله ويعبدون غير الله تعالى أو أمسوا ماديين . . وقد قال تعالى :

« كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل

---

(١) سورة الانعام : ١٤٩ .

(٢) سورة الصف : ٥ .

معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » .

وإتماماً للفائدة نذكر هذا الحديث :

عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال : سألته عن قول الله عز وجل : «حنفاء لله غير مشركين به » ؟ قال : « الحنيفية من الفطرة التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ثم قال : فطرهم على المعرفة به . . . »

نرى ان من (٢٩٠) فيلسوفاً ٩١٪ منهم مؤمنون و ٥٪ منهم لاأدريون (لايعلمون) و ٤٪ منهم ملاحدة . ذلك لان العلم وما أودع الله من دقيق الصنع وشتى المعادلات في تكوين هذا الكون يجر الانسان الباحث الى الاعتقاد بالله العلي القدير . كان يقول (پاستور) : « لاتنافي بين العلم والايمان بالله ، وكلما زاد علم الانسان زاد ايمانه بالله » . ويقول الكيميائي الشهير الدكتور (وتز) : « واذا أحسست في حين من الاحيان أن عقيدتي بالله تزعزعت وجهت وجهي الى أكاديمية العلوم لتثبيتها » .

فلا يلوث النفس الانسانية ولايزيل هذا الاتجاه الطبيعي وأعني به : التوجه نحو الخالق المتعال ، إلا متابعة هوى النفس على حد قوله تعالى : « كذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لايؤمنون » .

وقد جاء في الحديث : « أغلب الناس من تغلب على هواه » .

ويقول الله تعالى بالنسبة الى المنحرفين من الناس : « إن يتبعون الا الظن وماتهوى الانفس . ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

واما قول (روبرت هتشنس) : « ولقد بلغ العالم في آن واحد الى الاوج في المعرفة والتكنولوجيا والتحكم في الطبيعة والى الحضيض في حياته الاخلاقية

والسياسية » فذلك لتركهم التعاليم الدينية والاخلاقية التي هي من الدين وانغماسهم في الشهوات وأنواع الترف .

فالعلم المادي يقوى الاعتقاد بالله ان لم تتلوث النفس بفسوقها واجرامها والا فتتخذ النفس الملوثة هذا العلم على سبيل التمويه آلة لإثبات صحة ما سلكت من مسالك معوجة ، وهيهات !

فيجدر بدعاة الاسلام أينما كانوا ان يستفيدوا من هذه الغريزة التي أودعها الله النفوس البشرية وهي توجهها بصورة فطرية الى الخالق المتعال لنشر الاسلام والتوحيد فى أرجاء الارض وإبعاد الناس عما يلوث نفوسهم من معاصي وآثام ، كي تكون قمينة لحلول معرفة الله فيها ، فتقبل الاسلام كدين عالمي خالد : فيه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . فقد قال علي (ع) معظماً أمر الدعوة الى الاسلام والارشاد الديني أي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : « وما أعمال البر كلها والجهاد فى سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة (١) في بحر لجي » (٢) . . .

---

(١) نفثة : (المرة من نفث) . وهي ماتلقيه من فيك من بصاق .

(٢) بحر لجي : واسع اللج . واللج : معظم الماء .

علة بعث الرسل «ع»

ان نظرة واحدة الى هذا الكون الرحيب تجعلنا ان نجزم ان هناك دقة متناهية وانتظاماً رائعاً وقوانين رصينة ودساتير متقنة لا يمكن أن تستقصى : فى كل جزء من أجزاء هذا العالم ، دقة يحار فيها أكبر رياضي وأعظم فيزاوي وأفطن كيماوي وأذكى عالم بالطبيعيات .

كيف لا ، وهو يرى ان الكواكب تسير حول الشمس على شكل اهليلجي (قطع ناقص) بحيث تقع الشمس في احدى بؤرتي هذا المنحني المغلق . ومعلوم ان رسم الشكل الاهليلجي من الصعوبة بمكان . ذلك لأنك يجب أن تعين نقاطاً تبعد عن البؤرتين بحيث يكون مجموع البعدين مساوياً للقطر الطويل لهذا الشكل : أي عليك أن ترسم منحنياً يكون محلا هندسياً لنقاط يكون بعدُ كل منها من البؤرتين مساوياً الى بعد معلوم : (أي الى قطر الشكل) . ومن المعلوم أن موضوع المحل الهندسي من المواضيع الهامة التي يفهمها الطلاب بعد جهد جهيد في موضوع المنحنيات . ففي الرياضيات العالية في أبحاث الهندسة التحليلية يصعب على الطالب الجامعي حل مسائل تتعلق بالمحل الهندسي إلا اذا كان من الاذكياء . فأي عقل جبار رسم هذا المحل الهندسي وأعني به مدار الارض حول الشمس بهذا النمط البديع عن حكمة فائقة . ومَن الذي وضع هذه الدساتير الرياضية الثابتة في حركات الأرض حول الشمس وحركات القمر حول الأرض وفي الوقت نفسه حول الشمس ، حتى تمكن العالم الفلكي الرياضي من أن يحصل على معادلة الكسوف (وما أصعبها) بعد عناء شديد .

وأصعب من رسم المنحنى الاهليلجي ، رسم المنحني اللولبي ، وهو مسار الشمس في الفضاء مع كواكبها بسرعـــة سبعين ألف كيلو متر في الساعة متجهةً نحو نجمة في الفضاء تعد لبعدها الشاسع من الثوابت ! وهي النسر الواقع . هذا ما اكتشفه العلم الحديث قبل خمسين عاماً ليبرهن مرة اخرى على الاعجاز القرآني : وهو قوله تعالى قبل أربعة عشر قرنـــاً : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

كيف لا يحار الانسان ولا يندهش عندما يشاهد هذا الاتقان الذي أودعه الله في ما خلق من مخلوقات ، حتى جعل سطح ذرات الثلج المتساقط من السماء مشكلا من مخمسات منتظمة أو مثلثات متساوية الاضلاع بحيث لو وضعت ذرة من هذا الثلج تحت المجهر (الميكروسكوب) لرأيت عالماً عجيباً وشكلا في غاية الانتظام !

ومعلوم أن رسم المخمس المنتظم من الصعوبة بمكان . ذلك لأن على من يحاول رسم ذلك ان يرسم اولا معشراً منتظماً ثم يصل بين رأسين غير متجاورين من هذا المعشر للحصول على مخمس منتظم ، واما رسم المعشر فأمر عسير وما أعسره ! عليـــه ان يقسم نصف قطر الدائرة الى قسمين تكون نسبة الكل (نصف القطر) الى القسم الأكبر كنسبة القسم الأكبر الى القسم الاصغر ، أي عليه أن يجعل القسم الأكبر وسطـاً هندسياً بين الكل والقسم الأصغر ، وهذا التقسيم أيضاً من الصعوبة بمكان . وهكذا دواليك .

فسبحان الذي رسم هذه المخمسات المنتظمة على سطح اجزاء الثلج بحيث كانت الاضلاع متساوية والزوايا كذلك متساوية ، ومقدار كل منها ١٠٨° (درجة) .

نرى هذا الكمال المحير للعقول متجلياً في الذرة وفي المعادن وفي شبه المعادن أي في (١٠٣) عنصر حسبما اكتشف لحد الآن وفي النبات والحيوان

على كثرة تنوعهما وتصانيفهما المختلفة ، وفي الانسان نراه متجلياً كذلك في هذا العقل الانساني الذي منح هذا المنطق الجبار : التعميم ، التجريد ، الاستقراء ، الاستنتاج ، وهذا التقدم في العلوم الرياضية العالية دون استناد الى تجربة مادية سابقة على حد قول (اينشتاين) أعلم علماء القرن العشرين .

كيف لا يحار الانسان في عظمة خالقه حينما يرى أنه توجد في المادة السنجابية التي في تلافيف الدماغ ٦ ٠٠٠ ٠٠٠ خلية وتتألف كل خلية من ألوف الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر .

كيف لا يحار الانسان عندما يرى أن دقة الصنع قد بلغت منتهاها في حركة عضو من أعضاء البدن الانساني ، فهي تفوق دقة الصنع في القنبلة الذرية التي هي نتاج العقل الانساني بلطف من الله خلال ٢٥٠٠ سنة .

* * *

ان العقل الانساني ، هذا العقل الموهوب من جانب الله تعالى ، هذا العقل الذي لا يعلم هذا الانسان كيف منّ الله به عليه وكيف ركب فيه على حد تعبير (دكارت) ، يرشد الانسان بصورة فطرية : أن منظم هذا الكون لا يلهو ولا يلعب (١) . ذلك لأن التنظيم يخالف اللهو وينافي اللعب فلا يخلق هذا المنظم العظيم شيئاً عبثاً وان غايته في الخلق تتناسب مع عظمته وان هدفه في الصنع ليتناسب مع كماله المطلق .

يرشد هذا الانسان ان يقول جازماً : لابد لخلقه من غاية ولابد لإيجاده من هدف سام رفيع . فانه بعد تفكر بسيط يجزم قائلا : بما أن كل ما في هذا الكون المادي قد بلغ الحد الأقصى من الكمال ، إذن وجب ان لا يشذ هذا الانسان ، وهو من مخلوقات الله تعالى ـ على حد تعبير دكارت ـ عن سنّة الكمال ، فعليه أن يتكامل .

---

(١) « لو اردنا ان نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا ان كنا فاعلين » .

ذلك لأن الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا يريد أن يرى في ما خلق شيئاً ناقصاً (١) فهو يريد الكمال لكل ما خلق ولو بصورة تدريجية ، يرى ذلك أمراً طبيعياً .

يرى أن الطفل يولد وأن تشكيلات أعضائه من الكمال بحيث لو كتبت آلاف الصفحات في وصف خواصها وقوانينها ودساتيرها لاحتيج أيضاً الى آلاف الصفحات وأكثر لاستيعاب هذا الكمال المودع في النواحي المادية من بدنه وقد لا ينتهي الى نهاية البحث : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

لكنه يرى أن هذا الطفل فيه صفة البطش والغش والكذب والخيانة والحرص والبخل وصفات كثيرة اخرى تضاد الكمال . وفيه في الوقت نفسه بعض الصفات الطيبة ، فهو أشبه شيء بخليطة من المعادن : فيها معادن خسيسة كـ (السيليسيوم) والكالسيوم والحديد والنحاس . . الى ما هنالك ، وفيها الذهب الخالص . فيقول في نفسه : إن هذه الصفات الذميمة تخالف الكمال الذي يريده الله لمخلوقاته . فيجب أن تزول وأن يدخل في دور الكمال كما يعمل الكيماوي في تلك الخليطة من المعادن : يضعها في محاليل مختلفة لإزالة المعادن الخسيسة والظفر بالذهب الخالص . فاذن يجب أن تزول هذه الصفات الذميمة في الطفل وفي كل انسان كي يظهر الذهب الخالص فيه .

فما هو هذا الذهب الخالص ياترى ؟ ومن هو ذلك الكيماوي الذي يعرف هذا الانسان المخلوط من صفات خسيسة وقابليات طيبة معرفة حقيقية فيعرِّفه الحق والواقع ، يعرفه الى خالقه وبارئه ، يقربه اليه تعالى بدساتيره القيمة وتعاليمه الإلهية ويبلغ بهذا الانسان مراتب الكمال الانساني ، يوصله الى درجات من عوالم القدس حتى يصبح أعلى مرتبة من الملائكة .

---

(١) « ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » سورة طه : ٥٢ .

مَن هو هذا الكيماوي الذي يتفضل على هذا الانسان بدساتير الكمال دونما أجر (إلا المودة في القربى) ومن أين يجب أن يستقى سنن الكمال التي يتحقق بها الكمال الانساني .

إن الكيماوي (دونما تشبيه) هو النبي المرسل والذى يوحى سنن الكمال انما هو الله جلّت عظمته . ذلك لأن الله هو خالق الأرواح ومنشئها وهو العالم بخواصها وصفاتها وقابلياتها وطرق تكاملها .

فليس لهذا الانسان الناقص - مهما سمى نفسه فيلسوفاً - أن يأتى بسنن تكامل النفس ، إلا اذا كان مغروراً بعيداً عن إلهام الفطرة جاهلاً غرّاً ملوثاً بما اجترحت يداه . ك (كارل ماركس) وأضرابه . فقد كان يقول مغروراً برأيه : « آرائي . . أفكاري » . ويقول لمن يخالفه في الرأي : برجوازي . . كان أنانياً يختلق التهم ، حسوداً يعامل من يخالفه في الرأي معاملة ملؤها التحقير والازدراء ، كان فيه شهوة الهدم والتخريب وقد استخدم الأسلحة النارية وسيق الى الشرطة لإفراطه في السكر والعربدة ! كان ينقطع عن الجامعة ويذهب الى السكر والدعارة ، يترك (بون) مقر الجامعة ويذهب الى (كولون) في جوارها ويبتغي فيها ملاهي السمر .

كان (كارل ماركس) مسلوب العاطفة فلم يذهب الى بلده حين مات أبوه وبقي في برلين وهو عميد الأسرة بعد والده . واسترسل في الطلب حتى نفد نصيبه من الميراث فمال الى نصيب أمه واخواته . وكان قبلا قد أرهق أباه في طلب المال . وقد انتحرت بنتاه (لورا واختها) .

عقد (كارل ماركس) مقاولة مع الجرائد وأخذ مبلغاً ولم يف بمنطوق العقد . وعقد اتفاقية مع (ألكسي) على كتابة نظرياته الاقتصادية هذه التي لم تنل نصيباً من التطبيق لكونها بعيدة عن واقع (الحياة) وقبض (١٥٠٠) فرنك وعقد في نفس الموضوع اتفاقية أخرى مع شخص آخر ولم يف بكلتيهما .

نعم ، إن رجلا هذا ديدنه وتلك صفاته حقيق أن تترشح منه هذه الأباطيل بأن يقول : « إن الديانات والعقائد جميعاً إنمـا هي انعكاسات الضرورات الاقتصادية » . ان لم يكن قد قصد وراء ذلك الانتصار للصهيونية عن طريق الهدم والافساد !

وكم رأينا من الفلاسفة جاؤا بنظريات مضلة تبعـد البشر عن جادة الصواب ، فكان بعضهم يقول في مقتبل العمر شيئاً ثم اذا بلغ الخمسين قال شيئاً يناقض ما قاله أولا حتى اذا ناهز السبعين خالف ما قاله اولا وثانياً مع ما هنالك من اختلاف في الآراء فيما بينهم !

(اوگوست كنت) فيلسوف فرنسي ، كان قد بلغ من الذكاء مرتبة مرموقة ، كان اذا طالع كتاباً مرة واحدة استوعب ما فيه . كان يحضر في مجلس درسه (في بيته) علماء من الدرجة الأولى لاستماع محاضراته وألّف كتاباً ضخماً في ٦ مجلدات في تحقيق الفلسفة . إلا انه مع ذلك كان ناقصاً من نواحٍ شتى ، كان سيِّء العشرة لا يأتلف بالناس . ثم إنه عشق فتاة في أواخر أيام حياته وماتت هذه الفتاة قبل الوصال فتأثر وبنى معبـداً ورتب له عبادات وأسس ديناً جديداً أسماه : « دين الانسانية » وتفرق عنه تابعوه وأخذ الناس يسخرون منه .

وكان الفيلسوف الدكتور (جود) ملحداً فأصبح موحداً وكان يقول إني كنت لا أفهم شيئاً عن الكون عند تخرجي في الجامعة بل كنت حيواناً على شكل انسان .

كما كان الفيلسوف الانكليزى (جيمس چانيس) ملحداً فغدا موحداً .

وكم من فلاسفة تبنوا النظرية المادية ! لظلمات في نفوسهم وقالوا بأزلية المادة (دون دليل وبرهان) قالوا : إن المادة هي التي تخلق العقـل وتنظم العالم أيما تنظيم وتضع قوانين فيزياوية وكيمياوية ودساتير فلكية ومعادلات

رياضية دقيقة الى ما هنالك . وقالوا إن المادة هي العقل الجبار المنظم لهذه العوالم المختلفة بهذه الدقة المتناهية التي لم يصل الى حقائقها العقل البشرى ولا يزال يعترف أنه « لا يعلم شيئاً » . من هؤلاء الماديين أبيكور ، كارل ماركس ، بوخنر ، فورباخ . إنهم خالفوا الفطرة وتجليات العقل البشرى ودنسوا العالم بترويجهم نبذ الفضائل وسحقها والانحلال الخلقي والإباحية والشذوذ الجنسي كفرويد وغيره .

حتى قال بعضهم : إن الفيلسوف اذا كان فقيراً فان فقره وعجزه يجعلانه أن يعتقد باله خلاق . ولكن لو كان ثرياً فانه لا يؤمن بذلك ويكون مادياً ، ذلك لأن فكرة الآله انما أتت من النواحي الاقتصادية من الفقر والاضطرار ؟ !

انهم كذبوا فى ما قالوا . فان « دكارت » الفيلسوف الفرنسي كان موحداً وكانت له أملاك في فرنسا وعاش طيلة حياته عيشة هنيئة وكذلك أفلاطون .

أبيقور كان فيلسوفاً مادياً وقد تربى في بيت فقر وبؤس وعاش كذلك ومثله : روسو .

فليس الفقر والغناء والبيئة عوامل تؤثر في توجيه الفرد نحو المادية أو التوحيد كما يدعي الماديون وانما العامل الحقيقي : عمل الانسان وما يترشح منه من حسنات وسيئات : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

* * *

فالله تبارك وتعالى وهو معطي الكمال لا يترك هذا الانسان سدى : « أيحسب الانسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى . أليس ذلك بقادر

على أن يحيي الموتى » .

فالله يهيىء لهذا الانسان من يتصدى الى تكميله وتقريبه الى ربه ومعرفة خالقه وتلك غاية الغايات . فقد جاء في حديث قدسي ، انه تعالى يقول : « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف » .

وان باب المعرفة هو العبادة . فبالعبادة بما فيها من اعمال صالحات وتجنب المحرمات وتطهير النفوس ، تصبح النفس قمينة لمعرفة خالقها ، كي تنال الحب الآلهي وذلك أسمى الغايات . لذلك حصر الله تعالى علة خلق الجن والانس في العبادة ، ذلك لأن العبادة هي سبيل معرفة الخالق ووسيلة التكامل الانساني في الحياة الدنيا ، بقوله جل من قائل : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » .

الانسان مريض نفسياً في هذه الدنيا لما يحمل من صفات ذميمة وخصال مذمومة وبطش وطيش . فالأنبياء (ع) هم معدلو هذا الانسان ومانعوه عن طيشه وغوايته لذلك يقول علي (ع) : « ارسل رسولا ليزيل به علتهم » ويقول (ع) في مقام آخر : « أرسل أنبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ، ويهدوهم الى معايش تحييهم » .

فالأنبياء لم يمنعوا الناس عن تعلم العلوم ! بل أثاروا فيهم دفائن العقول حتى كانت هذه المكتشفات في شتى النواحي العلمية من فلك ورياضيات وطبيعيات وطب وكيمياء الى ما هناك في الحضارة الاسلامية ، واصبحت أروبا مدينة في مكتشفاتها للحضارة الاسلامية الزاهرة في القرون الوسطى . وبقوله عليه السلام : « ويهدوهم الى معايش تحييهم » أراد أن الانبياء (ع) هم منظمو الحياة الاقتصادية بدساتيرهم العادلة وتعاليمهم الخالدة .

فالأنبياء هم مطهرو هذا الانسان مما ألم به من دنس ورجس وموصلوه الى أقصى مراتب الكمال . لذلك يقول الله تعالى :

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

وبقوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

وبقوله : « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » .

وبقوله : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

وبقوله : « ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون ».

وبقوله : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

وبقوله : « لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين » .

وهكذا سنّ الله تعالى وهو العارف بحقيقة هذه النفوس التي خلقها وصفاتها وطرق تكاملها ، سنن التزكية والتطهير لهذا الانسان وأوصى بها أنبياءه (ع) ، وأمرهم أن يبلغوا رسالاته حتى جعل الحجر المغصوب في الدار سبب خرابها . فقد جاء في الحديث : (الحجر المغصوب في الدار رهن خرابها) .

وكل ما جاء في الدين الاسلامي من واجبات ومحرمات ومستحبات ومكروهات كلها ترمي الى تطهير النفوس وتزكيتها وابلاغها أسمى مراتب الكمال لتزداد معرفةً بالله . ذلك لأن الله قد سخر كل شيء من شمس وقمر وغيرهما لهذا الانسان « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » « ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره . ويمسك السماءَ ان تقع على الأرض الا بإذنه . ان الله بالناس لرؤوف رحيم »

وخلق الانسان لمعرفته تعالى كما جاء في حديث قدسي : « خلقت الاشياءَ لأجلك ، وقد خلقتك لأجلي » .

ولذلك جعل الله أول من خلق من الأناسي - وهو آدم (ع) - نبياً ،

اهتماماً بأمر التكامل الانساني وتحقيقاً لسنة الكمال في الكون .

فطوبى لنفوس عرفت أسرار الخلق فتقربت الى ربها بعبادات يتخللها خشوع وخضوع (١) واعمال صالحات وإيثار وتفانٍ في هداية الناس الى الدين الاسلامي الحنيف .

فقد قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلَنا وان الله لمع المحسنين » .

---

(١) لا بأس بذكر هـذا الحديث ، فالعمل بـه مزيل للأدران النفسية والهواجس الشيطانية في مثل هذه الظروف الحالكة :

« اذا جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد : ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً . فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب مَن بعدهم » .

هل الاسلام سير تقدمي أم رجعي

تدور كثيراً على الألسن كلمة (الرجعية) بمناسبة ودون مناسبة . فلو أن رجلاً حمد الله تعالى وشكره تجاه نعمه التي لا تعد ولا تحصى بصلاة يصلّيها لربه باخلاص ، قيل إنه رجعي ، يجترُّ ما أنتجته العصور الأولى ! حين أن شكر المنعم أمر ضروري يحكم به الفطرة والعقل ، ذلك العقل الذي لم يلوث بالذنوب والآثام . فقد جاء في الحديث : « العقل ما عُبِد به الرحمن واكتُسبَ به الجنان » .

حتى إني لأتذكر جيداً عندما كنت أدرس في النجف الأشرف قبل حوالي ٣١ عاماً أبى قسمٌ كبير من الطلاب المصلين من أداء صلاتهم عند الظهر في سفرة مدرسية الى الكوفة ، خوفاً من أن يوصموا بالرجعية والخرافة وكم رأيت من مدرسين ومدراء معارف كانوا يخفون صلاتهم عمن يصمونهم بالرجعية حفظاً لمراكزهم وابتعاداً عن هذه الوصمة : وهي عدم مواكبة مفاهيم التقدم في القرن العشرين .

وإني لأتذكر أيضاً أن شاباً من أسرة مرموقة كان قد رجع قبل حوالي ٢٧ عاماً من الجامعة الأمريكية ببيروت ، (وهي جامعة أسسها قسٌ من القسيسين بعد أن جمع مالاً كثيراً في أمريكا) كان يصم جميع الأعمال الدينية من صلاة وصوم وزكاة . . . بالخرافة والرجعية ، وكان يقول بضرس قاطع : « إن بلاءَ الشرق دينه ، فلو أزيح هذا الدين فهناك التقدم وهناك الازدهار ! » .

ولكن يقول بعض الشباب لمن يحضر مجالس البالو ويرقص مع الفتيات ويحتك بهنَّ من طريق غير مشروع إنه تقدمي قد واكب الحضارة الراهنة ،

واذا قبّل فتاة أجنبية في الترام أو في الشارع العام قيل له انه عصري خرج عن المفاهيم البالية . وهذا ما نشاهده في الغرب .

* * *

علينا أن نحلل مفهوم الرجعية تحليلاً دقيقاً على ضوء العقل والعلم الصحيح .

للانسان جنبتان : جنبة مادية بحتة : الأكل والشرب ووسائل النقل والاستضاءة ووسائل النسج والحياكة ووسائل التكلم من بعيد الى ما هنالك ، ومنها الجنبة العلمية وهي العلم بالعلوم المادية التي تدعمها التجارب والعلوم الرياضية . فهي أيضاً مادية .

وهناك جنبة روحية ، نفسية بعيدة عن عوالم المادة سوف نأتي عليها بعد قليل .

ومما لا مِراء فيه أن الانسان بفضلٍ من الله تعالى والهامه صار يتقدم منذ آلاف بل ملايين السنين ، (على ما اكتشفه علم الإشعاع) في العلم المادي أي في تطوير وسائل الزراعة ونوع الزراعة وتطوير وسائل النسج والحياكة والاضاءة . . . الخ حتى بلغ مرتبة صار يستفيد من تحطيم الذرة وما عبأ الله تعالى فيها من طاقات هائلة والاشعاع الذري ... الى ما هنالك

فلو أن رجلاً آثر أن يستضيء بنور المصباح الزيتي (دون ضرورة طبية) في وقت يتوفر فيه الكهرباء فهو رجعي في تطبيق هذه الوسيلة المادية

ولو أن رجلاً أراد أن يسافر في عصرنا هذا الى بلدٍ ما ، في عصر تتوفر فيه السيارات والطائرات وآثر أن يركب البغال والحمير فهو رجعي في استعمال وسائطَ أكل عليها الدهر وشرب دون مبرر عقلي .

وهكذا في النواحي العلمية وأعني بها (العلم المادي) . فلو أن رجلاً بقي يعتقد بعد إطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية وسير رجال الفضاء حول

الكرة الأرضية مرات ومرات ، صار يعتقد : أن الأرض لا تزال تستند على قرن ثور والثور على بطن حوت : هذه الخرافة التي جاءتنا من بين الأساطير اليونانية فهو رجعي في اتجاهه العلمي في النواحي المادية من هـذا الكون الرحيب .

ذلك لأن العلم الحديث في النواحي المادية قد خرج عن طريقة الحدس والتخمين والظن الى الطرق التجريبية والمشاهدة والاستنتاج .

كان العالم اليوناني أو الفيلسوف الاغريقي يعتقد أن أكمل الأشكال الدائرة ، ولذلك صار يقول ، (دون أي حساب أو مشاهدة) إن الافلاك دائرية ، أي : أن الشمس مثلاً تدور حول الأرض على شكل دائري . وصار يقول : إن أكمل الاشكال المجسمة هو : الكرة ، ولذلك يجب أن تكون الكرة الأرضية على شكل كرة ! حين أن الأرض (على ما ثبت ، بعد اكتشاف التلسكوب وتقدم الرياضيات) ، تدور حول الشمس على شكل اهليليجي (قطع ناقص) وإن الشمس هي احدى بؤرتي هذا المنحنى المقفل . وان شكل الأرض ليس بكروي تماماً ، وانما يقرب من الكرة وبحث ذلك يطول .

واما في عوالم تكامل النفس وأعني بها الناحية النفسية ، فهل اتباع ما أمر الله تعالى به ورسولُه من الرجعية في شيء . وهل اتباع ما أمر الله من دساتير أخلاقية في دائرة العفاف وصيانة شرف الأسرة وصيانة المجتمع من الفساد والانحلال الخلقي سير رجعي ، يجب أن ننبذه ونفكر في شيء جديد

فاذا كان ينهانا رسول الله (ص) عن النظرة الشهوانية الخبيثة الى المرأة الأجنبية ، هذه النظرة التي تجلب معها الفساد في الأرض ، فتؤدي الى تلويث النفس ومن ثَمَّ الى تلويث العقل ، فتلويث العقيدة على حد قوله تعالى : « كذلك حقَّت كلمة ربك على الذين فَسقوا أنهم لا يؤمنون » اذا كان

ينهانا صلوات الله عليه من نظرات السوء بقوله : « الأولى لك والثانية عليك » فهل اتباع هذا الأمر سيرٌ رجعي ، يجب أن تقوم مقامه مراقص راقية تكون المرأة فيها نصف عارية ، يحتضنها رجل أجنبي عنها ، وتحتك جميع أجزاء جسمه بجميع أجزاء جسمها ويضمها الى صدره ويراقصها ، وقد تطفأ الأنوار عمداً من حين لآخر ليتمكن الراقصان مما لا تسمح به الأضواء . وقد تجد زوجها قابعاً في ناحية من المرقص وكله إعجاب بما تؤديه زوجته ويؤديه زميلها من حركات رشيقة ، ولا يفوته أن يهنئهما بعد فراغهما تهنئة حارة لنجاحهما في رقصتهما .

هذا في المراقص الراقيـــة . واما في المراقص الشعبية ، في مراقص العاملات والخادمات والعمال والمسيطرين على النساء ، المتاجرين بأعراضهن ، فحدث عنها ولا حرج ، فانه لا يكاد يكون فيه شيء محظوراً (١) .

وقد يعلم الزوج أن هناك لزوجته خَدناً أو أخداناً وقد تعلم الزوجة أن لزوجها خليلة أو خليلات ، ولكن يسمح كل منهما للآخر بما يرتكبه من فسق وفجور ، وقد يخرج الرجل من بيته ويدع ضيفه الكريم يفعل مايشاء !

وقد يكون للزوجة زوج وعشيق ويعيش الثلاثة في بيت واحد دونما اكتراث . وهذا ما يُدعى بالتعايش الثلاثي (Le menage a trois) والكاتب الإفرنسي الكبير « أناتول فرانس » كان عشيقاً من هذا النوع .

وقد بلغ الاستهتار بالأعراض في أمريكا حتى أنك لا تجد فتاة بلغت سن الرابعة عشرة الا ولها خَدن يظل يعاشرها معاشرة الزوج لزوجته . حتى بلغ التسافل الى درجة : أن الفتاة إن لم تكن قد اتخذت قبل الزواج خَدناً يذهب بعرضها لا تُعد فتاةً اجتماعية قد عركت الحياة ! !

فلا رجعية عندما ترتكب الفاحشة علناً على الأرصفة فى بعض أزقة

---

(١) من مجلة حضارة الاسلام ، السنة الثالثة .

باريس أو أزقة لندن ، وترتكب أيضاً في حدائق الجزيرة في القاهرة على الحشائش وخلف الأشجار كمـا تفعل البهائم ! ولا رجعية في لبس المرأة (المايوه) وأخذ تصويرها من قبل المصورين بشكل مخزٍ منافٍ للآداب والفضيلة على مرأى من العابرين ! ولا رجعية حين يرتكب وكيل الوزارة الخارجية الانكليزية الفاحشة علناً مع جندي من جنود الحرس الملكي في أثناء تأدية هذا الجندي لوظيفته في منتزه عام وعلى قارعة الطريق .

كل ما هو من هذا النوع يمثل الرجعية أجلى تمثيل ، لأنه رجوع الى الحالة البدائية الأولى قبل بعث الرسل (ع) كما يحدثنا التاريخ وهو رجوع الى ما يقوم به بعض القبائل المتوحشة في يومنا هـذا في آلاسكا وأواسط أفريقيا . مع العلم أن ما نراه في بعض الأمم المتحضرة في هـذا اليوم من تقدم مرموق في صقع هتك الأعراض هو تقدم لم تبلغ الأمم البدائية الأولى ولا الأمم المتوحشة في هذا العصر شأوَه .

ان اختراع السينما من مفاخر العصر وكذا الراديو والتلفزيون . كل ذلك من النواحي العلمية : (العلوم المادية) . ولكن لو استعمل كل أولئك في تعليم الشاب طرقَ المغازلة وهتك الأعراض والانغماس في الشهوات ، فقد استعملت في ارجاع البشر الى رجعية مُهلكة أو (ارتجاع مميت) والى حيوانية بدائيـة . نعم تتجلى التقدمية في هذه الآلات وغيرها من الناحيـة العلمية : (العلم المادي) ، الا ان الرجعية كذلك تتجلى فيها بأعمق مظاهرها حين تستعمل للافساد في الأرض : « والله لا يحب الفساد » .

انه تعالى يقول : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار (١) » .

« وإن الفجار لفي جحيم ! » (٢) . « ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها

---

(١) سورة ص : ٢٨ . (٢) سورة الانفطار : ١٤ .

قترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة » (١) .

* * *

فكل ما يؤدي الى الافساد في الأرض وتلويث النفوس وازالة العقائد التي يدعمها العقل والمنطق الصحيح عمل رجعي يأخذ بهذا الانسان المسكين الى أسفل السافلين وإن سماه البعض تقدماً ! .

وإن الدساتير الأخلاقية الاسلامية التي بها تتكامل النفس الانسانية هي دساتير ثابتة لا تقبل التجديد والتحريف . حتى تكون في زمن ما من النوع التقدمي وفي زمن آخر من النوع الرجعي . ذلك لأن الله تبارك وتعالى أعرف بحقيقة النفس الانسانيـة وطرق تكاملها : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٢) . ذلك لأن النفس من صقع ما وراء الطبيعة ، وليست من المادة في شيء ، والله الذي خلق الأرواح يعلم طرق تكاملها والدساتير التي تؤدي الى تطهيرها وتزكيتها « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

والفيلسوف بصفته فرداً من الأفراد مملوء بالنقائص . فمهما وضـع من دساتير في النواحي الأخلاقية والتكاملية لا يأتي بشيء كامل لانقص فيه ، لنقائص في نفسه ولتأثره ببيئته ومحيطه ، وإن تاريخ الفلسفة يؤيد ما أقول . فقد تضاربت آراء الفلاسفة ومشاربهم ونوازعهم وكلها بشرية بعيدة عن معالجة الأرواح المريضة . فبعد أن كانت نفس الفيلسوف مريضة بأنواع المرض وشتى النقائص ، أنىّ له أن يصلح نفوساً اخرى مريضة ، وقد قالوا : « فاقد الشيء لا يُعطيه » .

فالاسلام يشجع كل جديد في مجالات العلوم المادية على اختلاف أنواعها

---

(١) سورة عبس : ٤٢ .

(٢) سورة الملك : ١٤ .

سواء في العلوم الرياضية أو الفيزيائية أو الكيميائية أو الفلكية أو الطبيعية أو الطبية أو غيرها . فقد كانت مكتبة (دار الحكمة) ببغداد في العهدالعباسي تحوي ٤٠٠٠٠٠٠ كتاب وان مكتبة أحد الخلفاء الفاطميين بمصر : (العزيز بالله) كانت تحوي مليونا ونصف مليون كتاب . وقد اكتشف المسلمون الفوسفور وطريقة استحضار الأوكسيجين والهيدروجين وحامض الآزوت وحامض الكبريت . وهم مؤسسو اول مرصد فلكي في اشبيلية باسپانيا ، وهم واضعو نظام الامتحانات في كليات الطب .

وما نراه من عدم اعتناء بعض المسلمين اليوم بالنظافة لا يدل على أن الاسلام سير رجعي ، فقد جاء في الحديث : النظافة من الايمان .

وقد قال الطبيب المؤرخ الامريكي (ويكتور روبنسن) : « إن أروبا كانت في ظلام حالك بعد غروب الشمس ، بينما كانت (قرطبة) تضيئها المصابيح العامة ، كانت أوربا قذرة ، بينما شيدت فى قرطبة ألف حمام . كانت أروبا تغطيها الهوام ، بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة . كانت أروبا غارقة في الوحل ، بينما كانت قرطبة مرصوفة بالشوارع . كانت سقوف القصور في أروبا مملوءة بثقوب المداخن ، بينما كانت قصور قرطبة (في الاندلس) تزينها الزخرفة العربية العجيبة . كان أشراف أروبا لا يستطيعون كتابة أسمائهم ، بينما كان أطفال قرطبة يذهبون الى المدارس . وكان رهبان أروبا يلحنون في تلاوة سِفر الكنيسة ، بينما كان مسلمو قرطبة قد اسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة » .

ومن عجائب الرهبان في القرون الوسطى ان البعض منهم كان يعذب جسمه كمثل كامل في الدين والأخلاق ! فالراهب (ماكاريوس) نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام . وكان يحمل داثماً قنطاراً من حديد ، وصاحبه الراهب (يوسيبيس) كان يحمل نحو قنطارين من حديد ،

وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر .

وقف عبد الراهب (يوحنا) ثلاث سنين قائماً على رجل واحد . وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائماً وإنما يستترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر . ويأكل كثير منهم الكلأ والحشيش . وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء . وأزهد الناس وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس .

يقول الراهب (اتهينس) : إن الراهب (انتوني) لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره . وكان الراهب (ابراهرام) لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة . وقد قال الراهب الاسكندري بعد زمن متلهفاً : وا أسفاه ! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً ، فاذا بنا الآن ندخل الحمامات !

وكان الرهبان يتجولون في البلاد ويختطفون الاطفال ويهربونهم الى الصحراء والأديار وينتزعون الصبيان من حجور أمهاتهم ويربونهم تربية رهبانية والحكومة لا تملك من الأمر شيئاً (١) .

يقول العلامة (سديو) : « كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلّت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى أروبا ، فكانوا هم سبباً لنهضتها وارتقائها » .

يقول الاستاذ (بيري) : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أروبا عدة قرون » .

* * *

فلابد لهذه النفس الإنسانية بصفتها من عالم المجردات من غذاء يتناسب وواقعها . وغذاؤها الروحي هو توجهها الى الحق المتعال بعبادة وأخلاق

---

(١) من كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

ملكوتية وأعمال صالحات . وهذا الغذاء سبب لاحيائها ، على حد قوله تعالى :

« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون » (١) .

« ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يُحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تُحشرون » (٢) .

إن الاسلام بصفته دين العقل والمنطق الصحيح يعطينا هذا الغذاء الروحي الذي عليه يتوقف حياة النفوس وإحياؤها . وان هذا الغذاء لا يتنافى مع الغذاء المادي الذي تحققه المكتشفات الحديثة . بل إن هذه المكتشفات تؤيد عظمة الله في أرضه وسمائه ، وكلها على ما فيها من دقة نوع تسبيح لله تعالى إذ أن التسبيح إنما هو تنزيه الله تبارك وتعالى عن كل نقص وكل عيب واسناد كل كمال اليه .

ففي المخترعات تتجلى ما أودع الله من عظيم الصنع وهندسة دقيقة رائعة في هذا الكون الواسع الأرجاء . ولولا ذلك لما تمكن المخترع من جمع هذه الشتات وتركيبها بفكر وتدبُّر وحسابات رياضية . وما الفكر الا موهبة ربانية لا دخل لجسامة المادة وصغرها في تقويته وتضعيفه .

كان يقول (پاستور) الموحِّد : « لا تنافي بين العلم والايمان ، وكلما زاد علم الانسان زاد إيمانه » .

واني اضيف على كلام (پاستور) قائلا : شريطة أن لا تتلوث النفس الانسانية بفسوقها وآثامها . فان الفسوق والآثام تحجب العقل الفطري من أن يعمل عمله : وهو توجيه الفرد الى الله المتعال . إنه تعالى يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » (٣) .

فالشاب الذي يريد تلويث نفسه إنما يتخذ كلمة (الرجعية) وسيلة

---

(١) سورة الانعام : ١٢٢ .
(٢) سورة الانفال : ٢٤ .
(٣) سورة الروم : ١٠ .

للانفلات عن كل فضيلة ، ولكي يُدخل نفسه في زمرة المثقفين ، فيبرر موقفه مما هو فيه من انحلال خلقي ! حين أن الفضيلة هي هي لا تتبدل بصياغة كلمات فارغة تأبى الانطباق مع واقع الاسلام وما جاء به الدين الاسلامي من قوانين ودساتير تكاملية للنفوس البشرية التائهة في شتى الحقول .

فلو رجعنا الى ديننا وما أمرنا بالتمسُّك به من أخلاق وفضائل وأعمال صالحات ومن تجدد فى العلوم المادية ومواكبة الحضارة الحاضرة في المخترعات والمكتشفات ولفظنا ما جاء به الغرب المادي في حقول الفلسفة والأخلاق والاجتماع لعلمنا إذ ذاك أننا تقدميون بأسلوب ايجابي ، غير رجعيين الى جاهلية جهلاء .

ولو كان سير التدريس سيراً يقرب الفرد الى الله المتعال ويذكره عظمة الله ويخوفه من عذاب الله ، لرجع العالم الاسلامي الى ما كان عليه من حضارة زاهرة ، لا في عوالم النفس فحسب بل في عالم المادة أيضاً .

« يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) .

ولا بأس بذكر هذه الأحاديث ، ليُعلم أن الاسلام سير تقدمي لا في حقل المادة فحسب بل في حقل تكامل النفس أيضاً وذلك لابلاغها اسمى مراتب الكمال والى الهدف الذي أوجد الله النفسَ في أرضه لأجله .

فقد جاء في الحديث : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه » (٢) . . وجاء أيضا : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

وورد عنه (ص) أنه قبل يداً ورمت من كثرة العمل وقال : « إن هذه يد يحبُّها الله ورسوله » .

وعن النبي (ص) : « اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة » .

---

(١) سورة التحريم : ٦ . (٢) من لا يحضره الفقيه ٣/٩٤ .

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام (١) : « إزرعوا واغرسوا ، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحب ولا أطيب منه » . وأيضا عنه (ع) : « لا تكسل عن معيشتك فتكون كلاً على غيرك » .

وفي خبر آخر : « ملعون من ألقى كلّه على الناس » .

في الوسائل في الجزء الثاني ص ٥٧٤ في حديث عن علي (ع) : « يا معشر التجار ، اتقوا الله . . . الى ان قال : « تناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجافَوا عن الظلم وأنصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءَهم ولا تَعثَوا في الأرض مفسدين » .

وقد قال علي (ع) كما في نهج البلاغة في كتابه (ع) للاشتر النخعي : « فامنع من الاحتكار ، فان رسول الله (ص) منع منه . وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع » .

وعن علي (ع) : « اعلموا ان أبواب الرزق مقفلة ، فافتحوها بالحركات فان في الحركات البركات » .

وعن رسول الله (ص) : « من وَلِيَ لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتخذ زوجة ، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة » .

« مَن كان معه فضلُ ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومَن كان له فضلُ زاد فليعد به على من لا زاد له » .

ولا بأسَ بذكر ما قاله : (أرثر هاملتون) عن الاسلام . إنه يقول : « لو توخّى الناس الحق ، لعلموا أن الدين الاسلامي هو الحل الوحيد لمشاكل الاشتراكية ، هو الذي يتسع للغني والفقير والقوي والضعيف جنباً الى جنب » .

---

(١) في الكافي ص ٤٠٤ .

لا رجعية في الاسلام

الرجعية هي الرجوع الى الوراء في الوسائل المادية للحضارة والبقاء على النمط القديم في فن الزراعة والصناعة ووسائل النقل والتنوير الى ما هناك من الوسائل المادية . اما ما يتعلق بتكميل الروح الانسانية وتهذيبها أو توجيهها الى خالقها وصانعها فذلك ما ليس للبشر أن تناله يده ، ذلك لأن اليد البشرية مهما كانت سليمة ونظيفة ، فهي في واقع الأمر ملوثة بميول شتى وشهوات ونزوات وغرائز لا مفر منها . ولقد شاهدنا ذلك فيما كتبه الفلاسفة في الأخلاق والمثل العليا وما تبنوا من فلسفات زائفة ، متضاربة ، إن كانت قد أصلحت جانباً فقد أفسدت جوانب شتى لا تعد .

فوجب بحصر عقلي ان تأتي السنن والنواميس الكمالية والخلقية من منبع فياض نمير ، من خالق هذه النفوس ، من الله العلي القدير ، لتهدي الناس الى سبل السلام .

يقول آينشتاين : « العلم يخبرنا بما هو كائن ، ولكن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون » ، ويريد آينشتاين هنا بالعلم : العلمَ المادي . . .

فلا رجعية في الرجوع الى ما سنّ الله تعالى من قوانين ونظم في شتى الحقول التكاملية لهذا البشر الذي دأب أن يفسد في الأرض « والله لا يحب الفساد » (١) . وهو القائل : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة الله قريب من المحسنين » (٢) . فسنّ قوانين في حقل الكمال البشري ، في الأخلاق والشؤون الاجتماعية والعائلية من قبل الفلاسفة وغيرهم انما هو مخالفة لما أراده الله من كمال للناس في هذه الأرض ، انما هو إفساد وعُتوٌّ في الأرض ، والله تعالى يقول : « ولا تعثوا في الارض مفسدين » (٣) . « والذين ينقضون عهـد الله من بعد ميثاقـه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » (٤) . « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » (٥) .

نعم ، لعلماء الدين أن يسنوا بعض القوانين على ضوء القرآن والسنة النبوية مستخدمين في ذلك علم الاصول فيما يستجد من حوادث ، شريطة أن لا تعارض النصوص السماوية الصريحة في شيء .

وللبشر أهواء ، تتغير من حين لآخر ، فيرى ما أمر الله به ، في يوم ، صحيحاً ، وفي يوم آخر ، غير صحيح ، فيتبادر له أن لكل زمان قانوناً خاصاً به ويجب أن تتبدل القوانين حسب الأزمنة .

ليت شعري ، هل الفضيلة ، في يوم من الأيام ، يجب أن تنقلب الى

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ .

(٢) سورة الأعراف : ٥٦ .

(٣) سورة البقرة : ٦٠ .

(٤) سورة الرعد : ٢٥ .

(٥) سورة البقرة : ٢٠٥ .

رذيلة ؟ حتى يقوم مقام الزواج الشرعي الزواج الحر (١) ، كل ذلك لأن هناك تطوراً يجب اتباعه ، والجمود هو الموت بعينه !

أو يقوم مقام الزواج الشرعي ، الزواج الثلاثي :

وهو أن يعيش زوج مع زوجه في بيت ورجل ثالث معهما كما بينا سابقا . أي تكون الزوجة خليلة لرجل آخر غير الزوج ، وهم يعيشون معاً في دار واحدة.

وهل من التقدم تعاطي الخمور وقد نهى عن ذلك الدين الاسلامي والطب الحديث ، فقد جاء في الحديث : « شارب الخمر كعابد وثن » .

وهل أكل الربا من التقدم في شيء وان درهماً منه يعادل (من حيث الاثم) سبعين زنية مع المحارم في بيت الله الحرام ، كما هو مؤدى حديث نبوي

وهل ترك الصلاة من التقدم في شيء ، وهي مناجاة بين العبد والمعبود وشكر تجاه نعم المنعم جل جلاله ، تلك النعم التي لا تعد ولا تحصى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار » (٢) ، وهي خير وسيلة لإزالة القلق والاضطراب النفسي ومنع الانتحار (٣) ! .

وهل الصوم يعارض التقدم ، وهو اذابة المادية في نفس الانسان كي يشعر بجوع البائس المسكين ، وهو نوع اقتصاد للتوفر على قوت الفقير ، لو طبق تطبيقاً صحيحاً .

وهل الحج رجوع الى الوراء ، وهو مؤتمر اسلامي رفيع لو استفيد

---

(١) الزواج الحر : هو الزواج دون اي عقد او ميثاق . ويقول المتطرفون الحب افضل دافع للزواج ، فموته سبب الطلاق . وقد اخذ يتفشى ، ومع الاسف ، هذا النوع من الزواج في المجتمعات الغربية لا سيما في الولايات المتحدة.

(٢) سورة ابراهيم (ع) : ٣٤ .

(٣) في كل ثانية تقع حادثة انتحار في امريكا . فالغرب مصاب بقلق نفسي وأمراض عصبية وجنون من جراء فقدان الايمان أو ضعفه .

منه وعروج الى مقامات القدس في تلك المواقف القدسية الرهيبة في بيت الله الحرام .

وهل الوضوء أو الغسل خرافة من الخرافات وهي طهارة معنوية يستقبل بها العبدُ مولاه ، يستقبله بهذه النظافة الظاهرية التى تؤثر في طهارة النفس ، ذلك لأن العبد لا يأتي بهما إلا تقرباً الى الله المتعال .

وهل الذهاب الى المساجد يناقض التقدم ؟ وهو كسب إفاضات ربانية ينشط بها العبد كي يستقبل امور الدنيا استقبالاً لا جشَع فيه ولا بغيَ ولا فساد .

وهل قطيعة الرحم من التقدم فى شيء ، حين أن صلة الرحم خير وسيلة للتساند الاجتماعي ، وهل تحقير الأبناء آباءهم ، لأنهم لا يعلمون شيئاً عن العلم الحديث ، أمر تقدمي ، أم دليل على الخبث ونكران الحق وعدم الوفاء وتكبر وتجبر على من أولاه أنواع العطف من نفسه وماله ؟

وهكذا نرى . ليس في الاسلام ما يؤدي الى التأخر الخلقي والتسافل النفسي ، بل كل ما فيه تقدم في حقول شتى ، فى حقل النفس والأخلاق والتقرب الى الله المتعال وفي حقل الاجتماع والقضاء والسياسة والاقتصاد وفي حقل العلوم المادية .

* * *

الاسلام دين التقدم والازدهار ، فقد كان للمسلمين الأوائل الفضل الأكبر في التقدم العلمي في مختلف مجالاته ، سواء في ذلك : المجال العقلي والفلسفي والمجال الأدبي والاجتماعي ومجال العلوم الكونية كالطب والكيمياء والفيزياء والعاوم الطبيعية والرياضية ، الى ما هنالك .

فقد ظلَّ العالم العربي المحصور ضمن حدود شبه الجزيرة العربية عالماً

غُفلاً لم يبدِ أي ازدهار ثقافي أو ما يدل على ذلك الى ان تم انتشار الاسلام . تشهد بذلك الجامعات في بغداد و (سالرنو) و (القاهرة) بل وفي (قرطبة) من بلاد الأندلس .

فقد أشاد رسول الله (ص) بنبان العلم أيما اشادة ، وهو القائل : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب » . وقد سئل علي (ع) عن مواضيع شتى في شتى العلوم فأجاب بالبديهـــة وهو المكتشف لقانون (أرخميدس) وقانون الأجسام الطافية . يظهر ذلك مما حل من مسائل (١) لذلك كله ، يحق لمؤرخ غير متعصب من مؤرخي فرنسا أن يقول :

« لو لم يكن حادث اغتيال علي لكان العالم الاسلامي قد شهد تحقق تعاليم محمد في المزاوجة بين العقل والشرع وفي تجسيد المبادىء الأولى للفلسفة الحقة والعمل الايجابي الخلاق » .

لاحظوا الروح التقدمية في كلمات الصادق (ع) (٢) ، فقد قال ما مؤداه : « إن استنارة القلب هي روح العلم » ، ثم يقول بالنسبة الى العلم نفسه : « الصدق هدفه ، والالهام دليله ، والعقل مستقره ، والله موجهه » .

حقاً ، إن المكتشفات الحديثة قد تجلت فيها ما أبانه الصادق سلام الله عليه فى بيانه : فإن تاريخ العلوم يذكر لنا انه قد كان للالهام أثر بالغ في الاكتشافات والمخترعات .

ومما لامراءَ فيه : أنه قد كان لأهل بيت الرسول (ص) الفضل الأكبر في تدعيم قواعد الفلسفة الحقة وتفهيم الناس حقائقَ القرآن كما يريده الله تعالى .

نعم ، إن الفلاسفة كـ (غالينوس) و (ديموقراطيس) و (ثمستيوس) و (ارسطوطاليس) و (افلاطون) و (اقليدس) و (بطلميوس) و

---

(١) راجع كتاب : التكامل في الاسلام ، الجزء الثاني ص ٢١٤ - ٢١٧ .

(٢) هو الامام السادس : الامام جعفر بن محمد (ع) .

(ابولونيوس) قد بُعثوا بفضل علماء الاسلام من جديد : وان علماء الاسلام قد صححوا أخطاء هؤلاء الفلاسفة بالنسبة الى المبدأ والمعاد على ضوء فلسفة القرآن الحقة وعلم الكلام ، كي لا يتسرب الإلحاد والفلسفة البشرية الحالكة الى معالم الاسلام .

كان المسيحيون يؤمون الكليات الاسلامية من أقاصي أوروبا ويرجعون الى بلادهم حاملين مشاعل العلم والمعارف . وكانت المدارس والأكاديميات زهرات زكية الرائحة تنتشر في أكثر المدن الاسلامية ، فتؤتي أكلها كل حين ، وقد كانت مزودة بمكتبات عامرة تضم عدداً كبيراً من الكتب .

كانت في مكتبة القاهرة أكثر من مليون مجلد ، ستة آلاف منهـا تبحث في الرياضيات والفلك .

نعم ، قد سبق المسلمون (روكر بيكون) في الطريقة التجريبية عدة قرون . فقد قال علي (ع) : « في التجارب علم مستأنف » وقد قال رسول الله (ص) مخاطباً علياً (ع) : « لا فقرَ أشد من الجهل ، ولا مال أعود من ، العقل ولا وحدة أو حش من العُجب ، ولا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن محارم الله ولا حسب كحسن الخلق ، ولا عبادة مثل التفكير » . وكانت الطريقة التحليلية والاستقرائية والاستنتاجية معروفة في التحقيقات العلمية لدى المسلمين .

اما في أوربا ، في القرون الوسطى ، فقد اغلقت معاهد الدراسة الى الأبد من قبل قسطنطين وأحرقت المكتبات العامـة التي أسسها الأباطرة الوثنيون ، وكانت العلوم تعتبر نوعاً من السحر ويُعاقب من يتعاطاها بتهمة الخيانة . كانت النزعة الدينية تعارض العلم ، في أوروبا ، كل المعارضة ، وكانت هذه النزعة تتمثل في قولهم : « الجهل أبو الاخلاص لله » . حين

أن علياً (ع) كان يقول منذ قرون : « بالعلم يُعرف الله ويوحد » .

لقد نفت الكنيسة من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية وأحرقت مكتبة (بلاتين) وأعدمت عشرات الآلاف من العلماء الكونيين .

ولقد سبق أبو الحسن (كاليلة) في اختراعه التلسكوب أو المرقب ، واستعمل كل من مرصد القاهرة ومرصد مراغة التلسكوب بنجاح .

إن المسلمين قد نبغوا نبوغاً مرموقاً في الفلك وجاؤوا بجداول هامة ، وان نصف أسماء الأنجم لا تزال عربية ، وقد أدخل المسلمون (علم المثلثات) في الفلك وأخذ علم الفلك طوراً رياضياً دقيقاً .

وقد تمكن المسلمون من حساب حجم الأرض وتصحيح أخطاء (بطليموس) في الفلك .

وللمسلمين اكتشافات هامة في انكسار الضوء وتعيين موقع النجم الصحيح ، وكذلك في علم الميكانيك .

لقد بنى العرب المسلمون أول مرصد في أوروبا ، وها هو جابر بن عافية العالم الرياضي الكبير يضع تصميماً ، فيبني برج اشبيلية ليراقب منه أفلاك السماء ، فيحوله الاسبان بعد طرد المسلمين الى حظيرة العجول !

وكذلك كانت حواضر غرب أفريقيا : طنجة ، فاس ومراكش تنافس قرطبة واشبيلية وغرناطة في كلياتها وتخريج علماء متضلعين .

لقد أقامت أوروبا المسيحية الدنيا وأقعدتها لمجرد انهام باطل : ذلك أن المسلمين هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية أيام الفتح ، حين أن حرق هذه المكتبة قد تم زمن (بوليوس القيصر) . الا أن الكتّاب الأوروبيين لا يتلفظون بشيء عما قام به الصليبيون بعد خمسة قرون !

لقد اكتشف المسلمون المثلثات الكروية وطريقة حل المعادلات من الدرجة الرابعة (في الجبر) وعلم تخطيط البلدان وطريقة تسطيح الأرض . وقد

طبقوا علم الجبر على الهندسة ، وهو فتح جديد للهندسة التحليلية .

وكانت أوروبا تعتقد أن الأرض منبسطة . بينما كان العلماء المسلمون يعتقدون بكروية الأرض وكروية المدارات الفلكية وعلى هذا الأساس بنوا علم الفلك .

واما العلوم الطبيعية فقد بُذل في ترقيتها جهد كبير وطبقت الطريقة التجريبية . وكانوا يستعملون حدائق تجريبية (مستنبتات) فى كليات الزراعة وكليات العلوم الطبيعية (فرع النبات) ، فكان الاساتذة يستعينون بها .

اما الكيمياء ، فالمسلمون هم المخترعون لها ، ذلك لأن تلميذ الصادق عليه السلام وأعني به جابر بن حيان ، هو الأب الأصيل لعلم الكيمياء الحديثة ولا يزال اسمه خالداً في حقل الكيمياء في دائرة معارف العلوم في لغات مختلفة ولا تقل أهميته عن (برسلي) و (لاووازية) ، وقد صنف جابر ألفي صفحة في الكيمياء من املاء الصادق (ع) على ما ذكره ابن خلكان في تاريخه .

اما اشتهار المسلمين في علم الطب وعلم الجراحة فحدث ولا حرج، فقد بلغوا شأواً قاصياً في هذين الفرعين .

لقد ظل المسلمون طوال قرون عديدة يتدارسون الجسم البشري بموضوعية مثالية وانكباب عظيم . وكانت دراسة المواد الطبية ، تلك الفكرة التي ارتاع لها (ايوكريدس) في مدرسة الاسكندرية ابداعاً اسلامياً محضاً .

ان المسلمين هم الذين اخترعوا علم الصيدلة وهم أول من أسسوا مخازن لتوزيع الأدوية ، فكانت توزع الادوية مجاناً دونما عوض والموزعون يتقاضون رواتبهم من الدولة الاسلامية . وان أسعار الادوية وأصنافها كانت محدودة من قبل الدولة الاسلامية . وكان على من يروم أن يعمل في حقل الصيدلة

أن ينال اجازة رسمية ، تقابل الشهادة الجامعية في يومنا هذا .

كما أن المسلمين أسسوا مستشفيات عامة (دور الشفاء) وكان المرضى يعالجون فيها مجاناً .

وها هو أبو جعفر : (أحمد بن محمد الطالب) يؤلف كتاباً في الماء الأزرق في العين .

واما ابن سينا فكان أبرع أطباء عصره ، كان ذا عقل موسوعي فهو فيلسوف ورياضي وفلكي وشاعر وطبيب . فليس بمستغرب أن يسميه رجال الفكر في أوروبا (ارسطو طاليس) الشرق .

وكتاب (حياة الحيوان) للدميري مشهور . فهو تاريخ الحيوانات ، سبق مؤلفه (بوفون) بسبعة قرون .

وكان (الجيولوجيا) (١) : علم طبقات الأرض يدرس باسم : (علم تشريح الأرض) .

وقد نبغ المسلمون في الفن المعماري وان آثارهم تتجلى فيما بنوا من مساجد وقصور وجسور وما هنالك من زخرفة ونحت جميل في حدود الشرع الشريف .

وللمسلمين اليد الطولى في البحث والتنقيب التاريخي والجغرافية وكذلك في الزراعة والتجارة وكثير من الصنائع .

أما العمل فمقدس في الاسلام أيما تقديس ، انه تعالى يقول : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وفي آية أخرى : « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ، قليلا ما تشكرون » وفي آية اخرى : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » . وهو القائل جل جلاله : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم

---

(1) Geologie

تشكرون » (١) .

واقرأ معي أحاديث أهل البيت (ع) في الحث على العمل :

فعن الصادق : جعفر بن محمد (ع) كما في اصول الكافي ص ٣٥١ « إن الله عز وجل يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ » . وعن موسى بن جعفر عليه السلام : « إياك والكسل والضجر ، فانهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة». وفي الوسائل في الجزء الثاني ص ٥٣٤ عن جعفر بن محمد (ع): « لا تكسلوا في طلب معايشكم ، فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها » . وعن النبي (ص) : « ملعون من ألقى كلّه على الناس » .

وفي الكافي ص ٣٥٠ عن جعفر بن محمد (ع) : « اقرؤوا من لقيتم من أصحابكم السلام ، وقولوا عليكم بتقوى الله عز وجل وبما ينال به عند الله . اني والله ما آمركم الا بما نأمر به أنفسنا . فعليكم بالجد والاجتهاد . واذا صليتم الصبح فانصرفتم فبكروا فى طلب الرزق واطلبوا الحلال ، فان الله عز وجل سيرزقكم ويعينكم عليه » .

وفي الكافي الجزء الثاني ص ٤١٥ عن جعفر بن محمد (ع) : «لاتدع طلب الرزق من حلّه واعقل راحلتك وتوكل » .

وفي الوسائل ج ٢ ص ٥٣١ . عن فضل بن أبي قرة : قال : دخلنا على أبي عبد الله (ع) وهو يعمل في حائط له . فقلنا : جعلنا الله فداك ، دعنا نعمله لك أو تعمله الغلمان . قال : « لا ، دعوني ، فإني اشتهي أن يراني الله عز وجل أعمل بيدي وأطلب الحلال في أذى نفسي » .

وعن علي بن أبي حمزة (٢) . قال : « رأيت أبا الحسن (ع) يعمل في أرض له ، قد استنقعت قدماه في العرق . فقلت : جعلت فداك : أين الرجال ؟ فقال : « ياعلي ، قد عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه . فقلت

---

(١) سورة القصص : ٧٣ .

(٢) الكافى ، ج ٢ ـ ص ـ ٥٣١ .

ومن هو ؟ فقال : رسول الله وأمير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين » .

بمثل هذه الأحاديث ، وجد نشاط عديم النظير في العالم الاسلامي في حقل التجارة والزراعة . وإن الحكام والقواد ما كانوا ليأنفوا من أن يلقبوا أنفسهم بأسماء المهن التي كان يتعاطاها أجدادهم . كيف لا ، وان الرسول الأمين (ص) يقول : « إن الله يحب عبداً يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ، وإن الله يحب العبد المحترف » .

وفي الوقت الذي يحث الدين الاسلامي الناس على العمل المثمر يريد بهم أن لا يشذوا عن طريق الحق والصواب . وان تكون الفضيلة هي الحاكمة في المعاملات .

فعن النبي (ص) : « ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره » وعن أبي عبد الله (ع) : « غبن المؤمن حرام » .

وفي حديث عن جعفر بن محمد (ع) : عليك بصدق اللسان في حديثك ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك ولا تغبن المسترسل فإن غبنه لا يحل ، ولا ترضَ للناس الا ما ترضى لنفسك وأعطِ وخذه ولا تحِف . . . الى أن قال : « التاجر فاجر الا من اعطى الحق واخذه » .

وفي الوسائل ج ٢ ص ٥٦٢ : عن النبي (ص) : « من غش مسلماً في شراء او بيع فليس منا ، ويحشر يوم القيامة مع اليهود ، لأنهم اغش الخلق للمسلمين » .

وقد حث الاسلام الناس على تشغيل اموالهم وعدم تجميدها . ففي الوسائل ، عن زرارة عن ابي عبد الله (ع) . . . قال : « ما يخلف الرجل بعده شيئاً اشد عليه من المال الصامت . قال : قلت له عليه السلام ، كيف يصنع به ؟ قال : يجعله في الحائط والبستان والدار » .

يقول الراوي سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : «لا خير في مَن لا يحب جمع المال من حلال : يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه».

واسمع ماذا يقول معلّى بن خنيس عن ابيه . قال : سأل ابو عبد الله عليه السلام عن رجل وانا عنده . فقيل له : اصابته الحاجة . قال : فما يصنع اليوم ؟ قيل : في البيت يعبد ربه . قال : فمن اين قوته ؟ قيل : من عند بعض إخوانه . فقال ابو عبد الله عليه السلام : « والله ، الذي يقوته اشد منه عبادة » . وعن ابي حمزة عن ابي جعفر عليه السلام . قال : « من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً من الناس وتوسيعاً على اهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر » .

وعن جعفر الصادق (ع) : مكتوب في التوراة : « انه من باع ارضاً او ماءً ولم يضعه في ارض او ماء ذهب ثمنه محقاً : (اي بطل ثمنه وذهبت بركته) » . وعنه (ع) : « مشترى العقدة مرزوق ، وبائعها ممحوق » (العقدة اي العقار) .

لقد انشأ المسلمون كثيراً من قنوات الري في البلاد التي فتحوها ، وخير دليل على ذلك : آثار القنوات في أسبانيا .

لقد حفر المسلمون مناجم النحاس والحديد والزئبق والكبريت في أسبانيا ، كما نشروا هنالك صناعة نسج الحرير واستخلاص الورق ووشي الخزف والفخار ودبغ الجلود .

ولا تزال الأواني الصينية التي عرفت بها (قرطبة) والمنسوجات الصوفية التي اشتهرت بها (مرسية) وحرائر (غرناطة) و (المرية) و (اشبيلية) (١) والحلى الذهبية من (طليطلة) والكاغذ في (سالبة) مضرب المثل حتى في أوروبا الحديثة .

وقد كان لحكام أسبانيا اسطول تجاري ينوف على ألف سفينة كما كان

---

(١) روح الاسلام : للسيد امير علي .

لهم وكلاء ومصانع أقاموها على ضفاف الدانوب .

نعم ، كان للمسلمين منجزات هامة في حقل الفكر ، ذلك لأن تعاليم نبينا محمد (ص) كانت تعاليم تدعو الناس الى التفكر والتدبر في أسرار الكون ، كيف لا وان القرآن الكريم ينادي منذ أربعة عشر قرناً : « قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، إن الله على كل شيء قدير » (١) . « فلينظر الانسان مم خلق » (٢) ، « قل انظروا ماذا في السماوات والارض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (٣) ، « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نُصبت والى الارض كيف سطحت » (٤) . « أولم يَروا الى ما خلق الله من شيء » (٥) .

نعم ، خلال قرون الجدب الأدبي والفكري في أوروبا كان الاسلام يحمل مشعل المدنية ويتقدم الى الأمام ، فهل الاسلام إذن دين رجعي أم تقدمي؟

ومنذ القرن الرابع حتى القرن السابع عشر الميلادي ظلت سحب الضباب تنعقد فى سماء أوروبا بعضها فوق بعض ، وقد سادت طوال هذه العصور العصبية الدينية المقيتة في أوروبا ، وكان الاسلام بثقافته الحرة ينفذ الى مجاهيل العالم ليثير فيها حب الخالق والمخلوق وليدفع الانسانية الى عتبة مرحلة جديدة فى مضمار التقدم والارتقاء . وهكذا كانت تظهر معالم التقدم في آكاديميات سالرنو وبغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة .

كان الحكام يساعدون على نمو الفكر الحر في الحقل العلمي ولم يتعرضوا الى بقية الأديان ، بل كان التسامح شعارهم ، فازدهرت العلوم

---

(١) سورة العنكبوت : ٢٠ .
(٢) سورة الطارق : ٥ .
(٣) سورة يونس : ١٠١ .
(٤) سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠ .
(٥) سورة النحل : ٤٨ .

الطبيعية كنتيجة حتمية لحرية الفكر في الاسلام . ولكن الضغط على حرية الفكر في أوروبا كان قد بلغ أقصاه . وبعد أن كان المسلمون قد حولوا أسبانيا الى حديقة غناء للعلوم والمعارف جاءت المسيحيـــة فجعلتها صحراء مقفرة ، فخلت الحواضر من الكليات والمدارس وحولت الى كنائس واحرقت الكنوز الأدبية والعلمية هناك .

* * *

لقد أخطأ (ارنست رنان) في كتابه : « الاسلام والعلم » حيث قال « إن الاسلام قد حارب العلم والفلسفة » لعله في كلامه هذا أراد أن يقرن الاسلام بالمسيحية التي حاربت العلم فى القرون الوسطى وأبادت كثيراً من العلماء الكونيين ، حتى أنك ترى أن (لاروس) يستهزىء فى قاموسه بالدين حين يريد أن يفسر كلمة Religion (١) ، ويقول : « الدين انما هو مجموعة مقررات تنافي العقل والفكر الحر ! » . حين أن الاسلام يقول « لا دين لمن لا عقل له » . « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » (٢) . « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » (٣) .

يقول علي (ع) : « إنه أرسل أنبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ويهدوهم الى معايش تُحييهم » . وهذا دستور يحقق سعادة الدنيا فى حقل الفكر والعلم والمخترعات وفي حقل الاقتصاد والاجتماع ويحقق سعادة الآخرة فى حقل التوجه الى الله وتزكية النفوس والفلسفة الحقة .

ان القرآن الكريم قد عظّم أمر العلماء فى جملة آيات بقوله : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألبـــاب » .

---

(١) الدين . (٢) سورة اسرى : ٣٦ .

(٣) سورة الفرقان : ٤٤ .

« يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات » . « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط » وندب الى البرهان وأراد بالناس أن لا يتقبلوا مبدأ أو عقيدة أو مسلكاً من المسالك دونما دليل بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وبقوله : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » (سورة الأنعام : ١٤٨) .

وحظر عن الظن والعمل به في العقائد والمسالك : بقوله : « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون الا الظن وإن هم الا يخرصون » ، وأراد بالناس اتباع العلم الصحيح لا الظنون والأهواء . فقال رداً على الدهريين : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ، إن هم الا يظنون » . وبقوله : « وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغني من الحق شيئاً » (سورة النجم : ٢٨) .

* * *

كان العلم في القرون الوسطى منحصراً فيما كان قد قاله ارسطو أو افلاطون أو أحد الفلاسفة القدماء دون تمحيص أو تحقيق في أقوالهم . وإن أكبر برهان عندهم أن يقال : قال ماجستر (١) كذا وكذا . . يقصد بذلك افلاطون او أرسطو أو غيرهما من الفلاسفة القدماء . حين ان نظريات فلاسفة اليونان عن الكون كانت تخيلية بحتة ، ومن جملة أقوالهم : ان حركة الشمس حول الأرض يجب أن تكون دائرية ، لأن الدائرة أكمل الاشكال ! وهكذا . . .

ولكن القرآن كان ينادي قبل ذلك بعدم قبول شيء دونما دليل أو برهان . واسس للناس أسس الفلسفة الوضعية (Positivisme) التي لم

(١) ماجستر . Magister

تعرف في أوروبا الا في القرن التاسع عشر الميلادي ، فلسفة تبتني على الحقائق العلمية الثابتة لا الظنون والتخيلات الواهية . لذلك كان يقول (پوانكاره) العالم الرياضي : « نحن الرياضيين انما نعمل لأجل الفيزياء والفلسفة » . كل ذلك لأن الفلسفة في القرن التاسع عشر صارت تستفيد من المكتشفات الحديثة لتقول كلمتها عن الكون والوجود .

وها هو (برگسون) صار من كبار الموحدين ، وكان يستدل في توحيده تعالى بما أودع الله تعالى من نظام خارق دقيق في بطن الذرة ، نظام محيرٌ للعقول لا يتأتى الا عن حكيم خبير . نظام دقيق الصنع ذي دساتير ثابتة وسرع معينة ومنحنيات عجيبة بعيد عن الصدفة كل البعد ، نظام يذيب الشك ويفني كل تردد . انه تعالى دعا الى التوحيد بطريق برهاني بقوله : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون » (١) . « أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون»(٢) وفي آية أخرى : « ونزعنا من كل أمةٍ شهيداً ، فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون » (٣) .

وكفى الاسلام فخراً أنه دعا الى حرية الفكر وتقبل أصح الآراء وأسدها وذلك بقوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (٤) ومنع من التقليد الأعمى بقوله : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » (٥) .

---

(١) سورة المؤمنون : ١١٨ .
(٢) سورة الانبياء : ٢٤ .
(٣) سورة القصص : ٧٥ .
(٤) سورة الزمر : ١٨ .
(٥) سورة المائدة : ١٠٤ .

وكم من آيات في القرآن الكريم تحث الناس على التفكر والتعقل : « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها » (١) ، « ومن آياتـه ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً ورحمة ، ان في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون » (٢) . « إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابةٍ وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » (٣) « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكراً ورزقاً حسناً ، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون » (٤) .

ولنذكر ما قاله بعض كبار الغربيين عن الاسلام : يقول (لواندركوذرد) « ليس في الاسلام كهنوت ولا سلطة كنيسة ، لكنه يضع للحكومات دستوراً » ويقول : (جيبون) : « الدستور الاسلامي دستور شامل موحد بين الجميع من الرأس المتوج الى ابسط الاشخاص ، لأنه يقوم على حكمة انتجها اوسع العقول معرفةً وعلماً بهذه الحياة » .

ويقول (دافيد يوو) : « القرآن دستور اجتماعي ، مدني ، تجاري حربي ، قضائي وهو فوق ذلك كله قانون سماوي عظيم » .

ويقول (كارليل) : « من المسلم به ان محمداً لم يكتب ولم يقرأ، ولم ينلق تعليماً مدرسيا ، لكنه عُرفَ منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير والأمانة واصالة الراي في كل ما يقول وما يعمل . وتاريخ حياته يثبت انه كان دائماً رجلاً اجتماعياً وصديقاً صدوقاً ومخلصا ودوداً » .

ويقول (وليم موير) : « جميع حجج القرآن طبيعية ودالة على عناية

---

(١) سورة محمد (ص) : ٢٤ . (٢) سورة الروم : ٢١ .

(٣) سورة البقرة : ١٦٤ . (٤) سورة النحل : ٦٧ .

الله بالبشر » .

ويقول (برناردشو) : « لابد ان تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن ، واو ان محمداً بُعث في هذا العصر وكانت له ديكتاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماماً في حلّ جميع المشكلات العالمية وقاد العالم الى السعادة والسلام » .

فاذا كانت الرجعية معناها : كل عائق عن التقدم او الرجوع الى الاصول البالية المانعة عن الارتقـــاء والازدهار فأي امر من اوامر الاسلام او اي نهي من نواهيه واي تعليم من تعاليم القرآن او السنة النبويـة يقف حجر عثرة دون التقدم في تفهم الانسان الحياة والكون والوجود تفهماً يعوقه عن الارتقاء في حقول التكامـــل النفسي والاجتماعي . او حقول المكتشفات والمخترعات ؟

إذن : القضية ليست قضية الرجعية او التقدمية بالمعنى الصحيح . وانما مرض في النفس ، يريد صاحبها ان ينفلت من دساتير وآيات بينات ارسلها الله تعالى لتكميل البشر على ألسنة أنبيائه (ع) . إن الله تعالى يصف هؤلاء بمرض في القلب أو النفس . بقوله : « في قلوبهم مرض » (١) .

والمرض النفسي لابد من معالجته ، معالجة روحية . وليس هـــذا المرض الروحي من النوع الذي يعالجه علماء النفس او الأطباء النفسانيون. وانما هو مرض روحي عقائدي جاء من جراء الذنوب والآثام : « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون » (٢) . نعم ، الاجرام هو الذي سد عليهم ابواب الايمان وجعلهم مرضى في النواحي النفسية . « ومن اظلم ممن ذُكّر بآيات ربه فأعرض عنها ، إنا من المجرمين منتقمون » (٣) .

---

(١) سورة البقرة : ١٠ . (٢) سورة يونس : ٣٣ .

(٣) سورة الم ـ السجدة : ٢٢ .

والفسق هو السبب الرئيس للضلال : بقوله تعالى : « فهل يُهلك الا القوم الفاسقون » (١) . وبقوله : « واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين » (٢) . وبقوله : « ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون » (٣)

إن اطباء هذا المرض النفسي هم الأنبياء (ع) وخاتمهم نبينا محمد(ص) فما لم يعالج هذا النوع من المرض بوصفات او علاجات قد عينها نبينا محمد صلى الله عليه وآله لا يمكن ان يرجع المريض عن غيه ، فيرى الحق حقاً والباطل باطلاً ، يرى ما هو رجعي حقاً رجعياً وما هو تقدمي حقاً تقدمياً . « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (٤) .

فطوبى لأولئك الشبان الذين لم تخدعهم بهرجة الغرب بروائها وجمالها الخداع ، فميزوا بين الباطل والحق ، بين نظام يدعو الى الشهوات ونظام يدعو الى تساند اجتماعي فيـــه الكمال الانساني والفوز بسعادة النشأتين : الا وهو نظـــام الاسلام . . . فتمسكوا به تمسكاً ملؤه الاخلاص وصاروا يضحون من نفوسهم ونفائسهم لاعلاء كلمة الله في الارض ، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ، محققين مصداق هذه الآية الشريفة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين » (٥) . راجين في عملهم رحمة الله ومرضاته تعالى : جاعلين هذه الآية الشريفة هدفاً لهم : « ومن الناس مَن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد » (٦) .

---

(١) سورة الاحقاق : ٣٥ . (٢) سورة البقرة : ٢٦ .

(٣) سورة البقرة : ٩٩ .

(٤) سورة الحج : ٤٦ . (٥) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٦) سورة البقرة : ٢٠٧ .

الزوجية في الكون

يقول الله تبارك وتعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (١) .

إن هذه الآية تتحقق أكثر من ذي قبل كلما تقدمت العلوم الحديثة وتعرف العلماء الى باطن الذرة وما فيها من عالم عجيب : عالم قائم بذاته من حيث الأنظمة والقوانين ، لا يعتريها أي تغير وانثلام .

فترى أن الله تعالى قد أودع في الذرة ، (وهي ما لا ترى بالعين المجردة ولا بالمكبرات : المجاهر : ميكروسكوب) ، ألكترونات في الأطراف وهي كهربائية سالبة : (—) تدور بصورة اهليليجية حول المركز بسرعة فائقة ، بسرعة ألفي كيلو متر في الثانية ، وهذه أعظم سرعة عرفت لحد الآن على وجه الأرض ، وترى في مركز الذرة : (النواة) قد تكدست البروتونات وهي كهربائية موجبة (+) .

وقد جعل الله في هذه الذرة خلاءً يحير العقول وذلك بين الالكترون والبروتون ، بحيث لو رفع هذا الخلاء لكانت الأرض بحجم البرتقالة ولكن وزنها وزن الأرض تماماً .

فالبعد بين الألكترون الذي يدور في أطراف الذرة والبروتون المستقر في مركز الذرة كالبعد بين الأرض والشمس في منظومتنا الشمسية تقريباً . فكأن كل ذرة من حيث التشكيلات والأبعاد والمسافات كالمنظومة الشمسية مع حفظ النسبة . ذلك لأن نواة الذرة تحتوي على ٩ر٩٩ في المائة من الوزن

---

(١) سورة حم ـ السجدة : ٥٣ .

الذري ، كما أن الشمس تحوي ٩ر٩٩ في المائة من وزن المجموعة الشمسية : « الذي خلق سبع سماوات طباقاً ، ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت » (١) فأبسط الذرات ، انما هي ذرة (الإيدروجين) .

(الايدروجين) غاز مشتعل (قابل للاشتعال) يشغل قسما عظيما من هذا الكون الرحيب ! . ولذلك سمي : بالغاز الكوني . وهو أهم عنصر في الماء الذي نشر به . اذ أن دستور الماء فى علم الكيمياء : HO_2 . أي يوجد في كل جزيء من الماء حجمان من الإيدروجين وحجم واحد من الأوكسجين وهو غاز نتنفسه ، ولولاه لاستحالت الحياة . . .

يوجد في ذرة (الإيدروجين) الكترون واحد (−) يدور حول بروتون واحد (+) في المركز . وهو أبسط العناصر .

ويأتي فى ترتيب العناصر ، بعد الايدروجين ، العنصر المسمى بـ (هليوم) وهو غاز غير محترق تملأ به المناطيد (البالون) .

يوجد فى أطراف ذرة (الهليوم) الكترونان (−) ، (−) يدوران حول المركز . اما في مركز الهليوم فيوجد بروتونان : (+) ، (+) وبجنبهما : نيوترونان : (∓) ، (∓) .

النيوترون ، جسم صغير جداً مؤلف من شحنة كهربائية موجبة وشحنة كهربائية سالبة وهما متعادلتان . فالنيوترونات متعادلة من حيث الكهربائية .

واما العنصر الثالث من حيث (العدد الذري) أو ترتيب العناصر . فهو : (ليثيوم) . ففي نواته : أي في مركزه يوجد ٣ بروتونات (+) ، (+) ، (+) وبجنبها ٤ نيوترونات : (∓) ، (∓) ، (∓) ، (∓) ، وتدور في الأطراف (أي في أطراف عنصر الليثيوم) ٣ الكترونات : (−) ، (−) ، (−) .

---

(١) سورة الملك : ٣ .

وأما ذرة الكالسيوم ففيها ٢٠ الكترونا تدور في الأطراف في مدارات مختلفة وبسرع معينة وبنظام دقيق حول النواة : (المركز) وفي المركز : ٢٠ بروتوناً وبجنبها ٢٠ نيوتروناً .

ثم ، نحن اذا جمعنا عدد النيوترونات مع عدد البروتونات في كل ذرة ، يعطينا هذا المجموع : الوزن الذري (mass number) .

ان ذرة الإيدروجين يختلف بعضها عن بعض حسب عدد النيوترونات الموجودة فى المركز .

فاذا كان في المركز : (نيوترون واحد) ، سمي هذا الايدروجين بـ (الإيدروجين الثقيل) . ففي نواة الايدروجين الثقيل يوجد نيوترون واحد . وان المعادلة الآتية توضح الوزن الذري للايدروجين الثقيـــل : ١ بروتون + ١ نيوترون = ٢ . فيقال : الوزن الذري للايدروجين الثقيل = ٢

وعند اتحاد الايدروجين الثقيل بالأوكسجين نحصل على ما يعرف الآن باسم : (الماء الثقيل) .

فدستور الماء الخفيف الكيماوي هو : H_2O حين أن دستور الماء الثقيل : H_2O^2 .

فالإيدروجين تختلف طبيعة ذراته ، منها ما هي خفيفة تبلغ كثافتها نصف كثافة الذرات الثقيلة . فاذا اتحدت الذرات الثقيلة من الايدروجين مـــع الأوكسيجين كوّنت ماءاً يختلف عن الماء العادي . ولهذا تأثير سام على الكائنات الحية ، ويوقف نمو البذور ويميت أجنة الأحياء وهي فى مهدها. هذه هي صفات الماء الثقيل .

ثم هناك نوع ثالث من الإيدروجين . فيوجد في مركز هذا النوع من الايدروجين : نيوترونان بجنب البروتون . ويسمى بالإيدروجين الثـلاثي . ووزنه الذري : ٣ ذلك لأن : ١ بروتون + ٢ نيوترون = ٣ .

إذن هنالك ثلاثة أنواع من الايدروجين . وتسمى هذه بالنظائر العادية .

وقد تكون للعنصر الواحد عدة نظائر لاختلاف عدد النيوترونات في النواة لنفس العنصر . ومعنى ذلك : انه قد يكون لعنصر واحد : (مثلا كاربون) عدة أوزان ذرية ، لاختلاف عدد النيوترونات في النواة في نفس العنصر .

وقد وجدوا (للأورانيوم) ١٢ نظيراً . واما عدد النظائر التي وجدوها لمختلف العناصر فتتجاوز الألف . وان العلم يعمل اليوم لأجل كشف هذه النظائر لمختلف العناصر . ويظفر العلم يوماً بعد يوم بما أودع الله تعالى في بطن الذرة ، (هذه التي لو جمعت عشرة ملايين منها لما تجاوزت رأس الابرة) من خصائص ونظام . نظام محيِّر للألباب ، نظام يجعل الفيلسوف الافرنسي برگسون : (Bergson) يؤمن بالله تعالى حينما يرى عالماً عجيباً فى شيء بالغ فى الصغر ، بحيث لا يرى بأدق الآلات . عالماً يستدعي التفكير والبحث أبد الآبدين : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم » (١) .

واما النشاط الإشعاعي فهو نشاط ينتج من اضطراب نواة الذرة بسبب اختلال النسبة التي أرادها الله تعالى أن تكون بين عدد النيوترونات وعدد البروتونات حال الاستقرار .

وان هذا الاضطراب إنما ينتج بادخال بعض البروتونات أو النيوترونات في النواة . وذلك : بأن تواجه النواة بإدخال بروتونات جديدة أو نيوترونات جديدة فيها . فتختل النسبة التي كانت موجودة في النواة حالة الاستقرار بين البروتونات ، ولهذا السبب تضطرب النواة وتضطر الى محاولة لاصدار نوع خاص من الاشعاعات المختلفة حتى تصل الى حالة الاستقرار .

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ .

هذا هو أساس تحطيم الذرة وتفتيتها . وهذا هو الأساس لتبديل العناصر بعضها الى بعض ، وهذا هو أساس تحول المادة الى الطاقة .

فان الطاقة المتحررة من كتلة : ك تساوي مربع سرعة الضوء في الكتلة

أي أن الطاقة أو ط ط = ك س ٢

وبما أن سرعة الضوء = ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلو متر في الثانية أي ٣٠٠ ٠٠٠ كم / ثانيه إذن : الطاقة المتحررة عند تحطيم ذرة كتلتها ك من الغرامات ، أي :

ط = ك × ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ × ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ = ك × ٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

= ٩ × ١٠^٢٠ ك

فالمادة إذن صورة من صور الطاقة . وان الغرام الواحد من المادة يتحول الى ألف مليون مليون مليون وحدة من وحدات الطاقة . ووحدة الطاقة تسمى بـ (أرگ : Erg) . أو أن الغرام الواحد من المادة يتحول الى ٢٥ مليون كيلووات / ساعة من القوة الكهربائية . أي ما ثمنه نحو (٥٥٠) الف دينار .

* * *

وقد علم مما سبق أن النظرية المادية قد فندت من أساسها بعد تحول المادة الى طاقات هائلة . فيحكم العقل بصورة فطرية : أن الله تبارك وتعالى قد خلق طاقات هائلة في بادىء ذي بدء بقوله : (كُن) ، ثم أمرها أن تنكدس تحت ترتيب خاص ونظام دقيق فتكون بإذنه تعالى سُدما (جمع سديم) ، فهذه العناصر ، فالأجسام ، فالمجرّات ، فالأجرام ، فالشمس ، فالكواكب ، فالأقمار . . . الخ . .

يلاحظ أن العالم كله مشكل من نوعين من الكهربائية ، كهربائية موجبة : (+) ، وكهربائية سالبة : (—) . واما النيوترون الذي هو بجنب البروتون في نواة الذرة فهو خليط من كهربائية موجبة وسالبة

متعادلة : (∓) ، إذن العالم مشكل من نوعين من الطاقات : كهربائية موجبة : (+) وكهربائية سالبة : (-) وواضح أن السالب غير الموجب ، كما أن الانثى غير الذكر . وهكذا نرى أن الزوجية متأصلة بأمر الله تعالى في أدق الأشياء . فالغاز الكوني : (الإيدروجين) وهو من أبسط العناصر مشكل من الكترون واحد (-) وبروتون واحد (+) . وهذا يفسر قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (١) .

ونرى أن القوى أو الطاقات التي تتألف منها العوالم هي بالمآل اما كهربائية أو مغناطيسية . فالكهربائية أيضا نحصل على مغناطيسية وذلك بلف سلك حول قطعة من حديد وإمرار تيار كهربائي في هذا السلك . فتتمغنط قطعة الحديد ويحدث فيها قطبان : القطب الشمالي والقطب الجنوبي كقطعة من مغناطيس طبيعي . وبتدوير ملف من الأسلاك في مجال مغناطيسي (كما في الدينامو) نحصل على الكهرباء . (التيار الكهربائي) . لذلك كان يقول : (آينشتاين) : انما العالم مجموعة قوى (كهربائية - مغناطيسية) أو (كهرطيسية) . فأين المادة التي كان يتشدق بها لينين ؟ !

نحن نشاهد الزوجية حتى فى القوى والطاقات ، وفى الجن أيضاً ، كل ذلك ، لتبقى الوحدانية خاصة بالله تعالى لا يشاركه فيها أحد .

وإن الزوجية معروفة فى النباتات ، ذلك لأن في الزهرة عضو التذكير (الأعضاء الذكرية) وعضو التأنيث (العضو الأنثوي) . وبعد أن تنضج الأعضاء الذكرية والانثوية فى الزهرة ، يحصل التلقيح وتبدأ الثمرة بالتكوّن من الجزء الانثوي .

وان الزوجية متجلية في الحيوانات وكذلك فى الانسان : انه تعالى يقول: « سبحان الذي خلق الأزواج كلّها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما

---

(١) سورة الذاريات : ٤٩ .

لا يعلمون » (سورة يس : ٣٦) . فالله تبارك وتعالى أخبرنا قبل ١٤ قرناً أن هناك زوجيةً في ما لا نعلم من أشياء . وقد اكتشف حديثاً ان الزوجية متأصلة بأمر من الله تعالى حتى فى الذرة التي لا ترى بالعين .

ويقول تعالى أيضاً : « فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم » (سورة الشورى : ١١) . (يذرؤكم أي : يكثركم) .

لذلك يقول : (مونتني) الفيلسوف الفرنسي : إن أعظم دليل على وجود الله هو وجود المرأة (الأنثى) للرجل . فهل يعقل ان الرجل خلق لنفسه أنثى لإدامة النسل البشري ؟

وان الله تعالى تحقيقاً للزوجية وهذا الانجداب الجنسي جعل تردد صوت المرأة : (٢٢٠) في الثانية كما هو معروف في الفيزياء وجعل تردد صوت الرجل (١١٠) في الثانية ، ليكون صوت المرأة أرقَّ وأجمل من صوت الرجل . فيتحقق الانجذاب الجنسي ادامةً للنسل البشري .

وبصورة عامة لا يكون التوالد وتوليد المثل الا باختلاط وانضمام خليتين احداهما ذكر وتسمى (اسپرماتوزوئيد) والأخرى أنثى وتسمى : (اوول) .

* * *

ان دراسة الطائر المسمى بـ (اكسپكلوپ) وما يقوم به من عمل دقيق لإدامة نسله خير دليل على وجود الصانع وايحاء الله تعالى الطائر الطريقة الناجحة لابقاء النسل . ذلك لأن هذا الطائر لا يرى نسله ويموت فور إلقائه البيض . كما أن الأفراخ لا ترى وجه الأم . ذلك لأن الأفراخ هي كالديدان بعد الخروج من البيض ، لا تقوى على تهيئة غذائها والدفاع عن نفسها ودفع الطوارىء التي تهدد حياتها . وعليها أن تقضي سنة كاملة في

مكان وادع رصين وأن يكون الغذاء بجنبها وفي متناولها . ولذلك ، فإن الأم حين شعورها بأنه قد قرب أوان بيضها تحصل حالاً على قطعة من خشب وتحدث فيها ثقباً عميقاً . ثم تقوم فتفتش عن غذاء (لأفراخها التي لا تراها بعد مونها) من الأوراق والأوراد ما يكفي لسنة كاملة وتضع هذا الغذاء في منتهى الثقب وتضع فوق هذا الغذاء بيضةً واحدة وتبني عليها سقفاً محكماً من عجين الأخشاب ثم تذهب لتجمع غذاء لسنة كاملة أيضاً ، فتأتي به وتضعه في الثقب على ذلك السقف وتضع عليها بيضة وتبني عليها سقفاً ثانياً ، وهكذا تصنع عدة طبقات وكل طبقة فيها غذاء لسنة كاملة وفوقه بيضة وهي تموت بعد اتمام العمل فوراً ولا ترى أفراخها . لا تقع للام هذه الحادثة إلا مرة واحدة طوال عمرها وفي فصل الربيع فقط .

حقاً ، لولا الإلهام الالهي لما قامت الأم التي تموت حالاً بعد البيض ، (الأم التي لا ترى أفراخها) بهذه العملية لادامة نسلها ، فإن قلنا انها تعلمت فكيف حدث هذا الحادث لأول مرة ، دون تجربة سابقة .

ثم إن الله تعالى جعل شريكاً للانسان وهو الجن ، فالانسان لا يُحشر وحده يوم القيامة وانما يُحشر معه الجن أيضا . يقول تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً ، يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس » . وفي آية أخرى : « يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا شهدنا على أنفسنا » وقوله تعالى : « قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار ، كلما دخلت أمّة لعنت أختها» وفي آية أخرى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » . . الى ما هنالك من آيات اخرى ، كلها تدل على ان الجن محاسبون يوم القيامة كالانس وكلاهما مكلفان في هذه الدنيا بتكاليف وبأوامر ونواهٍ . وان محمداً (ص) قد بُعث للانس والجن كافة : « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون

القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضي ولّوا الى قومهم مُنذرين » وفي سورة الرحمان : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » ، فهنا يخاطب الله تعالى الانس والجن معاً .

* * *

وقد عُلم أن الزوجية تتحكم حتى في النجوم . فهناك تزاوج ظاهري في النجوم .

ومع كثرة النجوم في هذه السماء الواسعة غاية الوسع فإن الفواصل بين النجوم فواصل هائلة وابعاد شاسعة جداً . وان أقرب نجم الى شمسنا هذه يبعد عنها ٢٦ مليون مليون ميل . إذن يحق لنا أن نقول : ما أفرغ هذه السماء وما أشد وحشة النجم الواحد في هذا الفراغ الهائل ! ولكن شاء الله تعالى ، أن يجعل الأشياء كلها حتى النجوم مزدوجة ! تتحكم فيها الزوجية ليكون التفرد والوحدانية خاصة به تعالى « ليس كمثله شيء » .

فاذا نظرت الى السماء بالمنظار لرأيت نقطتين مضيئتين مقتربتين في السماء أشدّ الاقتراب . واحدة زرقاء والأخرى برتقالية أو حمراء . انهما نجمان يشد بعضهما بعضا ويدور أحدهما على الآخر . أي ينجذب أحدهما من قبل الآخر تحقيقاً للتزاوج . ونحن حيثما وجهنا المنظار (التلسكوب) الى السماء وجدنا أزواجاً من النجوم . انها ألوف ألوف . انها الثنائيات النجمية ، مداراتها اهليليجية ذات تفرطح عظيم . هذه هي هندسة الكون : مدارات اهليليجية وكم من الصعب رسم منحنٍ اهليليجي في الفضاء ثم جعل النجوم تدور بموجبه دونما حَيد . انها هندسة دقيقة تدل على عظمة واضعها وهو الله الواحد القهار .

ومن اشهر هذه الأزواج (الشعرى اليمانية) وصاحبتها بل صاحبها فاذا نظرت الى الشعرى اليمانية في فصل الشتاء في اوسط السماء ، قرب

كوكبة الجبار . لاترى منها الا نجماً واحداً لامعاً اشد اللمعان ، وهكذا نرى الأزواج من الكواكب رأيَ العين شيئاً واحداً . حتى اذا وجهنا نحوها المناظير (التلسكوبات) القوية رايناها نجمين او عدة نجوم . وقد نظر الى (الشعرى اليمانية) صانع مناظير ، يجرب منظاراً قد صنعه : قطره (١٨) إنجاً ، فراى صاحبها اول مرة وقد كان ذلك عام ١٨٦٢ م .

ويدرس العلماء (الشِعرىَ) وصاحبها ، فيكشفان عن مدار اهليليجي لهما ، شديد التفرطح ، وهما يقطعانه في خمسين عاماً . والفرق بين حجميهما هائل . الشعرى اكبر من الشمس ، وصاحبها قزم من أقزام النجوم ابيض اكبر من الارض ٣ مرات او اكثر ، ولكنه شديد الكثافة ، فإن كثافته تبلغ ٣٠ ٠٠٠ مرة مثل كثافة النجوم . فالوزن النوعي (للشعرى) يساوي عدة آلاف من الوزن النوعي للذهب الإبيض وهو من اثقل العناصر .

إن الله تعالى يعظم شأن نجمة (الشعرى) بقوله جل من قائل : « وإنه هو اغنى واقنى (١) ، وانه هو رب الشعرى ، وانه اهلك عاداً الاولى ، وثمود فما ابقى » (سورة النجم . .) .

وقد علم بأن نجمة (الشعرى) تبعد عنا ١٠ سنوات ضوئية ، اي حوالي مائة مليون مليون كيلو متر . على ان هناك ملايين المجرات في كل منها بلايين من النجوم تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية . فما اعظم ما خلق الله من عوالم وما اكثرها واوسعها .

فيحق للمسلم وكل عبد لم يذهب بعقله الفطري ما اجترحت يداه من آثام ان يستقبل القبلة بأذان او اقامة قائلاً ، ليلَ نهار : الله اكبر ، الله اكبر

والجاذبية قد تجمع بين اكثر من نجمين . فالنجمة القطبية هي في الحقيقة ثلاثة نجوم ، وزوجان يدوران بعض حول بعض فى نحو من ٤ ايام . وهما معاً

---

(١) اقناه : اغناه واعطاه ما يقتني ، والقنية ما يؤثَّل من الاموال .

يدوران حول نجم ثالث في اكثر من ٢٠ عاماً . ونحن لا نرى منهما في السماء إلا شيئاً واحداً .

ومجموعة اخرى تتشكل من اربعة نجوم وهي ترى كنجمة واحدة ، إنها (راس التوأم المؤخر) . وقد عرف انه يتألف من زوج وزوج ، ثنائيان اثنان فى كل منهما . ككل ثنائي يدور احد نجميه حول صاحبه ، ودورة الثنائي الأول ٣ ايام ، ودورة الثنائي الثاني ٩ ايام ، الا ان الزوج الثاني يدور كذلك حول اخيه الزوج الثاني مرة فى حدود ٣٠٠ عام .

وهكذا نرى ان قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » متجلّ حتى فى النجوم على بعدها وكثرتها . . . فـ « سبحان الله باريء النسم (٢) ، سبحان الله المصور ، سبحان الله خالق الأزواج كلها ، سبحان الله جاعل الظلمات والنور ، سبحان الله فالق الحب والنوى ، سبحان الله خالق كل شيء ، سبحان الله خالق ما يرى وما لا يُرى ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله رب العالمين » .

* * *

ونرى ان الله تعالى قد أودع الزوجية في (العناصر) أيضا . فهناك نوعان من العناصر : النوع الأول هو هذه العناصر التي نراها في أرضنا هذه : كالايدروجين والحديد والأورانيوم . . . الخ . فكل ذرة منها مؤلفة من الكترونات سالبة تدور حول بروتونات موجبة في النواة .

ولكن عُلم اخيراً ان هناك : (بروتوناً سالباً) منطلقاً في الفضاء حول الكرة الأرضية ومن شأنه إفناء جميع أنواع المادة التي تصطدم بها . كما اكتشف أخيراً : (الألكترون الموجَب) وهو الكترون يضاد الالكترون الذي نعرفه فى ارضنا . ففي الوجود نوعان مختلفان من العناصر تُبنى منهما النجوم

---

(١) النسم : جمع النسمة : الانسان او كل دابة فيها روح .

والشموس والكواكب وسائر الأجسام . واذا حدث ان التقى نوع منهما بالآخر أو تصادم معه تحدث عمليات إفناء ذرية تختفي معها معالم المادة من الوجود ، بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي هي الاصل في ربط جسيمات نويات وذرات تلك المواد .

وان تحطيم بعض الذرات يؤدي الى تحرير نيوترونات ذات سرعة كبيرة وان النيوترونات المتحررة حين التحطيم النووي تستطيع تحطيم ذرات اخرى فينتج من هذا تفاعل متسلسل مستمر .

ولنرمز للنوع الأول من المادة ذات البروتونات الموجبة والألكترونات السالبة بالحرف (م) مثلا ، ولنرمز للنوع الثاني من المادة المضادة للأولى : أي ذات البروتونات السالبة والألكترونات الموجبة بالحرف (س) . فعندما يتصام (بروتون موجب) مع (برتون سالب) ، أو عندما يتصادم (الكترون سالب) مع (الكترون موجب) يعدم أحدهما الآخر من عالم الوجود . بينما تنطلق الطاقة الكلية حسب الدستور الآتي :

الطاقة المنطلقة = الكتلة المادية المختفية × مربع سرعة الضوء . وهكذا نرى عندما تدخل ذرة من نوع المادة (م) الى عالم المادة (س) او بالعكس تفنى الألكترونات أولا ، ثم تفنى البروتونات .

فاتضح مما ذكر ان الزوجية متأصلة بأمر الله تعالى في أصغر موجود في هذا الكون الرحيب وهو الذرة . ففيها الكترون (كهربائية سالبة) وبروتون (كهربائية موجبة) . حتى ان المادة نفسها على نوعين أي أن الزوجية متأصلة فيها ، فالبعض منها الكترونها سالب وبروتونها موجب كما في العناصر المكتشفة لحد الآن وعددها (١٠٢) تبدأ بالإيدروجين وتنتهي بـ (نوبليوم) . (Nobelium) وفي (نوبليوم) ١٠٢ ألكترون (سالب) تدور حول ١٠٢ بروتون (موجب) وبجنب البروتونات توجد (١٥٥)

نيوتروناً ويرمز اليه هكـذا : $^{257}_{102}No$ ... (٢٥٧ – ١٠٢ = ١٥٥ نيوترونا) .

والبعض الآخر : الكترونها موجب وبروتونها سالب .

فسبحان من لا تبيد معالمه ، سبحان من لا تنقص خزائنه ، سبحان من لا اضمحلال لفخره ، سبحان من لا ينفد ما عنده ، سبحان من لا انقطاع لمدته ، سبحان من لا يشارك أحداً في أمره ، سبحان من لا إله غيره .

فيرى المتتبع في أحوال الكون : أن الله قد أودع الزوجيه في كل شيء ، كي يعتبر الانسان بهذه الزوجيـة ويعلم ان الله لا يُشبه ما خلق من جماد ونبات وحيوان وانسان وقوى وطاقات في شيء ، هو الله الذي لا إله الا هو .

ولنختم هذا المقال بهذه الآيات البينات ، ليعلم أن لا متصرِّف في الكون الا الله تعالى ، وأن ليس هنالك الا خالق ومخلوق ، والاعتقاد بوحدة الوجود أو وحدة الموجود بضاعة يونانية مُضلة جاءت من فلسفة بشرية حالكة تتنافى مع عظمة الله وقدسيته .

« أفرأيتم ما تُمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » (١) . « أفرأيتم ما تحرثون ، ااانتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (٢) . « أفرايتم الماء الذي تشربون ، ااانتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » (٣) . « أفـرايتم النار التي تورون ، ااانتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » (٤) . صدق الله العظيم . . .

---

(١) سورة الواقعة : ٥٧ ، ٥٨ (٢) سورة الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) سورة الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ ـ المزن : السحاب .

(٤) سورة الواقعة : ٧١ ، ٧٢ ـ تورون : تقدحون .

الكون الرحيب

ان الله تعالى يأمرنا بأن نتتبّع السماء والأرض وأن ننظر الى ماخلق من عوالمَ شتى : من كواكب وشموس ومجرات وسُدم ، وكيف تتكون الأنجم وكيف تبيد . وذلك بقوله جل من قائل : « أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض » . . (سورة سبأ) .

« ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » . (سورة آل عمران . .) .

« أفلا ينظرون الى الإبل كيف خُلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نُصبت ، والى الارض كيف سُطحت » . (سورة الغاشية) .

ان الله تبارك وتعالى يريد منا أن نتوغل في عوالم السماء وما خلق من عوالم أخرى ، لكي نزداد يقيناً به تعالى : « الله الذي رفع السماء بغير عمدٍ ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخّر الشمس والقمر ، كلٌ يجري الى أجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » (١) .

حقاً : إن علم الفلك اللاسلكي والمكانيك الرياضي فتحا على الانسان ابواب المعرفة بالنسبة الى ما لا يتناهى من شموس ومجرات وسُدم ونيازك . الى ما هنالك من عوالم تدهش الألباب .

فان التلسكوب اللاسلكي يلتقط إشارات عن مسافة قدرها ثمانية آلاف مليون سنة ضوئية . والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء (بسرعة ٣٠٠ ٠٠٠ كيلو متر في الثانية) خلال سنة كاملة ، اي هي المسافة التي طولها

---

(١) سورة الرعد : ٣ .

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٦٠ ٩ كيلو متر ، او ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٧٩ ٥ ميل .

فإن القمر لا يبعد عنا الا بقدر ثانية وثلث الثانية من السنة الضوئية ، والشمس تبعد عنا ٨ دقائق و ٢٠ ثانية من السنة الضوئية . والشمس خلال هذه المدة : (اي ٨ دقائق و ٢٠ ثانية) وهي المدة التي يجب ان تنقضي لوصول شعاعها الينا تقطع في الفضاء في سيرها الطبيعي المقرر من جانب الله تعالى : خمسة ملايين كيلو متر ، مع العلم ان الضوء يسير من اقصى الأرض الى اقصاها خلال ١٤/١ من الثانية .

وإن اقرب نجمة منا وهي (بزوكسيما) الواقعة تقريباً بحذاء القطب الجنوبي من ارضنا تبعد عنا ٤ سنوات من السنين الضوئية .

ونجمة (جَدي) وهي التي تحاذي القطب الشمالي من ارضنا على وجه التقريب تبعد عنا (٥٠) سنة ضوئية ونجمة (عيوق) تبعد عنا تسعين سنة ضوئية ونجمة (ثريا) تبعد عنا ١٤٠ سنة ضوئية .

وان قطر المجرة التي تعلونا عندما ننظر الى السماء (وكأنها سحابة) يعادل ما يقطعه الضوء بسرعته الفائقة خلال (٠٠ ٨٠٠) سنة ضوئية . واذا اردنا ان نسير من راس هذه المجرة التي هي فوق رؤوسنا (تقريباً) الى منتهاها علينا ان نقطع مسافة يقطعها الضوء بسرعتها الهائلة خلال (٠٠٠ ٢٠٠) سنة ضوئية .

انه تعالى يقسم بـ (الطارق) بقوله : « والسماء والطارق » ، ويُراد بها نجمة زحل .

ويقول تعالى في آية اخرى : « وأنه هو رب الشعرى » ٠٠٠ وهي نجمة مضيئة تبعد عنا ١٠ سنوات من السنين الضوئية على وجه التقريب . والوزن النوعي لهذه النجمة : (الشعرى) اكبر من الوزن النوعي للذهب الأبيض عدة آلاف مرة ومعلوم ان الذهب الأبيض عنصر ثقيل جداً . ولنجمة

(الشعرى) قمر خاص بها يدور حولها خلال خمسين سنة .

* * *

تختلف النجوم حسب درجات الحرارة ، فمنها الأحمر الداكن ومنها الأحمر القاني ومنها البنفسجي والأصفر والأبيض وتتدرج من الداكن الى الضعيف وتتراوح درجاتها الحرارية من ١٤٠٠° م (درجة مئوية) الى ٣٩٠٠° م .

وقد قيس وزن النجوم بالنسبة لشمسنا هذه ولم يعثر على نجمة وزنها اقل من ١/١٠ من وزن الشمس . وهناك نجوم وزنها ١٤٠ مرة بقدر وزن الشمس ولها حركاتها وقوانينها ومعادلاتها .

وقد علم ان سرعة الأمواج اللاسلكية تعادل سرعة الضوء تماما . ولأجل ان نعلم مقدار معدل سرعة اقرب نجمة من هذه النجوم نقول : ان سارت الطائرة النفاثة دونما توقف مدة (٦) ملايين من السنين لها ان تصل الى اقرب نجمة من كرتنا الارضية .

واذا نظرنا الى السماء وتأملنا احدى هذه النجوم القريبة ، يجب ان نعلم ان الذي نراه في الواقع ليس الا صورة متخلفة لما كان عليه هذا النجم منذ اربع سنوات . واذا اردت ان تشاهد حفلة زواج والدك قبل ثلاثين سنة (مثلاً) عليك ان تركب صاروخاً يسبق سرعة الضوء (١) فينقلك الى نجمة (النسر الواقع) لتشاهد هنالك حفلة زواج والدك وبعد سنة كيفية ولادتك انت .

* * *

إن شمسنا هذه ما هي الا نجم متوسط الحجم من نجوم مجرة : (درب التبانة) التي يبلغ عددها مائة الف مليون نجم تقريباً . وشمسنا هذه غير

---

(١) وهذا محال ، اذ ليس هناك شيء اسرع من الضوء حسب النظرية النسبية لـ (البرت آينشتاين) .

واقعة في منتصف المجرة وليست بمركز ، ولكنها واقعة قرب الطرف في موقع مدحور ليس من العظمة في شيء .

ويوجد في هـذا الكون الواسـع الرحيب من المجرات بعدد النجوم الموجودة فى مجرتنا : (درب التبانة) . فإذن ماهي قيمة هـذا الانسان بالنسبة لما خلق الله من عوالم لاتتناهى ولا تحد ؟ لاسيما بعد أن عرفنا أن أرضنا هي هباءة بسيطة فى حافة احدى المجـرات الكثيرة العـدد التي لاتعد ولا تحصى . فليدع الانسان عنه هذا الغرور وليتوجه الى عبادة ربه وتقديسه وتسبيحـه : إنه تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثـيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلا » (١) « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » (٢).

يقول أحـد الماديين : « اني طفت بالصاروخ حول الأرض سبع مرات فلم أر الله » .

فأجابه الموحد قائلا : ليس الله من الصغر بحيث تراه أنت ...

حقاً ، أنى للمتناهي والمحـدود أن يحيط بالله الذي لايحده شيء ولا يحيط به شيء .

يقول علي (ع) في وصف الله تعالى : « الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده ، والرادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله او تدركه » .

وإن أعلم علماء القرن العشرين في الفيزياء وأعني به : (آينشتاين) يقول : « يجب أن نتعرف الى ألفباء عالم الوجود ! » .

ويقول في مقام آخر : « ليس من المعقول أن يقال : يمكن التعرف الى العالم كله » :

---

(١) سورة الاحزاب : ٤١ ، ٤٢ (٢) سورة ق : ٣٩ ، ٤٠ .

وكان يقول پاسكال : (Blaise Pascal) قبل حوالى ٣٤٠ سنة : « ماهو هذا الانسان في هذه الطبيعة ؟ انه عدم « تجاه اللانهاية » قد قال هذا القول في يوم لم يكن قد اتسعت آفاق العلم هذا الاتساع الذي نلمسه اليوم ، انه اتساع علمي موضوعي محير العقول ، فما الذي يجب أن نقوله اليوم ؟

ان ماعثر عليه العلم الحديث من النجوم هو بمقدار من الكثرة بحيث يفوق عـدد حروف نصف مليون كتاب في مكتبـة ما . ولو كنا نعـد النجوم كلها بسرعة ١٥٠٠ نجم في الدقيقة لاستغرق عدنا ٧٠٠ سنة . اما الارض فهي أقل كثيراً جداً من نقطة على حرف في مكتبة تضم نصف مليون من الكتب من الحجم المتوسط . أو على الأصح يجب أن نشبهها بهباءة من التراب بين صفحتين في أي كتاب من كتب هذه المكتبة .

* * *

يبلغ حجم الواحدة من معظم الكواكب التي اكتشفت لحد الآن قدر حجم الأرض آلاف المرات في بعضها وملايين المرات في البعض الآخر وملايين الملايين في أكـثرها . وان من النجوم أكثرية مطلقة يبلغ حجم الواحدة منها حجم عدة ملايين من الارض وما يزال يتسع لملايين .

* * *

ان هذه النجوم على كثرتها لاتصطدم بعضها بالآخر وهي سائرة في أفلاكها ومنحنياتها . واذا شبهنا النجوم بالسفن فى المحيطات (كالمحيط الهادي) فان بعضها يبعد عن البعض الآخر مايزيد على مليون من الاميال .

وفي سنة ١٠٠٠ الميلادية اقتربت نجمة من المذنبات من الأرض وأيقن الناس أنها ستصطدم بالأرض لامحـالة ، وتكون نهايـة العالم ويحلّ اليوم الموعود : يوم القيامة . فاتجه الناس الى الكنائس تائبة من ذنوبها وآثامها .

ولكن مرت النجمة ذات الذنب بالقرب من الارض دون أي اصطدام !

ومجرة (درب التبانة) التي شمسنا هذه احدى نجومها منطلقة في الفضاء كباقي المجرات وتتباعد عن أخواتها . وتختلف سرعة تباعد المجرات عنا مابين (٦٠٠ — ٤٠٠٠) ميل في الثانيـة . واذا وصلنا الى هذه المرحلة فمن الصعب أن نقول : فيما اذا كانت المجرات الاخرى هي تهرب منا وتتباعد بهذه السرعة أونحن نتباعد ونهرب منها بالسرعة نفسها أوأن كلامنا هارب من الآخر بنصف السرعة المذكورة . إننا هنا لانستطيع أن نتكلم عن سرعات كهذه الا بمفاهيم (النسبية) . وهكذا نرى أن هذا الكون آخذ في الاتساع اتساعاً هائلا حسب قوله تعالى :

« والسماءَ بنيناها بأيدٍ وانا لموسِعون » .

* * *

ليس هناك شيء ثابت أو ساكن في هذا الكون ، فكل مافي الكون متحرك اما بحركة واحدة أوحركات متعددة . وهذا ماحدا بـ (آينشتاين) أن يؤسس معادلات النظرية النسبية .

فإن الانسان يتحرك مع سطح الأرض حين تدور الأرض حول نفسها وسرعة الانسان وهو على سطح الأرض باتجاه دوران الأرض : ربع الميل في الثانيـة ، أو (٩٠٠) ميل في الساعة اذا كان هذا الانسان على خط الاستواء . وسرعته تكون أقل كلما قارب القطبين .

والانسان يتحرك مع هـذه الأرض نفسها في دورتها السنوية حول الشمس . والأرض تسير في حركتها هذه بسرعة ١٨ر٥ ميـلاً في الثانيـة أو ٣٠كم/ثانية . والشمس وكواكبها سائرة بالنسبة الى جاراتها من النجوم نحو نقطة ما بين مجموعة (هرقل : Hercules) ومجموعة القيثار : Lyra بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية ، ويراد بالجارات هنا : النجوم التي تبعد عنا بضع

مئات من السنين الضوئية .

وأما الشمس فهي احدى نجوم مجرة (درب التبانة) ، وهذه المجرة كالمجرات الاخرى تدور حول نفسها بسرعة هائلة ، وشمسنا تدور معها طبعاً وسرعتها في هذا الاتجاه ١٢٠ ميلا في الثانية ، أي (٤٣٢٠٠٠ ميل/ساعة)

وهكـذا نشاهد هذه الحركات المنظمة وفق دساتير معينة ومعادلات رصينة في الأجرام السماوية بحكمة إلهية عاليـة لذلك يقول الفلكي الكبير : (فاى) : « من الخطأ أن نقول : بأن العلم يفضي بصاحبه الى نكران وجود الله » .

ذلك لأن نكران وجود الله تعالى انما هو نتيجة الفسوق والفجور على حد قوله تعالى : « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون » . (سورة يونس : ٣٣) . وفي آية أخرى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو كذب بآياته ، إنه لايفلح المجرمون » . (سورة يونس : ١٧)

فالاسلام يضاد الإجرام وهو القائل : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، مالـكم كيف تحكمون » .

يقول (پاستور) : « لاتنافي بين العلم والايمان ، وكلما زاد علم الانسان زاد ايمانـه بالله » . واني اضيف الى كلمة (پاستور) قائلاً : شريطة أن لاتتلوث النفس بفسوقها ومجونها وآثامها وبغيها وظلمها .

يقول الدكتور (وتز Wetz) الكيميائي وهو عضو أكاديمية العلوم وعميد كلية الطب : « اذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله تزعزعت وجهت وجهي الى أكاديمية العلوم لتثبيتها » .

وكذلك يقول الجيولوجي الذائع الصيت : (ادموند هربرت) المدرس بجامعة (صوربون) : « العلم لايمكن أن يؤدي الى الكفر ولا الى المادية ولا يفضي الى التشكيك » .

وقد قال العلامة في التاريخ الطبيعي (فاير) : « كل عهد له أهواء جنونية ، فإني اعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية وهو مرض العهد الحالي . وأيسر عندي أن ينزعوا جلدي من أن ينزعوا مني عقيدتي بالله » .

لذلك جاء في احصاء : أن بين (٢٩٠) فيلسوفاً : ٩١٪. منهم مؤمنون و ٥٪. منهم لا أدريون و ٤٪ منهم ملاحدة !؟

انظروا الى كلمة نابغة القرن العشرين : آينشتاين حين يقول معترفاً بالوحي انه يقول : « العلم يخبرنا عما هو كائن الا أن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون » .

فالعلم لاينافي الايمان بحال وانما يؤيده ويقويه مالم تتلوث النفس بما حرم الله وما دامت هذه النفس قائمة بالتزكية والتطهير والإنابة والاستغفار

وقد يصل الرجل الأمي بمشاهدة سطحية لما أودع الله من عظيم الصنع في هذا الكون الرحيب الى ايمان رصين قلّ مايصل اليه عالم بالحشرات أو الجراثيم ، وذلك لقيامه بتزكية نفسه وتصفيتها عن الأدران ورده الى الناس مالهم عليه من حقوق ولتخلقه بالاخلاق الفاضلة وصلته رحمه وقيامه بقضاء حوائج الناس . يقول الله تبارك وتعالى في وصفهم : « كانوا قليلا من الليل مايهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ، وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون » (١).

فـدين الاسلام دين إحياء القلوب بتعاليمه ودساتيره التي جاءت من قبـل خالق النفوس وموجدها : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زيّن للكافرين ماكانوا يعملون » (٢).

---

(١) سورة الذاريات : ١٧ – ٢١ . (٢) سورة الانعام : ١٢٢ .

حالات النفس مع الله تعالى

حقاً ، إن للنفس الانسانية غذاءاً خاصاً بها تتناسب مع تجردها وبعدها عن المادية الحالكة . وهذا الغذاء روحي بحت ليس من نوع المآكل والمشارب وليس من متع الدنيا في شيء . انه غذاء فيه تكامل النفس وبلوغها أسمى مراتب القرب الى الله تعالى ، وهو غاية الغايات من وجودنا في هذه الدنيا المؤقتة الناقصة في جميع مراحلها الفردية والاجتماعيه ، وذلك لنيل حياة أبدية كاملة في جميع مراحلها الاجتماعية والفردية ، ألا وهي الخلود في « جنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين » .

إن هذا الغذاء روحي بحت لامجال فيه للشهوات والنزوات وكل ما يفسد النفس مما حرم الله تعالى على لسان نبيه محمد (ص) . فلا تضاهيه أنواع الموسيقى ومجالس الأنس ، وليس من نوعه أو ركسترا وما يترنم فيه من مزمار وعود وطنبور . إنه عروج الى السماوات العلى ، الى عوالم القدس إنه ارتقاء نفسي عن حضيض المادة العمياء الى حيث الصفاء المحض ، الى حيث الطمأنينة الكاملة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

فطوبى لنفوس وفقت أن تخلو بخالقها ، وتناجي بكل خشوع وخضوع ربها ، معترفة بذنوبها ، مستغفرة من آثامها ، نادمة على ماكان منها من بغي وظلم ، باكية على خطاياها ، راجية رحمة بارئها : « ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » تالية لأجزاء القرآن : « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرو سجدا وبكيا » .

وقد قال علي (ع) في وصفهم : « أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون دواء دائهم ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، واذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم ، فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون الى الله في فكاك رقابهم ، واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء... »

فانك لو قمت جوف الليل ، والناس نيام ، وقلت كما كان يقول رسول الله (ص) : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » واستقبلت القبلة وصليت ركعات ، محاسباً نفسك محاسبة دقيقة : « زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وحاسبوها قبل أن تحاسبوا » (١) وعددت ذنوبك وخطاياك وتوجهت بكلك الى الله الرحيم المتعال ، لشعرت إذ ذاك بروحانية فائقة تفوق أعظم مافى الحياة المادية من ملاذ وشهوات ولأحسست بعروج نفسك هذه الى عوالم القدس ، حيث الراحة المطلقة والدعة المتناهية والفرح للكثير وارتياح لايضاهي مانحن فيه من ارتياح مادي بحال ، وصرت ترى أنك تخف ساعة بعد ساعة عما أثقل كاهلك من ذنوب ذهبت لذاتها وأقامت تبعاتها . وإنك لترى جلياً في ذلك الوقت : حيث يسود العالم صمت وهدوء كيف يُقذف في قلبك من انوار المعارف الإلهية ما يزيل عنك الشكوك ووساوس الشيطان ، أنوار توصلك الى اليقين بل الى حق اليقين : فـ (العلم نور يُقذفه الله في قلب من يشاء) كما جاء في حديث مشهور .

وإنك لو تلوت القرآن في وقت كهذا ، في وقت هجعت فيه العيون في وقت فتح الله على العباد أبواب رحمته ، لألهمت معاني سامية رفيعة ،

---

(١) من كلام لعلي عليه السلام .

ماكنت لتتوصل اليها في غير هذا الوقت ولأحطت بفلسفة الكون والحياة ، فلسفة لايصل اليها فيلسوف عاش في أحضان المادية الهوجاء ، فلسفة نيرة شرحها الله تعالى في كتاب « لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » . بقوله جل من قائل : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب » .

فهذا العلم هو علم يترشح بإذن الله من نفس قد خضعت لربها وتجردت عن أدرانها ، هذا العلم علم اليقين بالله وملائكته وكتبه ورسله ، انه العلم بالحقيقة التى يبحث عنها الانسان منذ آلاف السنين ، هذا العلم هو معرفة النفس ، ومعرفة النفس طريق الى معرفة الله تعالى . فقد سألوا رسول الله (ص) كيف الطريق الى معرفة الرب . فقال (ص) : « معرفة النفس » وعن الصادق عليه السلام : « لو علم الناس مافي فضل معرفة الله مامدوا أعينهم الى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم عنده أقل مما يطأونه بأرجلهم . فليتنعموا بمعرفة الله تعالى وليتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنات مع أولياء الله . ان معرفة الله أنس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم » .

ان موضوع معرفة الله تبارك وتعالى وحالات النفس مع الله جل جلاله لموضوع هام خطير لايمكن أن يعبر عنه تعبيراً يجلو غوره وحقيقته مالم يدخل الانسان نفسه في هذه الحياة الروحية الرفيعة . ولعله يشبه من يريد أن يتصور للأشياء المادية بُعداً رابعاً وهو الزمان ، وهو بعد لم يقطع شوطاً في الرياضيات العالية والنظرية النسبية ، فان لغة الكلام لاتصلح أبداً لأن تجول في مثل هذه الامور . وان موضوعاً عميقا كهذا فوق متناولها ، ولا

يمكن للكلمات المشحونة بالصور الحسية أن تعبر عما يعنو على الحس ويسمو الى التجريد المحض .

* * *

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » (١) .

وكفى بما في القيام جوف الليل والمثول بين يدي رب العباد من تأثير قوي في سير الانسان التكاملي أمرُ الله تبارك وتعالى نبيه الكريم (ص) بقوله : « يا أيها المزمل (٢) قم الليل الا قليلا ، نصفه او انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ، إن ناشئة الليل هي أشد وطأ (و ط ءاً) وأقوم قيلا » .

وقوله جل من قائل الى الرسول الامين (ص) : وتهجد من الليل نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » . فمن توخى مقاماً محموداً فليتأس بنبي الرحمة محمد (ص) . وهكذا يمتدح الله تعالى المستغفرين بالأسحار بقوله : « إن المتقين في جنات وعيون ، آخذين ماآتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل مايهجعون،وبالأسحار هم يستغفرون ، وفيأموالهم حق للسائل والمحروم » (٣).

وبقوله : « تتجافى (٤) جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون » (٥) وبقوله : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » (٦).

* * *

وقد يستغرب البعض من ذكري صلاة الليل في ظرف لايصلى فيه الفرائض كثير من الشبان المثقفين . ولكن هذا الشاب المصلي لو لم يكن له

---

(١) سورة الحديد : ١٦ (٢) سورة المزمل .

(٣) سورة الذاريات: ١٥ ـ ١٩ . (٤) تتجافى : ترتفع .

(٥) سورة الم ـ السجدة : ١٦ . (٦) سورة آل عمران : ١٧ .

رادع في أوساط أوربا وأمريكا عن الولوج في الشهوات لترك الصلاة شيئاً فشيئاً وضعف ايمانه بصورة تدريجية ولعله يصبح بعد قليل من المستهزئين بالمقدسات . ولكن لو تسلح بسلاح يمنعه عن الولوج فى المحرمات وهو القيام جوف الليل بتضرع بين يدي رب العباد لاتؤثر فيه الخلاعة وفسوق الفاسقين ، فيرجع الى وطنه ثابت العقيدة ، متمسكا بالمبدأ الاسلامي القويم ذلك لأن قوة (الايمان) تتناسب مع درجة ضبط النفس عن المحارم . وقال علي عليه السلام « واغلب الناس من تغلب على هواه » . وان الايمان ليزول وترد على الانسان الشبهات بقدر ولوجه في المحارم . « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون » (١) . يقول علي (ع) : « من قارف ذنباً فارقه عقل لم يعد اليه أبداً » . وعن رسول الله (ص) : « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء ، فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء » .

وروى ان الشيطان قال لموسى (ع) : « لاتخل بامرأة لاتحل لك ، فانه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها » .

وعن رسول الله (ص) : « لكل عضو من اعضاء بني آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر » . وقال ايضا : « لاتدخلوا على المغيبات التي غاب عنها زوجها ، فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم » . وقال عيسى « ع » : « إياكم والنظرة ، فانها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة » وفي حديث نبوي : « المقيم على الزنا كعابد وثن » . وفي حديث آخر : « اذا زنى الرجل خرج منه الايمان ، فكان عليه كالظلة ، فاذا أقلع رجع اليه الايمان » .

---

(١) سورة يونس : ٣٤ .

نعم قد اصبحنا في زمان لايستطيع الشاب أن يبقى محتفظاً بتقواه إلا بعصمة من الله تعالى . وما من شيء يعصم الشاب من الانزلاق في بيئات يكثر فيها الفحشاء صباح مساء وفي كل حين في شوارعها واسواقها وغاباتها وعلى ضفاف الانهر وسواحل البحار ويشجع المنكر في كثير من كتبها ومجلاتها وجرائدها ومناظرها وحدائقها العامة إلا المواظبة على صلاة الليل . ففي حياة الحيوان للدميري : عن الرسول (ص) : « يأتي على أمتي زمان يردون المساجد على المياثر (١) نساؤهم كاسيات عاريات . رؤوسهن كأسنمة الإبل البخت ، العنوهن فإنهن ملعونات » .

وفي حديث آخر عن علي (ع) : « يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة وهو شر الأزمنة نسوة كاشفات عاريات متبرجات ، من الدين خارجات ، داخلات في الفتن ، مائلات الى الشهوات ، مسرعات الى اللذات ، مستحلات للمحرمات ، في جهنم داخلات » .

وقد شكا لي شاب جامعي قبل حوالي أربعين عاماً ، أنه ابتلى بكبيرة من الكبائر ، ولا يقوى على التخلي منها وقد أثرت في صحته كثيراً . فقلت له عليك بصلاة الليل . فسألني عن كيفيتها . فقلت له : انها بسيطة جداً انما هي ١١ ركعة ، تصلى بعد منتصف الليل . وكلما كان قريباً من السحر كان أفضل . وللشاب أن يصليها قبل المنام اذا علم انه لايقوى على النهوض قبيل الفجر . وله أن يقضيها في النهار اذا لم يوفق لأدائها في الليل . ففي ذلك الاجر الكثير . وهذه الصلاة تؤثر كثيراً في كف النفس عن المحرمات وفي جلب الرزق . وكان رسول الله (ص) مأموراً بأدائها طوال حياته .

ينوي : أصلي ركعتي النافلة قربة الى الله تعالى . يصليها كصلاة الصبح وهكذا أربع مرات . فيكون قد صلى ٨ ركعات (وله أن لايقرأ السورة

---

(١) جمع الميثرة : شيء كالمرفقة او المخدة يجعل على السرج .

اذا شاء) .

ثم ينوي ، فيقول : أصلي ركعتي الشفع قربة الى الله تعالى .

ثم ينوي ، فيقول : أصلي ركعة الوتر قربة الى الله تعالى . فاذا رفع يده للقنوت قال في قنوته : ٧٠ مرة : استغفر الله ربي واتوب اليه . ويستحب ان يقول ٧ مرات : هذا مقام العائذ بك من النار وان يستغفر لاربعين مؤمناً . وان يقول بعد ذلك ٣٠٠ مرة العفو العفو . وان يقول بعد ذلك : رب اغفر لي وارحمني وتب علي ، انك انت التواب الغفور الرحيم . ويستحب ان يقول في قنوته ايضا : « رب اسأت وظلمت نفسي وبئس ماصنعت ، وهذه يداي يارب جزاءاً بما كسبت وهذه رقبتي خاضعة لما اتيت ، وها انا ذا بين يديك ، فخذ لنفسك من نفسي الرضا حتى ترضى ، لك العتبى ، لا اعود » .

فجاءني الشاب الجامعي بعد اسبوع قائلا : رايت شيئاً عجيباً ، فقلت له : وما الذي رايت ؟

قال : رايت كأن قوة سحرية عجيبة تمنعني عن ارتكاب المحرم . فلم أرتكبه !

ثم جاءني بعد شهر وشكرني على تعليمي إياه صلاة الليل . وهكذا صلحت سريرته وتقدمت صحته ونجح في الامتحانات الجامعية .

* * *

فصلاة الليل ينير القلب ويبعد الشيطان ويقوي الايمان . فقد سئل علي بن الحسين (ع) : مابال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً . قال : « إنهم خلوا بربهم ، فكساهم من نوره » .

وعن أبي عبد الله (ع) : « صلاة الليل تحسن الوجه وتحسن الخلق وتطيب الريح وتدر الرزق وتقضي الدين وتذهب الهم وتجلو البصر » وفي مجمع البيان عن النبي (ص) : قال : « اذا أيقظ الرجل أهله وصليا من الليل

كتبا من الذاكرين الله والذاكرات » .

وعن علي (ع) : « صلاة الليل مصحة للبدن ومرضاة للرب عز وجل وتعرض للرحمة وتمسك بأخلاق النبيين » .

وقد قال رسول الله (ص) : « ما اتخذ الله ابراهيم (ع) خليلا إلا بإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام » .

وعن الصادق (ع) : « إن العبد اذا تخلى بسيده في جوف الليل المظلم وناجاه أثبت الله النور في قلبه ، فاذا قال : يارب يارب . ناداه الجليل جل جلاله : لبيك عبدي ، سلني ، اعطك ، توكل علي أكفك . . . ثم يقول جل جلاله لملائكته : « انظروا الى عبدي ، فقد تخلى بي في جوف هذا الليل المظلم والبطالون لاهون والغافلون نيام ، اشهدوا أني قد غفرت له » .

وعن الصادق (ع) : « إن من روح الله ثلاثة : التهجد بالليل وإفطار الصائم ولقاء الاخوان » .

وقد ورد أدعية عدة عن الائمة عليهم السلام يناجي بها العبد ربه ، مسطورة في كتب الادعية . منها مناجاة التائبين لمولانا وامامنا علي بن الحسين عليهما السلام وكذلك مناجاة الشاكين ومناجاة الخائفين ومناجاة الراجين ومناجاة الراغبين ومناجاة الشاكرين ومناجاة المطيعين ومناجاة العارفين (١)

---

(١) « إلهي قصرت الالسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك وانحسرت الابصار دون النظر الى سبحات وجهك ولم تجعل للخلق طريقاً الى معرفتك الا بالعجز عن معرفتك . إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم ، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم ... » .

ومناجاة الذاكرين ومناجاة المعتصمين ومناجاة الزاهدين ومناجاة المريدين ومناجاة المتوسلين ومناجاة المفتقرين . فطوبى لمن وفق أن يناجي بها ربه ليرى كيف يتقرب الى الله تعالى وذلك الفرح النفسي وتلك الحالات القدسية التي تجلُّ عن الوصف والتعريف .

يقول علي بن الحسين (ع) في مناجاة المحبتين : « إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا » . الى أن يقول : « اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين ، جباههم ساجدة لعظمتك وعيونهم ساهرة في خدمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم متعلقة بمحبتك ... »

وانظروا كيف يخاطب علي (ع) ربّه : « إلهي ، كفى بي عزاً أن اكون لك عبداً وكفى بي فخراً ان تكون لي رباً ، انت كما احب ، فاجعلني كما تحب »

ومن مناجاة علي عليه السلام :

لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلى تباركت تعطي من تشاء وتمنع
إلهي وخلاّقي وحرزي وموئلي اليك لدى الاعسار واليسر أفزع
إلهي لئن اعطيت نفسي سؤلها فها انا في روض الندامة ارتع
إلهي اذقني برد عفوك يوم لا بنون ولا مال هنالك ينفع
إلهي اذا لم تعف عن غير محسن فمن لمسيء بالهوى يتمتع
إلهي ينحي ذكر طولك لوعتي وذكر الخطايا العين مني يدمّع
إلهي حليف الحب في الليل ساهر يناجي ويدعو والمغفل يهجع

ان هذه المناجاة بصوت رخيم خافت ، بصوت ملؤه الحزن والفرح ، حزن على مافرط العبد في جنب الله وقدم من ذنوب ، وفرح لهذا التوفيق

العظيم وهو المثول بين يدي رب العباد والاستغفار ، لتضفى على النفس الانسانية من الحبور والشعف والارتياح مالا يمكن وصفه بهذه المقاييس المادية الحالكة في عالم الناسوت ، انه سرور لايقاس بما يصيب الانسان المسكين من سرور تسافلي في مجالس الأنس والطرب بما فيها من موسيقى واوركسترا ، مهما كان هذا الموسيقى ساحراً أخاذاً للنفوس ، ذلك لأن النفس مهما كانت متسافلة تؤنب الفرد بعد الفراغ من هذه المجالس وتوبخه . فإن الله تعالى قد اودع فيها شعوراً يدرك معه أصول المحرمات واصول الحسنات على حد قوله جل من قائل :

« ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » (١) وفي آية اخرى : « وهديناه النجدين » (٢).

إنها مناجاة يشعر الانسان معها كأنه يتطهر ثانية بعد ثانية ويتقرب الى مقامات القدس آناً بعد آن . لاسيما اذا تخللها شيء من الدموع فقد جاء في الحديث عن النبي (ص) :

« من بكى من ذنب غفر له ، ومن بكى من خوف النار أعاذه الله منها ، ومن بكى شوقاً الى الجنة أسكنه الله فيها وكتب له أمان من الفزع الأكبر ، ومن بكى من خشية الله حشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » .

وعن كتاب الغايات عن أبي عبد الله (ع) : قال : قلت له : أخبرني جعلت فداك ، أيّ ساعة يكون العبد أقرب الى الله والله منه قريب . قال : « اذا قام في آخر الليل والعيون هادئة فيمشي الى وضوئه حتى يتوضأ بأسبغ وضوء . ثم يجيء حتى يقوم في مسجده ، فيوجه وجهه الى الله . ويصفّ قدميه ويرفع

---

(١) سورة الشمس : ٧ — ٨ . (٢) سورة البلد : ١٠ .

صوته ويكبر ، ويفتتح الصلاة ، فيقرأ أجزاءً ، ويصلي ركعتين ، ويقوم ليعيد صلاته ، ناداه منادٍ من عنان السماء ، عن يمين العرش : « ايها العبد المنادي ربه ، إن البر لينشر على رأسك من عنان السماء . والملائكة لمحيطة بك من لدن قدميك الى عنان السماء . والله ينادي عبدي لو تعلم من تناجي إذن ما انفتلت » .

وقد روي : « أن البيوت التي يصلى فيها بالليل ويتلى فيها القرآن ، تضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدري لأهل الأرض » .

وقال رسول الله (ص) : « إن لله تعالى منادياً ينادي في السحر : هل من داع فأجيبه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من طالب فأعطيه » .

فطوبى لنفوس انقطعت الى الله تعالى جوف الليل فنالت من الزلفى والقربى مايتحقق به العبودية والتخلق بالاخـــلاق التي يرتضيهـا الله تعالى لعباده ، فأصبحت انواراً يستضاء بها ، ونبراساً للحق والواقع . وطوبى لنفوس وفقت الى المناجاة خاضعة امام عظمة الله التى لاتتناهى ونالت من الفيوضات الإلهية مالا يمكن وصفه . ففي المناجاة انجذاب نحو المبدأ الاعلى وخروج عن حضيض المادة الى عوالم القدس .

فقد ذكر لي شاب جامعي انه كان قد ترك صلاته وتسبيحه ، وتأثر بالحضارة المادية البحتـــة ، حتى اتفق انه بات ذات ليلة في قرية نائية ، فسمع قبيل الفجر صوتاً رخيما من اعلى منارة لجامع قريب يناجي فيها عبد من عباد الله ربه ، ويعدد ماهو فيه من خطايا وذنوب ويرجو رحمة ربه تأثر بهذا الصوت الملكوتي ، فرجع الى صلاته وتسبيحه ، واعمال صالحات

* * *

ومن المستحب أن يجهد من يصلي صلاة الليل نفسه لتخرج من عينيه دمعة هي امارة الحب والخشية والانجـذاب الى عوالم القـــدس . فقـد جاء في

الحديث : « البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة وعلامة القبول وباب الإجابة » وقد قال الصادق (ع) : « اذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك . فقد قصد قصدك » .

وقد روي « ان بين الجنة والنار عقبة لايجوزها الا البكاؤون من خشية الله » .

وقال الصادق (ع) : « كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة أعين عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في طاعة الله وعين بكت في جوف الليل من خشية الله » .

ليس هذا النوع من البكاء بكاءاً يورث الذل والمسكنة ، انه سرور محض وعروج الى ساحات القدس وتطهير للنفس من كل رجس وخبث ومن ذمائم الأخلاق . انه تزكية للنفوس وخروج عن الادران ، فان أقرب مايكون العبد الى الله المتعال حال كونه ساجدا يبكي . كما فى مؤدى حديث .

وقد روى أبو حمزة عن أبي جعفر (ع) : مامن قطرة أحب الى الله من قطرة دمع في سواد الليل مخافة من الله لايراد بها غيره .

وقد اوحى الله الى موسى على نبينا وآله وعليه السلام : « إن عبادي لم يتقربوا الي بشيء أحب الي من ثلاث خصال » . قال موسى : يارب وما هن ؟ .. قال ياموسى : « الزهد في الدنيا والورع عن المعاصى والبكاء من خشيتي .. » قال موسى : يارب ، فما لمن صنع ذا ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : « ياموسى ، أما الزاهدون في الدنيا ففي الجنة ، وأما البكاؤون من خشيتي ففي الرفيع الاعلى لايشاركهم فيه أحد ، وأما الورعون عن معاصي فاني أفتش الناس ولا أفتشهم » .

وان البكاء من خوف الله يؤدي الى معرفة الله وكسب مرضاته . فقد خاطب ابراهيم (ع) ربه قائلا : « إلهي ما لعبد بلّ وجهه من الدموع من

مخافتك ؟ قال تعالى : جزاؤه معرفتي ورضواني يوم القيامـــة » .

كما ان البكاء مكفر للذنوب ، فقد قال الباقر (ع) : « ماغرورقت عين بمائها من خشية الله الا حرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ، وما من شيء الا وله جزاء الا الدمعة ، فإن الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا ... » . الى آخر الحديث .

* * *

واني إذ أختم هذا المقال اسأله تعالى أن يوفق شبابنا الجامعيين وغيرهم أينما كانوا في البلاد الاسلامية وغيرها ان يواظبوا على صلاة الليل ولو قبل منامهم او بقضائها في النهار وان يناجوا ربهم فإن دمعة تنسكب على وجوههم تدفع عنهم مضلات الفتن وتعصمهم عن الانزلاق فى أحضان المادية الهوجاء وتنجيهم عن الانجراف في هذا السيل الجارف من النزعات المضلة وتنقذهم من الويل والثبور في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . فقد ثبت انه لايحفظ ايمان الفرد شيء في هذا الجو المدلهم بالشهوات الجو الجامعي وغير الجامعي الا المواظبة على بعض المستحبات : كصلاة الليل ، وصلاة جعفر الطيار في يوم الجمعة وبعض الزيارات والأدعية فليجرب المجربون.

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضهـا السماوات والارض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .

« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » (١).

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ ــ ١٣٦ .

المدرسة الاسلامية

المدرسة الاسلامية هي مدرسة تجعل هدفها الوحيد توجيه طلابها الى توحيد الله تعالى وتطبيق تعاليم الاسلام والتربية الاسلامية الحقة .

فالطالب عندما يدخل هذه المدرسة يرى قطعاً قد كتب عليها : لاإله إلا الله ، محمد رسول الله . « إن الدين عند الله الاسلام » . « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . يرى طلاباً متخلقين بأخلاق اسلامية ، فلا كذب ولا خديعة ولا غش ، بل يجدهم متآخين ، متراحمين فيما بينهم ، عملا بهذا الحديث : « الخلق كلهم عيال الله ، فأقربهم الى الله أحبهم لعياله » وهم مصداق هذه الآية : « انما المؤمنون اخوة » .

يرى المدرسة في غاية النظافة والجمال : عملا بالحديث النبوي القائل: « النظافة من الايمان » . والطلاب متعاونون فيما بينهم ، يعلم بعضهم البعض وكل يحب التقدم لصديقه ، عملا بالحديث النبوي : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه المؤمن ما يحب لنفسه » . فلا حسد ولا تباغض ولا تطاحن ، بل حياة كلها دعة وطمأنينة وهناء . « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

يرى الطلاب جادين في دروسهم مجتهدين ، ذلك لأن الله تعالى يقول : « وأن ليس للانسان الا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى » .

ثم يرى أبدان الطلاب سالمة وهم يعملون في تقوية أبدانهم برياضات خاصة ، عملا بهذا الحديث : « إن لبدنك عليك حقاً » وتحقيقاً لامر الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

فاذا ذهبوا الى بيوتهم ، سلموا على آبائهم وأمهاتهم ، وقبلوا أيديهم وقاموا بمساعدتهم وخدمتهم في شؤون البيت وما يأمرونهم به ، فهم يطيعون آباءهم وأمهاتهم اطاعة تامة لعلمهم أن : « الجنة تحت أقدام الامهات » .

يرى أن المعلم كلما شرح موضوعاً عن الحيوان أو النبات أو الكيمياء أو الفيزياء عزا ذلك الى عظمة الله تعالى ودقيق صنعه ، وجعل الطلاب يتوجهون بكلهم الى الله العلي القدير ، وتسبيحه تعالى وتقديسه ، فهم يشاهدون عظمة الخالق فى العلوم الطبيعية وما اودع الله تعالى من دقيق الصنع في هذا الكون الرحيب . وهكذا في علم الجغرافية وعلم الهيأة (وحركات النجوم) ...

يرى الطلاب يتهيأون بكل جد ونشاط لحياة سعيدة حرة ويتسلحون بسلاح العصر ويتزودون من علوم مادية مفيدة لكي يستغنوا بها عن الناس أجمعين عاملين بهذا الحديث : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه » ...

يرى أن الطلاب بعد رجوعهم من تناول طعام الظهر ، يتهيأون للصلاة ، لأداء واجب الشكر تجاه الله تعالى . يراهم يتوضأون ويصطفون ، واذا بأحدهم ، يؤذن بصوت عال رخيم ، قائلا : الله اكبر .. الله أكبر . . والطلاب كلهم يعلوهم خشوع وخضوع . فيركعون لربهم ويسجدون ، منجذبين بكلهم الى الخلاق العظيم الذي لاتحصى نعمه . « وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها » .

وبعد الانتهاء من هذه الصلاة المقبولة عند الله من أطفال معصومين يذهبون الى الصفوف للتزود من علوم تجعلهم مسلحين بسلاح العصر للحصول على معيشة هنيئة وللتمكن من نصرة هذا الدين ، دين الله القويم ، تجاه تيارات الكفر والإلحاد وللقيام لبث الدعوة الاسلامية في أرجاء هذا العالم ، فما أحوج هذا العالم الى دين الفطرة : « الاسلام » . إنهم يستعدون ليكونوا

دعاة حقاً لدين الله في أرضه ، عملا بقوله تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » .

ان طلاب هذه المدرسة يترحمون على الطيور وأنواع الحيوانات ، ديدنهم الرفق والعطف الى كل ماخلق الله تعالى عملا بالحديث النبوي : فقد قال صلى الله عليه وآله : « إتقوا الله في ماخولكم وفي العجم من أموالكم . قيل وما العجم ؟ قال (ص) : الشاة والبقر والحمام وأشباه ذلك » .

ان طلاب هذه المدرسة يعملون دوماً في مساعدة الآخرين عملا بهذا الحديث : « الله في عون المؤمن مادام المؤمن في عون أخيه » ويقومون في قضاء حوائج الجيران لأنه قد جاء في الحديث : « مازال يوصي رسول الله بالجار حتى ظننا أنه سيورثه » .

وقد بلغهم هذا الحديث عن رسول الله (ص) : « من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » . وقد بلغهم قول رسول الله (ص) : « من سمع رجـلا ينادي ياللمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم » . انهم يعطون من فضول أموالهم الى الفقراء والمساكين بصورة سرية ومع احترام وتوقير ، لأن الصادق (ع) يقول : « ان الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء مايسعهم ولو علم أن ذلك لايسعهم لزادهم » .

وهكذا نرى أن هذه المدرسة الاسلامية تبدأ فى مفتتح اعمالها (عند الاصطفاف) ، بتلاوة أي من الذكر الحكيم وهكذا عند الانتهاء من الدروس عند الانصراف ، وهم يمتازون عن غيرهم باستظهارهم القرآن الكريم ومعاني الكلمات وكثيراً من الاحاديث . وفي أناشيدهم تحريض لخدمة الغير والتضحية لأجل رفع لواء الاسلام عالياً في ارجاء العالم . حتى يكون الاسلام ديناً عالمياً ، فلا تسمع في أرجاء العالم كله الا من ينادي أوقات الصلاة بصوت رفيع : الله اكبر . . . أشهد ان لا إله الا الله . أشهد أن محمداً رسول الله . . .

وفي المدرسة لجان شتى ، لجنة الارشاد الديني ولجنة العلوم الاجتماعية ولجنة الرياضة البدنية ولجنة النظافة ولجنة تنظيم الحدائق ولجنة البر والاحسان الى ماهنالك من لجان مفيدة اخرى .

اما لجنة الارشاد الديني فلها اجتماعاتها الخاصة ، وبرامج معينة ووظائف موزعة على الأعضاء . فكلما اجتمعت اللجنة تقرأ المقررات السابقة ويقدم كل عضو تقريراً عما قام به من اعمال ارشادية داخل المدرسة وخارجها وتوزع الأعمال على الأعضاء من جديد .

واما لجنة البر والاحسان فتقوم كل خميس بعد الظهر بتوزيع ماتمكنت من جمعه من نقود وثياب وأحذية وأفرشة وأوان الى ماهنالك وذلك بالذهاب الى بيوت الأرامل والأيتام والفقراء والمساكين ، فتقدم ماجمعت اليهم بكل توقير واحترام وذلك بعد أداء التحية الاسلامية : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

فهنيئاً لطلاب مؤمنين يتربون في هذه المدرسة الاسلامية تربية اسلامية حقة ، فيكونون قد جمعوا بين سعادة النشأتين . سعادة الدنيا ونعيم الآخرة طوبى لهم وحسن مآب ...

اعتراف ماركسية بعجزها

يقول علماء الذرة وكبار العلماء في العلوم الطبيعية وغيرها : انه لايوجد في كل ما اكتشف من قوانين وخواص في عالم الطبيعة شيء يدل على عدم وجود الخالق جل جلاله ، بل كلما نزداد بحثاً وكشفاً للحقائق الكونية والمعادلات والدساتير والخواص المودعة في أجزاء هذا الكون وارتباط هذه الدساتير والخواص بعضها ببعض نزداد يقيناً بالخالق جل جلاله ، بإله متناه في إتقانه الخلق بدقة وحكمة فائقتين . وقد قيل قبلا :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وهكذا يخاطبنا الله تعالى بقوله : « أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » . إنه تعالى يقول : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

إن الماديين ، اليوم ، قد اتخذوا : (المادة) إلهاً من دون الله وقالوا بقدم المادة وانها تعمل بحكمة فائقة لأجل تنظيم هذا العالم وتكوينه بدساتير متقنة ومعادلات رصينة وخواص مناسبة وتدرج وتسلسل وتوالد في اوقات معينة وايجاد ظروف ملائمة الى ماهنالك ! وقالوا إن المادة هي التي تخلق الروح والنفس والعقل وهي فعالة لما تشاء ولكنها لاتحيد عن حكمة فائقة ومنطق رصين ! وهي التي تودع فى مخ الانسان أسس التفكير : من تعميم وتجريد واستنتاج واستقراء وحدس وإلهام ...

فما أعظمها من مادة خلاقة بعقل جبار يفوق عقول من كانوا على وجه البسيطة من حكماء ومكتشفين ، كآينشتاين ونيوتون وأفلاطون ودالامبر

وبون كاره ، وبرگسون وغيرهم ...

لذلك يخاطب الله تعالى هؤلاء الذين اتخذوا إلههم من مادة وأصنام وحيوان وشمس الى ماهنالك ، دون الله تعالى ، يخاطبهم قائلا : « أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ، وما أرسلنا من قبلك من من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (١).

فالمؤمنون بالفلسفة المادية يطلبون من أتباعهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة ، وان يعتقدوا ان الاكوان تنشأ من هذه المادة ، في دورات متسلسلة تنحل كل دورة منها في نهايتها لتعود الى التركيب في دورة جديدة ، وهكذا دواليك ، ثم دواليك الى غير انتهاء ...

ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم على هذه الارض ، متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية . فإن زالت الطبقات الاجتماعية في هذه السنة أو بعدها ببضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدي ، الذي يدوم مادامت الأرض والسماوات وتنتهي اليه أطوار التاريخ .

ولكن لم يتحقق كل ما أرادوا ، فسرعان مارجعوا عن طيشهم بعد قليل وغيروا وبدلوا ، رجعوا الى الديانة يستجدونها ويتمسحون بها واجتمع رؤساء القساوسة في حضرة زعماء المذهب الشيوعي ، ليعلنوا العودة بمجلس الكنيسة الى نظامه القديم .

* * *

رأيت من المناسب أن أنقل صورة كتاب أرسله شاب مسلم عامل بنصوص الدين من المانيا الشرقية ، كان يحضر مع إخوانه الشباب المتدينين في مجلس ديني في الكاظمية تلقى فيه محاضرات دينية ، وكان يعمل مجاهداً لبث حقائق

(١) سورة الأنبياء : ٢٤ ، ٢٥ .

الاسلام بين الطلاب في مدرسته وخارجها ، لكي نقف على الجهود التي تبذل لغرس المبادىء المادية في تلك البلاد وكيف أن هذا الشاب لتشبعه بالروح الاسلامية الطاهرة ومطالعته بعض الكتب الدينية والفلسفية يجيب ويدافع عن الحق ويعمل لأجل خدمة الدين في تشكيل جمعية اسلامية وهو في أحضان المادية الصماء .

فجدير بشبابنا وهم في بلد اسلامي أن ينهجوا نهجاً يتناسب ومسؤولياتهم تجاه دينهم ومقدساتهم وأن يعملوا مجاهدين مخلصين لأجل تشكيل جمعيات ولجان ، لتثقيف الشباب تثقيفاً اسلامياً على ضوء القرآن والسنة النبوية وتعاليم أهل بيت العصمة عليهم الصلاة والسلام .

فلا يمكن أن نغرس تعاليم الاسلام في النفوس ونبرهن للعالم ، على أن الاسلام هو دين العصر ودين يستجيب لكل مايحتاجه البشر من دساتير تؤدي به الى سعادة الدارين في جميع الحقول ، من اعتقادية وعبادية وقضائية واقتصادية وادارية وسياسية وعمرانية وأخلاقيـة الى ماهنالك الا بتشكيل لجان وجمعيات طلابية تقوم بتوزيع نشرات دينية وإلقاء خطب وترتيب دعوات خاصة ودعوات عامة وترتيب نواد اسلامية للشباب ، فيها مسجد صغير ، تقام فيه الصلاة . وياحبـذا لو بنيت هذه النوادي بجنب الحسينيات التي قد بنيت وتبنى من وقت الى آخر . تؤثث هذه النوادي الاسلامية بالأثاث المناسب وما يحقق راحة الشباب وتؤسس فيها مكتبات اسلامية يقضي الشاب المسلم فيها اوقات فراغه باستماع آى من الذكر الحكيم ومحاضرات دينية ومطالعة كتب ومجلات اسلامية واقامة الصلاة والاشتراك في اجتماعات اللجان والمذاكرة في مايجب ان يقام به لبث الدعوة الاسلامية ونجاحها بين الشباب في العراق وخارجه وارسال وفود من الشباب وغيرهم الى القرى والأرياف لتعليم الاسلام وتطبيقه في تلك الربوع بصورة عملية وتقديم تقارير عما قاموا

به خلال اسبوع واحد او شهر واحد ، ثم الاتصال بالمدارس لا لقاء محاضرات على الطلاب والعمل لأجل اقامة الصلاة بين جدران المدرسة الى ماهنالك . انه تعالى يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

* * *

ان هذا الشاب المؤمن الغيور على دينه يقول :

« اننا شكلنا جمعيـــة اسلامية في المانيا الشرقية وسنعمل إن شاء الله على دمجها بالجمعية الاسلامية في المانيا الغربيـــة ، ثم نتصـــل بالجمعيتين الاسلاميتين في انكلترا والنمسا ، لنكون من جميع ذلك اتحـاداً عاماً . ولا يخفى مافي ذلك من أثر في اطلاع الرأي الأوربي العام على التعاليم الاسلامية القويمة ونظرته الى الكون والحياة خاصة ، لاسيما وان الاوروبيين شديدوا الرغبة في حب الاستطلاع على الاسلام ، ذلك لان الاسلام يمثل ديناً رئيسياً في العالم أجمع » .

« أدرس كما تعلمون هنا : (التخطيط الاقتصادي) . إلا أن ذلك لايعني سوى : (الماركسية – اللينينية) ، و (المادية الديالكتيكيـة) ، والاقتصاد السياسي ، ولايخرج ذلك أبداً عن نطاق : قال : لينين ، وقال ماركس ، وانكلز ... واذا ناقشت او طـــرحت رأياً آخر ، أو سألت سؤالا يدل على أنك لاتصدق بذلك ، فإن ذلك يعني أنك تحتاج (الى مراقبة أشد) والى اجتماعات معك أكثر » (١) .

---

(١) ان الله تعالى يقول : « لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي » ويقول ايضا : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وفي آية أخرى « إن السمع والبصر والفؤاد ، كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

فالاسلام لايفرض تعاليمه على البشر فرضاً ولا يجـبرهم على القبول جبراً ، وانما يخاطب العقل الفطرى على ضوء المنطق الصحيح ويجعل العقل =

« المقدمة : إن لدينا أربعة طرق للدراسة » :

« ١ – المحاضرات التي يلقيها البروفسور أو الدكتور في قاعات كبيرة تحوي مالا يقل عن مائتي طالب . وهنا تلقى المحاضرة دون مناقشة أو سؤال أو اعتراض أو شيء آخر . إلا أننا نكتب عن ذلك ملاحظات في دفتر خاص وهذا مايسمى : بـ (فورليزونك Vorlessung) ، تستغرق هذه عادة ساعتين ، تتخللها فرصة واحدة أمدها ١٥ دقيقة » .

« ٢ – مايسمى باجتماع الزمنار : Seminar وفيه ينبغي أن يسأل الطلبة عن مدى فهمهم للمادة وعن آرائهم بها ، وعما اذا كان لديهم رأي آخر مناقض لذلك . إلا أن هذا لا يحدث بصورة عملية . اذ أن الطلبة الألمان قد اعتادوا على تقبل المادة دون مناقشة أو تمحيص . ثم إنهم يخافون : إن ناقشوا ، أن يؤثر ذلك على درجاتهم وعلى نظرات الأساتذة اليهم ، وأنا حسب التنظيم الدراسي ، مع گروب (جماعة) يتكون فقط من طلبة الألمان بينما أنا الوحيد أجنبي بينهم » .

« وفي أول اجتماع لنا قدمت الاستاذة مقدمة ، قائلة : إنهم يرومون تربية الطلبة اشتراكياً كيما يتكون لهم كادر (ملاك) [1] في المستقبل يخدم

= معياراً للقبول ويفسح المجال للنقاش والجدل بالتي هي أحسن . وكم من نقاش حدث بين الزنادقة والامام الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام وكذا بين الملاحدة والامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام .

ليس الاسلام بدين يقول : كن أعمى حتى تبصر الحق وكن اصم حتى تسمع الواقـع . كما يصنع الماركسيون ومن يدعي النبوة زوراً وبهتاناً . وهذا ديدن من تعوزه الحجة وينقصه الدليل ، ضغط ومراقبة شديدة وتجسس وسجن وتبعيد وتشريد وقتل وإبادة ! ..

(١) أي دخولهم في ملاك الدولة في عداد الموظفين .

الحكومة عن وعي . وانهم سوف لا ، ولن يدرسونا اي نظام أومبدأ آخر لئلا تشوب الفكرة الاشتراكية من ذلك شائبة » .

« أما عن الرأسمالية ، فسوف لاندرس الا نقاط النقد التى ضرب ماركس على وترها ... ثم استمرت في شرح الموضوع في المانيا وفي المقارنات بين الدولتين الألمانيتين » .

« وملاحظتي على ذلك ، انني أتمكن من ان اقول : ان معظم بل جل دراستنا عن ذلك : كيف ان المانيا الغربية رأسمالية وان الشرقية اشتراكية وتستند الى المعسكر الاشتراكي الجبار وعلى راسه الاتحاد السوفيتي ، وانها لاتخاف المانيا الغربية التى سلحها حلف شمالي الاطلسي والراسمالي الامريكي » .

« ان كان هذا صحيحاً اولا ، فأمر لايهمني كما تهمني الدراسة ، ان هذا لايعطينا تجارب ومعارف الا في حقل ضيق جداً ، حين انه يشغل اكثر من نصف دراستنا » .

« وهكذا بدأ (الزمنار Seminai) الأول ، وبدأنا ننافش المادية الديالكتيكية . فشرحت الاستاذة كيف ان العالم ينقسم الى معسكرين من المفكرين : ماديين وخياليين : Materialistes , Idealistes ثم هاجمت الكنيسة (١) لأكثر من ربع ساعة وكيف ان كل فكرة غير مادية تستخدمها

(١) قد تكون الاستاذة محقة في مهاجمتها الكنيسة ، فان الدكتور : (وولتر اوسكار لندبرج) استاذ الفسلجة والكيمياء يقول : « ان جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة انسان ! بدلا من الاعتقاد بأن الانسان قد خلق خليفة لله على الارض على حد قوله تعالى : « وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ، إن ربك سريع =

الطبقة المستغلة بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، لتزيد من استغلالها للطبقة

= الحساب وانه لغفور رحيم » ... (سورة الانعام : ١٦٥) . وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فان تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لايمكن أن تنسجم مع اسلوبهم في التفكير او أي منطق مقبول ، وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات بين تلك الافكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي ، نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية ، وعندما يصلون الى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما ترتب عليها من نتائج نفسية ، لايحبون العودة الى التفكير في هذه الموضوعات ، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله » .

ولكن الدكتور (وولتر) ، قد فاته أن النفس الزكية التي لم تلج في الموبقات وبقيت نقية طاهرة اووفقت الى توبة واستغفار بعد التلوث : « إن الحسنات يذهبن السيئات » تصل بالفطرة الى معرفة صحيحة عن الله تعالى فتصحح انطباعاته الخرافية بإلهام من الله تعالى وترجع الى الفطرة من تقديس الله تعالى وتعظيمه واطاعته ، ولا تنبذ الدين . انما ينبذ الدين من ربته المراقص ودور الخمور وتعاطي الربا ولحم الخنزير . وهم الأكثرية الساحقة في الغرب والشرق .

نعم ، علينا أن نقول ، ليس في الاسلام من (الأسرار) كما في المسيحية . تلك الأسرار التي لايصل احد من رجال المسيحية أنفسهم أن يدركها ادراكاً عقلياً صحيحاً ، ولهذا يطلبون من اتباعهم الايمان بها دون محاولة فهمها .

كما أن فكرة (الحجاب) في المسيحية بين الله وعباده فكرة لايستسيغها العقل . فلا حجاب بين الله وبين احد من خلقه حتى يتحتم توسيط رجل بينه =

= وبين خلقه . فالاسلام يرى أن لكل أحد الحق في أن يتجه الى الله ويتوسل به ويرفع حاجته اليه . « واذا سألك عبادي عني ، فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » .

وأما الشفاعة ، فلا يراد منها سد الطريق بين الله وعباده ، بل العبد يدعو ربه ويخلو به جاعلا أعز خلقـــه اليه شفيعاً لديه . على أنه تعالى يقول : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » ، « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » .

إن الاسلام يمنع أن يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله : « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . ويقول عن الكتابيين : « إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله الا هو ، سبحانه وتعالى عما يشركون » .

فالمؤمن حينما يجعل أحد الأئمة شفيعاً عند الله تعالى في قضاء حاجته إنما يريد أن تقضى حاجته من جانب الله وحده دون غيره وهو يوحد الله في دعائه توحيداً مابعده توحيد .

ثم لايعلم معنى التثليث وسره في المسيحية وكـذا القربان وتحوله الى لحم المسيح ودمه ولا يعلم سبب اعتقادهم أن الانسان ولد وجاء الى هذه الحياة مثقلا بـ (الخطيئة الأصليـــة) التي لايستطيع منها فكاكاً . ويعنون بها أن الانسان يولد وعليه وزر خطيئة آدم عليه السلام حين خالف أمر ربه وأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه . حين انه تعالى يقول : « ولا تزر وازرة =

العاملة » (٢) .

= وزر أخرى » . ومن ثم تطلب المسيحية من الانسان أن يؤمن (بالصلب والفداء) ، أي صلب (المسيح - الإله) تفدية للبشر مما لحقهم من هذه الخطيئة الأصلية .

هذه الخرافات وامثالها التى ما أنزل الله بها من سلطان ، لم تكن في الكتب المقدسة حين أوحى الله تعالى مافيها الى انبيائه (ع) ، الا أن الكنيسة لابتعادها عن النصوص وانحرافها عما انزل الله اوجدتها بهذا الشكل . فيأبى الشاب الذي مارس المنطق الصحيح بدراسة نظريات هندسية واشتغاله في المختبرات تقبلها ، ويراها خرافات . فيمقت الدين لما يرى معتقدات تخالف الواقع اذا كان من اولئك الذين تلوثت نفوسهم بالموبقات . ولذلك من السهل جداً بث تعاليم الاسلام في اوساط الغرب العلمية لمطابقتها مع العلم الصحيح وخلوها من كل مايخالف المنطق الصحيح ومن كل خرافة .

(٢) اما الاسلام ، فيهتم بالطبقة العاملة الى أبعد حد ، ولا يفرق بين العامل وصاحب المعمل الا بالتقوى . فقد قال أبو عبد الله (ع) : « من اراد أن يدخله الله في رحمته ويسكنه جنته ، فليحسن خلقه وليعط النصف من نفسه ، وليرحم اليتيم وليعن الضعيف وليتواضع لله الذي خلقه . (النصف : الانصاف والعدل) » .

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « سيد الاعمال : إنصاف الناس من نفسك ومواساة الاخ في الله وذكر الله على كل حال » .

وعنه ايضاً : « من واسى الفقير من ماله وانصف الناس من نفسه فذلكم المؤمن حقاً » .

فعلى صاحب العمل او المعمل ان يعطي العامل مايسد به حاجته وحاجة بيته حتى بعض الكماليات منها كي يكون مصداق الحديث المتقدم .

« ثم بدأت تشرح المادة كأساس للمذهب المادي : « إن المادة كانت قبل كل شيء (٣) . ثم تطورت خلال ملايين السنين الى هذا العالم . اما الانسان فقد تطور عن حيوان ، وقد لعب بذلك العمل البشري دوراً كبيراً » .

---

(٣) مما لاريب فيه ان الكيمياء علم يبحث فيه عن التركيب والتغييرات التي تطرأ على المادة ويبحث فيه عن تحول المادة الى طاقة (قوى) وتحول الطاقة الى مادة . وان الكيمياء من العلوم المادية والبحث عن موجد الكون عن الله تعالى بحث روحي بحت . فلا رابطة بين هذا البحث وبين الكيمياء (العلم المادي) . فليس من شأن الكيمياء أن تبحث في ان هذا العالم بما فيه من نظم ثابتة ودساتير متنوعة وتدبير وحكمة فائقة قد وجد بمحض المصادفة وان جميع مايحدث فيه يتم بالطريقة العشوائية او بطريقة اخرى .

ولا يرى المتتبع في ماوجد من قوانين عند دراسة المادة والقوة محلا للمصادفة ، بل بعكس ذلك ، يرى ان هنالك نظاما ثابتاً وقانوناً لاتحيد عنه المادة والطاقة والتفاعلات الكيميائية والحوادث الفيزيائيـــة ويرى أيضا أن سلوك أي جز من اجزاء المادة مهما صغر او تضاءل حجمه ليس بسلوك أعمى بل يخضع لقوانين معينة دقيقة مترابطة .

ويرى ان في كثير من الأحيان يتم اكتشاف القانون قبل اكتشاف اسبابه أو فهم طريقة عمله بفترة غير طويلة من الزمن ، حتى أنهم تمكنوا من العثور على كثير من الخواص الكهربائية نتيجة مايجري من الاعمال الرياضية على المعادلات التفاضلية (في الرياضيات العالية) . فأنى للمصادفة أن تضع دساتير وان يظفر الانسان نتيجة اجراء اعمال رياضية بمكتشفات اخرى في حقـل الكهرباء وغيرها .

وان الترتيب الدوري الذي اكتشفه (ماندليف) وهو الترتيب الذي أودعه الله تعالى في العناصر الكيميائية دليل قطعي على عدم وجود أية =

« وسألتها قائلا : إنه من الأحسن لنا أن نبدأ من البداية ونتساءل من أي شيء تتكون المادة ؟ ومن أي شيء تكونت وخلقت ؟ وكم كان حجمها ؟ وكيف بعثت لها الحياة ؟ »

مصادفة هناك .

وان اكتشاف تركيب الذرة (Atome) أثبت أن مانشاهد من تفاعلات كيميائية وما نلاحظ من خواص تنتظم تحت قوانين خاصة ، وليست هنالك مصادفة عمياء . فالمصادفة لاتولد آلاف الدساتير في مختلف الحقول ثم تربط هذه الدساتير بعضها ببعض لانتظام الكون المادي ومن ثم الحياة .

فالعناصر بما فيها الملون وغير الملون والهش والصلب والخفيف والثقيل والمغناطيس وغير المغناطيس والباقي مدة والفاني بعد فترة محدودة الى ماهنالك تابعة لنفس قانون (ماندااليف) الدوري .

فمن الذي جعل هذه العناصر فى غاية الاختلاف من حيث الخواص لما هنالك من حاجة ماسة لوجود وانتظام هذا الكون ثم اخضاعها لنفس القانون . هل للصدفة أن تقوم بهذا العمل المنظم المحيّر للألباب في ما لايحصى من مراحل وأشياء .

ثم ماذا كانت هذه المادة في القديم ؟ هل كانت طاقة ثم تكدست فكانت مادة ؟ وماذا كانت هذه الطاقة ، هل كهربائية موجبة أم سالبة ؟ أم ماذا ؟ ثم لماذا ولأي سبب وكيف تكدست تلك الطاقات الهائلة فكانت مادة . . . أي عناصر . . ولماذا هذا الاختلاف في العناصر من حيث التركيب والخواص مع العلم ان كل ذلك لابد من وجوده بهذا الترتيب لانتظام هذا الكون الرحيب

ثم نحن اذا دخلنا فى بناء الذرة نشاهد عالماً من الخواص والنظم والقوانين مايحير العقول .

وهذه الذرة (ليست بذرة واحدة وعلى نمط واحد) كيف صارت

فتململت قليلا ، ثم أجابت : « ان المادة لاترى ولا تفنى ، إذ انهاتتشكل بأشكال مختلفة ، في كل جسم شكل » ، « اما من أي شيء خلقت المادة ، فهذا مالم يتوصل اليه العلم بعد » ! ! ! . . . « ومن خواص المادة انها غير قابلة للتصور ، أي ان الانسان لايتمكن أن يتصورها أو يلمسها » .

أنواعا مختلفة تحت قانون دوري ، وكلها موجودة حتى اليوم : هايدروجين : هليوم ، . . . ، أورانيوم . . . الخ .

من أين جاءت الكهربائية السالبة (الكترون) وثم الكهربائية الموجبة (البروتون) وكلتاهما موجودتان فى بنية الذرة مع تنافرهما .

فهل الذرة هي الله تعالى ؟ ! فهي مركبة ومحتاجة الى أجزائها ، ثم من أين جاءت هذه الأجزاء ومن الذي ركبها بهذا التركيب المعقول تحت قوانين ثابتة معقولة . ثم لنحقق كلاً من الأجزاء ، فنراها مركبة أيضاً أم هي طاقات لانعلم حقيقتها وهكذا دواليك ، فلنتسلسل الى الأخير فلا مناص من الاعتراف بالله الخالق المتعال ، ذلك لأنا لابد لنا اما ان نعترف بعقل جبار داخل الذرة أو أن نعترف بخالق حكيم ، قد أوجد هذه الأجزاء المختلفة الخاصية والماهية ورتبها خير ترتيب . وبما أن المادة ليست من العقل في شيء إذن لابد من الاعتراف بالصانع العظيم وهو الله تعالى .

ثم لايعقل : أن المادة توجد نفسها بنفسها ثم تضع كل هذه الدساتير والقوانين ، ذلك لأن المادة عندما تتحول الى طاقة أو تتحول الطاقة الى مادة ، فان ذلك كله يتم طبقاً لقوانين معينة ، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها .

ومن الثابت علمياً أن الفرق بين ذرة عنصر معين كعنصر الحديد مثلا وعنصر الرصاص يرجع الى الفرق في عدد البروتونات والنيوترونات التي بالنواة والى عدد وطريقة تنظيم الالكترونات التي هي خارج النواة والتي

فابتسمت لذلك قائلة : إنكم (بصيغة الاحترام) تؤمنون بوجود شيء لايمكن أن يتصوره أو يلمسه الانسان ، ثم انكم لا تعلمون من أي شيء يتركب هذا الشيء وكم حجمه . . . ان هذه هي الروحانية التي تسمونها Idealisme : الخيال . . . إذ أننا نعتقد بوجود الله تبارك وتعالى . وهذه الصفات التي ذكرتموها هي بالضبط صفات الله . أي أنه غير قابل للتصور وغير قابل للمس أو المسك ، لايحويه مكان أو فراغ . وليس له شكل وهو خالد لايفنى . . .

تدور حول النواة بسرعة هائلة وتحت دساتير معينة وأبعاد محددة . إذن كل مافي الكون من مواد مختلفة والتي تعد بالملايين أي كل مافى الكون من عناصر ومركبات ، تتألف من جزيئات كهربية ليست في الواقع الا مجرد صور (أو مظاهر) من الطاقة أي طاقة الاشعاع المخزونة . إذن ، المادة ليست إلا صورة من صور الاشعاع ولايزال العلم يعمل لأجل تفهم حقيقة الطاقة والاشعاع وسوف يعمل الى مئات السنين ولن يصل الى حقيقة الطاقة أو القوة كما لم يصل لحد اليوم الى حقيقة (الجاذبية) وحقيقة الروح . « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

لذلك يقول الفيلسوف والعالم الطبيعي الدكتور : (ماريت استانلي) : اننا نحتاج في محاولتنا لوصف الخالق (ومن يقوى على وصفه ، هو كما وصف نفسه) ومعرفة صفاته الى مصطلحات ومعانٍ تختلف اختلافا بيناً عن تلك التي نستخدمها عندما نصف عالم الماديات . فالصفات المادية والتفسيرات الميكانيكية التي تقوم على نظريات السلوكيين تعجز أن تعيننا على تحقيق هذه الغاية ، وبخاصة بعد أن تبين لنا أن هذا الكون الذي نعيش فيه لايمكن أن يكون مادة صرفاً وانما هو مادة وروح ، أو مادة وغير مادة . ولانستطيع

« أما المادة التي تشبهونها (بالفواكه) مثلاً فهي غير موجودة ، اذ ان شيئاً اسمه (الفواكه) لايوجد . نعم ، يوجد تفاح . فيه بعض خواص الفواكه وليس كلها ، نعم ، يوجد برتقال ، فيه قسم آخر من خواص الفواكه ، أن نصف الأشياء غير المادية بالأوصاف المادية وحدها » .

ثم يقول الدكتور (ماريت استانلي) : « كثيراً ماطلبت الى تلاميذي أن يصفوا لي شيئاً غير مادي مثل (الفكرة) ، وطلبت اليهم أن يبينوا لي التركيب الكيموي (للفكرة) وطولها بالسانتيمترات ووزنها بالغرامات ولونها وضغطها وان يصفوا لي شكلها وصورتها . وقد عجزوا جميعاً عن تحقيق ذلك . وصار من الواضح أنه لكي نصف أمراً غير مادي لابد من استخدام مصطلحات وأوصاف أخرى تختلف اختلافاً كبيراً عن المصطلحات التي نستخدمها في دائرة العلوم » .

انه يقول : « إننا لانستطيع أن نسخر من هذه المشكلة أو نفر منها ، فلو لم يكن هذا الكون ثنائياً (يعني المادة وغير المادة كالفكر والروح) لاستطعنا أن نعرّف الفكرة تعريفاً مادياً صرفاً ، وهو مالم يحدث أبداً . والنظريات المادية التي قدمها ديموقريطس وهوبز والسلوكيون ، وكذلك النظريات المثالية الصرفة التي تفسر هذا الكون تفسيراً معنوياً خالصاً مما قدمه (ليبنتز) و (بيركلي) و (هيجل) ، نقول إن هذه النظريات الآحادية جميعاً لاتعدو أن تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند الى أي أساس من الوجهة التجريبية . ولابد لأية فلسفة تحاول أن تفسر الطبيعة والكون من أن تختبر أولا لمعرفة مدى قدرتها على تفسير سائر أنواع الحقائق والعوامل والعناصر التي يتألف منها هذا الكون أو تظهر فيه » .

ويقول الفيلسوف (ماريت استانلي) : « ان العلوم حقائق مختبرة ، ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الانسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في

وليس كلها . نعم يوجد (كمثرى) فيه خواص اخرى من خواص الفواكه وليس كلها . اما شيء حسي فيه كل خواص الفواكه ، فأمر لايوجد . إلا أنه توجد كلمة (فواكه) في القاموس . على ان ذلك لايعني وجودها في

ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته . ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود . فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ . وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات كذلك وليس باليقين . ونتائج العلوم بذلك تقريبية وعرضة للأخطاء المحتملة في القياس والمقارنات ونتائجها اجتهادية وقابلة للتعديل بالاضافة والحذف وليست نهائية ، وإننا نرى أن العالم عندما يصل الى قانون أو نظرية يقول : ان هذا هو ماوصلنا اليه حتى الآن ويترك الباب مفتوحاً لما قد يستجد من التعديلات » (١) .

وهناك من يقول بقدم المادة ، لكن التجارب الكيميائية تدلنا على أن بعض المادة تزول وتفنى . وبعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة ، فالمادة تفنى ، فهي ليست بأبدية ، إذن يجب أن لاتكون قديمة أو أزلية ، فلها إذن بداية .

وتدل التجارب والشواهد من الكيمياء ومن علوم أخرى إن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية ، كما يقول به الماديون ، بل وجدت بصورة فجائية حتى أن العلوم تستطيع أن تحد الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد . وقد ثبت علمياً أن هذا الكون المادي لم يكن مخلوقاً ثم خلق وليس بقديم كما يظن الماديون جهلاً منهم أو مكابرة . وهو يسير تحت قوانين معينة ودساتير ثابتة أودعها الله هذا الكون : « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولئن

---

(١) قد أسهبنا القول في ما يقوله الدكتور (ماريت استانلي) في الجزء الأول من هذا الكتاب . قبل الظفر بمقاله هذا ، فيرجى المراجعة .

الحقيقية الواقعية . إن (مثال الفواكه) ليس مني ولست أنا الذي أتيت به ، انما الذي أتى به هو أنتم مع قولكم ان (الفواكه) فى هذه الحالة تشبه المادة فى حالتها . فاذا ثبت لنا عدم وجود (الفواكه) فان ذلك يعني ، باعترافكم : عدم وجود المادة التى أبنتم خواصها قبل دقائق » .

زالتا إن أمسكهما (أي ما أمسكهما) من أحد من بعده ، انه كان حليماً غفورا » . (سورة الفاطر : ٤٠) .

وبعد أن علمنا أن ليس لهذا العالم المادي أن يخلق نفسه ويسن لنفسه هذه القوانين الرياضية الدقيقة وهذه الخواص المتنوعة التي بها تتحقق الحياة ، إذن وجب أن نؤمن أن هناك خالقاً غير مادي وهو الله تعالى . ثم ان مانلمسه من حكمة فائقة في تنظيم هذا الكون يدلنا على أن خالقه عاقل حكيم . إلا أن العقل لايوجد هذه الخوارق العظيمة اللانهائية ولابد أن تكون هناك ارادة ومشيئة ، إذن ثبت أن موجد هذا الكون عاقل ، حكيم ، مريد ، فعال : « كل يوم هو في شأن » . (سورة الرحمن : ٢٩) .

وقد اعترف العلم الحديث الذي يحدد وقت حدوث المادة (أي الوقت الذي خلقها الله تعالى) : أن حدوث الحياة وبدايتها حدث عجيب في تاريخ الكرة الأرضية واعترف بالعجز عن معرفة بداية (الحياة) وكيف كان ظهورها ويقول : العلم عاجز عن معرفة كل ذلك . ويعترف بشيء من التوكيد ان الحياة بدأت في المحيط الدافيء : الماء : وقد قال الله تعالى قبل أربعة عشر قرناً : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً (أي متصلة) ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون » .

قد حسب أحد علماء الفسلجة (Physiologiste) أن المادة السنجابية التي في تلافيف الدماغ فيها نحو : ٠٠٠ ٠٠٠ ٦ خلية وكل خلية تتألف من الوف الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر . ثم ان هذه

« هذا هو أساس دراستنا . واستمر النقاش مدة نصف ساعه أو أكثر بقليل ، ثم قالت ما نصه : سيد . . . ، (ذكرت اسم الطالب) : إن لدينا برنامجاً خاصاً يجب تنفيذه خلال مدة (الزمنار Seminar) ، واننا لانريد

الجواهر تتألف مما سيقف عليه العلم في مستقبل قريب وهكذا نرى أن العلم كلما تقدم خطوة أصبح أمام أودية من المجاهيل حتى يضطر بالاعتراف بالله الخالق المدبر القادر المتعال .

ثم نرى أن طبقات العين ، فيها القرنية والعدسية ، وطبقات العين المائية الزجاجية تنتهي في الشبكية وأن الطبقة الشبكية لا تزيد عن ثخن الورقة وتتألف مع ذلك من تسع طبقات ، أبعدها يتألف من ثلاثة ملايين مخروط ونحو من ثلاثة ملايين اسطوانة .

فكيف يوفق المادي بين الصدفة وهذا النظام البالغ من الدقة أقصى المراحل . وان حساب الاحتمالات ينفي إمكان وجود ملايين من الأجزاء في عضو بصورة مرتبة ومنظمة على سبيل الصدفة لتحقيق غاية معقولة . ولكن المادي لايوافقه حساب الاحتمالات ، Probabilite . وما فيه من دساتير . أو هو أقل من أن يستوعب حساب الاحتمالات أو يكتشف في موضوعه بعض القوانين . « فلينظر الانسان مم خُلق » . . .

كيف يفسر المادي مانرى من مظاهر في (الأظافر) وقلّ من يهتم بها . فقد كان يقول (أبقراط) مرجع الطب والحكمة منذ أكثر من الفي سنة : « إن الأظافر كالمرآة تنعكس فيها حالة الانسان الصحية » . ولحد اليوم ترى أن الطبيب لواستعصى عليه تشخيص مرض فانه يمسك بأظافر مريضه ومنها يشخص نوع المرض : فالأظافر الباهتة تدل على فقر الدم والمائلة للزرقة تؤكد مرض القلب وتقعر الأظافر يدل على اضطراب الدورة الدموية .

وقد وجد أن عدد الكائنات الحية في الغرام الواحد من التربة يصل

أن ندخل البلبلة الى أفكار طلابنا ! أما اذا كان لديكم شيء من هذا القبيل ، فبإمكانكم أن تذهبوا معي الى البروفسور المختص بالمادية الديالكتيكية ونعمل اجتماعاً ثلاثياً نطلع فيه بمعزل عن الطلبة على نظرتكم الجديدة الى الكون ؟ .. فكان جوابي الموافقة طبعاً . . .

« اما الدراسات الأخرى : فتحضير مؤتمر الأحزاب الشيوعي ، وأحزاب العمال فى موسكو وتطبيقه على الوضع فى المانيا ، على سبيل المثال » .

« والخلاصة أنا يجب أن ندرس في السنة الدراسية الأولى كتاب (رأس المال) لـ (كارل ماركس) بالألمانية بأجزائه الثلاثة ، ثم كتاب الاقتصاد السياسي ، ثم كتاب أسس الماركسية اللينينية ، ثم كتاب (أسس الفلسفة الماركسية) ، ثم كتاب : (التكنولوجي : Technologie) (١) ثم الرياضيات الاقتصادية » .

« أما الشكل الدراسي الثالث : فتؤلف مجاميع من الطلبة ، تدرس كل مجموعة على حدة خارج الوقت الدراسي المشترك ويعاون أفراد المجموعة بعضهم البعض » .

« والطريقة الرابعة هي دراسة ذاتية داخل البيت أو المكتبات وقاعات المطالعة » .

* * *

الى بضعة ملايين ! فما أعظم هذه (المادة) التي خلقت كائناً حياً بالغاً في الصغر فوق تصور الانسان وفيه أعضاء وأجزاء ودقائق . . . سيظفر بها العلم في المستقبل . ولكن لن يصل العلم الى حقيقة الحياة ، إلا إذا فوض الأمر الى موجد قادر متعال وهو الله تعالى ، انه تعالى يقول : « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » .

---

(١) علم يوضح تاريخ واصول البحث المتبعة في الفنون والصنايع .

وهكذا نرى ان هذا الشباب المؤمن بإلهام رباني وإفاضات نفسه الطاهرة يحرج الأستاذة حتى لاتستطيع جواباً ، فتقول وملؤها الشك والارتياب : « المادة لاترى ولا تفنى وتتشكل بأشكال مختلفة » فاذا كانت المادة لاترى (كما تقول الاستاذة الماركسية) فكيف علم المادي بوجودها مع أنه لايعترف إلا بما يقع تحت احدى حواسه الخمس التي لا يعلم كيف تكونت لديه وكيف جهز بها .

ولعله يقول : إن العقل هو الذي دلنا على أن المادة لاترى ولا تلمس ، فاذا كان العقل هو المدار للاعتراف بما لايرى بالعين ولا يلمس ، فبالعقل وبارجاع السبب الى المسبب يعترف الانسان السوي بإله مرتّب لهذا العالم أبدع ترتيب ، إله تتجلى حكمته فى كل جزيء من جزيئات هذا العالم ، المنظور وغير المنظور . إله لا يشبه مخلوقاته فى شيء ، لا فتقار هذه المخلوقات بما فيها المادة الى أجزاء مختلفة لم تكن قبلا (كما ثبت علمياً) رُتبت بتدبير فائق . فالله الذي لايشبه مخلوقاته في شيء هو واجب الوجود وهو أزلي قديم ، لم يسبقه شيء من الأشياء . وبغير هذا المنطق السليم لايمكن أن تحل مشكلة هذا التنظيم المادي وخلق العقول والأرواح والملائكة والجن والحيوية الى ما هنالك .

قد ثبت على أن التطور لايحدث في الجسم عفواً ومن تلقاء نفسه ، وإن العلم ليعترف أن هناك قصوراً ذاتياً في جميع الأجسام . ولولا ارادة فائقة ومشيئة ربانية لما حصل أيّ تطور وأية طفرة وأي تحول فجائي ، ولما وجدت هذه الحيوية والخوارق التي نلمسها في أعضاء الجسم الانساني . إن التجارب في شتى العلوم تؤيد ما قلنا . إلا أن النفوس اذا تحجرت فرضت إرادتها الديكتاتورية على العلم ، فأبادت العلماء ، أولئك الذين خالفوها في الرأي على ضوء ما قاموا به من تجارب والمنطق الصحيح كما حدث ذلك في الاتحاد

السوفيتي ، مع الأسف الشديد .

تقول الماركسية ! : « وأما الانسان فقد تطور عن حيوان لعب بذلك العمل البشري دوراً كبيراً جداً » ، فهل لها أن تقول : كيف وجد الحيوان وكيف وجد الآميبا (الكائن الحي ذي الخلية الواحدة) بأسلوب علمي صحيح دونما مغالطة . لكنها تجيب حالاً : « إن العلم لم يصل بعد الى مرحلة يتمكن معها من الاجابة على هذا السؤال » .

فهل من المعقول التمسك بنظرية واهية وإزهاق النفوس من أجلها وهي بعد لم تتحقق علمياً .

إن العلم يؤكد بصورة قطعية : أن الحيوية إنما وجدت على وجه الأرض بإرادة الله تعالى ومشيئته ، ذلك لأن التجارب تدل أن ليس في امكان المادة أن تؤثر في نفسها وأن تكون من تلقاء نفسها نباتاً ، فحيواناً فانساناً .

ان العلم ليعترف أن الأرض كانت قطعة نارية في درجة عالية من الحرارة فهل كان بالامكان أن تعيش على سطحها خلية من الخلايا أو جرثومة من الجراثيم أو نبات أو حيوان ، فماذا الهذيان ؟ فالمادية هراء مابعده هراء ودس مابعده دس وتضليل مابعده تضليل .

* * *

تقول الاستاذة الماركسية : « ان من خواص المادة أنها غير قابلة للتصور » . فلسائل أن يسأل : كيف عرفنا : أن عدم امكان التصور من خواص المادة ، فالمادة إذن ليست بشيء متصور ملموس ، فهي إذن ليست بشيء يحس بالحواس الخمس ولا يمكن أن تتصور ، فما هي المادة إذن ؟ لعلهم يريدون أن يقولوا : إن المادة هي القوة ، أو الطاقة . فاذا كانت المادة على ما يزعمون ! هي القوة نفسها على ماثبت في الفيزياء إذن : المادة ، كما تؤيده التجارب ، صورة من صور الطاقة : (القوى) ومظهر من مظاهر الاشعاع . فلم تبق المادية كما يفهمها الماديون ، وانما المادة كانت في الابتداء

طاقاتٍ وقوى تكدست تحت نظام خاص حتى كانت هذه العناصر : (الحديد راديوم ، أورانيوم . . .) .

فقد قال (آينشتاين : Einstein) : « في الذرة طاقة كبيرة يمكن تسخيرها والإفادة منها وإن المادة صورة من صور الطاقة . وإن الغرام الواحد من المادة يتحول الى (الف مليون مليون مليون) وحدة من وحدات الطاقة وهي الارگ : (Erg) أو الى ٢٥ مليون كيلوات/ساعة أي ماثمنه ٥٥٠ الف دينار كما قلنا سابقاً . فاذا استطاع الانسان أن يستخدم الذرة لتؤثر في الجو فيسقط مطراً حين يريد ، فذلك لما أودع الله تعالى من نظام ودستور في تشكل الأمطار وحدوثها وتراكم السحب أو حدوثها عند انفلاق الذرة . فالسحب ليست الا طاقة مكدسة في بطن الذرة ، فاذا انفلقت الذرة تحررت ، فأمطرت مطراً غزيراً بإذن الله تعالى على ضوء ما وضع من خواص ودساتير . فماذا الغرور ؟

« يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ماشاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين » (سورة الانفطار : ٦ ـ ٩) .

ثم لنا أن نسأل ماهذا الاختلاف بين القوة التي تتألف منها المادة : (١) الكترون : شحنة كهربائية موجبة . (٢) پروتون : شحنة كهربائية سالبة . (٣) نيوترون : كهربائية موجبة وكهربائية سالبة متعادلتان . .

هل وجدت الكهربائية الموجبة قبلاً أم الكهربائية السالبة ؟ وهو عين مايقال في الأزواج كلها ، من نبات وحيوان وانسان . . . هل وِجد الذكر قبلاً أم الأنثى ؟

انه تعالى يقول « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً » . وفي آية اخرى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً

ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . فالله يدعونا الى التفكر في هذه المرحلة الخطيرة التي ترد النظرية المادية (Materialisme) في الصميم ولا يدع مجالاً للنقاش .

فالذي جعل بين الذكر والانثى مودةً ورحمة جعل بين قوتين مخالفتين : الكهربائيـــة الموجبة والكهربائية السالبة بعـــد خلقهما مودة ورحمة وتوافقاً ووئاماً : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » . (سورة يس : ٣٧) . « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . (سورة الذاريات : ٥٠) .

فإن قلنا إن الكهربائية الموجبة كانت موجودةً قبلاً ، فكيف خلقت لنفسها كهربائيةً سالبة وكيف أحست بهذه الحاجة لتكوين الذرة وهي أساس الموجودات المادية على اختلاف أنواعها .

فلا مفر من الاعتراف بخالق أوجد قوتين مخالفتين إما في وقت واحد (والله العالم) أو في زمنين متعاقبين . ووفق بينهما . وان هذا التوفيق لهو أعظم دليل على وجود الله جلت عظمته . خلافاً لمنطوق نظرية الاضداد التي يتشدق بها الماديون : كارل ماركس وأتباعه . . دونما تعمق أو لإغواء الناس انتصاراً للصهيونية !

« فإنها لا تعمي الأبصار ولـكن تعمى القلوب التي في الصدور » ، (سورة الحج : ٤٦) . « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق . ذلك ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » . (سورة الحج : ٣٠ - ٣٢) .

مولد الرسول الاعظم (ص)

(علاقة الاسلام بالعلم والحياة (١))

ان نظرة بسيطة الى هذا الكون تجعلنا نعلم ان ماخلق الله من عوالم ومخلوقات شتى على ضربين منها تابعة الى نظم ثابتة وخواص معينة لا تتعداها ومنها ماهي مختارة ، لها من الارادة فى أن تفعل وان لا تفعل ، فى ان تتصدى للخير أو لا تتصدى ، في ان تكون مصدراً للشر أو لا تكون .

فهذه الجاذبية التي تضرب بأطنابها في هذا الكون الرحيب والتي لها قوانينها ودساتيرها مؤتمرة بأمر الله تعالى لاتحيد عنها قيد شعرة (ان الله يمسك السماوات والأرض ان تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) .

وهذه الذرة التي تبلغ من الصغر بحيث لاترى بأدق الآلات والتي لو جمع عشرة ملايين منها على شرط الكروية لاتتجاوز مليمترا واحداً هي عالم فى نفسها . فالالكترونات تدور حول المركز أي البروتونات بنظام خاص وبشكل اهليلجي بسرعة (٢٠٠٠) كم في الثانية ولا تتخلف عما رسم لها من جانب الله تعالى .

وهناك في المركز نيوترونات وآنتي نيوترونات يحكم بوجودها العقل الرياضي ، ونظام خاص في عدد الالكترونات والبروتونات ينشأ من ذلك اختلاف هذه العناصر التي شكلت العالم المادي ، وقد عبأ الله تعالى طاقات فى هذه الذرة لو تحررت لأفنت العالم فى بضع دقائق . كل هذه تابعة الى نظم ثابتة ودساتير معينة ليس لها ان تتحول عنها بارادتها الى غيرها . وهكذا في

(١) كلمة القيت في حفلة ميلاد الرسول (ص) .

عوالم النبات والحيوان ، الا هذا الانسان ، فقد منّ الله عليه بارادة جزئية وجعله مسؤولاً بهذه الارادة تجاه الأوامر التي بلغه اياها بواسطة سفرائه وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دفعاً للفساد والافساد ولكي يأخذ هذا الانسان سيره التكاملي فى هذا الكون . ذلك لأن الذي أعطى الكمال لكل شيء مادي في هذا الكون يريد بالانسان أن لايحيد عن سنن الكمال . وهو القائل (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ، ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون) . فوجب حسب هذا المنطق الطبيعي ان لا يحيد هذا الانسان عن اتباع أوامر الله تعالى في أرضه وان لايفسد في الارض « والله لايحب الفساد » كي يقطع سيره التكاملي في هذا الكون .

وآخر هؤلاء السفراء بين خالق البشر والبشر وأكملهم هو نبينا نبي الرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقد بعث في وقت كانت البشرية مضطهدة تحت نير العبودية والرقية والإستبداد وعبادة الاوثان والفحشاء الى حد بعيد ، فالرسول لم يأت نتيجة تكامل اجتماعي ـ كما يقول بذلك علماء الاجتماع ـ وانما هو خارق لنواميس علم الاجتماع . فقد بعث فى بيئة بلغت من التسافل أقصاه وهذا خير دليل انه سفير موفد من جانب الله تعالى ليس للتكامل الاجتماعي أثر في وجوده ، فقد خالف منذ صغره ما كان عليه قريش من المجون والتسافل ولم يحضر مجالسهم بل كان يفكر ويتعبد بطهارة نفس مرضية وأخلاق ملكوتية حتى سماه قومه بالأمين .

كما ان هذا الانقلاب العظيم الذي قام به نبينا محمد (ص) فى حقول شتى من روحية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وادارية وأدبية وعلمية والذي تم خلال ثلاثة وعشرين عاماً لايمكن حدوثه بالقوة البشرية العادية المحدودة فلا بد من تأييد رباني ونصر إلهي حققا هذا الانقلاب بشكل معجز .

كانت رسالة محمد (ص) تحطيماً لطاغوت الشرك بالله وطاغوت التعصب

الديني (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وطاغوت التعصب الجنسي « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وطاغوت التفرقة الاجتماعية « كلكم لآدم وآدم من تراب » وطاغوت الظلم والبغي والطغيان وطاغوت الرق وطاغوت الرجل طغيانه على المرأة ، فقررت للمرأة حقوقها الانسانية في صورة شريفة لا رجعة فيها ولا نكسة « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

فرسالة محمد (ص) رسالة شاملة عامة تجمع بين سعادة الفرد فى دنياه وآخرته ، رسالة روعي فيها الجانب الروحي والجانب المادي على ضوء العقل والمنطق (لا ضرر ولا ضرار) ، فالاسلام فى صميمه حركة تحريرية من براثن الشرك والطبقية والبغي والتفريق العنصري وكل ما يلوث النفس الانسانية من شهوات ونزوات .

الا أن أوروبا عارضت هذا الدين عندما أشرق نوره على أوساط الغرب أشد المعارضة وشوهت سمعة الاسلام ووصمته بالشرك وان محمداً إله يعبد ، لذلك يقول أحد فلاسفة الغرب : « إن أوروبا قد ارتكبت أعظم الجرائم عندما سدت أبوابها على المسلمين الفاتحين وحرمت العالم من تعاليم هذا الدين القويم دين الاسلام ، ولولا هذه المعارضة الأثيمة لرأيت العالم اليوم يوحد الله في أرضه ويطبق أوامر الله وتعاليمه التي أوحى بها الى نبيه الكريم ، فلا تطاحن ولا تباغض » .

ولم تكتف أوربا بخلق الأكاذيب فحسب بل أخذت تتهم الاسلام بأنه دين لا يساير العصر في نظمه وتعاليمه ، فأملَوا على شبابنا بعد أن ولجوا في أحضان المادة بما فيها من مآثم وشهوات ، شبهاتٍ واتهامات ماأنزل الله بها من سلطان .

فقالوا : إن الاسلام لايساير العلم ، حين أن المسلمين ـ حسب اعتراف فلاسفة الغـرب وكبار علمائهم ـ هم مؤسسوا النهضة العلمية الحـاضرة لأوربا ، وهم مكتشفوا الطريقة التجريبية التي تعرف اليوم بالطريقة البيكونية ، وهم واضعوا الهندسة التحليلية والتحليل الرياضي وعلم الجبر والفلك العالي ، ولهم مكتشفات هامة فى الحجوم والمساحات ، وان نصف أسماء النجوم في علم الفلك اليوم هي أسماء عربية وهم واضعوا الاسطرلابات ، وقد بنوا مراصد هامة في مختلف البلدان ولا سيما في الاندلس ، وعندما اهدى الخليفة العباسي ساعة الى شارلمان حسبوا أن فيها جنياً يحركها .

غاية ما هنالك كان الدين والتقوى يرافقان العلم ولا ينفكان عنه ، فالمكتشف كان لو أشكلت عليه مسألة أو عسر عليه اكتشاف مايريد اكتشافه توسل الى الله وصلى ركعاتٍ وسأل الله عز وجل في حل مشكلته ، وهذا مما أدى الى ان لا يكون العلم آلة هدم وتخريب للمعتقدات والفضائل ، بخلاف ما نشاهده فى جامعات العالم اليوم .

وقالوا ان الاسلام يدعو الى الكسل والانزواء ، حين ان الاسلام يأمر بالعمل والجهد المتواصل بشكل لا يؤدي الى الافساد في الارض واهمال النواحي الروحية والعبادية . وهو القائل « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) . إن رسول الله (ص) قبل ذات يوم يد عامل قائلاً : « إنها يد يحبها الله » تقديراً لمقام العامل فى المجتمع . وقد جاء في حديث : « إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حقٍ حقه » .

وفى حديث قال رسول الله (ص) : « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته أو ترك آخرته لدنياه ، بل خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

وقالوا لمَ أقر الاسلام الرق ؟ الاسلام لم يقر الرق وانما نظام الحروب

في العصر الجاهلي كان يحتم ذلك والاسلام قد ألغى الرق بصورة تدريجية في جعل أحد وجوه مصروفات بيت المال عتق الرقاب. بقوله تعالى « وفي الرقاب » .

وقالوا إن الاسلام قام بالسيف ، حين أن الاسلام كان مدافعاً عن مبدئه وان مائتي مليون في الصين واندونيسيا والهند اسلموا بمجرد الدعوة ، وهكذا اضافوا أكاذيب اخرى ، الاسلام منها براء ، ولا مجال لذكرها . فما على المسلمين لا سيما الشباب المؤمن الا أن يقوموا بتطبيق قواعد الاسلام وازاحة هذه الرواسب البعيدة عن الحق والواقع وان يرفعوا لواء الاسلام عالياً بجهاد متواصل ليتحقق ماتنبأ به بعض علماء الغرب من جعل الاسلام ديناً عالمياً ، فلا تسمع في جميع بقاع الأرض الا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

* * *

ليلة الميلاد (١)

ما أبهجها من ليلة وما أسعدها ، انها ليلة حافلة بالخيرات والبركات للناس كافة ، ليلة تضم بين جوانبها رجلاً عظيماً يفوق العظماء ومنقذاً للبشرية جمعاء لا كسائر المنقذين (٢) .

انها ليلة يولد في صبيحتها في بيت الله الحرام سيد الوصيين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين عليٌّ أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام .

أنىّ لانسان عادي أن يصف مَن بلغ مرتبة النبوة كمحمد (ص) أو مرتبة الامامة كعلي (ع) ، إنهما من عوالم القدس ، حيث ليس للمقاييس المادية أن تخطو هنالك خطوة واحدة . إنه عالم تكاملي نفسي ، ولا يمكن تفهم هذا الصُقع الشامخ من عوالم النفس بمقاييس متعارفة بشرية . لذلك يقول الغزالي ، ليس للطفل أن يتفهّم ما يقوم به فيلسوف متبحّر من محاكمات واستنتاجات واستقراءآت . وذلك أشبه شيء بمن يريد تفهم الرياضيات العالية بمقاييس الرياضيات العادية .

فليس علي (ع) من يمكن وصفه بمقاييس معلومة يفهمها الناس ، وانما شأنه شأن الأنبياء (ع) . يمكن التعرف اليه بما صدر عنه من آثار وابداع .

حقاً انه لمن الصعوبة بمكان ، بل من المستحيل أن يقوى أحد على وصف رجلٍ يقول فيه رسول الله (ص) مخاطباً إياه :

« لو كانت السماوات قرطاساً والأشجار أقلاماً والبحار مداداً والانس كتاباً والجن حساباً ، لما أحصوا معشار فضائلك ، يا علي » .

---

(١) القيت ليلة ميلاد الامام علي عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٢) عدا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أنى لرجل أن يصف علياً عليه السلام وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لولا أني أخشى على أمتي أن تقول فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً ما مررت بقوم الا وأخذوا التراب من تحت قدميك يتبركون به » . وهو الذي قال فيه رسول الله : « من اراد ان ينظر الى آدم في علمه والى نوح في عبادته والى ابراهيم في خلته والى موسى في هيبته والى عيسى في زهده والى يحيى في ورعه ، فلينظر الى علي ابن ابي طالب ، فإن فيه سبعين خصلةً من خصال الأنبياء » .

كيف يوصف من يقول فيه رسول الله (ص) على ما يروي لنا عمر : « لو وُضع إيمان علي في كفة والسماوات والأرضون في كفة لرجح ايمان علي » . . .

كيف لا يكون علي كذلك وهو الذي كان يُغمى عليه من خوف الله تعالى كل ليلة مرات . وكان يكتفي بالملح اداماً ، وكان يحمل على ظهره الطعام جوف الليل الى بيوت الأرامل والفقراء . وقد طلق الدنيا ثلاثاً وهو مصداق هذه الآية : « الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » .

فإن قوة إيمان الشخص ليتناسب مع درجة تطهير نفسه وقيامه بأعمال صالحات ، ومَن مثل علي في هذا المضمار ؟ فحقيق ان يقول بشأنه رسول الله (ص) : « برز الايمان كله الى الشرك كله » .

وقد جاء في الحديث : « عبدي اطعني ، اجعلك مثلي تقول للشيء كن فيكون » . ولذلك ظهر على يد علي عليه السلام كثير من المكرمات والمعاجز مما يحيِّر الألباب .

فنهج البلاغة كتاب حوى اصولَ الفلسفة الحقة عن الكون والحياة ومصير الانسان وواقعه واصول الاقتصاد ، حيث لا يضحى بالفرد على حساب المجتمع ولا بالمجتمع على حساب الفرد ، حوى اسس ادارة شؤون البلاد وما

يربط الشعب بالهيأة الحاكمة من حقوق ، فهو كتاب فلسفي ، اجتماعي ، عرفاني ، اقتصادي ، ادبي ، وفيه فصل الخطاب في كل حقل يحتاجه الانسان في سيره التكاملي .

فليس لله بعد رسول الله (ص) آية اكبر من علي (ع) ، في جميع الحقول من علمية وفلسفية وغيرهما .

يسأل علي عليه السلام : عن المسافة بين السماء والأرض ، فيجيب (ع): دعاءٌ مستجاب .

حقاً ، ان هذا الجواب ، آخر ما يمكن أن يقال بشأن هذا الفضاء اللانهائي الرحيب ، فقد اكتشف اخيراً ان هنالك مجرات وكواكب تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية وانها تتباعد بعضها عن بعض بسرعة هائلة وان الكون يتسع كل يوم ولا يُعلم مدى ذلك وهو قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون » . ومعلوم انه لا يخلو مكان منه تعالى وهو القائل : « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » . فقول علي : « دعاء مستجاب » يسري في جميع انحاء هذا الكون الواسع الأرجاء .

ثم يُسأل صلوات الله عليه : كم بين المشرق والمغرب ؟ فيجيب : « مسيرة يوم للشمس » . ولم يكن ليعلم ان للشمس حركة إلا قبل حوالي ٥٠ عاماً حيث تقدمت العلوم الرياضية العالية والميكانيك السماوي والمراقب . فعلموا ان الشمس مع توابعها من عطارد وزهرة وارض ومريخ ومُشتري وزحل واورانوس ونبتون وپلوتو كلها تسير في الفضاء بسرعة سبعين الف كيلومتر في الساعة بشكل لولبي نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع . وهو قوله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

يُسأل عليه السلام عن مسائل رياضية ، فيجيب ارتجالاً دونما حساب وتفكير . يُسأل عن عدد يقبل القسمة على ٢ ، ٣ ، ٤ ... الى ١٠ فيقول

وهو يهمز فرساً له : « إضرب ايام سنتك في ايام اسبوعك » .

يُسأل عن مسائل فيزيائية ، فيحلها بشكل عملي ومعلوم ان علم الفيزياء لم يكن معلوماً في الجزيرة العربية في ذلك الوقت .

يسأل عن قطر الشمس ، فيجيب ، ٩٠٠ في ٩٠٠ ميل اي : ٨١٠ ٠٠٠ ميل ومعلوم ان الميل : ٤٠٠٠ ذراع لرجل متوسط القامة ، فلو حولنا الذراع الى انجات فأقدام ، فياردات ، فأميال ، لحصلنا على عين ما عليه الفلك العالي اليوم من ان قطر الشمس ٨٦٥٣٨٠ ميلا (الميل = ١٧٦٠ ياردة) .

وهكذا نرى علياً قد زق العلم زقاً ، وهو القائل : « هذا لعاب رسول الله هذا ما زقني رسول الله » علمني رسول الله الف باب من العلم ينفتح لي من كل باب الف باب » ٠٠٠ هذا هو تعظيم الاسلام للعلم .

يقول علي عليه السلام : « بالعلم يُعرف الله ويوحَّد » . ويقول في مقام آخر : « كثرة العلم فى غير طاعة الله مادة الذنوب » .

لو قارنا بين هذين الحديثين لعلمنا ان العلم لا يمكن ان يكون موصلاً للحق والواقع وطريقاً للهداية ما لم يكن مقروناً بطاعة الله تعالى ، ما لم يكن مما شيأً مع التقوى . فإن تباعد العلم عن التقوى وصار في معزل عن تهذيب النفس ، اصبح وبالاً على الفرد بل على البشرية جمعاء ، كما نشاهد ذلك اليوم .

فضعف العقائد والاستهزاء بالمقدسات أو تسخيف الدين إنما هي نتيجة ثقافة عارية عن أساليب تكامل النفس وتهذيبها وتطهيرها من الدنس والرجس . ولم يكن شيوع المذاهب الباطلة من مادية ووجودية وغيرهما في أوروبا وغير أوروبا الا نتيجة انفصال العلم عن تكامل النفس الانسانية وجعل العلم المادي وحده معبوداً يُعبد ، حلالاً للمشكلات الاجتماعيـة والنفسية وغيرهما .

على أن عدداً يسيراً من رجال الفكر في أوروبا أخذوا ينددون بهذه الحضارة المادية التي لا تنبض الا بشهوات ونزوات ، ولا تصدر الا عن مادية

مظلمة حالكة . ولكن تيارات الشهوات الجارفة لم تدع أذناً صاغية لنداءاتهم ، حتى صرنا نجابه عالماً مسلوب الفضيلة والعاطفة شأنه الطيش والبطش .

فما الذي يُرجع العالم الى طمأنينة ودعة ، انما هو علم يمازجه التقوى ، يمازجه عبادة الله في أرضـــه ، إنما هو علم مع إيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فالعالم بحاجة الى هُداة مهديين يهدون الناس سواء السبيل ، فقد قال علي عليه السلام : « أرسل رسولاً ليزيل به علتهم » . فالناس مرضى والأنبياء عليهم السلام ومن بعدهم الأوصياءهم المعدلون .

ويقول علي (ع) في موضع آخر : « أرسل أنبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ويهدوهم الى معايش تحييهم » . فالأنبياء مع إتمامهم مكارم الاخلاق ليحثون الناس على تعلم شتى العلوم ويهدونهم الى طرق اقتصاديـة تتحقق فيها العـدالة الاجتماعية والإيثار . « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ، اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » .

فما واجب المسلم تجاه الوضع العـالمي الراهن ؟ عالم يسوده الزيغ والانحراف . واما في الوطن الاسلامي ، فتيارات مختلفة تجرف عقائد شبابنا وتجعل منهم أعداءً لدينهم ومقدساتهم .

فهنا واجبان خطيران : أولاً : هداية الشباب بطرق عصرية مجدية من فتح نوادٍ اسلامية بشكل جذاب وإلقاء محاضرات عليهم وتفهيمهم : أن الاسلام هو دين الحضارة الحقة وتعليمهم آداب دينهم . فالشاب المسلم يقضي أوقات فراغه في هذه النوادي لتهذيب نفسه وأخذها الى مراتب الكمال ويتعلم كيف يرشد الناس الى الدين القويم .

ثانياً : أن ينبري ثلة من رجالات الاسلام لتشكيل جمعية ذات فروع

تأخذ على عاتقها تهيئة دعاة للاسلام من الشباب المؤمن . دعاة تسلحوا بسلاح التقوى وسلاح العلم من ديني وعصري ، فيوزعون في أرجاء العالم لدعوة البشر الى دين الاسلام تحت نظام خاص ومناهج منظمة ومسؤوليات معينة . وهكذا يستنير العالم بهداهم ويكون الإسلام دين الفطرة ديناً عالمياً كما تنبأ (برناردشو) من قبل .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا وان الله لمع المحسنين » .

فالى العمل ، الى العمل المتواصل أدعو كل مسلم غيور .

* * *

مسألة رياضية يحلها علي عليه السلام

قال السيد الداماد في بعض مؤلفاته في كتاب قبس الأنوار في الأوفاق الحروفية والعددية : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول بالحروف وكان أحسن الناس ، ثم نقل هذه الرواية : أن يهودياً أتاه ، فقال : يا علي ، أعلمني أي عدد يتصحح منه الكسور التسعة جميعاً من غير كسر وكذلك من كل من كسوره التسعة الا من خمسة ، فيكون له كل من الكسور التسعة مصححاً من غير كسر الا : الثمن لربعه والربع لثمنه والسبع لسبعه والتسع لتسعه والثمن لثمنه ، قال عليه السلام : إن أعلمتك تسلم ؟ قال : نعم . فقال : إضرب اسبوعك في شهرك ، ثم ما حصل لك في أيام سنتك ، تظفر بمطلوبك . فضرب اليهودي سبعة في ثلاثين فكان المرتقى : (٢١٠) ، فضرب ذلك في ثلاثمائة وستين ، فكان الحاصل : (٧٥٦٠٠) . فوجد بغيته ، فأسلم .

حلٌ وتوضيح : بما انه يجب ان يكون للنصف ، نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع وعشر . إذن يجب ان يكون للعدد المطلوب $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} = \frac{1}{4} = 1/2^2$.

اي يجب ان يقبل العدد القسمة على $2 \times 2 = 2^2$. ويجب ان يقبل القسمة على 2×3 لانه يجب ان يكون للنصف ثلث اي $\frac{1}{2} \times 1/3 = 1/6$. اي يجب ان يكون للعدد سدس .

وهكذا يجب ان يكون لنصف العدد المطلوب ربع اي : $\frac{1}{2} \times \frac{1}{4} = 1/8$. فيجب ان يقبل العدد القسمة على : $2 \times 4 = 2^3$ وعلى 2×5 وعلى $2 \times 6 = 2 \times 2 \times 3$ او $2^2 \times 3$.

وعلى ٢ × ٧ (أ)

وعلى ٢ × ٨ = ٢ × ٢٣ = ٢٤

وعلى ٢ × ٩ = ٢ × ٣٢

وعلى ٢ × ١٠ = ٢ × ٢ × ٥ = ٢٢ × ٥

وبما انه يجب أن يكون لثلث العدد نصف وثلث وربع ... وعشر فيجب ان يقبل القسمة على : ٣ × ٢ = ٣ × ٢ (لأنه ١/٣ × ١/٢ = ١/٦)

وعلى ٣ × ٤ = ٣ × ٢٢ (ب)

وعلى ٣ × ٥ = ٣ × ٥

وعلى ٣ × ٦ = ٣ × ٣ × ٢ = ٢ × ٢٣

وعلى ٣ × ٧ = ٣ × ٧

وعلى ٣ × ٨ = ٣ × ٣٢

وعلى ٣ × ٩ = ٣ × ٣٣

وعلى ٣ × ١٠ = ٣ × ٢ × ٥

وبما انه يجب أن يكون لربع العدد نصف وثلث وربع وخمس ... الخ . (١/٤ × ١/٢ = ١/٨) .

اذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٤ × ٢ = ٢٢ × ٢ = ٣٢

وعلى ٤ × ٣ = ٢٢ × ٣

وعلى ٤ × ٤ = ٢٢ × ٢٢ = ٤٢ (ج)

وعلى ٤ × ٥ = ٢٢ × ٥

وعلى ٤ × ٦ = ٢٢ × ٢ × ٣ = ٣٢ × ٣

وعلى ٤ × ٧ = ٢٢ × ٧

وعلى ٤ × ٨ = ٢٢ × ٣٢ = ٥٢

وعلى ٤ × ٩ = ٢٢ × ٣٢

وعلى ٤ × ١٠ = ٢² × ٢ × ٥ = ٥ × ٣²

وبما انه يجب أن يكون لخمس العدد نصف وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ . ولما كان (١/٥ × ١/٢ = ١/١٠) .

اذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٥ × ٢

وعلى ٥ × ٣

وعلى ٥ × ٤ = ٥ × ٢²

وعلى ٥ × ٥ = ٥²

وعلى ٥ × ٦ = ٥ × ٢ × ٣ (د)

وعلى ٥ × ٧ = ٧ × ٥

وعلى ٥ × ٨ = ٥ × ٣²

وعلى ٥ × ٩ = ٥ × ٣²

وعلى ٥ × ١٠ = ٥ × ٥ × ٢ = ٢ × ٥² ٢

وبما انه يجب أن يكون لسدس العدد نصف وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ .

اذن وجب ان يقبل العدد القسمة على ٦ × ٢ = ٢ × ٣ × ٢ = ٣ × ٢²

وعلى ٦ × ٣ = ٢ × ٣ × ٣ = ٢ × ٣²

وعلى ٦ × ٤ = ٢ × ٣ × ٢² = ٣ × ٣²

وعلى ٦ × ٥ = ٢ × ٣ × ٥ (ه)

وعلى ٦ × ٦ = ٢ × ٣ × ٢ × ٣ = ٣ × ٢² × ٣²

وعلى ٦ × ٧ = ٢ × ٣ × ٧

وعلى ٦ × ٨ = ٢ × ٣ × ٣² = ٣ × ٢⁴

وعلى ٦ × ٩ = ٢ × ٣ × ٣² = ٢ × ٣³

وعلى ٦ × ١٠ = ٢ × ٣ × ٢ × ٥ = ٥ × ٣ × ٢²

وبما أنه يجب أن يكـــون لسبع العدد نصف وكـذلك ثلث وربـــع وخمس ... الخ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٧ × ٢

وعلى ٧ × ٣

وعلى ٧ × ٤ = ٧ × ٢^٢

وعلى ٧ × ٥ (و)

وعلى ٧ × ٦ = ٧ × ٢ × ٣

وعلى ٧ × ٧ = ٧^٢

وعلى ٧ × ٨ = ٧ × ٢^٣

وعلى ٧ × ٩ = ٧ × ٣^٢

وعلى ٧ × ١٠ = ٧ × ٢ × ٥

وبمـا أنه يجب أن يكون لثمن العـدد نصفٌ وكذلك ثلث وربـــع وخمس ... الخ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٨ × ٢ = ٢ × ٢^٣ = ٢^٤

وعلى ٨ × ٣ = ٣ × ٢^٣

وعلى ٨ × ٤ = ٢^٢ × ٢^٣ = ٢^٥

وعلى ٨ × ٥ = ٥ × ٢^٣ (ز)

وعلى ٨ × ٦ = ٦ × ٢^٣ = ٣ × ٢^٤ × ٣

وعلى ٨ × ٧ = ٧ × ٢^٣

وعلى ٨ × ٨ = ٨ × ٢^٣ = ٢^٦

وعلى ٨ × ٩ = ٩ × ٢^٣ = ٣^٢ × ٣

وعلى ٨ × ١٠ = ١٠ × ٢^٣ = ٥ × ٢ × ٢^٤ × ٥

وبما أنه يجب أن يكون لتسع العدد نصف وكذلك ثلث وربع ... الخ

دون باقٍ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على $٩ \times ٢ = ٢ \times ٢^{٣}$

وعلى $٩ \times ٣ = ٣ \times ٢^{٣} = ٣^{٣}$

وعلى $٩ \times ٤ = ٢^{٣} \times ٢^{٢}$

وعلى $٩ \times ٥ = ٥ \times ٢^{٣}$ (ح)

وعلى $٩ \times ٦ = ٣ \times ٢ \times ٢^{٣} = ٢ \times ٣^{٣}$

وعلى $٩ \times ٧ = ٧ \times ٢^{٣}$

وعلى $٩ \times ٨ = ٣٢ \times ٢^{٣}$

وعلى $٩ \times ٩ = ٢^{٣} \times ٢^{٣} = ٤^{٣}$

وعلى $٩ \times ١٠ = ٥ \times ٢ \times ٢^{٣}$

وبما أنه يجب أن يكون لعشر العدد نصفٌ وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على $١٠ \times ٢ = ٢ \times ٥ \times ٢ = ٥ \times ٢^{٢}$

وعلى $١٠ \times ٣ = ٢ \times ٥ \times ٣$

وعلى $١٠ \times ٤ = ٢ \times ٥ \times ٢^{٢} = ٥ \times ٣٢$

وعلى $١٠ \times ٥ = ٢ \times ٥ \times ٥ = ٢ \times ٢٥$ (ط)

وعلى $١٠ \times ٦ = ٢ \times ٥ \times ٢ \times ٣ = ٣ \times ٥ \times ٢^{٢}$

وعلى $١٠ \times ٧ = ٢ \times ٥ \times ٧$

وعلى $١٠ \times ٨ = ٢ \times ٥ \times ٣٢ = ٥ \times ٤٢$

وعلى $١٠ \times ٩ = ٢ \times ٥ \times ٢^{٣}$

وعلى $١٠ \times ١٠ = ٢ \times ٥ \times ٢ \times ٥ = ٢٥ \times ٢^{٢}$

فالمضاعف المشترك البسيط لجميع هذه الاعداد هو :

$$٦٢ \times ٤٣ \times ٢٥ \times ٢٧ = ٦٤ \times ٨١ \times ٢٥ \times ٤٩ = ٦٣٥٠٤٠٠$$

فلو رجعنا الى حل المسألة كما في المنطوق وقمنا بالعملية الآتية :

٧ × ٣٠ × ٣٦٠ (عدد ايام الاسبوع فى عدد أيام الشهر في عدد أيام السنة)

٣٠ = ٢ × ٣ × ٥

٣٦٠ = $٣^{٢}$ × $٢^{٣}$ × ٥

إذن : ٧ × ٣٠ × ٣٦٠ = ٧ × ٢ × ٣ × ٥ × $٣^{٢}$ × $٢^{٣}$ × ٥

٧ × $٢^{٤}$ × $٣^{٣}$ × $٥^{٢}$ = ٧٥٦٠٠

فلا يوجد في حاصل الضرب الأخير $٢^{٦}$ أو $٣^{٢}$ × $٣^{٢}$ = ٨ × ٨

فلا يكون له ثمن الثمن (كما هو منطوق المسألة)

ولا يوجد في حاصل الضرب الأخير ٩ × ٩ = $٣^{٢}$ × $٣^{٢}$ = $٣^{٤}$

إذن لا يكون له تسع التسع (كما في المنطوق) ولا يوجد في حاصل الضرب الأخير ٤ × ٨ = $٢^{٢}$ × $٣^{٢}$ = $٥^{٢}$ = $٣^{٢}$ × $٢^{٢}$ = $٥^{٢}$

إذن لا يكون له ربع الثمن أو ثمن الربع (كما في المنطوق) ولا يوجد في حاصل الضرب الأخير ٧ × ٧ = $٧^{٢}$.

إذن لا يكون له سبع السبع . (كما في المنطوق)

فطريقة الحل : أن يؤخذ المضاعف المشترك البسيط للنتائج الأخيرة ، (أ) ، (ب) ، (ج) ، (د) ، (هـ) ، (و) ، (ز) ، (ح) ، (ط) ، فيكون هذا المضاعف = $٢^{٦}$ × $٣^{٤}$ × $٥^{٢}$ × $٧^{٢}$.

وبما أنه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب سبع السبع ، ١/٧ × ١/٧ = $١/٧^{٢}$

إذن وجب أن يكون أس ٧ في المضاعف المشترك البسيط واحداً اي لا يكون هناك العامل $٧^{٢}$

وبما انه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب تسع التسع أو ١/٩ × ١/٩ أو ١/$٢^{٣}$ × ١/$٢^{٣}$ = ١/$٤^{٣}$ ، إذن وجب أن يكون أس ٣ في المضاعف المذكور ٣ أي يجب ان يكون العامل $٣^{٣}$

وبما انه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب ربع الثمن أو ١/٤ × ١/٨ أو

$١/٢٢ \times ١/٣٢ = ١/٥٢$ إذن وجب أن ينزل أس ٢ الى ٤ فيكون ٤٢ في المضاعف المشترك البسيط . لأن العدد لا يقبل القسمة على ٥٢ او لا يكون له ربع الشمن ما لم يكن أحد عوامله ٥٢ وكذا الحال في ثمن الربع = $١/٨ \times ١/٤ = ١/٣٢ \times ١/٢٢ = ١/٥٢$.

وبصورة طبيعية لا يكون للعدد المذكور : أي (٧٥٦٠٠) ثمن الشمن ، ذلك لأنا نزلنا أس ٢ الى ٤ أي جعلناه ٤٢ والعدد لا يكون له ثمن الشمن = $١/٨ \times ١/٨ = ١/٣٢ \times ١/٣٢ = ١/٦٢$ ما لم يكن فيه العامل ٦٢ وقد حذفناه بجعل الأس ٢ ، ٤ (أربعة) .

فتكون العوامل للعدد المطلوب ايجاده كما يلي :

$٧ \times ٤٢ \times ٣٣ \times ٢٥ = ٧ \times ٥ \times ٣ \times ٢ \times ٣٢ \times ٢٣ \times ٥ =$

$٧ \times ٥ \times ٣ \times ٢ \times ٨ \times ٩ \times ٥ = ٧ \times ٣٠ \times ٣٦٠ = ٧٥٦٠٠$

وهو حاصل ضرب أيام الاسبوع في أيام الشهر ثم في أيام السنة . كما قال به الامام عليه أفضل الصلاة والسلام .

ميلاد الزهراء عليها السلام (١)

ما ابهجها من ليلة ، انها ليلة يُحتفى فيها بذكرى ميلاد سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها . فإنها كانت قد بلغت من الكمال اوجاً قاصياً . كان يحبها رسول الله (ص) حباً جماً . فاذا دخلت عليه قام لها واجلسها في مجلسه ، واذا قصد سفراً كان آخر الناس عهداً به فاطمة واذا قدم من سفر اتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنّى بفاطمة (ع) ثم يأتي ازواجه . وهكذا كانت فاطمة عليها السلام موضع حفاوة رسول الله (ص) . فقد روى كل من البخاري ومسلم والترمذي عن النبي (ص) انه قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء الا مريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » .

ذلك لأن النساء من حيث الطاقات اقل من الرجال كما يقول ذلك العالم الاجتماعي (بردون) . إنه يقول : « إن الحياة الاجتماعية تتألف من طاقات ثلاث : العلم والعمل والعدالة . وان نسبة طاقات الرجل الى طاقات المرأة كنسبة ٣ الى ٢ اي ٣/٢ ، فللعلم ٣/٢ ، وللعمل ٣/٢ ، وللعدالة ٣/٢ . إذن ٣/٢ × ٣/٢ × ٣/٢ = ٢٧/٨ فيُعلم من هاهنا أن نسبة طاقات الرجل الى المرأة كنسبة ٢٧ الى ٨ أي : ٢٧/٨ .

يقول الله تبارك وتعالى : « الرجال قوامون على النساء » وفي آية أخرى : « وللرجال عليهن درجة » .

---

(١) القيت هذه الكلمة في حفلة اقيمت من قبل الطلاب الجامعيين احياءً لذكرى ميلاد سيدة النساء (ع) في ٢٠ ج ٢/١٣٨٢ في الكاظمية .

ومما لا مراء فيه ان التكامل العلمي انما كان من قبل الرجال ، وإن عقول الرجال هي التي جاءت بهذه الكتلة من المكتشفات والمخترعات والنظريات فلم تنبغ امرأة في العلوم العقلية وفي المكتشفات الرياضية والفلكية والفيزيائية الى ما هنالك الا (مادام كوري) : استاذة الفيزياء في جامعة (صوربون) . فقد جاءت بنظرية الاشعاع حين أخفت في جيبها قطعة من الراديوم كانت قد علمت وزنها قبلاً . وقد أكمل الفيزياويون هذه النظرية حتى بلغوا الى تحطيم الذرة ودستور اكتشفه (آينشتاين) ط = ك ع ٢ .

أي أن الطاقة التي ادخرها الله تعالى في بطن الذرة تعادل مربع سرعة الضوء مضروباً في الكتلة . وما أعظم هذه الطاقة . فليتق الانسان ربه عندما يشاهد ما أودع الله في هذا الكون من طاقات هائلة تحيِّر الألباب .

سادتي ، ان العالم بأجمعه عالم كمال في الحياة المادية . فلو أبصرتم ما في بطن الذرة من كمال وما أودع الله من كمال فائق في كل جزء من أجزاء هذا الكون الرحيب ، لعلمتم ان ما من شيء في هذا العالم المادي الا وقد بلغ أقصى مراتب الكمال . وان هذا الانسان بغروره وخيلائه لهو شيء ضئيل وضئيل جدا في هذا الكون اللانهائي .

وقد يكون الانسان مغروراً بمركزه في هذا الكون . ولكن شمسنا هذه التي هي أكبر من أرضنا هذه ١ ٣٠٠ ٠٠٠ مرة تقريباً ما هي الا نجم متوسط الحجم من نجوم مجرَّة (درب التبانة) التي يبلغ عددها مئة الف مليون نجم تقريباً . وليست شمسنا هذه ومع الأسف واقعة في منتصف هذه المجرة الكبيرة جداً ولكنها واقعة قرب الطرف على الحافة تقريباً في موقع مدحور ، ليس من العظمة في شيء .

وأعظم من هذا فقد علم الفلكيون أن هناك من (المجرات) في الكون بعدد النجوم الموجودة في مجرتنا هذه : (درب التبانة) . إذن ماقيمة هذا

الانسان المغرور بنفسه في هـذا الكون الرحيب الذي لا يمكن الوصول الى غوره وأعماقه . هذا الكون الذي كلما كملت آلات الرصد والعلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية عثروا فيه على شموس ومجرات وسُدم أخرى تدهش العقول والألباب .

والانسان وهو على سطح الأرض يتحرك بحركات شتى . انه يتحرك مع سطح الأرض حين تدور حول نفسها وسرعتها باتجاه دورانها تبلغ ربع الميل في الثانية أي (٩٠٠ ميل في الساعة) اذا كان على خط الاستواء وأقل من ذلك كلما قارب القطبين .

والانسان يتحرك مع الأرض نفسها في دورتها السنوية حول الشمس والأرض تسير فى حركتها هـذه بسرعة ١٨٫٥ ميلاً في الثانية أي ثلاثين كيلو متراً في الثانية .

والشمس وكواكبها تسير في هذا الكون الرحيب بالنسبة الى جاراتها النجوم ، بسرعة هائلة (٧٢٠٠٠) كم / ساعة على شكل لولبي نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم » .

وان الشمس كما قلنا هي نجم من نجوم مجرّة « درب التبانة » وهذه كالمجرات الأخرى تدور حول نفسها بسرعة هائلة وشمسنا تدور معها طبعاً ونحن ندور مع أرضنا أيضاً وسرعة مجرتنا هذه حين دورانها حول نفسها مائة وعشرون ميلاً في الثانية أي : ٤٣٢٠٠٠ ميل/ساعة .

وان المجرات تتباعد بعضها عن بعض بسرعة هائلة ، بسرعة تتراوح بين (٦٠٠ — ٤٠٠٠٠) ميل / ثانية فيتسع هذا الكون يوماً بعد يوم ويتحقق قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » .

فما هي قيمة الانسان في هذا الكون الفسيح ان هو لم يعبد الله تبارك وتعالى ولم يخشع ولم يقم بأعمال صالحات تطهيراً لنفسه وابلاغها مراتب

الكمال . وهل يحق للانسان أن يغتر بنفسه لأن الله منّ عليه فعرّفه شيئاً ضئيلا مما أودع من كمال في هذا الكون . وهل كان للانسان دخل في سير الشموس والمجرات وفي صنع الذرة !

« ياأيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ماشاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » (١) .

ليفكر الانسان في ما أودع الله من دساتير رياضية ومعادلات عميقة تربط أجزاء هذا الكون بعضها ببعض بكمال فائق ما بعده كمال ، وكيف أن هذا الكون إنما هو مجموعة قوى وطاقات كهربائية ومغناطيسية وجاذبية وأنه لا مجال للمادة (بالمعنى الذي يقوله الماديون) فيه وكيف ان الله تعالى يسيّر الألكترون في بطن الذرة (هذه التي لا يمكن أن ترى، بأدق الآلات) بسرعة ٢٠٠٠ كم في الثانية حول النواة : البروتون ، وأن قطر نواة الذرة = ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ر٠ مم أي واحداً من ترليون جزء من الميليمتر . وكيف أن الله تعالى جعل البروتونات وهي كهربائية موجبة متماسكة بعضها مع بعض بطاقات هائلة لو تحررت اهلكت كل ما حواليها الى مسافات شاسعة ، ليفكر الانسان في هذا الكمال الذي أودعه الله في كل ما خلق من عوالم شتى : عالم الجماد والنبات والحيوان ، ليرى ان هنالك كمالين : كمالاً قسرياً نشاهده في الذرة وفي الشمس والقمر والكواكب والمجرات والنيازك والسدم والغاز الكوني : هيدروجين ، وكمالاً تدريجياً اختيارياً لهذا الانسان الناقص ، الذي لابد له أن يتكامل وان يقطع سيره التكاملي . ذلك : لأن الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا يصدر منه الا (الكمال) . فإما كمال قسري وهذا ما نشاهده في الذرة وغير الذرة وكمال تدريجي اختياري لهذا الانسان على لسان الأنبياء

(١) سورة الانفطار : ٦ - ١٢ .

والأوصياء عليهم السلام .

فالأنبياء والأوصياء معصومون من الزلل وهم قدوة للكمال البشري . وقد جعل الله تعالى للنساء قدوةً من النساء الصالحات ، وان فاطمة الزهراء سيدة النساء الكاملات . بل هي قدوة للرجال وللبشر أجمع . كيف لا تكون كذلك وهي التي عبدت الله تبارك وتعالى حتى تورمت قدماهـا . يقول الحسن (ع) رأيت فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تزل راكعةً ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء . فقلت لها ألا تدعين لنفسك . فقالت : يابُني ، الجار ثم الدار . وهي التي أوصت أن توضع في كفنها قارورة كانت قد جمعت فيها بعض ما ذرفت من الدموع خوفاً من الله تعالى

ونراها تبذل ما لديها في سبيل الله تعالى لتحكيم دعائم الاسلام . فقد روى أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) رأى ذات يوم مِسحاً (وهو كساء معروف) على باب دار فاطمة ورأى على الحسن والحسين قُلبين (أي سوارين) من فضة فرجع ولم يدخل عليها . فظنت أنه لأجل ما رأى . فهتكت الستر ونزعت القلبين عن الصبيين فقطعتهما ، فبكى الصبيّان ، فقسمته بينهما . فانطلقا الى رسول الله (ص) وهما يبكيان ، فأخذه رسول الله منهما وقال : « ياثوبان ، إذهب بهذا الى بني فلان ، واشترِ لفاطمة قلادة من عَصب (هو سن دابة بحرية) وسوارين من عاج . فإن هؤلاء أهل بيتي ، ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا » .

وروى الصدوق في الأمالي : قال : كان النبي (ص) اذا قدم من سفره بدأ بفاطمة ، فدخل عليها ، وأطال عندها المكث . فخرج مرة في سفره . فصنعت فاطمة مِسكتين من ورق (أي فضة) وقلادة وقرطين وستراً للباب لقدوم أبيها وزوجها . فلما قدم رسول الله (ص) دخل عليها . فوقف أصحابه

على الباب . فخرج عليهم وقد عرف الغضب فى وجهه ، حتى جلس عند المنبر . فظنت فاطمة أنه انما فعل ذلك لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر . فنزعت ذلك وبعثت به الى رسول الله (ص) وقالت للرسول ، قل له : « تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول إجعل هذا في سبيل الله » . فلما أتاه ، قال : « فعلت فداها أبوها » ثلاث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، لو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء ، ثم قام ، فدخل عليها . .

يأتي رجل من مهاجرة العرب الى رسول الله وهو في المسجد ، فيقول : إني جائع الكبد فأطعمني وفقير فأغنني وعاري الجسد فاكسني . . فيقول له رسول الله (ص) : « ما أجد لك شيئاً . ولكن الدال على الخير كفاعله انطلق الى ابنتي فاطمة » . وأمر بلالا ، فوقف به على منزل فاطمة (ع) فنادى بأعلى صوته : « السلام عليكم ياأهل بيت النبوة ومختلف الملائكة . يابنت محمد إني عاري الجسد ، جائع الكبـــد . فارحميني يرحمك الله » . وكان علي وفاطمة ثلاثاً ما طعموا طعاماً . . فتعمد فاطمة الى جلد كبش مدبوغ كان ينام عليه الحسنان وتعطيه الشيخ قائلة : « عسى الله أن يتيح لك ما هو خير منه » . فيقول الشيخ : « أنا شكوت اليك الجوع فناولتني جلد كبش . فما أنا صانع به مع ما أجد من السغب » فتعمد فاطمه (ع) الى عِقد في عنقها ، أهدته اليها فاطمة بنت عمها حمزة . فتقطعه من عنقها وتنبذه الى الأعرابي . وتقول : « خذ وبعه ، فعسى الله أن يعوضك بما هو خير لك منه » . فتُقضى حاجة الرجل ويرجع الى أهله موفورا .

كيف لا تكون فاطمة امرأة قد بلغت غاية الكمال . فإن رسول الله قد دخل عليها ذات يوم فرأى عليها كساءً من أجلال الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (ص) ، فقال : « يابنتاه تعجلي مرارة

الدنيا بحلاوة الآخرة » فقالت : « يارسول الله ، الحمـد لله على نعمائه والشكر على آلائه » . فأنزل الله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

انظروا الى هذا الكمال الرائع الذي نشاهده عند فاطمة الزهراء سلام الله عليها . ذلك أن رسول الله (ص) يسأل ذات يوم نساء المدينة : ماهو أفضل شيء للمرأة . فتأتي الأجوبة ، وبينها من تقول : « أفضل شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل » . فيعلم رسول الله أن هذا الجواب إنما هو من بنته فاطمة الزهراء (ع) . فيقول (ص) : « ذرية بعضها من بعض » .

كل ذلك . لأن اختلاط الجنسين يؤدي الى فساد في الأرض والفساد يزيح الايمان ! . وهو قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » . « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » . وقد قال تعالى : « وحقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » .

وهكذا يعمل الفسق في إزاحة الايمان ، حتى جاء في الحديث : « النظرة سهم من سهام إبليس لعنه الله ، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يرى حلاوته في نفسه » . لذلك يكره (كما جاء في الحديث) أن يجلس الرجل حيث جلست المرأة قبل أن يبرد محلها .

سادتي ، إن أوروبا بمجونها وشهواتها ونزواتها ومجالس الرقص فيها ترجع القهقرى ، إنها ترجع الى جاهلية جهلاء . وإن هذه الحضارة كما قال بذلك كبار علمائها آئلة الى انهيار عاجل .

فاذا رأينا ان امرأة امريكية تأتي الى باريس وتقف في وسط شارع (شانزيليزه) ، تنزع ما عليها من ثياب وتصبح عارية وتمشي في الشارع لترى الناس ما بلغت أمريكا من الحرية ، أو اذا رأينا أن البنات يختطفن الشبان في سوئد واذا رأينا ان لا بأس بما يحدث في السيارة في ايطاليا في

شارع عام بين الرجل والمرأة ما دام هناك ستار ، واذا رأينا ان الناس يَنزو بعضهم على بعض علانية على سواحل البحار وضفاف الأنهار وخلف الاشجار بل على قارعة الطريق ! واذا رأينا أن الفتاة لها أن تعمل ما تشاء قبل الزواج . فإنما نرى ما كان عليه البدائيون قبل بعثة الرسل ، وما عليه الآن القبائل المتوحشة من تقديم الرجل زوجته الى ضيفه ليلاً ومن أن البنت لها أن تتصل بمن تشاء اذا بلغت الخامسة من عمرها وان تقدم البنت ليلة زفافها الى المدعوين واحداً بعد آخر . أو الى رئيس القبيلة أو الملك حتى يأتي بعد ذلك دور الزوج ! ! ! . .

فوظيفة الشاب المؤمن أن يقوم بجد بالغ لنشر الدعوة الاسلامية وانقاذ البشرية مما ألمَّ بها من جاهلية جهلاء . وحري بجميع المؤمنين الأثرياء أن يقوموا بتأسيس أندية للشباب في كل بلد اسلامي ، لكي يجتمع الشباب المؤمن في هذه الأندية في أوقات الفراغ فيتعلم فيها مبادىء الدين الاسلامي ، وتفسير القرآن وشيئاً من الفقه والحديث ، ويجب أن تضم هذه الأندية قاعةً كبيرة للصلاة وقاعة للمحاضرات ومكتبة اسلامية وساحة للالعاب المشروعة التي تقوي العضلات وتجعل الشاب المؤمن قوياً في جسده . . فقد قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . وأهمها قوة الأبدان ...

فكم من شبان كانوا سبباً لإسلام كثيرين . فهذه اليابان متعطشة الى مبلغين ودعاة يدعونهم الى الدين الحنيف وهكذا في أوساط إفريقيا وفي أمريكا وأوروبا .

ونحن نرى والحمد لله تقدماً محسوساً بين الشباب في التوجه الى الاسلام والقيام بجهاد ملموس في خدمة الدين .

وهل سمعتم قبل هذا أن شبانا جامعيين وغير جامعيين يقيمون حفلة كبرى إحياءً لذكرى سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها أو

يقومون بإقامة الصلاة في كليات جامعة بغداد . ككلية الهندسة والعلوم والآداب والتربية . . . وهل سمعتم شباناً أخذوا على عواتقهم أن يضحوا بالنفس والنفيس في سبيل نشر الدعوة الاسلامية في أصقاع الأرض ليرفعوا لواء الاسلام عالياً ، فيعم الدين الاسلامي الأرض كلها فيكون الاسلام ديناً عالمياً كما تنبأ بذلك (برناردشو) قبل سنين .

فجزاكم الله أيها الشبان المجاهدون عن الاسلام خيراً . فأنتم القدوة الصالحة ، يقتدى بكم فى بقاع الأرض ، في الجامعات وغيرها من المعاهد . فالاسلام لكم واليكم ، فهبوا مضحين . فلا شيء أثمن في هذا الكون من أن يأخذ شاب بيد شاب آخر يهديه الى صراط الله القويم . ففي هذه الهداية حياة خالدة هنيئة تهديها أنت لأخيك الشاب . انه تعالى يقول :

« ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يُحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه اليه تحشرون » .

كيف ننقذ الشباب

لاقيت في الليلة الماضية رجلاً فاضلاً ، فقلت له : قد قمنا بتنظيم للشباب المؤمن الذي يحضر لسماع المحاضرات الدينية ، ليالي الجمعة وليالي السبت ، فشكلنا منهم لجنة باسم : لجنة التنظيم ، ولجنة باسم : لجنة الثقافة الدينية ، ولجنة باسم : لجنة الارشاد والتبشير ، وسوف نشكل لجاناً أخرى تعمل كل لجنة في حدود واجباتها بإخلاص ، وتبذل طاقاتها وأوقات فراغها في صقع نافع أمين لخدمة هذا الدين ، تقدم كل لجنة تقريراً شهرياً عن أعمالها وفعالياتها وتنقبل الاعتراضات والاقتراحات وتعمل على معالجتها وتحقيقها .

فأجاب قائلاً : ليس هذا بعمل مجدٍ ، وانما علينا أن لا نرسل أولادنا الى المدارس الحديثة ، كي لا ينحرفوا ، وكان معنا رجل فاضل كان قد عرك الحياة الى حدٍّ ما ووقف على الوضع الراهن ، فقال له : هذا علاج سلبي ، يُنجي بعض الأفراد من الانزلاق . ولكن هل تمكنت أنت أن تمنع ولدك من أن يذهب الى المدارس الحديثة . قال : كلا ، فقال : ففي أي صف هو الآن ؟ أجاب : إنه في الخامس العلمي . قال : ان كنت أنت مع اهتمامك بالموضوع لا تقوى على ردع ولدك من الذهاب الى المدارس الحديثة ، فكيف بالآخرين ؟ ! . ثم ما هي المعاهد التي نرسل اليها أولادنا لننقذهم من الجهل . هل هناك مدارس تُعنى بشؤون الطلاب الدينية والروحية والعلمية بصورة جديـــة وبأسلوب حديث كي نرسل أولادنا اليها ؟ وكم مقـــدار الميزانية (الأموال) التي يجب أن تبذل لفتح عددٍ كافٍ من هذا النوع من المدارس ؟ ثم من أين نجد المعلمين والمدرسين ؟ ألسنا نستخدم نفس

هؤلاء المدرسين الذين درسوا في المدارس الحديثة حتى انك اذا قمت بتأسيس روضة للأطفال وأردت ان تربيهم مُذ نعومة أظفارهم بأسلوب ديني صحيح تكاد لا تجد بالمقدار الكافي معلمات غير متبرجات ، مصليات ، متزنات ، عاملات بالنصوص الدينية ومع ذلك حاملات شهادة تخولهن ليكن معلمات في الروضة . ذلك لأن الأنظمة الحاضرة لا تسمح للمرأة ولا للرجل أن يقوم بمهمة التعليم حتى في الروضة ما لم يكن حاملاً شهادة تؤهله للتعليم . فكل شيء أصبح تحت نظام وقانون من قبل الحكومات الحاضرة . ثم إن الانسان يجب أن لا يخرج عن واقع الحياة وان يستفيد من التجارب الماضية خلال ٥٠ سنة خلت . أي منذ أن تأسست المدارس الحديثة في الأقضية .

ثم لو كان منع الطلاب من الدخول الى المدارس أي لو كانت هذه المقاومة السلبية ناجعة لما بلغ عدد الطلاب هذا المبلغ الضخم ، بحيث ان البناية الواحدة تشغل في اليوم ثلاث مرات من قبل ٣ مدارس مختلفة بشعبهـــا الكثيرة . وان بعض المدرسين ليدرِّس في الاسبوع ٤٠ ساعة لعدم كفاية المدرسين .

فأني لك أن تصد هذه الرغبة الملحة التي هي وليدة الحاجة وضرورة الانطباق مع مقتضيات العصر وتحصيل الخبز والراحة الى ما هنالك .

فقال: ان هذه المدارس تذهب بالعقيدة وتولد الإلحاد ولكن الابتعاد عنها قد يؤدي الى عدم تطبيق النصوص الدينية برمتها ولكنه لا يؤدي أبداً الى الالحاد .

فقلت له : ان التجارب قد برهنت ان بعض التيارات الجارفة جرف بعض العوام الذين لم يداوموا في المدارس وتخلوا عن كل ما لديهم من مقدسات وعقائد وتسافلوا الى أسفل سافلين . وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان التربية الدينية كانت تربية سطحية غير مستندة الى الدليل والبرهان ولم

تكن راسخة فى النفوس الى حد لا تزعزعها التيارات الالحادية الجارفة ، فإن المنحرفين لهم فعالياتهم ومنظماتهم وجهودهم الجبارة . فما الواجب اذن تجاه الوضع الراهن .

فلم يحر جواباً . . .

وهذا مما حدا بي ان أتقدم بهذا المقال :

يدخل الطفل وعمره ثلاث او اربع سنوات الى روضة الأطفال ، او يدخل وقد اكمل السنة السادسة من عمره الى مدرسة ابتدائية ، وكذلك البنات ، فيتلقّون دروساً عملية ونظرية وتربية عصرية بعيدة عن روح الاسلام وقواعده ، يحفظون بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى مدرسة ابتدائية دون ان تتجاوز الحناجر ، ذلك ، لأن المعلم غير مؤمن بما يملي على الطلاب في موضوع دروس الدين إيماناً رصيناً لا شائبة فيه ، انما يقوم بأداء واجب ملقى على عاتقه ، ولا انكر ان هناك عدداً قليلاً جداً لا يعادل ١٪ (واحداً بالمائة) جديراً بأن يلقب بمعلم الدين ، الا ان تأثيره ضئيل وضئيل جدا في محيط لا يتجاوب مع بقية الأعضاء .

فاذا جاء دور المتوسطة تدخل بقية المدرسين : مدرس الأحياء ، مدرس الاجتماعات ، مدرس الرياضيات . . . الخ . في الموضوع واخذ كل يشكك الطلاب في معتقداتهم ويعزو تكوين هذا الكون المعقد ودساتيره المتقنة الثابتة الى الطبيعة العمياء . أو قال بعشوائية الكون دونما تحقيق !

واما مدرس الدين ، (وهو على الأكثر جاهل بالعلوم الحديثة والنوازع المستحدثة وردودها) ، فلا يدرس في الاسبوع الا درساً واحداً ، وهو على الغالب ممن ضعفت عقيدته وتغير اتجاهه واختلف عمله عما يمليه على الطلاب في حقل الدين . فأنى لهذا الدرس الواحد على علاته (في موضوع الدين) خلال الاسبوع ، أن يقاوم تزريقات سائر المدرسين المضلة . منها

« أن الاسلام نظام كان مفيداً لأناس كانوا يعيشون قبل أربعة عشر قرناً أما الآن ، فنحن بحاجة الى نظام مدني جديد ! فالظروف تبدلت ! فيجب أن تتبدل النظم ، فلا مجال لتطبيق نظم الاسلام ! » . ومنها : « أن الدين كان يقنع العقول البدائية ، اما الآن وقد تقدم العلم ، هذا العلم المحيرّ للعقول ، فلا مجال للدين أن يسيرّ البشر ! والعلم هو وحده كفيل بأن يسير البشر نحو الكمال المنشود وضروريات الحياة فلنكن علمانيين » (١) .

ان ضعف الدين في المدارس وفي أوساط اخرى ادى الى انحلال خُلقي وهذا بدوره ادى الى انحلال فكري ، ثم تبنّى أفكار جديدة تتصادم مع حقيقة الاسلام .

ولا مراء ان للمجالس الحسينية اثرها المرموق في التوجيه لو حضرها الشباب ، الا ان الشباب في وادٍ آخر ، وهم يوجهون من قبل منظمات اخرى توجيهاً يؤكد لهم ان المجالس الحسينية تبث الخرافة والأفكار البالية . وهي بعيدة كل البعد عن واقع الحياة ، ويؤكدون لهم ، دليلا على ذلك ، أنه لا يرى في هذه المجالس الا العجزة والشيوخ ، يتسلون بالتدخين وشرب الشاي ، وهم ، أنفسهم ، ينتقلون من مجلس الى آخر دون غيرهم من الشباب والمثقفين ، وكذا الحال في صلاة الجماعة وفي المساجد وغيرها .

على ان لنوع الالقاء وتطبيق العلوم الحديثة على الحقائق الاسلامية اثراً خاصاً في جلب الشباب الى المجالس الحسينية . ولكن قلما ترى في الخطباء مَن يجمع بين دراسات مختلفة موضوعية ، فيتكلم بأسلوب علمي رصين ، وباصطلاحات حديثة مستعملاً الدساتير الرياضية وما وصل اليه العلم الحديث من قوانين في الفيزياء والكيمياء والاحياء والفلك والطب الى

---

(١) هذه الافكار نتاج استعمار الغرب الفكري وفعاليات الكنيسة في اوروبا وامريكا والمبدأ الماركسي .

ما هنالك . ثم التعرف الى المنازع الفلسفيـــة الحديثة والقيام بردها على ضوء العلم الحديث .

فما الذي يجب ان نقوم به لسد هذا التيار اللاديني الجارف الذي دبّ في الشرق منذ أكثر من ٥٠ سنة والانحلال الخلقي المميت ؟

هنا طريقتان : طريقة غير عملية وبحاجة الى تضحيات مرموقة من قبل الأثرياء من المؤمنين ولا أظنها تتحقق . وطريقة أخرى ، قليلة النتاج ، ولكن واجبة التطبيق ويجوز أن تؤتي أكلها بالغة موفورة لو طبقت بمقياس واسع .

* * *

أما الأولى : فهي تأسيس جمعية باسم : جمعية التهذيب الديني ، مهمتها جمع مبالغ طائلة من أثرياء المسلمين وبناء أبنية عصرية تتخذ مدارس أهليـة للبنين والبنات وفتح دور (مدارس) لتهيئة معلمين ومعلمات بأسلوب علمي ، وايفاد قسم من الشباب المؤمن للتحصيل العالي الى الغرب ، وتأسيس مدارس أهلية للبنين والبنات اعتباراً من الروضة الى التحصيل العالي بمقياس واسع وتحت مناهج لم تتأثر بمناهج المستعمرين والمبشرين (بالكنيسة) أو بمناهج الإلحاد والمادية .

ولاشك ان هذا العمل الجبار سيولد جواً مفعماً بروح الاسلام وشباباً عاملاً بدستور الاسلام . وتتأثر ، دون ريب ، بقية المدارس بهذا النهج القويم ، فلا ترى اذ ذاك الا مؤمناً يقدس الاسلام ويطبقه .

* * *

واما الطريقة الثانية : فهي تنظيم نوادٍ للشباب في كل مدينة أو قرية أو ناحية ، يداومون فيها أوقات فراغهم . تلقى فيها عليهم محاضرات دينية ، يستمعون القرآن الكريم ويطبقون آياته على واقع حياتهم . فتشكل لجان مختلفة منهم ، وتوزع أعمال وفعاليات على هذه اللجان . فيبذل قسم من

طاقاتهم في العمل المنتج المفيد وهم مسؤولون عن تحقيق ما كلفوا به من أعمال . وان كل لجنة تقدم تقريرا عن فعالياتها . يصلون في هذه النوادي أوقات الصلاة في مصلى كبير ويتعلمون فيها بعض الفروع الفقهية الضرورية.

يتلقى الراغبون من الشبان في هذه النوادي الدينية دروساً في التفسير والفقه واصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة الاسلامية بأسلوب حديث ويجاب على ما يختلج في صدورهم من شكوك وريَب ، وتلقى عليهم دروس أيضا في الرد على المذاهب المادية والوجودية والنفعية الى ما هنـــاك من نزعات باطلة جاءت من وراء الشهوات النفسية . ثم هم يتصلون ببقية الشباب في البلد مبشرين ، فيشوقونهم للانتماء الى هذه النوادي الدينية .

وهكذا تنظم نوادٍ من قبل المؤمنات الصالحات من النساء المتعلمات للفتيات طالبات المدارس وغيرهن في كل حارة بنفس الاسلوب وبنفس التنظيم

ولا شك أن هذه الفعاليات والتضحيات من قبل البنين والبنات لتؤثر في تلطيف الجو المكفهر بالاتجاهات المضللة بعد تفهم حقيقة الاسلام ودسائس الاستعمار وأذناب الاستعمار وما أعقبت الحروب الصليبيـــة من دسائس لم تنتهِ لحد الآن .

وللشبان أوقات فراغ كثيرة يمكن ان نستفيد منها في توجيههم توجيهاً صحيحاً لو تمكنا من تحقيق راحة الشبان في هذه النوادي راحة تتفق والتربية الاسلامية الحقة ، فيبذل قسم من طاقاتهم في صقع مفيد . فانه ان لم تستغل أوقات فراغ الشبان في امور مفيدة موجّهة توجيهاً صحيحاً ، فهي تُصرف لا محالة في تحطيم الشباب وتسافلهم الى أسفل سافلين .

وينبغي أن يكون في هذه النوادي :

١ ـ محل خاص للصلاة والمواعظ الدينية وتلاوة القرآن .

٢ ـ مكتبة اسلامية للمطالعة واعارة كتب اسلامية مبسطة ، ومجلات

اسلامية فيها مقالات واضحة دونما تعقيد ونشرات اسلامية بلغة مفهومة .

٣ ـ صفوف خاصة لدراسات اسلامية من تفسير القرآن الكريم والفقه واصول الفقه ، وعلم الدراية والحديث ، وعلم الكلام ، ومقارنة بين حقائق الاسلام والفلسفات المعاصرة والنوازع الحديثة مع تطبيق آخر ما توصل اليه العلم الحديث وما أودع الله تعالى من عصارات العلوم في القرآن الكريم ضمن آياتٍ بينات .

٤ ـ ساحة خاصة لبعض الرياضات البدنية المفيدة التي تنمي الجسم: « إن لبدنك عليك حقاً »(١) وعملاً بمنطوق هذه الآية الشريفة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، مع العلم أن (السبق والرماية) وتعلمها باب من أبواب الفقه الاسلامي .

* * *

لا شك أنه لو نُظمت هذه النوادي وأصبحت تدار من قبل هيأة عليا من كبار علماء الدين وكبار الموجهين المؤمنين وجب إذن فتح دورات (تدريسية وتدريبية) خاصة لموجهي هذه النوادي والقائمين بادارتها في النجف الاشرف وفي غيرها من بعض المدن الكبيرة ، يتعلمون فيها طرق التنظيم والتوجيه والعلوم التي تؤهلهم للاشراف على هذه النوادي الموجّهة توجيهاً دينياً يتفق مع حقيقة الاسلام وواقعه .

* * *

قد نرى أن بعض الأثرياء من المؤمنين يشيدون حسينية كبيرة ونعم ما يصنعون . فلو أسسوا بجنب هذه الحسينية نادياً دينياً للشبان لقاموا بخدمة جديرة بكل تقدير وعالجوا هذا الفراغ العقائدي .

فلابد من توجيه الأخيار من الأثرياء وتفهيمهم الوضع الراهن وأساليب

---

(١) حديث نبوي .

الدعوة حسب مقتضيات العصر الحاضر والأخذ بيد الشبـــان الى ساحات التقوى والهداية وتنويرهم بنور الاسلام الوضاء . فانهم مؤمنو المستقبـــل وحافظو بيضة الاسلام وحاملو لوائه الرفيع .

وقد لاحظت ان بعض هؤلاء المؤمنين المخلصين (مـــع تقديري لهم ولإيمانهم العميق) بعيدون كل البعد عما يحتمـه الوضع الراهن من طرق التوجيه الديني وأساليب الدعوة ولعل البعض منهم يرى التقرب الى الشباب بغية تهذيبهم تهذيباً دينياً مروقاً عن الدين وخروجا عما قرره الاسلام وانحرافا عن الصراط السوي . إما لأنهم لم يتدرجوا في دراسات حديثة ولم يحتكوا بالشباب ليعلموا مواطن الضعف فيهم وما اصيبوا من أمراض نفسية من جراء دعايات إلحادية عنيفـة أو لانهم قليلوا التضحية في هذا المضمار لا يهمهم مستقبل الاسلام والمسلمين . فكنت ألاحظ ان بعض هؤلاء المتدينين الأثرياء (مع تقديسي لهم) ، لا يروق له أن يجهز حسينيـــة أسسها بالكراسي و (التخوت) ، كمن يستشكل أن يُسمع كلامه بالمكبرات الى كثـــير من الناس .

* * *

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما أسلوبهما الخاص في كل زمان حسب الظروف والعوامل المحيطة بالناس .

فان الاستمرار على أسلوب خاص في الدعوة لا يأتي بالنتيجة المطلوبة وترك أساليب أخرى للدعوة لا تتنافى مع روح الشرع ثم ترك ملايين من الشبان المسلمين دون موجه ، تغزوهم الدعايات المضلة . فتخلق منهم أعداء للاسلام ، إنما هو عمل لا يتفق مع منطوق هذا الحديث : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » عدا انه يخالف امر الله تعالى حين يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها النـــاس والحجارة ،

عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون » (١) .

فإن الغرب يعمل منذ اكثر من ١٠٠ سنة بجد متواصل لأجل غزو الشباب المسلم وانتزاع عقيدته وجعله عدواً لدينه ومقدساته . فقد سمعت قبل ٢٨ سنة ممن كان قد أكمل دراسته في الجامعة الامريكية ببيروت ، سمعته يقول : « إن بلاء الشرق دينه ، وان هذا الدين (ويقصد به الاسلام) حجر عثرة دون تقدم الشرق ! ولا سبيل الى التقدم الا بنبذ هذا الدين ! . . . » .

فيا أيها المسلمون ، ان الوضع الراهن ومعالجته يستدعي شيئاً من التضحية . فهل من مجيب ؟

فقد قال رسول الله (ص) : « ويل لقوم لا يدينون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . وقال (ص) أيضاً : « اذا ظهرت البدع ، فليظهر العالم علمه ، والا فعليه لعنة الله » . وقال أيضاً : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .

* * *

(١) سورة التحريم : ٦ .

غذاء الروح في شهر شعبان

ان الانسان روحٌ وبدن ، فكما أن للبدن غذاءاً كذلك للروح غذاء أيضا . فمن تمكن من أن يغذيهما معاً فقد فاز بسعادة الدارين .

إن الانسان كثير الهفوات والزلات . فهو يعصي الله في حركاته وسكناته معاصي كثيرة لا يلتفت اليها ، ولا يحاسب نفسه عليها . كل ذلك ، لأن نفسه لم تبلغ مرتبة من الكمال كي تقدر أعمالها وتشخص السيء منها من الحسن تشخيصاً دقيقا وذلك لتلوينها بذنوب سابقة . فهذه المعاصي صغائرها وكبائرها تتراكم على النفس الانسانية ، فتشكل حجاباً كثيفا يمنع الانسان عن رؤية الحق ، فتتوارد عليه الشكوك والأوهام ، فيستهزىء بالمقدسات ويرى الباطل حقاً والحق باطلا والرذيلة فضيلة ، والفضيلة رذيلة!

فالله تبارك وتعالى قرر أعمالاً (تفضلاً منه) ، تمحى بها الذنوب قبل أن تتراكم ، كي لا يكون الانسان مصداق هذه الآية الكريمة : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

فالصلوات الخمس والنوافل والأعمال الصالحة والمستحبات كلها تمحى الذنوب وتقرِّب العبد الى الله تعالى بعد الابتعاد . ومن جملة تلك الاعمال : الأعمال التي وردت فى شهر شعبان .

فقد جاء في ثواب الأعمال بسنده عن النبي (ص) ، وقد تذاكر أصحابه عنده فضائل شعبان . فقال (ص) : شهر شريف وهو شهري ، وحملة العرش تعظمه وتعرف حقه ، وهو شهر تزداد فيه أرزاق المؤمنين لشهر رمضان وتزين فيه الجنان ، وانما سمي شعبان : لأنه يتشعب فيه أرزاق المؤمنين لشهر رمضان ، وهو شهر العمل ، فيه تضاعف الحسنة سبعين والسيئة

محطوطة والذنب مغفور والحسنة مقبولة والجبار جل جلاله يباهي فيه بعباده ، ينظر من فوق عرشه الى صوّامه وقوامه ، فيباهي بهم حملة عرشه » .

وبسنده عن الصادق عليه السلام ، كان أبي عليه السلام يفصل بين شعبان وشهر رمضان بيوم ، وكان علي بن الحسين عليهما السلام ، يصل ما بينهما ويقول : « صوم شهرين متتابعين توبة من الله » .

وعن الرضا (ع) : « مَن صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصلها بشهر رمضان ، كتب الله تعالى له صوم شهرين متتابعين » .

وقد قال رسول الله (ص) كما في كتاب الاقبال : « شعبان شهري ورمضان شهر الله عز وجل . فمن صام يوما من شهري كنت شفيعه يوم القيامة . ومن صام يومين غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن صام ثلاثة أيام قيل له : استأنف العمل » .

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « تتزين السماوات في كل خميس من شعبان ، فتقول الملائكة : إلهنا ، اغفر لصائميه ، وأجب دعاءَهم . فمن صلى فيه ركعتين : يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ، مائة مرة ، فاذا سلم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة مرة ، قضى الله له كل حاجة من أمر دينه ودنياه . ومن صام فيه يوما واحدا حرم الله جسده على النار » .

وفي كتاب الإقبال بسنده عن الصادق عليه السلام : في حديث ، أنه سئل : « ما أفضل ما يفعل في شعبان . قال : الصدقة والاستغفار ، ومن تصدق بصدقة في شعبان رباها الله تعالى كما يربي أحدكم فصيله حتى يوافيها يوم القيامة وقد صارت مثل أحد » .

ويستحب له أن يقول في كل يوم من هذا الشهر سبعين مرة : « استغفر الله وأسأله التوبة » . . وأن يقول في كل يوم سبعين مرة : « استغفر الله الذي

لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم وأتوب اليه » .

وعن النبي (ص) : مَن قال في شعبان الف مرة : « لا إله الا الله ولا نعبد الا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون » كتب الله له عبادة الف سنة ويخرج من قبره يوم القيامة ووجهه يتلألأ مثل القمر ليلة البدر وكتب عند الله صدِّيقاً » .

ويستحب أن يصلي على النبي وآله في هذا الشهر كثيراً ، فإن الصلاة على النبي وآله تزيد في وزن الأعمال وثقلها : « فأما مَن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ، وما أدراك ماهيه ، نار حامية » (١) .

هذه وصفات روحية يُدلي بها النبي (ص) لمعالجة أرواح البشر المريضة وتسييرها نحو الكمال المنشود . فان النفس الانسانية إن لم تتصل بالملكوت الأعلى وتستقي من الافاضات الإلهية وتستنير بالأنوار القدسية تتقهقر شيئاً فشيئاً فتكون من « الذين خسروا أنفسهم » فتتسافل الى أسفل السافلين .

فليجرب هذه الوصفات الروحية من كان يشك في تأثيرها ، ليرى كيف يتنور يوماً بعد يوم ، فيصبح انسانا لاكسائر الأناسي ، انساناً يشعر بآلام الآخرين ويقدر نعم الله عليه ، تلطف نفسه ، وتزداد إحساساً وشعوراً ، فلا تتصدى لايذاء الناس وارتكاب المنكرات .

ان الانسان اذا قام يعبد ربه باخلاص عميق دونما رياء يشعر عقيب ذلك بفرح يفوق جميع الأفراح ، بفرح داخلي لا كدر فيه ، وسرور مابعده حزن الا على ذنوب أدبرت لذاتها وأقامت تبعاتها ، وهو دليل التكامل النفسي وأمارة التقدم الروحي . نعم ، إن العبد اذا دأب على الاستغفار شعر بخفة في روحه وطمأنينة في نفسه وانجذاب لاهوتي .

---

(١) سورة القارعة : ٧ - ١٠ .

ان الانسان لم يخلق ليلهو ويلعب ، بل خلق ليتكامل فيكون انساناً قد اجتمعت فيه المعاني الانسانية السامية ، كي يفوز بالحياة الخالدة السعيدة ، حياة لا مشاكل فيها ولا أحزان جزاءاً لما قام به في دنياه من عبادة وطاعة وأعمال صالحات . ان الله تعالى يقول : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون » .

ما أحلى المناجاة في هذا الشهر والاعتراف بالذنوب بين يدي الغفور الرحيم . فقد علمنا الأئمة الأطهار وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي عليه السلام مناجاة نقشعر لها الجلود .

يقول علي عليه السلام في مناجاة له في شهر شعبان : « إلهي إن كنت غير مستأهل لرحمتك فأنت أهل أن تجود عليَّ بفضل سعتك . إلهي ، كأني بنفسي واقفة بين يديك ، وقد أظلها حسن توكلي عليك : ففعلتَ ما أنت أهله وتغمدتني بعفوك . إلهي ان عفوتَ فمن أولى منك بذلك . وإن كان قد دنا أجلي ولم يُدنني منك عملي ، فقد جعلتُ الإقرار بالذنب اليك وسيلتي . إلهي قد جُرت على نفسي في النظر لها ، فلها الويل إن لم تغفر لها » .

وقد بين النبي (ص) صلاة مستحبة خاصة لكل ليلة من ليالي شعبان يحتاج القيام بها الى توفيق رباني وصفاء في النفس . وقد يقضي الانسان ساعات في المقهى تتخللها الغيبة والنميمة . فلو صرف زمناً يسيراً منها في عبادة ربه لسار في مدارج الكمال ونحى عن نفسه وساوسها الشيطانية . وتقشعت عنها غياهب الشكوك .

وقد وردت عن علي بن الحسين (ع) : صلوات خاصة وقت الزوال من كل يوم من شهر شعبان نذكر شطراً منها : « اللهم صلِّ على محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي . اللهم صلِّ على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج

الغامرة ، يأمن مَن ركبها ويغرق من تركها ، المتقدم لهم مارق ، والمتأخر عنهم زاهق ، واللازم لهم لاحق » . . . الى أن يقول : .. « اللهم صلِّ على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين الأبرار الأخيار الذين أوجبتَ حقوقهم ومودتهم وفرضت طاعتهم وولايتهم . . . » .

وان ليلة النصف من شهر شعبان من الليالي الشريفة العظيمة . وعن النبي (ص) : « اذا كان نصف شعبان ، فقم ليله وصم نهاره ، فانه يجيء نداء من قبل الله تعالى من أول هذه الليلة الى آخرها : « هل من مستغفر فأغفر له ، هل من مسترزق فأرزقه » .

وقد سئل الباقر عليه السلام ، عن فضل ليلة النصف من شعبان ، فقال : « هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر ، فيها يمنح الله العباد فضله ، ويغفر لهم بمنه . فاجتهدوا في القربة الى الله فيها فإنها ليلة آلى الله عز وجل على نفسه أن لا يرد سائلاً فيها ما لم يسأل معصية . وانها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبينا » .

فيستحب ليلة النصف من شعبان : الغسل ، فانه يخفف من الذنوب ويوجب الرحمة . ويستحب فيها : زيارة الحسين عليه السلام تخليداً لذكرى محيي الشريعة بعد الاندثار وتقـديراً لأعماله الخالدة . وعن الصادق (ع) قال : « اذا كان النصف من شعبان نادى منادٍ من الأفق الأعلى : زائري الحسين ، إرجعوا مغفوراً لكم ، ثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم » .

وروى ابن قولويه في (كامل الزيارة) ، بأسانيد عديدة معتبرة عن علي بن الحسين وعن الصادق عليهما السلام ، قالا : « من أراد أن يصافحه مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام في النصف من شعبان ، فإن أرواح النبيين يستأذنون الله في زيارته ، فيؤذن لهم ، منهم خمسة أو لو العزم من الرسل ، قلنا من هم . قال : نوح وابراهيم

وموسى وعيسى ومحمد (ص) . قلنا : ما معنى أو لو العزم ؟ قال : بعثوا الى شرق الأرض وغربها جنها وإنسها ... الحديث » .

وقد وردت أعمال وصلوات خاصة بليلة النصف من شعبان ، مسطورة في الكتب المفصلة . نسأله تعالى التوفيق للقيام بتطبيقها ، باخلاص دونما رياء كي تطهر هذه النفوس مما علق بها من أدران وأوساخ . فـ « إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » .

* * *

ميلاد الحسين عليه السلام (١)

يولد في صبيحة هذه الليلة المثلُ الكامل ريحانة رسول الله ، سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه أفضل الصلاة والسلام . ويجدر بالعالم الاسلامي أن يحتفل بمولده الكريم احتفالاً رائعاً لأنه هو الذي أنقذ العالم من الجاهلية الجهلاء والمادية العمياء ولولا تلك التضحية الغالية التي لا مثيل لها في عالم الوجود لاندرست معالم الدين ولما بقى للاسلام الحقيقي من أثر .

أنى للناقص ان يصف الكامل وإن الامامة لمرتبةٌ رفيعة لا يمكن لأحد أن يتعرف حقيقتها وانما نتعرف اليها بالآثار . وهل لطالب في الدراسة المتوسطة أن يعرف ما حقيقة الرياضيات العالية . كيف أصف من يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أحب ان ينظر الى أحب أهل الأرض الى أهل السماء فلينظر الى الحسين » . كيف لا يكون كذلك وهو المثل الكامل في العبادة والشجاعة والتضحية والإيثار والسخاء . فقد وجد على ظهره يوم الطف أثر ، فسُئل زين العابدين (ع) عن ذلك ، فقال : مما كان ينقل الجراب على ظهره الى منازل الأرامل واليتامى والمساكين .

لقد مر الحسين عليه السلام بمساكين يأكلون في الصُفَّة ، فقالوا الغذاء ، فنزل وقال : إن الله لا يحب المتكبرين ، فتغذى ثم قال لهم : « قد أجبتكم ، فأجيبوني » . قالوا : نعم ، فمضى بهم الى منزله . هذه صفة مثالية ليس للبشر العادي أن يصل اليها . وقد حج سلام الله عليه خمساً وعشرين حجةً ملبياً ماشياً .

---

(١) كلمة القيت في ليلة الثالث من شعبان ١٣٧٨ في الروضة الحسينية بكربلاء .

جاءه رجل من الأنصار يسأله حاجة ، فقال : يا أخا الأنصار ، صُن وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة ، فكتب : « إن لفلان علي خمسمائة دينار ، وقد الح بي ، فكلمه ان ينظرني الى ميسرة » . فلما قرأ الحسين الرقعة أعطاه : ألف دينار . وقال له : « اما خمسمائة دينار ، فاقض بها دينك ، وأما خمسمائة : فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك الا الى ذي دين أو مروءة أو حسب » . انظروا الى هذا الأدب الرفيع فإنه درس أخلاقي عظيم . لو أخذ به المسلمون ،

ففي الاسلام من النظم الاجتماعية والتعاليم الأخلاقية المثالية والقواعد الاقتصادية ما يُريح البشر في الدنيا ويسعده في الآخرة . وأنى لهذا البشر أن يسن نظاماً كاملاً يؤدي الى سعادة النشأتين .

فإن ما يترشح من الانسان من أفكار يتناسب مع طهارة نفسه ، فرشحات النفس الزكية رشحات طاهرة ، تزكي النفوس وتقربها الى الله تعالى وتعمل في سعادة الانسان في دنياه وعقباه . لذلك جاء في الحديث : « من أخلص لله أربعين صباحاً جرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة » . وإن رشحات النفس الخبيثة الملوثة بالذنوب والآثام مظلمة حالكة ، تبعد الفرد عن الله تعالى . لأن هذا الفرد المذنب وإن عدَّ نفسه فيلسوفاً فقد فقد عقله الفطري الطبيعي : ذلك العقل الذي يوحد الله ويقدسه بالفطرة . « فالعقل ما عبُد به الرحمان واكتسب به الجنان » كما في الحديث . وقد قال عليٌّ عليه السلام : « من قارف ذنباً فارقه عقل لم يعد اليه أبداً » .

وما أكثر الذنوب والفسوق والفجور في الغرب . وما وجود أبيقور (Epicure) المادي في اليونان قبل ميلاد المسيح (ع) بثلاثمائة سنة وظهور أمثال : بوخنر ، فورباخ ، نيتشه ، في أوروبا الا لنفوس تلوثت بأنواع الاجرام وضروب العصيان ، فجاءت بهذه الفلسفة المادية في القرن التاسع

عشر الميلادي ! . إن الله تعالى يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » . وقال الباقر عليه السلام : « ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته ، إن القلب ليواقع الخطيئة ، فما يزال به حتى يغلب عليه ، فصيّر أعلاه أسفله » .

ولذلك فإن المستعمر أول ما يقوم به من أعمال لإفساد العقائد وتلويث النفوس ، هو : فتح دور للخمور والفجور واشاعة الفاحشة بطرق شتى . في الصحف ودور السينما والملاهي والراديو والتلفزيون .

ومن المصادفات العجيبة أن يكون (فرويد) صاحب نظرية الجنسية يهودياً . وان الحركة اليهودية قد استغلت نظرياته لمصالحها الخاصة ، فقد جاء في كتاب : « بروتوكولات حكماء صهيون » الذي يرسم السياسة اليهودية العالمية ما يأتي : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا . إن ، فرويد ، منا . وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس . ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه » . كما جاء في الكتاب إشارة مماثلة عن وجوب استغلال مبادىء الفلاسفة الماديين ! لتحطيم العقائد الدينية ونشر المبادىء المادية التي تسهل لليهود السيطرة على العالم . ويقول الكتاب : « لقد رتبنا نجاح دارون ونيتشه بالترويج لآرائهم . وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي راضح لنا بكل تأكيد » .

لقد بلغ بالفيلسوف المادي : « ومن بؤس الفلسفة أن يسمى الهُراء فلسفة ! » الابتعاد عن المقدسات مرتبةً جعله يعتقد أن الحقيقة الواحدة الأزلية هي الاقتصاد ! . . ولا شيء وراء ذلك . فاذا تغيرت علاقات الانتاج تغيرت معها القيم الأخلاقية . والدين افيون الشعوب ، ومخدر الأمم . ابتدعه

البشر لاستغلال الضعفاء وليس أمراً سماوياً .

حين أن الدين ركن من أركان الحياة . بل هو الحياة بعينها ، إذ لاحياة الا نفس ولا نفس بلا تكامل ولا تكامل الا بالدين .

لقد طبق بعض البلدان بعض النظم الاقتصادية الحديثة التي لا تتفق مع النظم الاقتصادية الاسلامية في شيء ! فمنعوا البيع والشراء والملكيـة الخاصة وساووا بين أجور العمال مـع اختلاف الكفاءات ، ثم سرعان ما عدلوا عن كل ذلك .

ليس هناك نظام اقتصادي كالنظام الاقتصادي الذي أمر به القرآن ولكن قلّ من يعمل به . فلو اتبعنا جميعاً القرآن وعملنا بما فيه وبما جاء في السنة ، فلا فقر ولا مرض ولا جهل .

فبيت المال مُعدّ لإعطاء الفقير ما يغنيه . ذلك لأن ، دين الاسلام دين الحياة ، وليس بأعمال عبادية فحسب لتطهير النفس الانسانية مما علق بها من أدران وتقريبها الى ربها . مع العلم : أن فلسفة الاسلام لا ترمي الى اشباع البطون فحسب ، وانما ترمي فى الوقت نفسه الى فلسفة أبعـد ، ألا وهي تزكية النفوس وتطهيرها وتزويدها بما يسعدهافي الآخرة في حياة حقيقية تستمر ملايين السنين .

إن الاسلام ليعظم أمر الإنفاق تعظيماً لا مزيد عليه ، حتى ورد ما مؤداه يستحب للعبد أن يقبِّل يده حينما يتصدق بشيء ، فكأنه يصافح الله . كل ذلك على سبيل المجاز وإفهام العبد أنه يقترب بتصدقه هذا الى ربه . وليس الله بمن يصافَح . « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

هذا دين يقول : « من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه فإنما أكرم الله عز وجل والله هو الغني .

ولكن قد يكون المال الكثير وبالاً يؤدى بالفرد الى التسافل والولوج

في الموبقات . يقـول الله تعالى : « ولو بسط الله الرزق للناس لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير » . وفي آية أخرى: « ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما » .

إن الاسلام في الوقت الذي يهتم في رفع حاجة الفقراء الى أبعد حدٍّ بقوله : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » . وبقوله كما جاء في الحديث : « اذا أملقتم (١) فتصدقوا » ، « صدقة السر تطفيء غضب الرب » ، « من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » ، يُملي على الفقير دستوره الاصلاحي ، لعدم إمكان التساوي بين العباد في الرزق لحكمة هناك ، بقوله : كما جاء في حديث قدسي : « وإن من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو صرفته الى غيره لهلك » .

ان الله تعالى وسعت رحمته كل شيء ، فهو يعطي المؤمن والكافر على السواء . ولكنه قد يضيق على المؤمن في رزقه في هذه الدنيا ليوجهه اليه تعالى : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » . ذلك لأن الغِنى كثيراً ما يؤدي الى الطغيان . فما على المؤمن المضيق عليه في رزقه الا أن يصبر ويشكر ربه على تهذيبه إياه ، وعدم جعله نسياً منسياً ، ومصداقاً لهذه الآية : « نسوا الله فنسيهم » . وأن لا يتقاعس عن العمل في حدود طاقته ؛ إنه تعالى يقول: « مَن كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا (٢) . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ،

---

(١) وهو قول علي عليه السلام .

(٢) مطرودا عن رحمة الله .

فأولئك كان سعيهم مشكورا ، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (٣) أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » .

فحسب الآيات المذكورة : من قصر جميع همه على الدنيا فإنه يُعجل له في ما يشاء ، ثم يدفع به الى جهنم . ولكن من عمل لآخرته مشكور سعيه ثم ان الله تعالى لا يبخل لا على مُريدي الآخرة ولا على مريدي الدنيا فحسب ، فانه تعالى يعطي هؤلاء وهؤلاء ولا يمنعهم رزقه مع تفضيل بعضهم على الآخر لحكمة هناك . ولكن درجات الآخرة ونعيمها لا تقاس بما في الدنيا من درجات ونعيم زائل .

يقول الله تعالى في آية أخرى أيضاً : « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيراً بصيرا » ، أي ان الله انما يبسط الرزق ويقدره لحكمة ومصلحة تعود على العبد بنفع قد لا يقف عليه في الدنيا . وهو (أي العبد) كمريض يشرب الدواء المر مع كراهية . ولكن عاقبته الشفاء .

ان الله تعالى هو الذي قسم بين العباد رحمته ، فخص بالنبوة المخلصين من عباده ، الشاكرين له . كما أنه تعالى خص كلا من عباده بنوع من المعيشة يصلح بها حالهم . على حد قوله تعالى : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » . ومعنى ذلك : أن رحمة الله تعالى خير مما يُجمع من الأموال ويدخر من حطام الدنيا .

ثم لا ينبغي للمؤمن أن يتمنى ما للبعض من أموال وأولاد وجاه ، فالله تعالى يقول : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ، وتزهق أنفسهم وهم كافرون » .

---

(٣) ممنوعا .

فليست للدنيا قيمة عند الله تعالى . لأنها للمؤمن دار عمل واختبار واجتياز . « الدنيا مزرعة الآخرة » . وقد جاء في الحديث : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء » .

وفي حديث آخر : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يعمل من لا عقل له » . وفي حديث آخر : « الدنيا ساعة ، فلا تجعلها الا طاعة » .

لذلك ، لا يهم الله كما في الآية الآتية : كفرُ الكافرين . فيعطيهم في هذه الدنيا الفانية من الأموال الطائلة ويجعل لبيوتهم سقفاً من فضة ... الخ . ولكن قد حدد نعمته ولطفه على هؤلاء الكفار في الدنيا لئلا يرغب المؤمن في الكفر اذا ما رأى : أن كل كافر في سعة ودعة ورغد من العيش . وكل مؤمن في ضيق ، فمنّ على بعض المؤمنين المطيعين بشيء من حطام الدنيا ونعيمها انه تعالى يقول : « ولولا ان يكون الناس أمةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفاً ، وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » (١) .

إن الاسلام يريد أن يُنمي في الفرد قابلية العطاء لوجه الله وتقرباً الى الله . ولذلك يفضل العطاء السري ، « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » . ويحرض الاسلام المسلمين على الانفاق غاية التحريض ولا يريد بالانفاق أن يكون حكومياً فحسب ، يؤخذ كل ما يؤخذ بصورة جبرية . لأن هذا النوع من العطاء لا ينمي في الفرد سجية السخاء والعطاء لوجه الله تعالى ولا يجعل صلة متينة بين العبد والمعبود لذلك جعل الاسلام الإنفاق على ضربين من إلزامي واختياري .

وبديهي أن لا سلامَ للعالم أجمع ولا اطمئنان الا بتزكيـــة النفوس .

---

(١) سورة الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥ .

ولا تزكو النفوس إلا باتباع أوامر الاسلام : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (١) .

فحري بالمسلم أن يفهم الاسلام وأن يعمل في نشر الاسلام وتطبيق نظمه الاقتصادية في أصقاع العالم وأن لا ينخدع بكلمات هؤلاء الذين أسموا أنفسهم فلاسفة وعزوا نظرياتهم زوراً الى العلم والعلم من كل ذلك براء

فلنتخذ من الحسين عليه السلام دروساً في التضحية ونكران الذات لخدمة هذا الدين . فان دين الاسلام دين المستقبل كما صرح بذلك كبار الفلاسفة اللاهوتيين . انه تعالى يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » (٢) .

ولا حياة لهذه البشرية الضالة ، بالمعنى الصحيح ، حياة تجعله يشعر بمركزه في هذا الكون ، حياة توصله الى معرفة الخالق جل وعلا والقيام بواجب الشكر والتطهّر والتكامل الا بالعمل بهذه الآية الشريفة : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانكم اليه ترجعون » (٣) .

---

(١) سورة الرعد : ٣٠ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ (٣) سورة الانفال : ٢٤ .

الامام أمير المؤمنين (ع) ومسألة رياضية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقضاكم علي » وقال أيضاً : « ليهنئك العلم يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً » .

في كتاب (مشكلات العلوم) للنراقي أن : ١٧ جملاً كانت مشتركة بين ثلاثة أشخاص ، فجاؤوا علياً عليه السلام وقالوا : إن نصف هذه الجمال لأحدنا وثلثها لآخر وتسعها لثالثنا ، ونريد أن تقسمها بيننا على أن لا يبقى باقٍ

فدعا علي (ع) بجمل له وأضافه الى الجمال ، فكانت ١٨ جملاً . فأعطى نصف الجمال : (أي ١٨ جملاً) الى من له النصف ، أي أعطاه . (٩) جمال . وأعطى ثلث الـ (١٨) الى من كان له الثلث ، أي أعطاه (٦) جمال . وأعطى تسع الـ (١٨) الى من كان له التسع ، أي أعطاه جملين .

٩ + ٦ + ٢ = ١٧ ثم أرجع الجمل الذي أضافه الى بيته .

* * *

قد يستغرب الشخص لأول وهلة عندما يلاحظ هذا الحل . ذلك لأن من كان له النصف يستحق ٨ ١/٢ من الجمال . ومن كان له الثلث يستحق ٥ ٢/٣ من الجمال ، ومن كان له التسع يستحق ١ ٨/٩ من الجمال . وان

٨ ١/٢ + ٥ ٢/٣ + ١ ٨/٩ = ١٦ ١/١٨

فالمجموع ١٦ جملا وجزء من ثمانية عشر جزءاً من جمل . فبقى إذن ١٧/١٨ من جمل واحد لم يوزع بعد بين الشركاء . ولا يخفى أن الباقي وهو ١٧/١٨ من جمل واحد يجب أن يوزع بين الشركاء أيضاً : على ان يأخذ الأول نصف هذا المقدار وان يأخذ الثاني ثلث هذا المقدار وان يأخذ الثالث تسع

هـذا المقـدار . مـع العلم انه لا يراد نحر جمل أو تعويض بالقيمة في هذا التقسيم . فالتقسيم السابق على علاته غير مطلوب ، لمـا يؤدي الى تجزئة الجمل الواحد الى كسور !

فلنأت بمثال حسابي بسيط بُغية التوضيح :

مثال : لو أن رجلين أرادا أن نقسم بينهما مبلغاً بنسبة : ١/٢ ، ١/٦ .

فنحن نقسم المبلغ بينهـما بنسبة ١/٢ ، ١/٦ أي بنسبة ٣/٦ ، ١/٦ أي بنسبة ٣ ، ١ (بنسبة البسوط أو الصور) . فالمبلغ يقسم الى أربعة أقسام : ٣ منها تكون للشخص الأول ، وقسم واحد أو حصة واحدة تكون للشخص الثاني . ذلك لأن نسبة ١/٢ الى ١/٦ أي :

$$\frac{1/2}{1/6} = 6/2 = 3 \text{ ، و } \frac{\text{٣ حصص}}{\text{١ حصة}} = 3$$

فاذن : قسم المبلغ بين الشخصين بنفس النسبة المطلوبة . فاذا كان المبلغ ٤٠ ديناراً فللشخص الأول ٣٠ ديناراً وللشخص الثاني ١٠ دنانير .

ولكن لو اقترح علينا الشخصان : أن نقسم بينهـما المبلغ على ان يكون نصيب أحـدهما النصف ونصيب الآخر السدس دون أن يبقى شيء يعطى لغيرهما . أي أنهـما قالا هكذا :

(١) : قسم بيننا المبلغ ٤٠ ديناراً على أن يكون لأحدنا النصف وللآخر السدس . فعلينا أن نقسم المبلغ بشكل لا يؤدي الى بقاء شيء من المبلـغ . لأن المبلغ كله لهـما .

فاذا قمنا بحل هذه المسألة حسب منطوق المسألة رقم (١) ... يكون الجواب هكذا .

$$1/2 + 1/6 = 3/6 + 1/6 = 4/6 = 2/3$$

فيبقى ١/٣ المبلغ دون مالك ، حين أنه لهما .

فيجب إذن : أخـــذ نصف الثلث (الباقي) واعطاؤه للأول وأخذ سدس الثلث (الباقي) واعطاؤه للثاني .

أي ١/٢ × ١/٣ = ١/٦ يكون للأول

و ١/٦ × ١/٣ = ١/١٨ يكون للثاني ... أو

(١/٢ + ١/٦) × ١/٣ = ٢/٣ × ١/٣ = ٢/٩

أي يجب اعطاء ٢/٩ المبلغ لهما . فيبقى أيضاً :

١/٣ × ١/٣ = ١/٩ دون مالك . ومعنى ذلك : أن في كل تقسيم يبقى ١/٣ الموجود دون مالك . حينئـذ يبقى في التقسيم الثالث أيضاً ثلث الباقي قبلاً ، أي ١/٣ × ١/٩ = ١/٢٧

وفي التقسيم الرابع يبقى : ١/٣ × ١/٢٧ = ١/٨١ وهكذا دواليك .

إذن يكون نصيب الأول : المبلغ الاصلي × ١/٢ (١ + ١/٣ + ١/٩ + ١/٢٧ + ١/٨١ + ...)

أو نصيب الاول = المبلغ الأصلي × ١/٢ (١ + ١/٣ + ١/٢٣ + ١/٣٣ + ١/٤٣ + ١/٥٣

نرى داخل القوس متوالية هندسية تنازلية أساسها : ١/٣

ومعلوم ان مجموع حدود متوالية هندسية أساسها أقل من الواحد :

$$ح = \frac{ا}{ا - ر} \quad (\text{فيما اذا كانت الحدود لا تتناهى أي } ن = \infty)$$

ويراد بـ ح = المجموع

ا = الحد الأول

ر = الأساس

$$\text{وبعد التطبيق : } ح = \frac{1}{1 - 1/3} = \frac{1}{2/3} = 3/2$$

∴ نصيب الأول = المبلغ الأصلي × ١/٢ × ٣/٢ = ٣/٤ من المبلغ الاصلي

ونصيب الثاني = المبلـــغ الاصلي × ١/٦ × ٣/٢ = ١/٤ من المبلغ الاصلي

وهذه النتيجة تطابق تماماً ما نحصل عليه فيما اذا قسمنا المبالغ بنسبة ١/٢ ، ١/٦ كما بينا آنفاً .

توضيح : لايخفى ان مجموع حدود متوالية هندسية :

$$ح = \frac{ا(ر^{ن} - 1)}{ر - 1} = \frac{ا ر^{ن} - ا}{ر - 1} \text{ ، (ن) = عدد الحدود}$$

لنضرب صورة الكسر ومخرجه في (−١) فتكون النتيجة :

$$ح = \frac{ا(1 - ر^{ن})}{1 - ر} = \frac{ا - ا ر^{ن}}{1 - ر}$$

ولما كانت ر = ١/٣ ∴ ١/٣ن = ٠ (اذا كانت ن = ∞)

$$\therefore \quad ا ر^{ن} = ٠$$

$$\therefore ح = \frac{ا}{ا - ر} = \frac{1}{1 - 1/3}$$

لنعمم الموضوع ولنؤسس (نظرية حسابية) . فنقول : لو أريد اعطاء ا/١ من مبلغ ما الى شخص . و ب/١ من نفس المبلغ الى شخص آخر وكان ا/١ + ب/١ < ١ (أي مجموع ا/١ و ب/١ ،أقل من الواحد) ، فان تقسيم الباقي بصورة متسلسلة على نفس النسق يؤدي بالنتيجة الى تقسيم المبلغ المذكور بنسبة الكسرين ا/١ ، ب/١ دون أي فرق .

البرهان : بديهي انه في التقسيم الأول كان نصيب الشخص الاول: ا/١ ، ونصيب الشخص الثاني : ب/١ وما سيبقى هو كسر من المبلغ الاصلى أي يساوي .

$$١ - (ا/١ + ب/١) = \frac{ا ب - ا - ب}{ا ب}$$

وقد فرضنا المبلغ الاصلي = ١

ولنفرض : $\frac{ا ب - ا - ب}{ا ب} = ك$

وحسب توضيحنا السابق ، سيكون مجموع سهام الشخص الأول بعد تقسيمات متوالية ، تقسيمات لاتتناهى مساوياً الى كسر من المبلغ الأصلي يعادل :

نصيب الشخص الأول = ا/١ (١ + ك + ك٢ + ك٣ + ... + ك؟)

ويكون مجموع سهام الشخص الثاني كسراً من المبلغ الأصلي يعادل :

= ب/١ (١ + ك + ك٢ + ك٣ + ... + ك؟)

وان ما في القوس من متوالية هندسية عدد حدودها ؟ = ∞ وأساسها ك ، مجموعها يساوي :

$$\text{ح} = \frac{1}{1-ك} = \frac{1}{\frac{اب-ا-ب}{اب}} = \frac{اب}{ا+ب}$$

$$1 - \frac{}{اب}$$

∴ يكون نصيب الشخص الاول كسراً من المبلغ الاصلي يعادل :

$$ا/1 \times \frac{اب}{ا+ب} = \frac{ب}{ا+ب}$$

ونصيب الشخص الثاني كسراً من المبلغ الاصلي يعادل :

$$ب/1 \times \frac{اب}{ا+ب} = \frac{ا}{ا+ب}$$

واذا فرضنا المبلغ : م ، سيكون

$$\text{نصيب الشخص الاول} = \frac{م\,ب}{ا+ب}$$

$$\text{ونصيب الشخص الثاني} = \frac{م\,ا}{ا+ب}$$

ومن المعلوم انه اذا أردنا تقسيم المبلغ م بين شخصين بنسبة ا/1 ، ب/1 يجب ان نقسمه حسب قواعد التقسيم المتناسب بنسبة الكسور كما يلي :

$$\text{نصيب الشخص الاول} = \frac{م \times ا/ا^{1}}{ا/ا^{1} + ب/^{1}} = \frac{م ب}{ا + ب}$$

$$\text{ونصيب الشخص الثاني} = \frac{م \times ب/^{1}}{ا/ا^{1} \times ب/^{1}} = \frac{م ا}{ا + ب}$$

ويلاحظ ان العمليتين أي تقسيم المبلغ حسبما قسمه علي عليه السلام وحسب قواعد التقسيم المتناسب بنسبة الكسور تعطيان نفس النتيجة .

وهكذا يمكن أن نبرهن على صحة التقسيم فيما لو كان عدد الاشخاص أكثر من اثنين :

فاذا كان عدد الأشخاص ٣ وكسر الشخص الثالث حـ/١ فان ا/١ من المبلغ (في التقسيم الأول) يكون للشخص الاول و ب/١ من المبلغ يكون للثاني و حـ/١ من المبلغ للثالث . ويبقى من المبلغ الاصلي كسر يعادل :

$$\text{ك} = \frac{\text{ا ب حـ} - \text{ب حـ} - \text{ا حـ} - \text{ا ب}}{\text{ا ب حـ}} = \text{١} - (\text{ا/ا}^{1} + \text{ب/}^{1} + \text{حـ/}^{1})$$

وبعد القيام بتقسيمات متوالية بمقدار لا يتناهى يكون نصيب الشخص الاول = ا/١ (١ + ك + ك٢ + ك٣ + ... + ك؟) ، ونصيب الشخص الثاني = ب/١ (١ + ك + ك٢ + ك٣ + ... + ك؟) ، ونصيب الشخص الثالث = حـ/١ (١ + ك + ك٢ + ك٣ + ... + ك؟) .

وأما مجموع المتوالية الهندسية داخل القوس عندما تكون ن = ∞ يساوي :

$$\frac{١}{١-ك} = \frac{١}{اب حـ - ب حـ - ا حـ - اب}$$

$$= \frac{اب حـ}{اب حـ - ب حـ - ا حـ - اب}$$

وإذا عوضنا عما في الاقواس : (للأول وللثاني وللثالث) ، نحصل على مايلي : (مع العلم ان المبلغ الاصلي = م)

$$\therefore \text{نصيب الشخص الاول} = \frac{م\ ب\ حـ}{ب حـ + ا حـ + اب}$$

$$\text{نصيب الشخص الثاني} = \frac{م\ ا\ حـ}{ب حـ + ا حـ + اب}$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{م\ ا\ ب}{ب حـ + ا حـ + اب}$$

وهكذا اذا أردنا أن نقسم المبلغ : م بين ثلاثة أشخاص بنسبة ا/١ ، ب/١ ، حـ/١ (أي تقسيما متناسبا بنسبة الكسور) يكون :

$$\text{نصيب الاول} = \frac{م \times ا/١}{ا/١ + ب/١ + حـ/١} = \frac{م\ ب\ حـ}{ب حـ + ا حـ + اب}$$

$$\text{نصيب الثاني} = \frac{\text{م} \times \text{ب}/1}{\text{ا}/1 + \text{ب}/1 + \text{حـ}/1} = \frac{\text{م ا حـ}}{\text{ب حـ} + \text{ا حـ} + \text{ا ب}}$$

$$\text{نصيب الثالث} = \frac{\text{م} \times \text{حـ}/1}{\text{ا}/1 + \text{ب}/1 + \text{حـ}/1} = \frac{\text{م ا ب}}{\text{ب حـ} + \text{ا حـ} + \text{ا ب}}$$

* * *

والآن نأتي لحل المسألة حسبما وضعناه من نظرية برهنا على صحتها : والمسألة هي : ثـلاثة أشخاص طلبوا أن تقسم بينهم ١٧ جملاً ، على أن يكون سهم الشخص الأول ١/٢ ونصيب الشخص الثاني ١/٣ وحصة الثالث ١/٩ ولا يبقى شيء .

ولما كان ١/٢ + ١/٣ + ١/٩ = ١٧/١٨ اذن يبقى من الجمال ١/١٨ منها . وهذا يوجب أن نقسم الباقي وأعني به : (١/١٨) بصورة متسلسلة حسب منطوق المسألة حتى لايبقى شيء . وقد برهنا على ان نتيجة هذه التقسيمات المتسلسلة التي لا تتناهى من حيث العمل الحسابي تطابق تقسيم ١٧ جمـلاً بنسبة الكسور :

١/٢ ، ١/٣ ، ١/٩ فعليه يكون :

$$\text{نصيب الشخص الاول} = \frac{١٧ \times ١/٢}{١٧/١٨} = ١٨ \times ١/٢ = ٩$$

$$\text{نصيب الشخص الثـاني} = \frac{١٧ \times ١/٣}{١٧/١٨} = ١/٣ \times ١٨ = ٦$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{17 \times 1/9}{17/18} = 1/9 \times 18 = 2$$

ويرى ان العمـــل حسب التقسيم المتناسب في ايجـاد نصيب الشخص الاول أي : $\frac{17 \times 1/2}{17/18}$ يطابق العمل حسبما أمر به علي عليـه السلام

وهو ضرب ١٨ في $1/2$ أو : $(17 + 1) \times 1/2 = 9$.

أي يضاف على ١٧ جملاً ، جمل واحد . فيضرب المجموع في $1/2$ فيكون نصيب الشخص الأول ، (أو يؤخذ نصفه) . وهكذا بالنسبة الى الثـاني والثالث :

∴ ٩ + ٦ + ٢ = ١٧ جملاً (يطابق الأصل) .

أن قيام علي عليه أفضل الصلاة والسلام بهذا النوع من التقسيم أي اضافة ١ على ١٧ وأخذ نصف المجموع واعطاؤه الى الشخص الاول ، وأخذ ثلث المجموع واعطاؤه الى الشخص الثاني وأخذ تسع المجموع واعطاؤه الى الشخص الثـالث أقرب الى أذهان العـوام الذين لايمكنهم أن يتوصلوا الى حقيقة تقسيم عدد بنسبة كسور اعتيادية : على أن يكون نسبة ما للاول الى الثاني كنسبة النصف الى الثلث :

$$\frac{\text{الاول}}{\text{الثاني}} = \frac{1/2}{1/3} = 3/2$$

ونسبة ما للثاني الى الثالث كنسبة الثلث الى التسع . أي :

الثاني ١/٣

——— = ——— = ٩/٣ = ٣ وهو عدد مجرد

الثالث ١/٩

ونسبة ما للأول الى الثالث كنسبة النصف الى التسع . أي :

الاول ١/٢

——— = ——— = ٩/٢ = ٤ ١/٢

الثالث ١/٩

وهكذا نرى ان بعد تقسيم المبلغ حسب قواعد التقسيم المتناسب بنسبة الكسور (أو تقسيم المبلغ بنسبة الصور بعد توحيد المخارج) ، تتحقق نفس النسب :

نصيب الاول

——————— = ٩/٦ = ٣/٢

نصيب الثاني

نصيب الثاني

——————— = ٦/٢ = ٣

نصيب الثالث

نصيب الاول

——————— = ٩/٢ = ٤ ١/٢

نصيب الثالث

وهكذا نرى ان عـلم الامام علي عليـه السلام يتجلى في حل المسألة المذكورة بشكل مفهوم لدى العوام في ذلك الوقت ، حيث لم تكن العلوم الرياضية معروفة فى الجزيرة العربية ، حلاً يطابق مانص عليه علم الحساب الاستدلالي . وقد علمنا أن لافرق بين المنطوقين : (١) تقسيم المبلغ بين ثلاثة

أشخاص على ان يأخذ الاول ١/٢ والثاني ١/٣ والثالث ١/٩ ولا يبقى شيء وبين : (٢) تقسيم المبلغ بين ثلاثة بنسبة الكسور الاعتيادية ١/٢ ، ١/٣ ، ١/٩ من حيث المآل . وفي السؤال حالة خاصة ، أي ان المضاعف المشترك البسيط للمقامات = عدد الجمال + ١ = ١٧ + ١ = ١٨ . فاستفاد علي عليه السلام من هذه الحالة الخاصة وحل المسألة باضافة جمل على عدد الجمال فكان المضاعف المشترك البسيط : ١٨ ، ولو ضربت الكسور في ١٨ (المضاعف) لما تغيرت النسب ، ولكن كحالة خاصة يكون المجموع : ٩ + ٦ + ٢ = ١٧ مساوياً لعدد الجمال .

* * *

وقد رويت هذه المسألة بشكل آخر ولعلها هي مسألة اخرى ، ذلك : أن ثلاثة أشخاص أتوا علياً عليه أفضل الصلاة والسلام ومعهم ١٩ جملا وأرادوا أن تقسم كلها بينهم على أن يكون للأول ١/٢ وللثاني ١/٤ وللثالث ١/٥ ولا يبقى شيء . فقال عليٌ عليه السلام : أضيفوا على ١٩ جملاً جملاً واحداً... فيكون (٢٠) . خذوا النصف وأعطوه الشخص الاول . وخذوا الربع وأعطوه الشخص الثاني وخذوا الخمس وأعطوه الشخص الثالث .

١٠ + ٥ + ٤ = ١٩ جملاً

فالحل حسبما أمر به علي (ع) : ١٩ + ١ = ٢٠ المضاعف المشترك البسيط (كحالة خاصة) .

نصيب الشخص الاول = ٢٠ × ١/٢ = ١٠) [لا تتبدل النسب لو

نصيب الشخص الثاني = ٢٠ × ١/٤ = ٥) ضربت كلها في نفس

نصيب الشخص الثالث = ٢٠ × ١/٥ = ٤) المقدار]

١٠ + ٥ + ٤ = ١٩ (عدد الجمال ، كحالة خاصة أيضاً) .

فالحل حسب قواعد التقسيم المتناسب :

$$\text{نصيب الشخص الاول} = \frac{١٩ \times ١/٢}{١٩/٢٠} = ١٠$$

$$\text{نصيب الشخص الثاني} = \frac{١٩ \times ١/٤}{١٩/٢٠} = ٥$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{١٩ \times ١/٥}{١٩/٢٠} = ٤$$

فلا فرق بين النتيجتين ، لان المنطوقين يؤديان الى نفس النتيجة .

فسلام الله عليك يا علي ، من إمام مطاع للمتقين وقاضٍ قدير ورياضي عظيم ، وعالم بطرق السماء اكثر منه بطرق الأرض ، ومخبر عن حركة الشمس قبل اكتشاف علم الميكانيك السماوي والتلسكوبات والمراقب الجسام . وعالم بطول قطر الشمس قبل تقدم علم الفيزياء والفلك العالي .

وسلام الله عليك يا أمير المؤمنين ، ياميزان الاعمال وسيف ذي الجلال وساقي السلسبيل الزلال ، وحجة الله البالغة ونعمته السابغة والصراط الواضح والنجم اللائح ورحمة الله وبركاته .

المثل الكامل في الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرعان مهمان من فروع الدين وواجب على كل مسلم أن يقوم بهما وجوب الصلاة ، وهما ركنان مهمان ، بهما تسعد الأمم وتبلغ أعلى مرتبة من الرقي والكمال . وقد قام على دعامتيهما الاسلام ، فبلغ حيث بلغ .

ان الله تعالى يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . (سورة آل عمران : ١٠٠) وقد قال رسول الله (ص) : « اذا ظهرت البدع في أمتي فليُظهر العالم علمَه . فمن لم يفعل فعليه لعنة الله » . وقال أيضاً : « لاتزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر ، فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلِّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء » .

وقال أيضاً : « ان الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لادين له ، فقيل وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له ، قال : الذي لاينهى عن المنكر » . وجاء في حديث : «ويل لقوم لايدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» . ولا شك ان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي الى تفسخ الأخلاق وهو علة العلل في تدهور الامم وسقوطها عدا ما هنالك من عذاب أخروي أليم . فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم » . و « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتؤمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم

وتعمر الارض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر » كما جاء في الحديث

هذا حسين عليه السلام قد أنكر على معاوية استخلاف يزيد ونهى عن المنكر لأن يزيد ، لاستحلاله ما حرم الله وهتكه حرمات الله ، ما كان أهلاً ليتصدّى خلافة العالم الاسلامي ، وهو في عنفوان نهوضه وازدهاره. يخاطب حسين (ع) معاوية في كتاب له : « إن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة وقتلك أولياءه على التهم ونفيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الشراب ويلعب بالكلاب . ما أراك الا قد خسرت نفسك وبترت دينك وغششت رعيتك وأخزيت أمتك . . . الخ » .

وان معاوية ليعترف بفضل الحسين (ع) ، فهو يقول لابنه يزيد : « وما عسيت أن أعيب حسيناً ، فوالله ما أرى للعيب فيه موضعاً » . وقد نصح حسين عليه السلام معاوية أيضا حين كان يريد أخذ البيعة ليزيد بقوله : « تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً ، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص . وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد مما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت فيه » .

كيف لا يقوم حسين (ع) بهذه النهضة الخالدة . وقد سمع رسول الله (ص) يقول : « من أرضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج عن دين الله » فانه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . كيف لا يضحي سلام الله عليه بنفسه ونفيسه وقد حفظ عن رسول الله (ص) : « لا تحل لعين مؤمنة ترى الله يعصى وتطرف حتى تغيره » .

وعن أبي جعفر عليه السلام ، قال : أوحى الله الى شعيب النبي : أني

معذِّب من قومك مائة الف ، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفا من خيارهم فقال (ع) : « يارب ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ » فأوحى الله عز وجل اليه : « داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي » .

فالمؤمن حقاً هو ذلك المؤمن الذي يغضب عند انتهاك حرمات الله ويضحي بما لديه إعلاءاً لكلمة الله العليا ، ففي حديث : « إن موسى بن عمران قال : « يارب من أهلُك الذين تظلُّهم في ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ؟ ، فأوحى الله اليه : الطاهرة قلوبهم والبرئية أيديهم ، الذين يذكرون جلالي ذكر آبائهم الى أن قال : والذين يغضبون لمحارمي اذا استُحلت » .

وإن الصحابة الموجودين في عصر الحسين (ع) كانوا يعلمون فسق يزيد وظلمه فمنهم من رأى الخروج عليه كابن الزبير ومنهم من امتنع عن مبايعته كعبدالله بن عمرو بن العاص حتى دعا نائب أمير مصر بالنار ليحرق عليه بابه .

ولولا خروج الحسين عليه السلام لاندرست معالم الدين وتمركزت البدع وضاعت السنن . كيف لا يكون ذلك ويزيد يقول متمثلاً بقول ابن الزبعرى : « لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل »

إن للحسين (ع) وذويه وأصحابه آياتٍ باهرات من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ خروجه من مكة حتى رجوع الأسرة النبوية بعد التضحية الغالية الى مدينة جدهم ثانياً . وقد خطب الحسين عليه السلام حين عزم على الخروج من مكة الى العراق فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله ما شاء الله ولا قوة الا بالله ، وصلى الله على رسوله ، خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا ، فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا ، لا محيص عن يوم خُط بالقلم ، رضا الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا

أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله (ص) لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده ، ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فاني راحل مصبحاً إن شاء الله » .

وقد حمل معه النسوة والأطفال كي يظهر للناس مبلغ الجور ومدى الظلم لئلا يركنوا الى الظالم ولا يعرضوا عليه دينهم ولا يتابعوه في معالم دينهم .

يصل الحسين عليه السلام الى كربلا مع أفلاذ كبده وأرحامه الأقربين ، فيقول : « ما اسم هذه الأرض ، فيقال : كربلاء . فيقول سلام الله عليه : « اللهم اني أعوذ بك من الكرب والبلاء » ثم أقبل على أصحابه ، فقال كلمته الخالدة التي يجب أن تكتب بأحرف من نور .

« الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرت معايشهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون » . ما أعظم هذه الكلمة انها تفسر الطابع الذي طبع عليه الجنس البشري في كل زمان ومكان ، ولا يشذ عن ذلك الا الفذ الأوحدي . « وقليل ما هم » . فطالما كان الدين سلعة تجارية تشترى بها الراحة والسلامة والمنافع الخسيسة الدنيوية . وطالما كان الدين وسيلة للبلوغ الى مناصب زائلة فحرِّف وغُير تبعاً للسياسة المستحكمة .

انظروا كيف يخاطب الحسين (ع) جيش ابن سعد حين ركب فرس رسول الله (ص) يوم عاشوراء انه يقول :

« تباً لكم أيتها الجماعة وترحا . أحين استصرختمونا والهين ، فأصرخناكم موجفين . سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم . بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم . فهلاّ لكم الويلات ، تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ، ولكن أسرعتم اليها كتهافت الفراش .

فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الاحزاب . ونبذة الكتاب ومحرِّفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفيء السنن . هؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ، أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم . فكنتم أخبث ثمر ، شجى للناظر وأكلة للغاصب ، ألا وإن الدعيَّ ابن الدعيِّ قد ركز بين اثنتين ، بين السلَّة والذلة وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، حجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ، ألا ترون أن الحق لا يُعمل به والباطلَ لا يُتناهى عنه فلا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا بَرما ، ألا واني زاحف بهذه الاسرة وقلة العدد وخذلان الناصر » .

ففي هذه الخطبة المنيفة عبر لا تتناهى ودروس محكمة لا تُستقصى ، تتفهمها نفوس زكية وأرواح نقية .

فقد تمَّ نهي الحسين عن المنكر بتقديم نفسه الزكية ونفوس أبنائه الأبرياء حتى ولده الرضيع واخوته وأبناء أخيه وأبناء عمه للقتل وأمواله للنهب وخبائه للحرق وعياله للأسر ليفدي بكل ذلك دين جده ويستنقذه من ان يقضى عليه الخمور والفجور .

لا يمكن أن نستقصى مراحلَ هذا النهي عن المنكر في هذه العاجلة ونختم ذلك بنبذة يسيرة عن خطاب من تولَّت هذه المهمة بعد قتل الحسين عليه السلام ألا وهي شقيقته الكبرى زينب عليها السلام في مجلس يزيد :

« الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله كذلك حيث يقول : « ثم كان عاقبةَ الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

« أظننتَ يا يزيد ، حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء ، فأصبحنا نُساق كما تساق الإماء : أنَّ بنا هوانا على الله ولك عليه كرامة

وأن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ونظرت فى عطفك جذلان مسروراً ، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلا مهلا ، أنسيت قول الله تعالى : ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب اليم » .

« أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله (ص) سبايا ، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن ... » الى آخر ماقالت سلام الله عليها .

فليتخذ المسلمون من هذه التضحية الغاليـة دروساً بليغة لخدمة هذا الدين وقمع البـدع وما جاءنا من وحشية وجاهلية في الأخـلاق وتدنيس النفوس من جراء إتباع نوازع الغرب الأثيمة ، التي هي خلاصة الشهوات الحيوانية المميتة .

وينبغي أن لايبهرنا هذا التقدم الصناعي في عالم المادة ، فالانسان ليس بمادة فحسب ، الانسان انسان بروحه ونفسه وملكاته المعنوية . وان اتباع الغرب في حضارته الشهوانية مما يؤدي الى إماتة النفس الانسانية وتسافلها الى أسفل السافلين . والاسلام إذ يأمر بالعمل في شتى الحقول من زراعية وصناعيـة وتجارية وعمرانية لايهمل النفس الانسانية تتردى في دياجـير الشهوات والآثام بل يجعـل رائده الاسمى تكامل هـذه النفس الانسانية وإخراجها من حضيض البهيمية الى أوج الملكوت . يعترف بذلك كبار فلاسفة الغرب المنصفون الذين لم يتابعوا الغرب في هذيانه وطيشه ومجونه وماديتـه الساحقة ، وكثـيراً ما كتبوا أن هذه المدنية المادية الطائشة مآلها الزوال والانقراض .

فطوبى لنفوس إتعظت بكلمات أهل بيت العصمة (ع) فاتخذت منها مناراً للعروج الى حيث الطمأنينة والخلود والكمال المنشود .

حسين مني وأنا من حسين

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن بعلى العامرى وصححه : انه خرج مع رسول الله (ص) الى طعام دعوا له . فاستقبل رسول الله (ص) أمام القوم وحسين مع الغلمان يلعب ، فأراد رسول الله (ص) أن يأخذه فطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا مرة ، فجعل رسول الله (ص) يضاحكه حتى أخذه ، قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والاخرى تحت ذقنه ، فوضع فاه على فيه يقبله ، فقال : « حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من احب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط » .

وروى الحاكم في المستدرك ايضاً بسنده عن أبي هريرة ، قال رأيت رسول الله (ص) وهو حامل الحسين بن علي ، وهو يقول : « اللهم إني أحبه ، فأحبه » ، وقال رسول الله (ص) : « من أحب أن ينظر الى أحب أهل الأرض الى أهل السماء فلينظر الى الحسين » وعن صحيح الترمذي عن انس بن مالك قال : سئل رسول الله (ص) : أي أهل بيتك أحب اليك قال : الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة : أدعي لي ابني فيشمهما ويضمهما اليه

وفي الإصابة عن أبي هريرة ، قال : خرج علينا رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهى الينا ، فقال : من احبهما فقد احبني ومن أبغضهما فقد أبغضني . وكان النبي (ص) يصلي فاذا سجد وثب الحسنان عليهما السلام على ظهره . فاذا أرادوا أن يمنعوهما ، أشار اليهم أن دعوهما ، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره وقال : من أحبني فليحب هذين .

وكان (ص) يحثو للحسنين عليهما السلام فيركبان على ظهره ، ويقول

نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما .

وحملهما (ص) مرة على عاتقه ، فقال رجل : نعم الفرس لكما ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ونعم الفارسان هما .

وعن صحيحي الترمذي والنسائي كان رسول الله (ص) يخطب ، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله (ص) من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه وقال : صدق الله ، (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

وخرج رسول الله (ص) ليلة في احدى صلاتي العشاء وهو حامل حسيناً ، فوضعه ثم كبر للصلاة . فأطال سجدة الصلاة . قال راوي الحديث فرفعت رأسي واذا الصبي على ظهر رسول الله (ص) وهو ساجد ، فرجعت الى سجودي فلما قضى الصلاة . قيل يارسول الله : إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو انه يوحى اليك . قال (ص) : كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن اعجله .

ومر (ص) على بيت فاطمة ، فسمع الحسين يبكي ، فقال : « ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني » .

وهناك حوادث واحاديث أخرى تدل على شدة حب النبي للحسين (ع) لامجال لذكرها مما يدل على عظمة منزلته عند الله وعند رسوله . وبديهي أن رسول الله (ص) وهو سيد المرسلين لايحب إلا عن دليل وهو أجل من أن تؤثر فيه العواطف .

وإن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنـــة وهما إمامان قاما أو قعدا ، كما جاء في حديث صحيح .

وقد قال (ص) مرات عدة وبعبارات متنوعة كما روته كافة كتب الحديث

« إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي : الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي فلا تتقدموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، وان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وقد قال (ص) ايضا : « مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة من دخله كان آمناً »وقال ايضا : « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ».

كيف لايحب رسول الله (ص) حسيناً وهوالذي سماه حسيناً وأذن في أذنه اليمنى واقام في اليسرى وحنكه بريقه وعق عنه بكبش وأمر أمه أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة . وهو الذي قام بتغذيته أربعين يوماً وليلة ، لأن لبن فاطمة سلام الله عليها قد جف بعد أن ولدت حسيناً . فطلب رسول الله (ص) مرضعة ، فلم يجد ، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه ، فيمصه ويجعل الله في إبهام رسول الله (ص) رزقاً يغذيه . فأنبت الله لحمه من لحم رسول الله (ص) . وهذا ليس بشيء ينكره العقل السليم ، اذا صدق معاجز رسول الله (ص) تلك المعاجز التي تفوق هذه المعجزة بدرجات . فكيف لايقوم الحسين (ع) بعد الاطلاع على ماقدمناه بهذه النهضة المباركة وكيف لانشارك أهل البيت في الحزن والأسى في هذه الايام المحزنة ، فان اهل البيت كانوا اذا اهلّ شهر محرم الحرام اغتموا وحزنوا وأقاموا المآتم تخليداً لذكرى محيي الشريعة بعد الاندثار ، أعني حسيناً عليه الصلاة والسلام .

نعم ، إن رسول الله (ص) لحزين في هذه الايام ، باك على ولده ، كيف وقد بكى وحزن لهذه الفاجعة الأليمة قبل وقوعها واقام المآتم لأجلها في مجمع أصحابه فأخبرهم بها وبكى وبكوا لبكائه ، فكان هو الذاكر وأصحابه المستمعين وقد روى الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في كتابه أعلام النبوة . فقال مالفظه :

ومن انذاره (ص) مارواه عروة عن عائشة (رض) قالت دخل الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله (ص) وهو يوحى اليـــه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره ، فقال جبرئيل (ع) : يامحمد إن امتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربة بيضاء وقال في هذه الارض يقتل ابنك ، اسمها ، الطف . فلما ذهب جبرئيل خرج رسول الله (ص) والتربة في يده وفيهم أبو بكر وعمر وعـــثمان وعلي وحذيفة وعمار وابو ذر وهو يبـكي ، فقالوا : مايبكيـك يارسول الله . فقال : أخبرني جبرئيل : إن ابني الحسين يقتل بعـــدي بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة فأخبرني ان فيها مضجعه .

وفى العقد الفريد ، قال ومن حديث ام سلمة زوج النبي (ص) ، قالت : كان عندى النبي (ص) ومعي الحسين . فدنا من النبي (ص) ، فأخذته ، فبكى ، فتركته ، فدنا منه ، فأخذته ، فبكى ، فتركته . فقال له جبرئيل : اتحبه يامحمد. قال نعم . قال : اما إن امتك ستقتله ، وإن شئت أريتك من تربة الارض التى يقتل بها ، فبسط جناحه فأراه منها ، فبكى النبي (ص) .

وفي الصواعق المحرقة ، أن علياً مر بكربلاء عند مسيره الى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات ، فوقف وسأل عن اسم الارض ، فقيل كربلاء . فبكى حتى بل الأرض من دموعه ، ثم قال : دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت مايبكيك ؟ قال : كان عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء ، ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب أشمني اياه ، فلم املك عيني ان فاضتا .

وقد قال الحسين (ع) : انا قتيل العبرة ، لايذكرني مؤمن الا استعبر . فالحسين عبرة كل مؤمن كما جاء في حديث صحيح . وكيف لاتفيض عينا المؤمن عندما يسمع ان حسيناً يتناول طفله الرضيع بعد ان جفت المراضع ،

فيشرف على الاعداء ، قائلا : « ان كنا في زعمكم مذنبين ، فما ذنب هذا الرضيع ، وقد تروونه يتلظى عطشاً ، وهو طفل لايعرف الغاية ولم يأت بجناية ويلكم اسقوه شربة ماء ، فقد جفت محالب امه وإن كنتم غير مصدقين خذوه مني واسقوه انتم » فاختلف القوم فيما بينهم ، منهم من قال : اسقوا الرضيع ومنهم من قال : إن الحسين قد بلغ الغاية من الظمأ لو صبرتم قليلا اسلم امره اليكم . فخشي ابن سعد العاقبة واشار الى حرملة قائلا : إقطع نزاع القوم ، فرمى الرضيع بسهم له في نحره ، فذبحه من الوريد الى الوريد ، وصار الطفل يرفرف على يدي والده كالطير المذبوح ، فأخذه الى المخيم استقبلته اختـــه ، قائلـة : « يا ابه ، لعلك سقيت اخي ماء » فأجابها : « هاك اخاك مذبوحاً » . ثم حفر الارض بسيفه ودفن الرضيع وآماله ...

الحسين (ع) يعلم الناس الصلاة في أحرج ساعة

يقول الله تبارك وتعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » . وفى موضع آخر : « ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » وفى مكان آخر : « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » . فلم يهتم الدين الاسلامي بشيء اهتمامه بالصلاة وقد جعلها اساساً لقبول بقية الأعمال بقوله : « الصلاة عمود الدين ، إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ماسواها » ، « الصلاة قربان كل تقي » ، « اول ما يحاسب عليه الصلاة » . « وان اول مافرض الله تعالى الصلاة وآخر ما يبقى عند الموت الصلاة . وآخر مايحاسب به يوم القيمة الصلاة ، فمن اجاب فقد سهل عليه مابعده ، ومن لم يجب فقد اشتد عليه مابعده » . وقال : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » . وفى هذه الاحاديث كفاية لبيان أهمية الصلاة .

ان النبي (ص) كان كثير الصلاة حتى تورمت قدماه . وأما علي (ع) فكان يصلي كل يوم وليلة الف ركعة . وقد قال فيه ابن أبي الحديد : « كان علي أعبد الناس واكثرهم صلاة وصوماً ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته » . وأما الحسين (ع) فكما روى ابن عبد البر في الاستيعاب حج خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه وكان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة.

وقد صلى الحسين (ع) صلوات عدة مشهورات منذ خروجه من مكة

فاراً ، بغية الاستشهاد في موضع آخر ، صيانة لحرمة بيت الله الحرام .

الأولى : أنه عليه السلام بعد أن سار من بطن العقبة ونزل شراف ، أمر عند السحر فتيانه فاستقوا الماء واكثروا ثم سار منها حتى انتصف النهار فلاقاهم الحر ومعه الف فارس وكان قد أثر فيهم العطش . فأمر الحسين (ع) فتيانه ان اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً، ففعلوا وقد حضر وقت صلاة الظهر . فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن . فلما حضرت الإقامة ، خرج الحسين عليه السلام فحمد الله واثنى عليه ، وقال : « أيها الناس ، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت علي رسائلكم : أن اقدم علينا ، فانه ليس لنا إمام ، لعل الله أن يجمعنا واياكم على الهدى والحق . فان كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما أطمئن اليه من عهودكم ومواثيقكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين ، انصرفت عنكم الى المكان الذي جئت منه اليكم » . ثم قال للمؤذن : أقم الصلاة ، فأقام الصلاة . فقال للحر : أتريد ان تصلي بأصحابك ؟ فقال لا ، بل تصلي انت ونصلي بصلاتك ، فصلى بهم الحسين عليه السلام وكل دخل خيمته . فلما كان وقت العصر امر الحسين عليه السلام ان يتهيؤا للرحيل . ثم أمر مناديه ، فنادى بالعصر ، وأقام ، واستقدم الحسين عليه السلام فصلى بالقوم . ثم سلم وانصرف اليهم بوجهه . فحمد الله واثنى عليه . وقال : « أما بعد ، أيها الناس ، إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله ، يكن أرضى لله عنكم . ونحن أهل بيت محمد ، اولى بولاية هذا الأمر عليكم ، من هؤلاء المدعين ماليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان . فان أبيتم الا الكراهة لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت علي به رسلكم انصرفت عنكم » . فامتنع الحر واصحابه وجعجعوا به حتى اوردوه كربلاء .

وإن ائتمام الحر بأبي عبد الله الحسين عليه السلام في صلاته يعرفنا قبلا

ان نفسه كانت قمينة لقبول الحق والفوز بالشهادة وحسن السمعة . لذلك يأتي حسيناً يوم العاشر نادماً تائباً فاراً من ابن سعد وأصحابه ، قائلا « هل لي من توبة » . فيتوب على يد الامام عليه السلام ، ويستشهد بين يديه ويفوز بالخلود الأبدي في نعيم أبدي . وقد اتم الحر بهذا الرشاد الحجة على ابن سعد ومن والاه .

ونادى عمر بن سعد عشية يوم الخميس لتسع مضين من المحرم قائلا : « ياخيل الله اركبي وبالجنة ابشري » فركب الناس وزحفوا بعد العصر ، والحسين عليه السلام جالس امام بيته محتب بسيفه فجاءه العباس عليه السلام قائلا : يا اخي أتاك القوم . فقال : ياعباس ، « اركب بنفسك انت حتى تلقاهم ، وتقول لهم : مابالكم وما بدا لكم ، وتسألهم عما جاء بهم » . فأتاهم العباس (ع) في نحو عشرين فارساً ، فسألهم فقالوا : « قد جاء أمر الامير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه او نناجزكم » قال : « لاتعجلوا حتى أرجع الى أبي عبد الله فأعرض عليه » . فلما أخبره العباس بقولهم ، قال له : « إرجع اليهم . فان استطعت أن تؤخرهم الى غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار » . فرجع العباس عليه السلام وسألهم ذلك . فتوقف ابن سعد . فقال له عمر بن الحجاج الزبيدي . سبحان الله . والله لو أنهم من الترك او الديلم وسألونا مثل ذلك ، لأجبناهم . فكيف وهم آل محمد . فجمع الحسين عليه السلام أصحابه قرب المساء فقال : « اثني على الله احسن الثناء واحمده على السراء والضراء ، اللهم إني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة ، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا اسماعا وأبصاراً وأفئدة ، فاجعلنا لك من الشاكرين » ثم طلب الى اصحابه أن يتفرقوا عنه جوف الليل ، وقال لهم : انتم في حل مني ، فلم يقبلوا وقابلوه بكلمات

تدل على عظمة الايمان فيهم فقام الحسين (ع) وأصحابه الليل كله ، يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون . باتوا ولهم دوي كدوى النحل مابين قائم وقاعد وراكع وساجد .

سمة العبيد من الخشوع عليهم لله ان ضمتهم الاسحار
فاذا ترجلت الضحى شهدت لهم بيض القواضب أنهم احرار

ولم يشغلهم ماهم فيه من الشدائد وانتظار القتل عن ذكر ربهم فعبر اليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلا . ولا أعلم كيف اصف هذا التهجد. فانهم كانوا يرون الحق علانية وقد رفعت عنهم الحواجب وكشف لهم الغطاء . لذلك تراهم مأنوسين فرحين مستبشرين . فهذا برير ، يداعب عبد الرحمن الانصاري ويضاحكه . فيقول له عبد الرحمن ، يا برير ، ماهذه ساعة باطل . فيجيب برير : « لقد علم قومي اني ما احببت الباطل كهلا ولا شاباً ، وانما افعل ذلك استبشاراً بما نصير اليه ، فو الله ماهو الا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا ونعالجهم بها ساعة ثم نعانق الحور العين » .

وأعظم صلاة يصليها الحسين عليه السلام هي صلاة ظهر العاشوراء . ففي بحبوحة الوغى يأتي أبو ثمامة الصيداوي حسيناً قائلا : « يا أبا عبد الله ، نفسي لنفسك الفداء ، هؤلاء قد اقتربوا منك . لا والله ، لاتقتل حتى أقتل دونك ، وأحب ان القى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة » . فرفع الحسين عليه السلام رأسه الى السماء ، وقال : « ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين الذاكرين . نعم هذا اول وقتها » . فالحسين عليه السلام يدعو لأبي ثمامة ان يجعله الله من المصلين . كل ذلك ، لأنه لافضيلة ولا مقام اعلى من ان يعد الانسان من المصلين . وهذا تفسير قوله تعالى : « إن الانسان خلق هلوعاً ، اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين » . فاستثنى الله تعالى المصلين الذاكرين . فهؤلاء بصلواتهم المقبولات تطهر نفوسهم فتأخذ

بالكمال ويكونون إذ ذاك فوق البشر العادي ، فلا يجزعون عند الشر ولا يمنعون اذا مسهم الخير .

ثم قال الحسين عليه السلام سلوهم ان يكفوا عنا . ففعلوا . فقال لهم الحصين بن تميم انها لاتقبل . فقال له حبيب بن مظاهر : زعمت لاتقبل الصلاة من آل رسول الله (ص) وتقبل منكم ياحمار . فحمل عليه الحصين وحمل عليه حبيب رضوان الله عليه فقتل بديل بن صريم ثم قتل . فقال الحسين عليه السلام : « عند الله أحتسب نفسي وحماة اصحابي . لله درك ياحبيب ، لقد كنت فاضلا ، تختم القرآن فى ليلة واحدة » . وقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله : تقدما أمامي حتى اصلي الظهر فتقدما امامه في نحو من نصف اصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف . فوصل الى الحسين عليه السلام سهم ، فتقدم سعيد بن عبد الله ووقف يقيه النبال بنفسه ، مازال ولا تخطى ، فما زال يرمى بالنبل حتى سقط الى الارض وهو يقول : « اللهم العنهم لعن عاد وثمود . اللهم ، أبلغ نبيك عني السلام وأبلغه مالقيت من ألم الجراح . فاني أردت ثوابك في نصرة ذرية نبيك » . ثم قضى نحبه رضوان الله عليه ، فوجد فيه ثلاثة عشر سهما سوى مابه من ضرب السيوف وطعن الرماح ، وقد خطب الحسين في اصحابه بعد الصلاة ، فقال : « يا أصحابي ، إن هذه الجنة قد فتحت ابوابها واتصلت انهارها واينعت ثمارها وتؤلفت ولدانها وحورها وهذا رسول الله (ص) والشهداء الذين قتلوا معه ، ابي وامي يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم وهم مشتاقون اليكم ، فحاموا عن دين الله وذبوا عن حرم رسول الله » .

هذه صلاة يصليها الحسين (ع) في احرج ساعة بين السيوف والرماح فيعلم الناس عظمة الواجب وأنه لايترك بحال ، وان امر الله فوق جميع الاعتبارات . وان الحرب والنضال انما هما لتقويم دين الله واحياء شعائر

الله . يعلم الناس ان مبدأ الفضائل انما هو في صلاة يؤديها الانسان شكراً لخالقه وان لافضيلة دون صلاة وخشوع لله تبارك وتعالى . يقدم درساً عملياً : ان الشواغل الدنيوية من تجارة ومرض ولعب وسباق وجهاد وغيرها محكومة تجاه عظمة الصلاة ، ولا عمل لمن لا صلاة له مهما عظم العمل في نظره او في نظر الناس . وهو صلوات الله عليه يختم هذه الصلاة التى لا تشبهها أية صلاة بمناجاة يناجي بها ربه حين بقي وحيداً فريداً قائلا :

تركت الخلق طراً في هواكا وايتمت العيال لكي اراكا
فلو قطعتنى في الحب إربـاً لما مال الفـؤاد الى سواكا

فإلى الاستفاضة من الدروس الحسينية والاستفادة من عظمته وآثاره الخالدة أدعو إخواني المسلمين .

لماذا ابكي حسينا (ع) (١)

ما هذا الحزن الذي يحيط بالعالم الاسلامي عند هلال محرم الحرام ؟ ما هذا الأسى الذي يتداخل كل مسلم في هذه الايام ؟ ماهذا الوجوم الذي يعم الآفاق ؟ لماذا هذه المآتم وهذه المجالس المتعددات في شرق العالم وغربه لماذا تغلق المجوس حوانيتها ثلاثة ايام في هـذا الشهر ؟ لماذا اتباع براهما پوترا في الهنـد يقيمون المآتم ويبذلون وينفقون ؟ لماذا تصرف آلاف الدنانير لاطعام الفقراء والمساكين في هذه الايام ؟ ذلك لأن حادثاً عظيما يهز العالم هزاً ، ذلك لأن الفضيلة تصطدم بالرذيلة فيكون من نصيبها الخفوق أولا ثم الفتح والانتصار . ذلك لأن الضلال يريد أن يعود فيأتيه الحسين عليه السلام بنفسه ونفيسه فيقمعه قمعاً . ذلك لأن الجاهلية الجهلاء تريد أن تبرز من جديد فيقابلها السبط بما عز لديه : بطفله وولده وسبي رحله وذراريه ذلك لان الشرك يريد أن يخرج من قرن الشيطان فتتداركه رحمة الله الواسعة حسين عليه السلام فيمحقه محقاً بأخبية تحرق وستور تهتك وثغور تقرع . كيف لايهتز العالم لهذا الحادث العظيم وإن حياته فيه : ألا وهي الخلود في نعيم أبدي بتطهير النفس من الدنس والرجس وبعبادة الرحمن : ذلك الذي خُلق الانسان لأجله . كيف لايضطرب العالم شكراً وتقديراً ، فانه لولا هذا الحادث الجلل لكان مستغرقاً فى عبادة الشمس واللات والعزى . فلو بذل العالم كل مافيـه من مال وذاب حزناً وأسى وكآبة وسال دموعاً لما وفى حقاً من حقوق محيي الشريعة ومجددها أعنى حسيناً عليه الصلاة السلام . ما هـذا البكاء ؟ انما هو زفرات يزفرها الانسان مصحوبة بالدموع

(١) كلمة ألقيت في العشرة الاولى من شهر محرم الحرام .

بصورة غـير اختيارية اعترافاً بعظمة الحسين عليه السلام وتقديراً لاعماله الجبارة الخالدة . انما هو مظهر من مظاهر الحب والولاء . انما هو امارة من امارات العشق والوداد . وقد جاء في الحديث : « هل الدين الا الحب والبغض ؟ » ...

نسمع كثيراً أن كبار الرجال من سياسيين عظام الذين لم يسمع أنهم بكوا لحادثة ، يذكرون في تاريخ حياتهم أنهم بكوا مرتين او ثلاثا طيلة حياتهم اما على ام لهم توفيت اوأب خطفه ريب المنون . كل ذلك لحب يتجلى فيسيل دموعاً ساخنات . وحسين والله قد خدم البشرية أضعاف مايخدم الوالد ولده والوالدة ولدها . لأنه احيا نفوس العالم الضالة وأخرجها من الحيرة الى نور الهداية وهداهم سواء السبيل .

لقد حضرت في احدى العواصم حفلة رائعة لتخليد ذكرى الكيمياوي الشهير : برثلو (Berthelot) وان أكثر مدن العالم قد احتفلت في نفس اليوم بذكرى هذا الكيمياوي الذي خدم العالم خدمات مادية تفيد البدن خاصة وما هي نسبة احياء النفس الانسانية بصورة أبدية الى خدمة بدنية يقدمها الكيمياوي مع تقديرنا لخدمته .

ان الشرع الاسلامي قد نهى عن البكاء لأمور تافهة دنيوية وأمر بالصبر وجعل البكاء مبطلا للصلاة واستثنى البكاء أثناء الصلاة خوفاً من الله تعالى او حباً للحسين السبط ، ولذلك يقول صلوات الله عليه : « أنا قتيل العبرة لايذكرني مؤمن الا استعبر » . فالبكاء على الحسين عليه السلام من علامات الايمان الواقعي الحقيقي . كان الصادق عليه السلام يقول : « الحسين عبرة كل مؤمن » .

ليس البكاء على امحاء الفضيلة يبعث على الـذل والمسكنة كما يظنه البعض . فان النفوس لتصدأ كما يصدأ النحاس ، ولا يزيل هذا الصدأ الا

البكاء من خشية الخالق والبكاء على ملتقى الفضائل ومجمع التضحيات الحسين عليه الصلاة والسلام .

كان صديق لي من الافاضل في النجف الاشرف يقول لي : « اني أشعر أن نفسي تصدأ إن لم أحضر مجلس الحسين عليـــه السلام في كل اسبوع مرة فأبكي ، فاذا بكيت اشعر بعد البكاء بارتياح وفرح وسرور واطمئنان وترفع عن العالم المادي » . فالميزة الفارقة بين البكاء الباعث على الـــذل والهوان هو ذلك البكاء الذي يتعقبه حزن وكآبة وظلمات ، ولكن البكاء من عقاب الخالق اوالبكاء للندم الحاصل للانسان من جراء ماقترفت يداه من الذنوب يريح النفس ويبعث على السرور والفرح وكل من جرب ذلك يصدقني فيما اقول .

ولقد شاهدت أناساً كثيرين يبكون حسيناً باخلاص لاتأخذهم في الله لومة لائم جربتهم وسبرتهم فرأيتهم من خيار الناس وأبرارهم . فكأن هذا البكاء الخالص لو كان عن معرفة يؤثر في النفس فيهديها سواء السبيل ، فتبدو آثار هذه الهداية في الافعال والمعاملات . أليست التجربة مدار البحث في علم النفس الحديث أو بالأحرى في عـــلم مظاهر النفس . أليس اكثر مقتبسات علم النفس الحديث تتم بطريقة آنكت (Enquete) أي السؤال والتتبع والفحص عن نفسيات ثلة من الناس . وقد وجدت الذين لايرتضون البكاء على الحسين عليـه السلام أقـل عطفا وحنانا من الطبقة الأولى المارة الذكر . فاني أرى أن من علائم الانسان الكامل أن يحزن ويبكي لهذا الحادث العظيم الذي به تجلى الدين وبه عرف الله وبه عبد . كيف لاويزيد يقول متمثلا بقول ابن الزبعرى :

« لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم انتقم من بني احمد ما كان فعل »

فهذا البكاء بكاء للدين ولله تعالى وهذه الدموع يتجلى فيها التقدير والشكر والثناء ، ومن تتبع أدوار هذا البكاء الحسيني علم كيف يأخذ بالانسان فيجعله في واد كله صفاء وكله نور . . . ولا يسع المجال أن انقل مقالا ضافياً طالعته في مجلة الكلية التى تصدر ببيروت عن فوائد البكاء المادية وكيف يفيد العين وكيف يكون سبباً لقتل كثير من الجراثيم التى تصاب بها العين . ذلك لأن كل ماجاء في الشرع المحمدي من اعمال لها فوائد روحية تؤدي الى كمال النفس الانسانية وفوائد مادية تفيد الحياة المادية والاجتماعية

ثم اليس عظماء الدين كانوا غزيري الدمعة مع بسالتهم وشجاعتهم وقيامهم بأعمال خارقة . هذا علي عليه السلام ، يصفه ضرار بن ضمرة قائلا : « كان والله غزير الدمعة ... الى أن قال ... لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، قابضا على لحيته الشريفة يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ... الخ » .

ليس البكاء على الفقيد ببدعة والادلة على ذلك كثيرة : منها الاصل العملي يقتضى إباحة البكاء على الفقيد ورثاءه بالقريض وتلاوة مناقبه ومصائبه والجلوس حزناً عليه والانفاق عنه في وجوه البر .

ويستفاد من الادلة اللفظية والسيرة القطعية والاصل العملي استحباب البكاء ، اذا كان الفقيد مستجمعاً لصفات الفضل اومضحياً نفسه في سبيل احياء الفضيلة ، كي يتأسى به الآخرون ويقتدى به الباقون فتنمو الفضيلة وتستأصل الرذيلة . ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بكى يوم احد على عمه حمزة حتى قال ابن عبد البر في ترجمته : « لما رأى النبى (ص) حمزة قتيلا بكى ، فلما رأى مامثل به شهق » (وذكر الواقدي ان النبي (ص) كان يومئذ اذا بكت صفية يبكي واذا نشجت ينشج قال : وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله (ص)) .

وقد أخرج البخاري أن النبي (ص) بكى على جعفر وزيد وقال : «اخواي مؤنساي ومحدثاي» . . وقد بكى رسول الله (ص) يوم مات ولده ابراهيم كما في الجزء الاول من صحيح البخاري صفحة : ١٤٨ . فقال له عبد الرحمن ابن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال « يابن عوف : انها رحمة » ثم اتبعها (يعني عبرته) بأخرى . فقال : « ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .

ومنها يوم ماتت احدى بناته (ص) فجلس على قبرها كما فى صحيح البخاري وعيناه تدمعان . ومنها يوم مات صبي لاحدى بناته إذ فاضت عيناه يومئذ - كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم - فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله . قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء » .

وقد ذكر ابن عبد البر في استيعابه ما لفظه : دخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه . فقال رسول الله (ص) : « على مثل جعفر فلتبك البواكي » .

وان أهل المدينة الطيبة لا يزالون الى الآن اذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة على حمزة . وما ذاك الا مواساةً لرسول الله (ص) بمصيبته في عمه، وأداءً لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه وهو قوله(ص): « لكن حمزة لا بواكي له » .

وأخرج ابن سعد كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر عن الشعبي قال : مر علي (عليه السلام) بكربلاء عند مسيره الى صفين وحاذى نينوى فوقف وسأل عن اسم الارض فقيل كربلاء . فبكى حتى بلّ الارض من دموعه . ثم قال عليه السلام: «دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت ما يبكيك (بأبي أنت وأمي) ؟ . قال : « كان عندي جبرائيل آنفاً ، وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء

الفرات بموضع يقال له كربلاء » .

وأخرج الملا (كما في الصواعق أيضا) أن عليا عليه السلام مر بموضع قبر الحسين (عليه السلام) ، فقال : « هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم . فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض » .

ومن حديث أم سلمة كما نص عليه ابن عبد ربه المالكي حيث ذكر مقتل الحسين عليه السلام فى الجزء الثاني من العقد الفريد . قالت : « كان عندي النبي (ص) ومعي الحسين ، فدنا من النبي (ص) ، فأخذته فبكى ، فتركته فدنا منه ، فأخذته فبكى ، فتركته . فقال له جبرائيل اتحبه يا محمد ؟ قال : نعم . قال ان امتك ستقتله وان شئت أريتك الارض التي يقتل بها فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم » .

فإلى تعظيم الشعائر والى احياء وتقوية الدين بتخليد اسم من خلد الدين وأحياه وأعني به حسين الفضيلة وحسين الاباء أدعو اخواني المسلمين .

كيف نجلب الشباب الى حظيرة الاسلام

كل منا يعلم أن الأكثرية الساحقة من شبابنا اليوم بعيدون عن الاسلام كل البعد ، فهم بين مؤمن بمبادىء الاسلام غير مؤدٍ للفرائض ومنفلت عن الاخلاق الاسلامية الا القليل وبين مستهزىء بالمقدسات والتعاليم الاسلامية وناظر الى ما أوجبه الله من واجبات نظرة سخرية وازدراء وبين عدوٍ للاسلام ومبادئه . كل ذلك ، لأن الصهيونية والمسيحية والاستعمار قامت منذ مائتي سنة بأساليب شتى عن طريق التعليم وتأسيس نوادٍ للشباب وغيرها بانتزاع العقيدة الاسلامية عن الشباب وعرض الاسلام كمبدء بالٍ خرافي لا يماشي الترقي والتقدم ، كمبدأ معارض لمفاهيم العصر والحضارة الغربية التي يجب أن تعتنق لمواكبة السير التقدمي بين الأمم والا فالموت والفناء !

فقد خسرنا نتيجة جهود بذلها الغرب ٨٠ ٪ من شبابنا . وان العدد ليتفاقم يوماً بعد يوم ، مع العلم ان الشباب طاقة لا يستهان بها بل هو الثقل الوزين الذي يجب أن يتحمل مسؤولية الاحتفاظ بالرسالة المحمدية ونشرها بين الأصقاع .

فما الذي يجب أن نقوم به لارجاع الشباب المخدوع الى حظيرة الاسلام والى تفهم الاسلام كمبدأ يفي بجميع ما يحتاجه الانسان من دساتير لتكامله في جميع الحقول من اجتماعي واقتصادي وقضائي وعسكري وسياسي وعلمي وما يحتاجه من تعاليم لتحقيق آخرة سعيدة .

هذا ما يجب أن يفكر فيه المفكرون وان يكون شغلهم الشاغل . لاشك : ان النشرات الدينية تؤثر الى حدٍّ ما في ردع الشباب عن غوايتهم وتحبيبهم الاسلام . ولكن قلّ من يحمله حب الاطلاع على اقتناء نشرات دينية ومطالعتها

وان المجلات الخلاعية لا تدع مجالاً للتفكير في نواح اخرى تهذيبية .

ومن الواضح أن التدريس في المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية لا يبتنى على توحيد الله تبارك وتعالى وعزو كل نظام وقانون في هذا الكون الى الله المبدع الحكيم . . بل تدور على الالسنة : أن الطبيعة هي التي صنعت كذا وجهزت بكذا وان الطبيعة عالجت وتداركت ! . . الى ما هنالك . فينشأ الطالب بعيداً عن توحيد الله تبارك وتعالى في أرضه وسمائه ، بعيداً عن تقديسه وعزو كل كمال اليه (١) . . وقد يؤول أمره الى الالحاد ! لا سمح الله .

هذا هو الواقع المرير الذي نلمسه اليوم في شبابنا . فهل تكفي المواعظ فحسب ومَن يرى الشباب حتى يَعظهم ؟ وفي أي محل يعظهم ؟ فهل هناك من مشوقات لاجتماعهم في محل خاص ؟ !

فأساليب الدعوة الى حظيرة الاسلام يجب أن تتطور حسب مقتضيات العصر . شريطة أن لا تتنافى مع ما قرره الشرع الشريف .

فلابد أن ينبري الأثرياء من المسلمين مقدرين الوضع المبكي باذلين من نفوسهم ونفائسهم لتأسيس نوادٍ للشباب يرأسها من يعتمد عليه في دينه وتقواه وعلمه ، فيطبق لتربية الشباب في أوقات فراغهم مناهج اسلامية رصينة

إن هذه النوادي هي مدارس اسلامية تجذب الشباب اليها بأسلوب شيق ، ففيها قاعة لإلقاء المحاضرات ، وفيها مصلى كبير لاقامة الفرائض ، وفيها مكتبة اسلامية وفيها ساحات لرياضات بدنية وما يقوي الأجساد وهناك صفوف لإلقاء دروس في الدين والأخلاق وعلم التجويد والتفسير وتاريخ الاسلام . وهناك امتحانات تعين مقدار أهلية الشاب للقيام بالدعوة الاسلامية

---

(١) قد يصرف احدهم عشرين سنة من العمر للوقوف على حياة النملة بالتفصيل . أفلا يجدر به أن يصرف شيئا من العمر لمعرفة خالق النملة !

فهذه النوادي أو المدارس الاسلامية لها مناهجها وساعات للعمل وفعاليات شتى ، وتعلّم في الوقت نفسه بعض الصنايع ليستعين بهـا المبشر بالدين الاسلامي : (الداعية) في بعض الأحيان وعند الضرورة .

إن في الشباب طاقات وقوى لابدّ وان تتوجه بصورة طبيعية لتبذل في ناحية من النواحي بشكل سلبي أو ايجابي ، فعلينا أن نستغل هذه الطاقات وان نستفيد منها لتربية الشاب تربية سليمة ، تربية اسلامية رصينة ، تربيـة فيها مرغبات مشروعة ومشوقات يقرها الدين الاسلامي : جمال المحل ، النظافة المتناهية ، تلاوة القرآن بصوت رخيم ، أخلاق فاضلة وتحابب وتوادّ أمر بها الاسلام .

الشاب يريد أن يعمل ، يريد أن ينتج ، يريد الحركة والفعالية ، فهذه النوادي تحقق رغبات الشباب وذلك بتقسيم واجبات وفعاليـات شتى على الشباب المنتمين الى هذه النوادي : من ادارة مكتبة أو تطبيق منهج أو القاء كلمة أو هداية شاب أو المساهمة فيما يقوي الجسم من رياضة بدنيـة وألعاب رياضية مشروعة أو القيام بأعمال نجارية لترتيب قاعة المحاضرات الى ما هناك من فعاليات لا تدع مجالاً لأن تصرف أوقات فراغ الشاب فى ما يفسد دينه ودنياه .

وقد شاهدت في استانبول قبل حوالي أربعين عاماً نادياً هاماً أسسه قس امريكي يرتدي الألبسة العادية ، إن هذا النادي كان ينتمي الى جمعية الشبان المسيحيين (Y . M . C . A) . كنت ترى فى هذا النادي ما يحقق راحة الشاب من مناضد وكراسي ووسائل للمطالعة وساحات للعب ، وقد لاحظت أنه قد وضعت في القاعة الكبرى قطعة مكتوب عليها سورة الفاتحـة من القرآن الكريم وبجنبها قطعة اخرى مكتوب عليها عبارات من الانجيل المتداول ! وكانت تلقى محاضرات على الطلاب في كل اسبوع في أوقات معينة

لتوجيههم الى هدف معين ، وكانت تقوم الجمعية في الصيف بأخذ الشبان الى سواحل البحر ونصب الخيم لتدريبهم تحت مناهج معينـــة واستمالتهم نحو الهدف المنشود !

يقول الاستاذ محمد مهدي الآصفي في كتابه : (من حديث الدعوة والدعاة) :

دُعيت في طهران الى الكنيسة الانجيليـــة من قبل الدكتور (جان آلدر) زعيم الحركة المسيحية في ايران لنتحدث عن شؤون الاسلام والمسيحية فأدهشني نشاط الحركة وتوسعها وقوتها وإيمان أصحابها بها واهتمام المسيحيين بتجهيزها وتمويلها . وأشجاني أكثر من أي شيء آخر : أنني رأيت ثلةً من الشباب المسلم المتنصر يعملون في تسيير هذه الحركة وتجهيزها . فكان ينادي أحدهم الآخر : مصطفى ، محمد ، حسن ، علي ، فسألت عن حالهم . فقالوا : « نحن من المسلمين المتنصرين ، راقتنا الدعوة فاستجبنا لها » . فسألتهم عما اذا كانوا يعرفون شيئاً عن الاسلام ، فكان الجواب بالنفي . وكانوا لا يحسنون قراءة شيء من القرآن . مع العلم أنهم كانوا يحفظون جملا طويلة من العهد الجديد والعهد القديم من الكتاب المدعو بـ (المقدس) .

يقول الاستاذ الآصفي : « تعتمد المسيحية في التبشير على الأساليب العاطفية أكثر من أي جانب آخر وتستغل العاطفة قبل أن تستغل العقل أو من غير أن تستغل العقل . فطقوس العبادة تجري في جو متكهرب بموسيقى عذبة وألحان شجية مثيرة والنشيد الديني يسبح على فضاء الكنيسة ممتزجـــاً بالأنغام الموسيقية في جو ممغطس ساحر . والنشيد حقل من حقول الشعر العاطفي الرقيق ، يلعب بأفكار الحاضرين وعواطفهم ، فتسد عليهم منافذ العقل والتفكير . ثم هناك ضروب الاغراء والوعد الكاذب . فالمؤمن الخاطىء اذا اغتسل بماء التعميد واعترف للقسيس بكل شيء فقد وهب الله له ما تقدم

من ذنبه ، وما أدراك ما لمشهد التعميد من روعة وسحر » .

مما لاشك فيه أن الغزو التبشيري كان يعتمد منذ أمد بعيد على فتح مدارس ابتدائية وثانوية وسلسلة من النشرات بورق جيد وطباعة أنيقة لمختلف الطبقات : للأطفال والشبان وغيرهم .

واما التبشير المسيحي في افريقيا فحدث عنه ولا حرج ، فانه يجري بمقياس واسع جداً ، فهناك مبشرون يوفدون مع تعليمات خاصة للمستعمرات ، وتفتح للأهلين معاهد للتدريس ثم يؤتى بمطبعة وتطبع فيها النشرات المسيحية ، فاذا حاولت هذه المستعمرة أن تتحرر ، رجع هؤلاء المبشرون وحل محلهم مبشرون آخرون من طراز آخر وتعليمات خاصة ، فاذا تحرر البلد نهائياً واستقل استقلالاً تاماً حل محل هؤلاء القسيسين قسيسون آخرون وهكذا . . . ولكن الافريقيين يميلون مع كل ذلك الى الاسلام أكثر من أي دين آخر ويدخل منهم في دين الاسلام أفواج وأفواج ، لعلمهم أن الاسلام يأمر بالتحرر والاستقلال ويأبي الذل والاستعمار .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (١) .

وقد قرأت في احدى المجلات أن عدداً كبيراً من الشبان المسلمين في (وينه) عاصمة اطريش قد تقدموا بطلب الى المراجع الدينية يرجون فيه أن يرسل اليهم عالم ديني يعلمهم مبادىء الدين القويم .

وقد تأسس مركز اسلامي في جنو (Geneve) في سويسرا باسم (Islamic center) لنشر تعاليم الاسلام والاتصال بالجمعيات الاسلامية في أرجاء العالم .

وهناك جمعيات اسلامية مهمة تأسست في الهند تعمل لأجل نشر الاسلام في أنحاء العالم ولها نشرات بلغات شتى ، وهناك نداءات تأتي من اليابان

---

(١) سورة المنافقين : ٨ .

يطلبون بالحاح أن يرسل لهم دعاة يدعون الناس الى الاسلام . واما أفريقيا فخير بقعة لنشر الاسلام فى الوقت الراهن فان عدد المسلمين يزداد فى افريقيا (٥٠٠ ٠٠٠) نسمة في كل سنة ، وقد كان في بداية القرن العشرين (٤٠٠٠٠) مسلم فى كونكو واليوم عددهم (٢٣٦ ٠٠٠) وان (لومبومبا) كان يميل الى الاسلام ، وكان يقول : « اني اتعجب أن المسيحيين كانوا يعلموننا في المدارس أن نحترم الأسس المسيحية وكانوا يقولون يجب أن يسود الحب والوئام بين أفراد البشر ، ولكن المسيحيين أنفسهم كانوا يخالفون ما يقولون وكانوا يسحقون أسس المدنية والانسانية تحت أقدامهم وان التعليمات المدرسية تخالف مخالفة صريحة مع معاملتهم السود : الملونين » . كما أن في أمريكا مجالاً واسعاً لتثبيت دعائم الاسلام .

فالاسلام دين الفطرة ، دين العقل والمنطق ، تتقبله النفوس بكل ارتياح ، لذلك نراه ينتشر في استراليا من قبل جمالين ، وذلك أن القاطنين في استراليا احتاجوا الى وسائل النقل لبعد المدن بعضها عن بعض بمسافات شاسعة ، وأرسل لهم من الأفغان عدد من الجمال مع أصحابها المسلمين ، فنشر هؤلاء الجمالون الدين الاسلامي مع كونهم من عوام النـــاس في تلك الاصقاع ، وبنى المسلمون هناك مساجد فخمة يتلى فيها كتاب الله وتقام فيها الصلوات فليعلم شبابنا ان الغرب لا يزال متمسكاً بدينه ، وهو يحارب الاسلام بشتى الوسائل ، ففي أمريكا (٢١٢ ٠٠٠) داعية للتبشير بدين المسيح (ع) ، وعشرات الالوف من الكنائس والأديرة والمؤسسات التبشيرية وما الى ذلك من المعاهد والمستشفيات . والحكومة الامريكية تبذل الدولارات في هـــذا السبيل ، وللكنيسة سلطتها في أمريكا . ولقد ترجم الكتاب المقدس : (الانجيل) المتداول الى ٦٣٠ لغة . وفي بعض الجامعات توضع صورة المسيح (ع) على شهادة التخرج .

فجدير بشبابنا أن لا تأخذهم في الله لومة لائم وأن يعملوا مجدين لنشر الاسلام فى أصقاع الأرض ، أينما حلوا ، بعد دراسة الاسلام دراسة متقنة ودراسة القرآن الكريم دراسة وافية وعلم الحديث وشيء من الفقه . ففي ذلك نجاتهم ونجاة العالم مما تنتابه من ويلات ولهم بذلك عند الله أجر عظيم .

« ومَن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين » (١) .

---

(١) حم السجدة : ٣٣ .

شهر الغفران

ان الله تبارك وتعالى لعلمه بما ستجنيه هذه النفس الأمارة بالسوء من الموبقات والمدنسات والخبائث ، هيأ لها شتى الوسائل لتئوب الى ربها وتكفرّ عن سيئاتها وتحظى بغفران الله وجليل رحمته . ومن أهم تلك الوسائل المطهّرة للنفس الانسانية من الدنس والرجس هو شهر رمضان المبارك بما فيه من امساك وتسبيح وتهليل وتحميد ومناجاة وتلاوة قرآن وصدقة وإطعام وكفّ النفس والجوارح عن الأذى وكل ما يؤدي الى التسافل والتدنس . فالصوم نعم المربي وإن شهر رمضان المبارك شهر تربية وتزكية ، شهر تهذيب وتثقيف دينيين . فكما أن بعض الأمم تخصص اسبوعاً لشؤون التربية فتسمي هذا الاسبوع اسبوع التربية أو أسبوع المعارف ، كذلك فان الله تبارك وتعالى رحمة بعباده قد خصص شهراً للانابة والاستغفار وكفّ النفس عن مشتهياتها كي تكمل بالصبر والعزم على اقتحام الأذى . فان النفوس تقاس بدرجة تحملها النوائب وصبرها على المكاره . لذلك قد جاء في الحديث القدسي أن الله يقول : « الصوم لي وأنا أجزي عليه » وفي حديث آخر : « عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وانا أجزي به » . نعم ان الله يمتحن عباده بالصبر على البلاء والمكاره لأمرين : أولها : ان البلايا والمكاره مهذّبة للنفس آخذة إياها الى أرفع مراتب الكمال ، ثانيهما : ليكون الجزاء عن جدارة ولياقة . وهو القائل : « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا شيء أعلى مرتبة عند الله من الصبر . والصوم تمرين ورياضة على الصبر . فقد قال الله تعالى كما جاء في الحديث « كل أعمال ابن آدم بعشرة اضعافها الى سبعمائة ضعف الا الصبر فانه لي وانا اجزي به » فثواب الصبر مخزون عند الله والصبر هو الصوم : وقد

روي في قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر » اي بالصيام . ولما كان الصوم في الحر اشد لذلك جاء عن الصادق عليه السلام : « مَن صام يوماً في الحر فأصابه ظمأ وكَّل الله عز وجل به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى يفطر وقال الله عز وجل : ما أطيب ريحك وروحك ، ملائكتي اشهدوا أني قد غفرت له » .

ومن كلام رسول الله (ص) : الشقي من حرم غفران الله فى هذا الشهر . وانما سمي هذا الشهر بشهر رمضان ، لأنه يرمض الذنوب (أي يحرقها) كما جاء في الحديث . وفي الاقبال عن كتاب الجعفريات عن الكاظم عن الصادق عن زين العابدين عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : لا تقولوا رمضان ، فانكم لا تدرون ما رمضان ، فمن قاله فليتصدق وليصم كفارة لقوله ، ولكن قولوا كما قال الله تعالى : شهر رمضان. كل ذلك تنويهاً بعظمة هذا الشهر حتى سماه الله تعالى باسمه . ولكن قد ورد في بعض الأخبار لفظ رمضان مجرداً عن لفظ الشهر ولذلك حمل على الكراهة .

الصوم زكاة الابدان ومطهر اياها من الخبائث . فقد جاء في الحديث ان لكل شيء زكاةً وزكاة الابدان الصيام . وما أعظم الخطاب الذي خطب به رسول الله (ص) الناس قبيل شهر رمضان المبارك ، فانه مستجمع لجميع الخصال التي يكون بها الانسان انساناً كاملاً ، انه خلاصة جميع الفضائل ودستور جامع لجميع الكمالات . فأين هذا البشر المادي المسكين من التمسك بهذه الفضائل وتتبع هذه المكرمات ، ليست الوسائط المادية من النفس الانسانية وكمالها في شيء . ولا أعلم ماذا ينتظر البشر بعد هذا الدستور الإلهي . فلا دستور بعد دستور محمد (ص) وهل تجدون معشار ما في هذا الحديث النبوي من دساتير تكامل البشر في نظريات : دكارت أو اسپينوزا

او مالبرانش أو برگسون (Bergson) او اسپنسر او روسو .

فقد روى الصدوق فى الأمالي بسنده عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام عن النبي (ص) انه خطب الناس ذات يوم فقال : « أيها الناس ، إنه قد اقبل اليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة . شهر هو عند الله افضل الشهور وايامه افضل الأيام ولياليه افضل الليالي وساعاته افضل الساعات . وهو شهر قد دعيتم فيه الى ضيافة الله وجُعلتم فيه من اهل كرامة الله ، انفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب . فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة ان يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه ، فان الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم . واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه . وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر اليه أبصاركم وعما لا يحل اليه الاستماع أسماعكم وتحننوا على أيتام الناس يُتحنّن على ايتامكم ، وتوبوا الى الله من ذنوبكم ، وارفعوا اليه ايديكم بالدعاء فى اوقات صلواتكم ، فانها افضل الساعات ، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة الى عباده ويجيبهم اذا ناجوه ويلبيهم اذا نادوه . ويستجيب لهم اذا دعوه » .

« ايها الناس إن انفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من اوزاركم ، فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا ان الله جل ذكره اقسم بعزته ان لا يعذب المصلين والساجدين ، وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

« ايها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً فى هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه . فقيل يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك . فقال (ص) اتقوا النار ولو بشق تمرة . اتقوا النار ولو

بشربة من ماء » .

« ايها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام . ومن خفف فيه منكم عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ومن كفّ فيه شره كف الله غضبه عنه يوم يلقاه ، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه . ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه . ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءةً من النار ، ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور . ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخف الموازين . ومن تلا فيه آية من القرآن كان له أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور » .

« أيها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يُغلقها عنكم ، وأبواب النيران مغلقة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يسلطها عليكم » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقمت وقلت يا رسول الله ، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال ياأبا الحسن ، أفضل الاعمال في هذا الشهر : الورع عن محارم الله عز وجل . ثم بكى . فقلت يارسول الله ، ما يبكيك؟ فقال ياعلي ، لما يُستحل منك فى هذا الشهر . كأني بك ، انت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين : شقيق عاقر ناقة ثمود ، فيضربك ضربة على قَرنك تخضب بها لحيتك ، قال أمير المؤمنين عليه السلام ، فقلت : يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال (ص) : في سلامة من دينك ثم قال يا علي ، من قتلك فقد قتلني ومَن أبغضك فقد أبغضني ، لأنك مني كنفسي وطينتك من طينتي . . . الى آخر الحديث .

ساعات هذا الشهر المبارك

قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في اول خطبته المشهورة : « ايها الناس ، إنه قد اقبل اليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة » . حقاً ، إن هذا الشهر شهر الرحمة وشهر المغفرة . فقد جاء في الإقبال بسنده عن ابي عبد الله (ع) ، قال : « اذا كان اول ليلة من شهر رمضان غفر الله لمن شاء من الخلق ، فاذا كانت الليلة التي تليها ضاعفهم ، فاذا كانت الليلة التي تليها ضاعف كلما اعتق الى آخر ليلة في شهر رمضان يضاعف مثل ما اعتق في كل ليلة » . وبسنده عن سعيد بن جبير ، سألت ابن عباس : ما لمن صام شهر رمضان وعرف حقّه ؟ قال تهيأ يا ابن جبير حتى احدثك بما لم تسمع اذناك ولم يمر على قلبك . . (الى ان قال) : سمعت رسول الله (ص) يقول : « لو علمتم مالكم في شهر رمضان لزدتم لله شكراً . اذا كان اول ليلة منه غفر الله لأمتي الذنوب كلها سرها وعلانيتها . ورفع لكم الفي درجة وبنى لكم خمسين مدينة ، ثم ذكر لكل يوم من ايامه فضلا عظيما ، (الى ان قال) : فاذا تم ثلاثون يوماً كتب الله عز وجل لكم بكل يوم مر عليكم ثواب الف شهيد والف صدّيق وكتب الله عز وجل لكم عبادة خمسين سنة وكتب الله لكم بكل يوم صوم الفي يوم ورفع لكم بعدد ما انبت النيل درجات وكتب الله عز وجل لكم براءة من النار وجوازاً على الصراط واماناً من العذاب. وللجنة باب : يقال له الريّان ، لا يفتح الى يوم القيامة . ثم يفتح للصائمين والصائمات من امة محمد (ص) . ثم ينادي رضوان خازن الجنة : يا امة محمد ، هلموا الى الريان . فتدخل امتي من ذلك الباب . فمن لم يغفر له في شهر رمضان ففي اي شهر يُغفر له » . وفي حديث آخر : « إن لله ملائكة موكّلين بالصائمين يستغفرون لهم في كل يوم من شهر رمضان الى آخره

وينادون الصائمين كل ليلة عند افطارهم : ابشروا عباد الله ، فقد جعتم قليلاً وستشبعون كثيراً . بوركتم وبورك فيكم . حتى اذا كان آخر ليلة من شهر رمضان : ناداهم ابشروا عباد الله ، فقد غفر الله لكم ذنوبكم وقبل توبتكم ، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون » .

كيف لا يكون كذلك ، وإن الصائم يعتزم ترك النميمة والغيبة والفحش والسباب واكل اموال الناس بالباطل والكذب على الله ورسوله والنظر الى ما حرم الله والجدل والمراء والخمر والميسر والربا وكل ما حرم اللهورسوله صلى الله عليه وآله . فانه بتركه هذه الموبقات يوشك ان تحصل له طبيعة ثانية طاهرة وان يصبح انساناً كاملا سوياً مقرباً الى الله وموضعاً لرحمته وجزيل سيبه .

كم راينا اناساً كانوا قد توغلوا في الشهوات والمدنسات ، فتطهروا عنها بفضل شهر رمضان المبارك ، فانه كما قال رسول الله (ص) في خطبته المشهورة « ايامه افضل الأيام ولياليه افضل الليالي وساعاته افضل الساعات » . وذلك لأن الانسان يشعر وهو صائم انه يتقرب الى ربه في كل لحظة وهو يذكر الله في كل آن ، فكلما عطش او جاع تذكر انه يطيع الله ويمتثل اوامره بتحمله هذا العطش وذلك الجوع ، فيتوجه بكلّه الى خالقه وتقوى هذه الرابطة بين العبد والمعبود . وإن النفس الانسانية لتتطهر بدرجة قوة هذه الرابطة.

ما احلى الصوم ، فانه ذكر عملي لله تعالى ، ويلي هذا التذكر ما يقوم به الصائم من اعمال خيرية مؤكدة في هذا الشهر : ادعية خاصة بالنهار دعاء عند الافطار وغسل في ليالي الافراد وادعية بعد الافطار وصلوات مستحبة في كل ليلة وتلاوة القرآن وحضور مجالس الوعظ والارشاد والقيام بصلاة الليل عند السحر ومناجاة الله تعالى في الأسحار وقراءة ادعية السحر .

حقاً ، إن هذه الأعمال توصل الانسان الى يقين كامل والى اطمئنان

نفسي يكون العبد فيه كأنه يرى الله تعالى ويناجيه .

ما احلى الاستغفار والبكاء من خوف الباري عنـــد السحر . وهو القائل : « وبالاسحار هم يستغفرون » .

اتذكر تلك الساعات الثمينة التي كنت اقضيها في حرم مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام . فقد كنت ارى بجنبي رجالا مؤمنين غمرهم حب إلهي ، يقرؤون دعاء ابي حمزة الثمالي المروي عن زين العابدين علي بن الحسين (ع) ، وهم يبكون بكاء الثكلى . تنهمل دموعهم على خدودهم خوفاً من الله تعالى وشوقاً اليه . وقد تمنعهم هذه الدموع المملوءة بفرح عظيم الاستمرار في القراءة . قد عـــلاهم من الخشوع والخضوع والخلوّ بالله تعالى حالة لا يشعر بها إلا ذو حظ عظيم .

وها إني اذكر من هذا الدعاء بعض فقراته . ليعلم هذا الانسان المادي انه لم يُخلق للدنيا فحسب ، وانما خلق لحياة خالدة ، لـ (جنة عرضها السموات والارض اعدّت للمتقين) . فـ « الدنيا مزرعة الآخرة » .

يقول زين العابدين (ع) في دعائه : « إلهي لاتؤدبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك ، من اين لي الخير يارب ولا يوجد الا من عندك ، ومن اين لي النجاة ولا تُستطاع الا بك ... (الى ان يقول) : الحمد الله الذي اناديه كلما شئت لحاجتي واخلو به حيث شئت لسري ، بغير شفيع فيقضي لي حاجتي ... (الى ان يقول) : معرفتي يامولاي دلتني عليك ، وحبي لك شفيعي اليك ، وإني واثق من دليلي بدلالتك ، وساكن من شفيعي الى شفاعتك ، ادعوك ياسيدي بلسان قد اخرسه ذنبه ، ربِّ ، اناجيك بقلب قد اوبقه جُرمه ... (الى ان يقول) : وما انا يارب وما خطري ، هبني بفضلك وتصدق علي بعفوك ، اي ربِّ جللني بسترك واعف عن توبيخي بكرم وجهك ... (الى ان يقول) : فوعزتك ياسيدي ، لو انتهرتني ما برحت من

بابك ، ولا كففت عن تملقك لما انتهى إليّ من المعرفة بجودك وكرمك . . (الى أن يقول) : سيدي لعلك عن بابك طردتني ، وعن خدمتك نحيتني أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فاقصيتني ، أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقايتني ، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني ، أو لعلك رأيتي غير شاكر لنعمائك فحرمتني ، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني ، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني ، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني وبينهم خليتني . . . (الى أن يقول) : وأعنّي بالبكاء على نفسي ، فقد أفنيت بالتسويف والآمال عُمري ، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري ، فمن يكون أسوأ حالاً مني إن أنا نقلت على مثل حالي الى قبرٍ لم أمهده لرقدتي ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي . وما لي لا أبكي ولا أدري الى ما يكون مصيري . وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت . فمالي لا أبكي . أبكي لخروج نفسي ، أبكي لظلمة قبري ، أبكي لضيق لحدي ، أبكي لسؤال منكرٍ ونكيرٍ إياي ، أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري : أنظر مرة عن يميني واخرى عن شمالي ، اذ الخلائق فى شأنٍ غير شأني . . . (الى أن يقول) : إلهي ، إن عفوت فمن أولى منك بالعفو ، وإن عذبت فمن أعدل منك فى الحكم . إرحم في هذه الدنيا غربتي ، وفي اللحد وحشتي ، واذا واذا نُشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي . واغفر لي ما خفي على الآدميين من عملي ، وأدِم لي ما به سترتني . وارحمني صريعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي وتفضّل عليّ ممدوداً على المغتسل يُغسلني صالح جيرتي وتحنّن علي محمولا قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي وُجد عليّ منقولاً قد نزنت بك وحيداً فى حفرتي ، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي ، حتي لا أستأنس بغيرك ياسيدي » .

شهادة المثل الكامل على (ع)

يفارق علي عليه السلام الدنيا الفانية في مثل هذا اليوم (١) بعد أن ألقى على الأمة الاسلامية دروساً خالدة ما بعدها دروس : دروساً فيها عز الدنيا وسعادة الآخرة ، فيها راحة الفرد وراحة المجتمع ، فيها طمأنينة النفس وراحة الضمير ، فيها الوصول الى الحق والزلفى الى الله تعالى ، فيها غنى الفقير وفلاح الغني ، فيها العدل الاجتماعي المطلق وكل ما يؤدي بالفرد والمجتمع الى ذروة الكمال .

ولكن البشر لسوء سريرته وفساد باطنه وتغلب الهوى والأطماع لم يكن جديراً ليستفيد من هذه الدروس . بل أراد البعض في كل فرصة إخماد فبسات هذا النور اللامع حتى ضرب عليه السلام بسيف ابن ملجم المرادي فجر اليوم التاسع عشر من هذا الشهر المبارك وهو في محرابه يناجي ربه .

وقد أخبر بذلك رسول الله (ص) فى آخر خطبته المشهورة التي خطب بها الناس قبيل شهر رمضان المبارك ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام فقمت وقلت : يا رسول الله ما أفضل الأعمال فى هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن ، أفضل الأعمال في هذا الشهر : الورع عن محارم الله عز وجل . ثم بكى . فقلت : يا رسول الله ، مايبكيك ؟ فقال : ياعلي ، أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر ، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود ، فضربك ضربة على قرنك . فخضب منها لحيتك . قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقلت يارسول الله ، وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال : في سلامة من دينك . ثم قال : ياعلي ، من قتلك فقد قتلني ، ومن

(١) القيت هذه الكلمة فى الـ (٢١) من شهر رمضان المبارك .

أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبك فقد سبني . لأنك مني كنفسي وروحك من روحي وطينتك من طينتي . . . » الى آخر الحديث .

وقد روى النسائي في الخصائص بسنده عن عمار بن ياسر في حديث : قال : كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين فى غزوة العشيرة ، الى أن قال : قال رسول الله (ص) : ألا أحدثكما بأشقى الناس : رجلين ، قلنا : بلى يارسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك على هذه ، ـ ووضع يده على قرنه ـ حتى يُبل منها هذه وأخذ بلحيته .

وقد قدِم على علي وفد من أهل البصرة ، فيهم رجل من الخوارج . يقال له : الجعد بن نعجة ، فقال اتق الله ياعلي ، فانك ميت . فقال علي : « ولكني مقتول بضربة على هذا تخضب هذه ـ وأشار الى رأسه ولحيته بيده ـ قضاء مقضي وعهد معهود وقد خاب من افترى » . ثم عاب علياً فى لباسه . فقال : « لو لبست لباساً خيراً من هذا » ؟ فقال : « إن لباسي هذا أبعد لي من الكبر وأجدر أن يقتدى بي المسلمون » .

وكان علي(ع) في الشهر الذي استشهد فيه يفطر ليلة عند الحسن (ع) وليلة عند الحسين (ع) وليلة عند ابن جعفر ، لايزيد على ثلاث لقم ويقول : « أحبُ أن يأتيني أمر الله وأنا خميص » . كيف لايكون كذلك وهو القائل : « هيهات هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لاطمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع ، أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا اشاركهم فى مكاره الدهر وجشوبة العيش ؟ . وأيم الله يميناً ، استثنى فيها بمشيئة الله لأروضنّ نفسي رياضة تهش معها الى القرص مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً » .

نعم ، إنه صلوات الله عليه كان أزهد الناس ، لم يشبع من طعام قط ، وكان يلبس الخشن ويأكل جريش الشعير . فاذا ائتدم فبالملح ، فان ترقى

فبنبات الأرض .

روى عن سويد بن غفلة : قال : دخلت على علي عليه السلام ، فوجدته جالساً وبين يديه إناء فيه لبن ، أجد ريح حموضته وفي يده رغيف ، أرى قشار الشعير فى وجهه وهو يكسره بيده ويطرحه فيه . فقال : « ادنُ ، فأصب من طعامنا » . فقلت : إني صائم . فقال (ع) : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من منعه الصيام من طعام يشتهيه ، كان حقاً على الله تعالى أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها » . قال : فقلت لفضة - وهي تقرب منه قائمة - ويحكِ يافضة ، ألا تتقين الله في هذا الشيخ ، ألا تنخلين هذا الطعام من النخالة التي فيه ؟ قالت : تقدّم الينا أن لا ننخل له طعاماً .

وكان عليه السلام يجعل جريش الشعير فى وعاءٍ ويختم عليه . فقيل له في ذلك . فقال (ع) : « أخاف هذين الولدين أن يجعلا فيه شيئاً من زيت أو سمن » .

وإن علياً (ع) قد سهر تلك الليلة التي ضُرب فيها وأكثر الخروج والنظر الى السماء ، وهو يقول : والله ، ما كَذبت ولا كُذبت . وانها الليلة التي وعِدت فيها ، ثم يعاود مضجعه . فلما طلع الفجر ، شد إزاره وخرج وهو يقول : أشدد حيازيمك للموت فـان الموت لاقيكـا

ولا تجزع من الموت اذا حـــل بواديكا

ذلك لأن أولياء الله مع علمهم بما سيكون لا يعلمون الا حسب الامور العادية . « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيَّ عن بينة » .

يخرج علي (ع) ، فجر اليوم التاسع عشر من هذا الشهر المبارك الى المسجد لصلاة الفجر وينادي الصلاة الصلاة ، فيضربه ابن ملجم على رأسه وهو ساجد فلما أحس (ع) بالضربة ، لم يتأوه وصبر واحتسب ووقع على

وجهه ، قائلاً : « بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله . هذا ماوعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ثم صاح وقال : قتلني ابن ملجم ، قتلني اللعين ابن اليهودية ، فزت ورب الكعبة » .

وانما قال : فزت ورب الكعبة ، لأن رسول الله (ص) قد أخبره : أنه سيضرب هذه الضربة وهو في سلامة من دينه ، فكانت هذه الضربة علامة ختام أعماله الجبارة فى سلامة من دينه صلوات الله عليه ، وهذا درس عملي للناس أجمعين في أن يبذلوا أقصى جهودهم لتنتهي أعمالهم مع حسن العاقبة وفي سلامة من دينهم . فقد يزعم الانسان انه صالح فتنتهي أعماله مع سوء العاقبة ، وقد يتهم نفسه أنه غير صالح ، فتنتهي اعماله مع حسن العاقبة ، ونستعيذ بالله من الاغترار بأعمالنا والركون اليها ونرجو منه التوفيق وحسن العاقبة .

نعم إن هذا الانسان يقول حين يرى مايرى من آثار الموت وهول المطلع وعذاب البرزخ والحساب الدقيق والعقاب الشديد : « ربِّ ارجعونِ لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت » (١) . « اذ تبرّأ للذين اُتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرةً فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وماهم بخارجين من النار » (٢) . وفى مكان آخر : « وما اضلنا الا المجرمون ، فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين » (٣) . وفي مكان آخر : « واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب وأنتم لاتشعرون ، أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرّطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين ، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين

---

(١) سورة المؤمنون : ١٠٠ . (٢) سورة البقرة : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) سورة الشعراء : ٩٩ - ١٠٢ .

أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين ، بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين » (١) وفي مكان آخر : « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل » (٢) .

وروى الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في أماليه بسنده الى الأصبغ بن نباتة ، قال : لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) . غدونا عليه نفرٌ من أصحابنا : أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا ، فقعدنا على الباب ، فسمعنا البكاء من الدار . فبكينا . فخرج الينا الحسن بن علي عليهما السلام ، فقال : يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا الى منازلكم . فانصرف القوم غيري واشتد البكاء في منزله ، فبكيت . فخرج الحسن . فقال : ألم أقل لكم انصرفوا ؟ فقلت : لا والله ، يابن رسول الله ، ماتتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن أنصرف حتى أرى امير المؤمنين وبكيت . فدخل الدار ولم يلبث أن خرج . فقال لي : أدخل . فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام . فاذا هو مستند ، معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمه واصفر وجهه . فما أدري وجهه أشد صفرةً أم العمامة ، فأكببت عليه ، فقبلته وبكيت . فقال لي : « لاتبك يا أصبغ ، فانها ، والله ، الجنة » : فقلت له : جعلت فداك . اني أعلم والله انك تصير الى الجنة ، وانما أبكي لفقداني اياك ، يا أمير المؤمنين .

نعم ، يقول علي لأم كلثوم وهي تبكي ، « أسكتي ، فلو ترين ما أرى لما بكيت ، هذه الملائكة وفود والنبيون ، وهذا محمد (ص) يقول : ياعلي ، أبشر ، فما تصير اليه خير مما أنت فيه » .

ثم إنه صلوات الله عليه يوصي لابن ملجم ، فيقول : » أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي ، واسقوه من شرابي ، النفس بالنفس ، إن هلكت ،

---

(١) سورة الزمر : ٥٥ ـ ٥٩ . (٢) سورة الشورى : ٤٤ .

فاقتلوه كما قتلني . وان بقيت رأيت فيه رأيي » .

ثم تزايد ولوج السم فى جسده الشريف حتى احمرت قدماه وامتنع عن الأكل والشرب وشفتاه تختلجان بذكر الله وجبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه فقال له ابن الحنفيـة : أراك تمسح جبينك ؟ فقال : « يابني » اني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن المؤمن اذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينه » . ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً وجعل يودعهم ويقول : « الله خليفتي عليكم ، أستودعكم الله » .

وهكذا يفارق الدنيا هذا الامام العظيم الذي لن يأتي الدهر بمثله أبداً ، وهكذا تنتهـي حياته الشريفة التي ملؤها الفضائل ومكرمات وكرامات ومعجزات وبطولات وبلاغة وزهد وورع وتقوى الى حد بعيد لن يصل اليها البشر العادي .

ان أكرمكم عند الله أتقاكم

إن الله تبارك وتعالى وهو الكامل على الإطلاق لايريد بالناس بل بما خلق إلا الكمال . ذلك لأن الكامل لايترشح منه إلا الكمال . ألا نرى ما أودع الله تعالى من سنن الكمال في الجماد والنبات والحشرات والهوام والحيوان في تشكيلاتها الداخلية وفي وسائل الدفاع لتحقيق وسائل العيش والحياة .

فهذه المعادلات الفيزيائية والخواص الكيمائية ودساتير الفلك والميكانيك السماوي والأرضي وما أودع الله من خواص وقابليات ومعادلات ودساتير في الذرة : كلها تشير الى الكمال الذي أودعه الله هذا الكون الرحيب ، وكذلك ارتباط بعضها ببعض ، وذلك بقوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » (١) .

فجميع العوالم من مادية ونباتية وحيوانية تنادي بهذا الكمال الذي أودعه الله فيها . فكيف يسوغ للانسان وهو ، على ما يزعم أشرف المخلوقات ، أن يستثنى من ذلك ، وأن يخالف سنة الله تعالى في مخلوقاته : أن يفجر ويفسق ، أن يبطش ويزني ، أن يرابي ويغتاب ، أن يقطع الرحم ويأكل الحرام ، أن ينكر نعم الله تعالى عليه وهي التي لاتعدّ ولا تحصى : « وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفّار » (٢) . . فلا يصلي لإداء واجب الشكر ، ولا يصوم كذلك ، ولا يزكي ولا يخمس ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، فيرجع إلى جاهلية جهلاء ، يعيش كالبهائم والأنعام بل أضل سبيلا ،

(١) سورة الملك : ٣ - ٤ . (٢) سورة ابراهيم (ع) : ٣٤ .

فيكون راجعاً أو (رجعياً) نحو البهيمية والجاهلية بكل مافي الرجعية من معنى صحيح . وهذا ما يتنافى وسنة الكمال الآلهية التي نشاهد مظاهرها وآثارها فى العالم أجمع .

إذن ، يحكم العقل الفطري الذي لم يلوث بفسق وفجور ورقص وخمور ، أن المقياس الذي يجب أن يفاضل به بين إنسان وإنسان ، انما هو الشيء الذي يؤدي الى كماله والى تحقيق سنة الله في أرضه : ألا وهو التقوى . ذلك لأن التقوى هي تلك الحالة التي بها تزكو النفس من أدرانها وأوساخها ، فتسير بدرجة تطهُّرها نحو الكمال المنشود . لذلك سنّ الله تعالى قانوناً للمفاضلة وجعل التقوى الأساس الذي تُبتنى عليه المفاضلة بين خلقه ، ولم يقل : إن أكرمكم عند الله أعلمكم أو أثراكم أو أكثركم جسامة أو أعلاكم نفوذاً أو أحسنكم وجهاً . ذلك لأن من العلماء الماديين من هم في الدرجات الواطئة من التكامل النفسي ، كما نرى ذلك في الغرب . وان من الفلاسفة والرياضيين والكيماويين والاجتماعيين من هم ملاحدة وفى الدرجة السفلى من المراتب الاخلاقية . ومنهم إباحيون يستسيغون كل محرم ولا يتناهون عن منكر فعلوه ، مدلهمة نفوسهم ، مظلمة أرواحهم ، متحجرة قلوبهم . سلبوا العاطفة وعدموا الفضيلة . فليس هؤلاء الذين خالفوا التقوى بقادة ، بل هم في الدرك الأسفل من مراتب التسافل . ولذلك كله لم يختر الله تعالى أنبياءه وأوصياء أنبيائه إلا من عباده الذين اتخذوا التقوى شعاراً والفضيلة دثاراً . وإن أعلاهم شأناً في مراتب التقوى انما هو خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ يقول فيه ربنا تبارك وتعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

ثم إن الله تبارك وتعالى يصف أهل التقوى بقوله : « إن المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ،

كانوا قليلاً من الليل مايهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق ، للسائل والمحروم . وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون » (١) .

فعرّف الله تعالى : التقوى : أنها ملازمة ذكر الله تعالى ليلا ونهاراً ومراقبة هذه النفس الأمارة بالسوء وإطعام الفقراء والمساكين .

وكان رسول الله (ص) والأئمة من بعده سلام الله عليهم أجمعين ملازمين للعبادة والإيثار والخشوع والخضوع والقيام بحوائج الناس (٢) ملازمة لايضاهيهم فيها أحد ، ممحّضين في عبادته تعالى بجميع ما في العبادة من معنى سامٍ رفيع . فهم حقاً قادة البشر أجمع . إذ هم بكمالهم النفسي يوجهون النفوس البشرية نحو الكمال المنشود . ومن سواهم لا يقوى على ذلك ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

لنستمع الى كلام علي عليه السلام فى هذا المقام :

« إعلموا عباد الله ، أن التقوى دار حصن عزيز ، والفجور دار حصن ذليل ، لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ اليه . ألا وبالتقوى تقطع حمة (٣) الخطايا وباليقين تدرك الغاية القصوى .

« عباد الله ، الله الله في أعز الأنفس عليكم ، وأحبها اليكم » الى أن يقول :

« عباد الله ، انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ، ولا فيما نهى عنه من الشر من مرغب . عباد الله ، احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه

---

(١) سورة الذاريات : ١٥ ـ ٢١ .

(٢) قال الامام الكاظم(ع) : « ان لله عرشاً لا يسكن تحت ظله الا من أسدى لأخيه معروفا ، أو نفس عنه كربة ، أو قضى له حاجة ، أو ادخل الى قلبه سروراً » وقال الامام زين العابدين (ع) : « من قضى لأخيه حاجة فبحاجة الله بدأ » .

(٣) الحمة ، بضم ففتح : فى الأصل : ابرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع بها والمراد هنا : سطوة الخطايا على النفس .

الزلزال وتشيب فيه الأطفال » .

انظروا كيف يؤدب الامام محمد الباقر عليه السلام شيعته ويأمرهم بالتقوى ويحذّرهم مخالفة أمر الله تعالى .

فقد جاء في اصول الكافي عن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام أنه قال :

« يا جابر ، أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بمحبتنا أهل البيت . فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون ، يا جابر ، إلا بالتواضع والتخشع والأمانة والإنابة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين (١) وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء » .

فقال جابر : قلت : يا ابن رسول الله ، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الأوصاف .

فقال عليه السلام : « يا جابر ، لاتذهبن بك المذاهب » : حسب الرجل أن يقول : أحب علياً وأتولاه . فوالله ، لو قال اني أحب رسول الله (ص) ، فرسول الله خير من علي صلى الله عليهما وآلهما ولا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه شيئاً . ليس بين الله وبين احد قرابة إلا بالتقوى ! » .

هذا دستور الكمال الانساني ، دستور ما بعده دستور . دستور لا يقوى على عرضه من تربى فى أحضان المادية الهوجاء ، دستور يتحقق بتطبيقه ما يريده الله لمخلوقاته في أرضه من كمال . دستور يتجلى في تطبيقه كمال لهذا الانسان يضاهي ما نشاهد من كمال في بطن الذرة وفى السماوات العلى ، في المجرات والسُّدم وفي مسافات تبعد عنا آلاف الملايين من السنين

(١) الغارمين : اهل الدين : المدينون .

الصوفية ، فى مسافات شاسعة جداً محيرة للألباب .

حاش لله ، أن يخلق كل ما خلق في غاية الكمال ويدع الانسان ليفسد فى الأرض « والله لا يحب الفساد » (١) فلابد لهذا الانسان من كمال على لسان أنبيائه وأوصياء أنبيائه عليهم السلام : كمال نفسي ليس من المادة فى شيء ، كمال تتجلى فيه راحة الضمير « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٢) وارتياح نفسي الى أبعد الحدود ، وتقرب الى الحق المتعال ، ومراقبة لأعمال النفس مراقبه شديدة . فيكون هذا المتكامل مصداق قول علي عليه أفضل الصلاة والسلام :

« فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة في دين ، وجزماً فى لين ، وإيماناً في يقين . وحرصاً فى علم ، وعلما في حلم ، وقصداً في غنى (٣) ، وخشوعاً في عبادة ، وتجملا في فاقة (٤) وصبراً في شدة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرُّجاً عن طمع (٥) . يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر . يبيت حذراً ، ويصبح فرحاً . حذراً لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة ، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يُعطيها سؤلها فيما تحب » . . (الى أن يقول . .) : « يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل . تراه قريباً أمله ، قليلاً زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، منزوراً أكله ، سهلا أمره ، حريزاً دينه ، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه . الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون » . . (الى أن يقول) : « يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه . بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائبا منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلا خيره ، مدبراً

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ .
(٢) سورة الرعد : ٣٠ .
(٣) قصداً اى : اقتصاداً .
(٤) التجمل : التظاهر باليسر عند الفاقة : اي الفقر .
(٥) أي تباعداً عن طمع .

شره . في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور » . (الى أن يقول) : « نفسه منه فى عناء ، والناس منه في راحة . أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه » .

أنظروا الى ما يقوله علي عليه السلام عن صفات المؤمن الحقيقية ، ذلك الذي يجمع بين الجهاد والدعوة الى الاسلام وبين العباد والخضوع لله المتعال .

انه «ع» يقول :

« أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه (١) ، وقرأوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا للقتال فولهوا وله اللقاح (٢) الى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً . بعض هلك وبعض نجا . لا يبشرون بالأحياء (٣) ولا يعزون بالموتى ، مره (٤) العيون من البكاء خمص البطون من الصيام (٥) ، ذبل الشفاه من الدعاء (٦) ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين . أولئك إخواني الذاهبون ، فحقّ لنا أن نظمأ اليهم ، ونعض الأيدي على فراقهم » .

فهؤلاء الذين وصفهم علي عليه السلام ، قد جسموا التقوى خير تجسيم وهم الكرماء على الله وهم أتقى الناس ومصداق هذه الآية المباركة : « إن

---

(١) من نهج البلاغة . الجزء الاول ص : ٢٣٤ .

(٢) اللقاح : جمع لقوح ، وهي الناقة . و « ولهها الى أولادها » فزعها اليها اذا فارقتها .

(٣) اذا قيل لهم : نجا فلان فبقى حيا لايفرحون . لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق . ولا يحزنون اذا قيل لهم : مات فلان ، فان الموت عندهم حياة السعادة الأبدية .

(٤) مره ـ بضم فسكون ـ جمع امره ، من « مرهت عينه » اذا فسدت ، أو ابيضت حماليقها .

(٥) خمص البطون : ضوامرها . (٦) ذبلت شفته : جفت ويبست لذهاب الريق

أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) .

فطوبى لمن طبق هذه الدساتير التي تتلألأ نوراً وبهاءاً ، كي يتلألأ نوراً وكمالا . وطوبى لمن فكر في عقباه كما يفكر لدنياه ولم يكن من الغافلين . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حفت الجنة بالمكارة ، وحفت النار بالشهوات » .

« طوبى لنفس أدت الى ربها فرضها (٢) وعركت بجنبها بؤسها (٣) وهجرت فى الليل غمضها ، حتى اذا غلب الكرى (٤) عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم « أولئك حزب الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون » .

وأختم هذا الجزء بآية هي : دستور الكمال الإنساني وغاية وجوده فى هذا الكون :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقـاته ، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون » (٥) .

إنتهى الجزء الرابع من هذا الكتاب ، والحمد لله ، ويليه الجزء الأخير : الخامس ، إن شاء الله تعالى . . .

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢) من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٣) عركه بالجنب : أي صبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه .

(٤) الكرى : النوم .

(٥) سورة آل عمران : ١٠٢ .

الفهـــرس

١ ـ الدين أمر فطري ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٣
٢ ـ علـة بعث الرسل ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٩
٣ ـ هل الاسلام سير تقدمى أم رجعي ٠ ٠ ١٩
٤ ـ لا رجعيـة في الاسلام ٠ ٠ ٠ ٠ ٣٠
٥ ـ الزوجية في الكون ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٤٩
٦ ـ الكون الرحيب ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٦٢
٧ ـ حالات النفس مع الله تعالى ٠ ٠ ٠ ٧٠
٨ ـ مدرسة اسلامية ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٨٣
٩ ـ اعتراف ماركسية بعجزها ٠ ٠ ٠ ٠ ٨٧
١٠ ـ في مولد الرسول الأعظم « ص » ٠ ٠ ٠ ١٠٩
١١ ـ ليلة الميلاد ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١١٤
١٢ ـ مسألة رياضية يحلُّها علي عله السلام ٠ ٠ ١٢٠
١٣ ـ ميلاد الزهراء عليها السلام ٠ ٠ ٠ ١٢٧
١٤ ـ كيف ننقذ الشباب ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٣٦
١٥ ـ غذاء الروح في شهر شعبان ٠ ٠ ٠ ١٤٥
١٦ ـ ميلاد الحسين عليه السلام ٠ ٠ ٠ ٠ ١٥١
١٧ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومسألة رياضية ١٥٩
١٨ ـ المثل الكامل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٧٢
١٩ ـ حسين مني وأنا من حسين ٠ ٠ ٠ ٠ ١٧٨
٢٠ ـ الحسين « ع » يعلم الناس الصلاة في أحرج ساعة ١٨٣
١٢ ـ لماذا أبكي حسيناً عليه السلام ٠ ٠ ٠ ١٨٩
٢٢ ـ كيف نجلب الشباب الى حظيرة الاسلام ؟ ٠ ١٩٥
٢٣ ـ شهر الغفران ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٢٠٢
٢٤ ـ ساعات هذا الشهر المبارك ٠ ٠ ٠ ٠ ٢٦٠
٢٥ ـ شهادة المثل الكامل علي عليه السلام ٠ ٠ ٢١٠
٢٦ ـ « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ٠ ٠ ٢١٦

التكامل في الإسلام

من أراد أن يقلع مافي نفسه من شكوك وان يعلم
ان الدين الإسلامي يطابق آخر ما توصل اليه
العلم الحديث فليطالع هـذا الكتاب

الجزء الخامس

بقـلم

أحمد أمين

استاذ بدار المعلمين العالية سابقا

الطبعة الثانية

١٣٨٧ هـ

ثمن النسخة (١٧٠) فلساً

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧ ١٩٦٨ م ـ ١٣٨٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام يصف فيه المتقين والكمال الانساني :

« فالمتقون فيها هم أهل الفضائل . منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، غضّوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نُزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء . ولولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب ، وخوفاً من العقاب . عظم الخالق في أنفسهم ، فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم فيها منعّمون . وهم والنار كمن قد رآها ، فهم فيها معذّبون . قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياما قليلة ، أعقبتهم راحةً طويلة . تجارة مُربحة يسّرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها . اما الليل فصافّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا (الى أن يقول) : واما النهار فحلماء علماء ، أبرار أتقياء . قد براهم الخوف بري القِداح ، (الى أن يقول) فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة في دين وحزما في لين ، وايمانا في يقين وحرصاً في علم وعلما في حلم وقصداً في غنى ، وخشوعا في عبادة ، وتجمّلا في فاقة وصبراً في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجاً عن طمع . يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل . يُمسي وهمه الشكر ويُصبح وهمه الذكر . (الى أن يقول) : تراه قريبا أمله قليلا زلله ، خاشعا قلبه قانعةً نفسه ، منزوراً أكله ، سهلا أمره حريزاً دينه ، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه . الخير منه مأمول والشر منه مأمون » .

من حقائق القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »[١]

في القرآن الكريم سبعمائة وخمسون آية كونية ، تدل على عصارة ما توصل اليه العلم الحديث وما سيصل اليه في المستقبل . فقد قال ابن عباس — رضي الله تعالى عنه — : « ان في القرآن معانٍ سيكشفها الزمن » . ومن جملة تلك الآيات الباهرات ، الآية الثامنة والثلاثون من سورة يس : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

فقد اختلف العلماء قبل ميلاد المسيح (ع) بقرون ، الى قبل حوالي ٥٠ عاماً ، في أن هل للشمس حركة أم لا ؟ .

فقد ذهب العلماء في اليونان قبل الميلاد الى أن الارض مركز العالم ، وبما أن أكمل الاشكال حسب زعمهم هو الكرة ، إذن يجب أن يكون شكل الارض كرويا ، وان الشمس تدور حول الارض على شكل دائرة ، ذلك لأن الدائرة في نظرهم أكمل الاشكال الهندسية .

لم يكن العلم قبل الميلاد وبعده الى القرون الوسطى مستنداً على التجربة والاستقراء والاستنتاج ، وانما حجتهم فيما يدعون : نظرية الكمال ، دون تحقيق تجريبي ، مستندين في ذلك الى قول العالم الكبير عندهم ، أي كانت حجتهم قول عالمهم المسمى بـ (ماجستير) ، حين ان علياً عليه السلام كان يقول:

(١) سورة ياسين : ٣٨ .

« في التجارب علم مستأنف » .

بقيت هذه النظرية اليونانية بالنسبة الى حركة الشمس والارض حاكمة عدة قرون ، حتى جاء دور التجربة والمشاهدة ، أي دور (بيكن: dyne المكتشف للطريقة التجريبية ، كما يزعم الغربيون . فاكتشف (غاليليو) أو (گاليله) التلسكوب.وقال عند ذلك، مستنداً الى التجربة والعلوم الرياضية كل من (كوپرنيك) و (كپلر) الفلكيين بحركة الارض مع بقية الكواكب حول الشمس على شكل اهليليجي ، أي على شكل القطع الناقص ، الذي معادلته كما جاء في الهندسة التحليلية :

$$\frac{س^{٢}}{ب^{٢}} + \frac{ص^{٢}}{جـ^{٢}} = ١$$

ب = نصف القطر الكبير .

جـ = نصف القطر الصغير .

ومعنى ذلك : ان الله تعالى قد حرّك الكواكب حسب قربها من الشمس: عطارد ، الزهرة، الأرض ، المريخ ، المشتري ، زحل ، أورانوس ، نپتون ، پلوتو ، حول الشمس على شكل اهليليجي.

والجدول الآتي يبيّن بعد كل من الكواكب عن الشمس :

البعد	عطارد	الزهرة	الأرض	المريخ	المشتري	زحل	أورانوس	نپتون	پلوتو
بملايين الأميال عن الشمس .	٣٦	٦٧	٩٢	١٤٢	٤٨٣	٨٨٦	١٧٨٣	٢٧٩٤	٣٦٧٠

ومعلوم ان رسم الشكل الاهليليجي من الصعوبة بمكان ، ولا يقوى على رسمه إلا من درس المخروطات .

وكان القرآن ينادي ، قبل اكتشاف الطريقة التجريبية في أوروبا بقرون، باستعمال السمع والبصر والعقل، وذلك بقوله: « إن السمع والبصر والفؤاد[١] كل ذلك كان عنه مسؤولا » .

وان علياً عليه السلام قد حل مسائل جمة ، مستنداً الى الطريقة التجريبية. قانون أرخميدس ، قانون الطوفان ....

ان ما اكتشفه (كوپونيك) و (كپلر) في القرن السابع عشر من ثبوت الشمس في محلها ، كان يخالف ما جاء في القرآن الكريم : من أن للشمس حركة خاصة بها . حتى اذا تقدمت العلوم الرياضية العالية ، بما فيها المكانيك الرياضي، واخترعت مراقب كبيرة جداً ، علم قبل حوالي ٥٠ عاماً ، أن الشمس مع كواكبها تسير في الفضاء على شكل لولبي أو حلزوني ، متجهة نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع ؛ بسرعة قدرها في الساعة حوالي (٧٠) الف كيلو متر. وقد ثبت علمياً قول الله تعالى قبل أربعة عشر قرناً ، حين يقول : «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

الامطار في القرآن :

« ألم ترَ ان الله يزجي [١] سحابا ، ثم يؤلف بينه ،ثم يجعله ركاماً . فترى الودق[٢] يخرج من خلاله . وينزل من السماء من جبال فيها من برد[٣] فيصيب به مَن يشاء ، ويصرفه عمن يشاء . يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار». (سورة النور : ٤٣) .

ان قوله تعالى : « يؤلف بينه » أي ان الله تعالى يؤلف بين السحاب.

(١) يراد بالفؤاد هاهنا : العقل . والله العالم .

(١) يزجي : يسوق السحاب أو البخار .

(٢) الودق : المطر .

(٣) البرد : قد تنخفض درجة حرارة الجو الاعلى تحت الصفر ، وتحمل اليه قطرات المطر بطريقة ما ، فتنزل على الارض متجمدة ، وتسمى بردا .

وهو يدل بوضوح على الحقيقة الكهربائية التي تقوم عليها الظواهر الجوية، فإن التأليف بين السحاب ما هو الا اشارة واضحة للتقريب بين السحاب المختلف الكهربائية ، حتى تتجاذب وتتعبأ في الجو حسبما يريده الله ، فيتكون بأمره تعالى من بين السحاب برق أو صواعق ومطر وبَرَد .

وان عملية الركام أو التكاثف تأتي بعد عملية التأليف . ويؤيد ذلك قوله تعالى :

« وأرسلنا الرياح لواقح ، فأنزلنا من السماء ماءً ، فأسقيناكموه ؛ وما أنتم له بخازنين » . (سورة الحجر : ٢٢) .

ان هذه الآية تعلمنا ان للرياح اللواقح أثراً فعالاً في نزول الماء من السماء واسقائه الناس . فهذه الآية لا تريد أن تشير الى ان الرياح لواقح للزرع، بل تقول ان الرياح تلعب دوراً خطيراً في الاتحاد بين كهربائية وكهربائية في سحابتين مختلفتين . أي ان الرياح تعمل في الجمع بين الكهربائية الموجبة والكهربائية السالبة ، فتقع الملاقحة بين سحابتين .

فهذه الآية معجزة خالدة ، لأنها تخبر قبل أربعة عشر قرناً تقريباً عن شيء هو عصارة العلم الحديث . وهذا دليل واضح على التطابق التام بين العلم الحقيقي والدين في الاسلام ، وبرهان قطعي على تأخر العلوم عن الحقائق القرآنية .

واما تنزيل جبال من السماء فيها من بردَ ، فمنها الثلوج التي نشاهدها في شمال (نوروج) في المنطقة المنجمدة الشمالية . تتحرك هذه الجبال الثلجية أو الثلاجات (Iceberg) مع التيار (گولف استريم) في المحيط الاطلانتيكي متجهة نحو خليج (مكزيك) بين أمريكا الشمالية والجنوبية ، فتلطف الجو هناك ببرودتها .

* * *

وقد تحقق قوله تعالى « وينزل من السماء من جبال فيها من بَرد ، فيصيب به مَن يشاء ويصرفه عمَّن يشاء » . وذلك عندما تحركت سفينة كبيرة جداً ، صنعتها أمريكا قبل حوالي أربعين عاماً ، فيها مكائن عدة وساحات للألعـاب ، متجهة نحو لندن .

ففي حوار جرى بين القائد الأعلى للسفينة ومعاونه ، قال المعاون مخاطباً القائد « انا سنصل الى لندن بعد عشرين يوماً ان شاء الله » . فامتعض القائد ، وقال لمعاونه « أوَ تقول ان شاء الله ، مع ماترى مالهذه السفينة من مكائن متعددة وقوة فائقة . انا سنصل الى لندن بعد عشرين يوماً حتماً ودون ريب» .

حتى اذا تحركت السفينة وصارت في وسط المحيط الاطلانتيكي ، واذا بسفينة أخرى تخابر هذه السفينة الكبيرة قائلة : « ان أمامكم ثلاجة كبيرة ، اجتنبوها ، فانها ان اصطدمت بسفينتكم ، فستحطمها تحطيماً » .

فصار القائد الأعلى يسير بالسفينة يمنة ويسرة ، فلم تفد محاولاته ، حتى اصطدمت الثلاجة بالسفينة فحطمتها تحطيما . وقد تحقق قوله تعالى: « وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء »وهو السفينة الثانية الكبيرة ، « ويصرفه عمن يشاء » وهو السفينة الاولى .

وقد أمرنا الله تعالى أن نعلق الامور الى مشيئته ورحمته ، وان نقول كلما اعتزمنا أمراً : « ان شاء الله » . وذلك بقوله جل من قائل : «ولاتقولنَّ لشيء اني فاعل ذلك غداً ، الا أن يشاء الله ، واذكر ربك اذا نسيت، وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً » (١) .

على ان الله جل جلاله لا يريد بذكر هذه الآية وغيرها من الآيات الكونية تعليم الناس العلوم الكونية، لأن كلمات الله تعالى وما أودع في المادة والاجسام

---

(١) سورة الكهف .

من خواص وقوانين رياضية تكاد لا تتناهى ، وهو القائل : « ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، مانفدت كلمات الله » [1] ولكن الله تعالى يريد أن يُري عباده جليل قدرته وعظيم صنعته ، إتماماً للحجة . وهو القائل : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » . وفي آية اخرى : « قل فلله الحجة البالغة » . وهو القائل أيضاً : « ليهلك مَن هلك عن بينة ويحيى مَن حيَّ عن بيِّنة » .

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ .

« وكل شيء عنده بمقدار

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال »[1]

ان ما نشاهد في علم الكيمياء ، من شتى المعادلات وأنواع التفاعلات، تحت مقادير معينة وشروط محددة ، وما نرى من ضروب الدساتير في الفيزياء والفلك والمكانيك السماوي والأرضي ، خير دليل على أن العدد (أو المقدار) يحكم العالم عن تدبّر وحكمة فائقة ، وتحت قوانين ثابتة . لذلك: كان يقول فيثاغورث ، قبل الميلاد بقرون : « العدد يحكم العالم » . وكان يقول (لورد كلوين) الفيزاوي المعروف ، قبل أقل من قرن : « كل حادثة فيزياوية لايمكن التعبير عنها بدستور أو معادلة رياضية ، ليست بحادثة معروفة ، مفهومة » .

وأبرز مثال لمفهوم الآية المتقدمة : ان جعل الله تعالى الكثافة العظمى للماء في الدرجة الرابعة من الحرارة المئوية ، رأفة بالحيوانات البحرية ، لتبقى حية.

من المعلوم أن الأجسام تتمدد بالحرارة وتتقلص بالبرودة ؛ أي عند تقليل درجة الحرارة ، الا الماء ففي الدرجة الرابعة من الحرة ألمئوية يكتسب الماء الكثافة العظمى . فاذا قللنا درجة الحرارة عن (٤°م) تقل كثافة الماء ويزداد حجمه ، فيكون ١ سم^{٣} (سانتيمتر مكعب) من الماء في درجة الصفر المئوي أقل وزناً عن ١ سم^{٣} (سانتيمتر مكعب) من الماء في ٣°م ، أي في الدرجة الثالثة من الحرارة المئوية ، بخلاف بقية الأجسام . لذلك : يكون الجليد أخف من الماء ، مع اتحاد الحجم ، فيطفو على سطح الماء .

وقد وجد ان حجم الغرام الواحد من الجمد أو الجليد في درجة الصفر

---

(١) سورة الرعـد : ٩ .

المئوي = ١ر٠٩١ سم٣ . فاذا ساح الى الماء في درجة الصفر أيضا ، أصبح حجمه = ١ر٠٠٠١٢ . فالجليد أو الجمد أخف من الماء حتى في درجة الصفر . ولولا هذا الشذوذ بأمره تعالى في تغير الكثافة ، أي لو كانت كثافة الماء العظمى في درجة الصفر على المعتاد لا في الدرجة الرابعة من الحرارة المئوية (٤° م) كبقية السوائل ، لغاص كل ما تجمد من سطح الماء ورسب في القعر ، وتجمد ما يزيحه الجليد الراسب الساقط في قعر الماء الى الاعلى .. وعلى هـذا المنوال كان يتجمد البحر أو البحيرة من الأعلى الى الاسفل ، ولأصبحت البحيرة قطعة ثلج ! فلا ترى حيواناً يتنعم بالحياة في أعماق البحار والبحيرات . ولانقلب البحر برمته الى ثلاجة ما كان يكفي لذوبانها حرارات الفصول ، ولاسيما ، في المناطق الباردة ، ولا تنفى بعد ذلك انتفاع الانسان بالبحـر .

وبما أن الله تعالى قد جعل كثافة الماء العظمى في (٤° م) ، فاذا برد الجو وصارت درجة حرارة الماء للسطح العلوي (+ ٤° م) ، نزل هذا الماء الى القعر لثقله بالنظر الى وزن الماء في الطبقات السفلى .. وهكذا ، حتى تصبح درجة حرارة الماء في القعر (+ ٤° م) . ثم اذا نقصت درجة الحرارة انجمد السطح الأعلى فقط من البحيرة عن قشرة غير سميكة ، ولما أمكن نزول هذه القشرة لخفته ، وبقي القسم الاسفل من البحيرة سالماً من الانجماد ، تعيش فيه الحيوانات بهناء وسرور .

فيرى لو اطّرد انقباض الماء بالبرودة وتمدده بالحرارة كبقية الأجسام (أي لولا هذا الشذوذ رأفةً بالحيوانات البحرية لتبقى حية) لا نقلب البحر كله الى جليد في فصل الشتاء ، ولتلفت الحيوانات كلها بتجمده ، ولامتنعت التجارة البحرية ، ولانقلب الجو بارداً بتأثير الثلوج البحرية ، وتعسرت الحياة البشرية ... فيستنتج من ذلك كله أن ليس للطبيعة العمياء أن تفكر في حياة

الحيوانات البحرية والتجارة البشرية ، فتجعل كثافة الماء في (+ ٤° م) في النهاية العظمى ، خلافا لبقية الاجسام .

وكمثال آخر ، تفسيراً لقوله تعالى : « وكل شيء عنده بمقدار » ، نقول: من الواضح المعلوم ان الارض تدور حول محورها في كل ٢٤ ساعة مرة واحدة . وسرعة حركتها في هذه الحالة (١٠٠٠) ميل في الساعة . فلو كانت الارض تدور حول محورها بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة ، لكان طول الليل عشرة أمثال ما عليه الآن ، وكذا طول النهار . وكانت الشمس المحرقة في الصيف تحرق في تلك الايام الطوال جميع النباتات وما ينمو على الارض . وفي الليالي الباردة الطوال كان ينجمد كل ما على الارض من مياه ونبات وحيوان . فيرى أن كل تغيير فيما قدره الله تعالى من (قدر) يؤدي الى انتفاء الحياة على وجه البسيطة .

وان درجة الحرارة على سطح الشمس التي هي مصدر الحياة لهذه الكرة الأرضية هي : ١٢٠٠٠° فاهرانهايت . ويصل الينا من هذه الحرارة ما يؤدي الى استقرار الحياة على الأرض منذ ملايين السنين . واذا تغيرت درجة الحرارة على سطح الارض خلال السنة بمعدل : (٥٠°) لانعدمت الحياة كلها وهلك الناس أما من شدة الحرارة أو من شدة البرودة .

الأرض تسير في مدارها حول الشمس بسرعة ١٨ ميلاً في الثانية . فلو كانت هذه السرعة ٦ أميال في الثانية أو ٤٠ ميلا في الثانية ، لكان بعدنا أو قربنا من الشمس مقداراً يستحيل معه الحياة على وجه الارض .

ومعلوم ان ميلان محور الارض عن دائرة الخسوف ٢٣° ٢٧′ / ٢٣° يؤدي الى حدوث الفصول الاربعة . فلو لم يكن محور الارض مائلاً هذا الميلان لبقي القطبان في الشمال والجنوب في ضياء ضئيل كضياء الشفق بصورة دائمة ولكانت ابخرة مياه المحيطات متوجهة من الشمال الى الجنوب وأدت الى

ايجاد قارات من الثلج، وكانت هذه القارات الثلجية تؤثر على القطبين وتؤدي الى تحطيمها وتحطيم القشرة الأرضية وجفاف المحيطات الى ما هنالك من حوادث جمة تعدم الحياة على وجه البسيطة .

فلو كانت الأرض بقدر القمر وكان قطرها ربع ما عليه الآن لما كانت قوة الجذب عليها (أي سطح الارض) تكفي لجذب المياه والهواء ، ولما استقر الماء على سطحها ، لأن قوة الجذب تكون اذ ذاك سدس قوة جاذبية الارض اليوم . ولا رتفعت درجة الحرارة الى حد يؤدي الى ابادة الحياة عليها.

ولو كان قطر الارض ضعف ما عليه الآن لكان سطح الأرض أربعة أمثال ما عليه الآن . ذلك لأن سطح الكرة = ٤ ط نق٢ ، وهو يتناسب طرديا مع مربع نصف القطر . ونتيجة لذلك ، كانت قوة الجذب ضعف قوة جذب الارض الحالية ، ولقل ارتفاع الجو الى حد مخطر ولا رتفع الضغط الجوي من كيلو غرام واحد على كل سانتيمتر مربع الى كيلوغرامين ولاشكلت الحياة على وجه الارض .

ولو كانت الارض من حيث الكبر بقدر الشمس ، لأمست قوة الجذب عليها (١٥٠) مرة أكثر مما عليه الآن حسب قانون (نيوتن) :

$$ق = ى \times \frac{ك ك'}{م^{٢}}$$

ولنقص ارتفاع الجو حوالي ١٠ كيلو مترات ولما أمكن تبخر المياه ولكان الضغط الجوي على كل سانتيمتر مربع = ١٥٠ كيلو غراما ، أي لكان وزن حيوان يزن الآن كيلوغراما واحدا = ١٥٠ كيلو غراما ، ولكان طول الانسان بطول السنجاب في الوقت الحاضر ولاستحالت الحياة العقلية لمثل هذه الموجودات .

نعم ، ان تنظيم الاحوال الطبيعية يتم على نظام عددي متقن من جانب

الله تعالى ، والانظمة الكونية مبنية على حسابات رياضية دقيقة ، لا يبقى معها مجال لاحتمال تأثير الصدفة في تنظيم هذا الكون كما ثبت في حساب الاحتمالات من مواضيع الرياضيات العالية .

وقد وجد (ماندليف) منذ مائة سنة قانونا في ترتب العناصر ،وذلك ان العناصر الكيميائية كالايدروجين والحديد والراديوم ... الخ) قد رتبها الله تعالى تبعاً لتزايد أوزانها الذرية ترتيباً دورياً . وان العناصر التي تقع في قسم واحد تؤلف فصيلة واحدة وتكون لها خواص متشابهة . ولذلك تمكن العلماء بفضل هذا الترتيب أن يتنبأوا بوجود عناصر لم يكن قد علم بها قبلاً . حتى ان العلم الحديث قد تنبأ بفضل هذا الترتيب بخواص هذه العناصر المجهولة وجاءت صفاتها مطابقة تماما للصفات التي توقعوها مستفيدين من القانون الذي وجدوه .

فالعلوم جميعها تبرهن على ان المقادير متحكمة في الكون من جانب الله تعالى ، وان هذه العلوم يرتبط بعضها ببعض في تفسير هذه الآية : « وكل شيء عنده بمقدار » . فأمواج الراديو التي وضعها (مكسويل) في معادلات رياضية وأثبت (هرتز) وجودها وانتفع بها (لودج وبرانلي وماركوني) في المخاطبات اللاسلكية تعين علماء الفلك اليوم على دراسة أجرام فلكيـة ، لا نستطيع أن ننفذ اليها بمرقب أو بمصورة ضوئية .

والنظائر المشعة التي كشفت في الكيمياء والفيزياء أولا ، تعيننا اليوم على فهم التركيب الضوئي ومحاكاته وقد تعيننا غدا على التحكم بأفعال الوراثة في النبات والحيوان .

فليس في وسع العلماء أن ينفذوا الى فهم أسرار الكون والحياة دون دراسة الذرات والنجوم . فجميعهم يطوفون على أجنحة فكر يجنحه الشوق والخيال وتضبطه مقتضيات المنهج العلمي . وكل ما وجدوه وسيجدونه في

المستقبل من معادلات ودساتير تفسر هذه الآية الكريمة « وان من شيء الا عندنا خزائنه ،وما ننزله الا بقدر معلوم [١] . وتفسير لقوله تعالى: « قد جعل الله لكل شيءقدراً »[٢]، وقوله تعالى : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » [٣]. وقوله: « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » [٤] . وقوله تعالى : « والذي قدر فهدى » [٥] . وقوله جل من قائل : « وانزلنا من السماء ماءا بقدر ، فأسكناه في الأرض وانا على ذهابه لقادرون [٦] ، وقوله تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقدر » [٧] .

---

(٣) سورة الاحزاب : ٣٨ .

(٤) سورة الفرقان : ٢٠ .

(٥) سورة الاعلى : ٣

(٦) سورة المؤمنون : ١٨ .

(٧) سورة القمر : ٤٩ .

من حقائق القرآن :

فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم [١]

ان الله تعالى يُقسم بمواقع النجوم ، لما لهذه المواقع من حيث التوازن والجاذبية المتعادلة من أهمية كبرى • ويعدّ هذا القسم لما هنالك من خطورة قسماً عظيماً •

حقاً ، لو تغيرت مواقع النجوم عما عليه الآن اختل التوازن وانعدمت الحياة على وجه الأرض •

فلو كان بُعد الارض عن الشمس ضعف ما عليه الآن ، لنقصت الحرارة التي تأتينا من الشمس الى (ربع) ما عليه الآن ، ذلك لأن شدة الحرارة على سطح ما تتناسب عكسيا مع مربع المسافة من مصدر الحرارة •

كذلك لو بعدت الأرض عن الشمس ضعف البعد الحالي لقلّت سرعة حركة الارض الى النصف ، ذلك لان محيط الدائرة يتناسب تناسبا طرديا مع نصف القطر •

م = ٢ نق ط •

ولطال فصل الشتاء الى ضعف ما عليه الآن ولا نجمد نتيجةً لذلك جميع ما على الارض من كائنات حية ، ولاستحالت الحياة عليها •

ولو كان بُعد الارض عن الشمس نصف ما عليه الآن لأصبحت حرارة الارض أربعة أمثال ما عليه الآن بنفس السبب ولتضاعفت سرعة الحركة ولنقص طول مدة كل فصل من الفصول الاربعة : (الربيع والصيف

(١) سورة الواقعة : ٧٥ — ٧٦ .

والخريف والشتاء) الى النصف[1] ولتبخر ما على الارض من مياه ولما أمكن السكنى عليها من شدة الحرارة .

فقانون الجذب العام يحكم العالم بأمر من الله تعالى ، ذلك القانون الذي اكتشفه : (اسحاق نيوتون) :

$$ق = ى \frac{ك'}{م^{٢}}$$

ى = النسبة الثابتة ومقدارها : $\frac{١}{١٥\ ٠٠٠\ ٠٠٠\ ٠٠٠\ ٠٠٠}$ من ثقل الغرام أي:

ى = ٦٫٦٧ × ١٠ من ثقل الغرام = $\frac{١}{١٥\ ٠٠٠\ ٠٠٠\ ٠٠٠}$ من الداين (Dyne)

$$= ٦٫٦٧ \times ١٠^{-٨}$$

وان الله تعالى يشير الى هذه القوة الجاذبية الهائلة بقوله جل من قائل: «إن الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، انه كان حليماً غفوراً » [2] . وبقوله عز وجل : « ألم تر أن الله سخّر لكم مافي الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، ان الله بالناس لرؤوف رحيم » [3] .

وبقوله : « الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى ، يدبّر الأمر ،

---

(١) ذلك لان حاصل ضرب السرعة الزاويوية فى المسافة عن المركز مقدار ثابت : لا × نق = ث

(٢) سورة فاطر : ٤١ .

(٣) سورة الحج : ٦٥ .

يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » [٤] .

فان الكواكب تسير في مداراتها وتتباعد بعضها عن بعض بمسافات معينة حسب قواعد الجاذبية وهي مسخرة في حركاتها وجذبها وانجذابها بأمره تعالى حسب قانون الجذب العام ، وتجري في مداراتها ومنحنياتها التي هي على الأكثر اهليليجية : (القطع الناقص) الى يوم البعث حيث « تبدل الارض غير الارض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار »(سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٨) ، حيث ينال المجرم جزاءه بقوله : « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد [١] . سرابيلهم [٢] من قطران [٣] وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ، ان الله سريع الحساب ،هذا بلاغ للناس وليُنذروا وليعلموا ، انما هو إله واحد وليذكر اولوا الالباب » [٤].

وقد أكد تعالى وجود هذه الجاذبية التي لاترى بالعين وهي كالعمَد في قوله : « خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبثّ فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماءاً ،فأنبتنا فيهامن كل زوج كريم » .(سورة لقمان : ١٠) .

فالكواكب والأنجم تسبح في الفضاء في مداراتها وكذلك الشمس والقمر بقوله تعالى :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، كل في فلك يسبحون» (سورة الأنبياء : ٣٢) .

وبقوله : « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار

---

(٤) سورة الرعد : ٢ .

(١) الاصفاد : القيود والاغلال .

(٢) جمع سربال : القميص أو كل ما يلبس .

(٣) قطران : سيال دهني يؤخذ من بعض الاشجار كالصنوبر .

(٤) سورة ابراهيم (ع) : ٤٩ — ٥٢ .

وكل في فلك يسبحون » . (سورة يس : ٤٠) .

فاذا اعتبرنا السماء أسماً لما علانا أو ارتفع فوق رؤوسنا ، فانه يعني ولاشك : أن هذا الكون بأسره الذي من حولنا ، يبدأ بجوّ الارض،فسائر الكواكب،ومن بعدها الشمس، فالنجوم الضاربة في أعماق الفضاء في مجرّتنا[1] وما يليها من مجرات ، وتجري كل هذه الاجرام السماوية في مساراتها أو تدور في مداراتها ، هذه هي السماء وقد بناها الله ورفعها وجعل كل جرم فيها بمنزلة لبنة من بناء شامخ ورفع هذه الأجرام كلها بعضها فوق بعض بقوى من نوع القوة الطاردة المركزية ، كما ربطها في نفس الوقت برباط الجاذبية العالمية ، والجاذبية والقوى الطاردة المركزية الناجمة عن الدوران في مسارات شبه دائرية أو قطاعات ناقصة هما بمثابة الاعمدة القائمة فعلاً .

واستناداً على هذا القانون تمكنوا من كشف كوكبين هما ، نپتون ، وپلوتو ، يدوران حول الشمس بعد (أورانوس) .

فقد اكتشف ليڤرييه ((Leverier)) استنادا الى القانون المذكور وقوانين الحركة الكوكب المسمى بـ (نپتون Neptune)) وعين موضعه قبل أن يراه ، فحرر الراصدون تلسكوپاتهم الى هذا الموضع المزعوم فرأوه رأي العين بعد أن كان (ليڤرييه) رآه رأي الفكر ورأي العلم والحساب .

ثم رأى الفلكيون أن هناك أيضا اختلافا يسيراً في مدار الكواكب (أورانوس) . زعموا من أجله أن كوكباً أبعد من (نپتون) مازال مختبئاً في السماء ، فاكتشفوه وأسموه (پلوتو) سنة ١٩٣٠ ميلادية ، وهكذا يتنبأ العلم والدساتير والمعادلات عن أشياء لاترى بالعين ، فتكشف ، لتبرهن

---

(١) المجرة : على سطح السماء نطاق عريض منير يمتد من فوقنا وينتهي بالافق من طرفيه ، انها ملايين النجوم بعضها جنب بعض وبينهما مسافات شاسعة ان هذا القوس العظيم فوق رؤوسنا ليس الا جزءا من « المجرة » التي تطوق السماء كالحلقة وكأنها نهر من لبن .

مرة أخرى على أن ما أودع الله من نظام رياضي رصين في سير الكواكب والانجم ومداراتها وحركاتها قد بلغت من الدقة والضبط ما يدهش الألباب.

ثم ان بعد القمر عن الارض ٢٤٠٠٠٠ ميل والقمر هو العامل الأهم لحدوث الجزر والمد على سطح الكرة الأرضية في كل يوم مرتين . وان ارتفاع المدّ في بعض النقاط على الارض يبلغ ٦٠ قدماً ، حتى أن القشرة الارضية لتنجذب نتيجة جذب القمر لها عدة اينجات ، ونحن لا نشعر بحدوث هذا الانجذاب من قبل القمر للقشرة الارضية ولمياه البحار والانهار .. يحدث كل ذلك بنظام وهدوء .

ولو كان بعد القمر عنا ٦٠٠٠٠ ميل فحسب عوضا عن ٢٤٠٠٠٠ ميل لبلغ ارتفاع المدّ والجزر للبحار بمقدار يؤدي معه الى انغمار جميع السهول والوديان تحت المياه نتيجة هذا المد الشديد . ولكان ضغط الماء في كل مرة شديداً جداً الى درجة يؤدي الى ابادة الجبال وما كان لأية قارة من القارات أن تبرز من تحت المياه ليسكن عليها البشر . ذلك لأن عمق الماء، اذ ذاك ، كان يبلغ ميلاً ونصف ميل ، فما كان عند ذلك لاي انسان أن يبقى حياً . وان الحيوانات البحرية أيضا كانت تتغذى بعضها بالبعض الآخر وتفنى عن بكرة أبيها وينقرض نسلها .

فعلم من كل ذلك ، ان لموقع القمر ومقدار بعده عن الارض أهمية عظمى لادامة الحياة على وجه الارض .. وهكذا يتحقق قوله تعالى (وهو الواقع الحقيقي الذي لاريب فيه) ان مواقع النجوم ومنها القمر من الأهمية بحيث لولاها لاختل نظام الكون الرحيب .

وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون (١)

لولا أن الله تعالى قد أحاط أرضنا بغلاف غازي ثخنه ٨٠٠ كيلو متر لحفظها مما تتوجه نحوها من أحجار سماوية : (٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠) حجارة في كل ثانية بسرعة ٥٠ كيلو متراً في الثانية، لما عاش على سطحها كائن حي ولاستحالت الحياة على وجه البسيطة (٢) .

على أن لهذا الغلاف الغازي او الدرع الحصينة أثراً هاما في ايصال حرارة الشمس الى الارض بدرجة من الاعتدال والتناسب كي يمكن أن تعيش على سطحها النباتات والحيوانات والانسان ، وكذلك لهذا الغلاف اثر هام في نقل المياه وبخار الماء من المحيطات (البحر المحيط) الى القارات فلولا وجود هذا الغلاف الجوي لتحولت القارات كلها الى أراضٍ قاحلة .

ومن المعلوم ان أجرام السماء متنوعة الحجوم والصفات ، منها الشموس والنجوم والكواكب، كما ان منها الشهب والنيازك. وكلها تجري في مساراتها في اتزان مع بعضها البعض وقد شدت برباط الجاذبية. حسب دستور اكتشفه نيوتن ، وعده له أينشتاين .

وقد يختل هذا التوازن أحياناً لسبب من الاسباب، أو قد تدخل الارض في مجرى من مجاري الشهب في الفضاء وهي تسبح من حول الشمس ،وقد تصل سرعة حركة بعضها في الفضاء ٤٥ ميلاً في الثانية الواحدة تقريباً. ولهذا

---

(١) سورة الانبياء : ٣٢ .

(٢) وقد دلت دراسة المعلومات التي ترسلها الاقمار والصواريخ على أن حوالي عشرة آلاف طن من مواد الشهب والنيازك تتساقط نحو الارض كل يوم.

يقدّر بأن شهابا واحدا وزنه جزء" من الف جزء من الغرام الواحد عندما يسبح بمثل هذه السرعة يكون مدفوعا بقوة تضاهي تلك القوة التي تصحب رصاص البنادق . ورغم أن حجم مثل هذا الشهاب قد لا يزيد على حجم حبة من الرمال فإن خطر المباشر اذا ما أصاب جسم الانسان لا يقل عن خطر الاصابة بقذيفة نارية .

وتهوي آلاف الملايين ، كما قلنا ، من مثل هذه الشهب بلا هوادة الى جو الارض العلوي كل يوم عندما تخترق الارض مساراتها ، الا انها سرعان ما تتبخر أو تحترق . ويتم ذلك على أبعاد تصل من ٨٠ الى ١٠٠ كيلومتر من سطح الأرض . وذلك بسبب الحرارات العالية التي تتولد أثر احتكاكها بالغلاف الجوي العلوي .

فمن المعروف أن الاحتكاك السريع يولّد الحرارات العالية، وهذه بدورها تعمل على تبخير واشعال الشهب ، ولهذا لا تصل هذه الأجرام السماوية الى سطح الارض ، ويحمينا الغلاف الجوي من اخطارها ، وهذا أيضا ما يحدث للنيازك ، الا أنها كثيرا ما تصل الى سطح الارض بسبب حجومها الكبيرة . ومن أشهر النيازك التي وصلت الى سطح الارض نيزك سيبيريا العظيم الذي سقط عام ١٩٠٨ وهز سطح الارض وجوها ، وسبب تلفاً عظيما في دائرة زاد قطرها على ٤٠ من الكيلو مترات .

ونيزك آخر هو نيزك (الاريزونا) بأمريكا ، وقد أحدث هوة عميقة في سطح الارض زاد قطرها على ميل وربا عمقها على ٢٠٠ متر . وقد نجم عن تصادم ذلك النيزك بسطح الارض ان انفجر النيزك وتطايرت أجزاؤه المختلفة في صورة شهب تناثرت من حول الحافة على مساحة واسعة جدا .

وبطبيعة الحال تكون النيازك والشهب مصدرا من أكبر مصادر الاخطار والأهوال على المسافر عبر الفضاء الكوني خارج نطاق جوّ الارض . وما حديث

الشهب التي تتعقب الشياطين عندما تحاول الصعود في السماء بجديد . ويقص لنا القرآن في سورة الجن وينقل لنا من أنباء عالم الغيب هذه الآية :

« وإنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئَت حرساً شديداً وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » .

انه تعالى يقول : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والارض ، فانفذوا ، لاتنفذون الا بسلطانٍ ، فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ، فلا تنتصران » [1].

تكشف لنا هذه الآية الكريمة الشيء الكثير عن أسرار الفضاء، وتنبئنا أن الفراغ الكوني (الفضاء الكوني) ليس فراغاً بالمعنى المعروف .. وقد ثبت علميا انه تنتشر فيه الكثير من الجسيمات المشحونة ونوى العناصر والكهارب التي لا تستقيم معها الحياة بحال . ولم يعرف البشر هذه الحقائق عن الفراغ الكوني الا في عصر الفضاء عندما أطلق أقماره الصناعية وكواكبه الصناعية لتسبح في أعماق فراغ الكون . وظهر أن هنالك من حول الارض أحزمة برمّتها هي مجموعات عظيمة من الكهارب المحتجزة في الفراغ بفعل مجال الارض المغناطيسي . وهي أقرب شيء من شواظ النار [2] . اذ انها تنطلق من الشمس وكأنها لفظتها لهبها المستعرة . ولا يمكن لأي كائن حي أن يتعرض لهذه الاحزمة أو يخترقها دون وقاية تامة ، ولا يعرف حتى الآن مدى هذه الوقاية ومدى النجاح المقدر لها . ويُطلق العلماء على أغلب مكونات هذه الاحزمة الفراغية اسم : (الاشعة الكونية) ، ولعل ذلك ، لان جانبا منها يقبل من أعماق الكون ، ومرة أخرى يحول غلاف الارض الجوي بأمره تعالى دون وصولها الينا .

---

(١) سورة الرحمن : ٣٢ — ٣٥ .

(٢) الشواظ : لهب لا دخان فيه . واللهب : لسان النار .

* * *

ان الله قادر على أن يهلك هذا الانسان ، لولا رحمته ، التي وسعت كل شيء بذنوبه التي لا تعد ولا تحصى في طرفة عين ، لو رفع وسائل وقاية الانسان عن الاخطار المتوجهة اليه من السماء ؛ فلا ينبغي أن يركبه الغرور فيفسد في الارض « والله لا يحب الفساد » . (سورة البقرة : ٢٠٥) ، وعليه ان لا يامن مكر الله تعالى « فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » (١) . أم أمنتم مَن في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ، فستعلمون كيف نذير » (٢) .

فهذه المصابيح هي الشهب التي تنقضّ في سماء الارض بلا هوادة ومن كل اتجاه وتكون أكبر اخطار السفر عبر الفضاء الكوني . انه تعالى يقول : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ؛ واعتدنا لهم عذاب السعير » (٣) .

ثم انه تعالى يشير في الآية الآتية الى فعل الزلازل المدمرة وما قد ينجم عنها من اختفاء معالم بعض أجزاء سطح الارض : « أأمنتم مَن في السماء أن يخسف بكم الارض ، فاذا هي تمور » (٤) .

فما على هذا الانسان الا أن يزداد خشوعا لله تبارك وتعالى وخشيةً ، في حركاته وسكناته ، ثم يرجو رحمة ربه ، فـ « ان رحمة الله قريب من المحسنين » (٥) .

فليس الانسان كل شيء في هذا الكون التي لا تتناهى جوانبه ، انما

---

(١) سورة الاعراف : ٩٩ .

(٢) سورة الملك : ١٧ . حاصبا : الريح الشديدة تحمل الحصباء .

(٣) سورة الملك : ٢٥ . الرجم : ما يرجم به ، جمعه : رجوم .

(٤) سورة الملك : ١٦ .

تمور : مار البحر ، يمور : ماج واضطرب ، تحرك كثيرا وبسرعة من جهة الى أخرى .

(٥) سورة الاعراف : ٥٥ .

جيء به الى هذه الدنيا الفانية ليتكامل في هذه الحقبة من الزمن ،في مدة لا تتجاوز ، على الاكثر ١٠٠ سنة ، المتقلبة أحوالها . « الدنياساعة فلاتجعلها الا طاعة » كما جاء في متن حديث ؛ و « الدنيا مزرعةالآخرة » كما جاء في حديث آخر . وما قيمة مائة سنة من العمر تجاه الزمان الذي يمتد بأمرالله تعالى الى ما لا حدّ لـه . فنسبة ١٠٠ الى اللانهاية صفر : $\frac{١٠٠}{\infty}$ = .انه تعالى يقول :

« مَن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » (١) .

فطوبى لنفوس توجهت الى الحق المتعال، بخشوعها وخضوعها، سجودها وركوعها ، ومثولها بين يدي الله العلي الكبير ، جوف الليل ، حيث لايراه أحد الا الله تعالى ، فذابت ببكائها واعترافها بذنوبها وانغمارها في حب الله حتى بلغت مرتبة اليقين .

ما أعظم هذه المرتبة. حقاً، انها غاية الغايات ؛ انها لتعادل آلاف الشهادات من (دكتوراه) وغيرها ، وما فائدة شهادة الدكتوراه ان كان حاملهالم يخطفي عوالم تكامل النفس أي في تكميل نفسه ، وهي اعز الانفس اليه ، خطوةً واحـــدة .

» يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ،يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » (٢) .

وعن علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس . قال :سألت أبا

---

(١) سورة الشورى : ٢٠ .

(٢) سورة الحج : ١ — ٢ .

الحسن الرضا عليه السلام عن الايمان والاسلام. فقال : أبو جعفر : انما هو الاسلام والايمان فوقه بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، ولم يقسّم بين الناس شيء أقل من اليقين . قال : قلت ، فأي شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض الى الله. قلت : فما تفسير ذلك ؟ قال: هكذا قال أبو جعفر(ع).

وان باب التقوى هو التوبة عن الذنوب : ذنوب أدبرت لذاتها وأقامت تبعاتها ولنتعلم حقيقة التوبة من مولانا وامامنا سيد الساجدين الامام الرابع علي ابن الحسين عليه الصلاة والسلام . انه يقول :

« اللهم اني أتوب اليك من كبائر ذنوبي وصغائرها ، وبواطن سيئاتي وظواهرها ، وسوالف زلاتي وحوادثها ، توبة من لايحدث نفسه بمعصية ، ولا يضمر أن يعود في خطيئة ، ولك ، يارب شرطي أن لاأعود في مكروهك ، وضماني أن لا أرجع في مذمومك ، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك ».

اسمعوا الى كلام السجاد عليه السلام كيف يعظم الذنب الصغير تجاه العلي الكبير . كل ذلك لينبه من خالف أوامر الله من سباته، فيبادر الى التوبة بانكسار لا مزيد عليه وندم عميق وحزن شديد .

انه عليه السلام يقول :

« يا إلهي لو بكيت اليك حتى تسقط أشفار عيني ، وانتحبت حتى ينقطع صوتي ، وقمت لك ، حتى تنتشر قدماي ، وركعت لك حتى ينخلع صلبي ، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي ، وأكلت تراب الارض طول عمري، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني ، ثم لم أرفع طرفي الى آفاق السماء استحياءً منك ، ما استوجبتُ بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي وان كنتُ تغفر لي حين استوجبت مغفرتك، وتعفو عني حين استحق عفوك ، فان ذلك غير واجب لي ، ولا أنا أهل له باستيجاب » .

اذا كان إمامنا المعصوم يخاطب ربه بهذا الخطاب ، فكيف بنا وقد مُلئنا معاصي وآثاما، ألا يجدر بنا أن نخاف الله من شديد عذابه وأليم عقابه وأن نعمل مجاهدين في أيام الفرصة : في هذه الايام القليلة لئلا نكون من « الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين . لهم من فوقهم ظُلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوّف الله به عباده ، ياعبادِ فاتقون » (١) .

---

(١) سورة الزمر : ١٥ — ١٦ .

ظلل : أطباق من النار .

من حقائق القرآن :

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر (١)

ان هذه الآية تبيّن لنا في إعجاز علمي رائع كيف أن النجوم — دون الكواكب السيارة التي هي في منظومتنا الشمسية — يمكن أن تستخدم في تعيين الاتجاهات على كرتنا الارضية وكيف يمكن أن يهتدي بها روّاد الصحارى والبحار .

لقد عرف القدماء من الفراعنة والاغريق والعرب وغيرهم الكثير من النجوم وتجمعاتها . وأطلقوا على بعض النجوم كما تبدو في كبد السماء أسماء مختلفة المصدر مثل : السماك الرامح ، و ، السماك الاعزل ، و ؛ الشعرى اليمانية .

كما أطلقوا على تجمعاتها أسماء أخرى مثل : مجموعة الدب الاكبر ؛ ومجموعة العقرب ، ومجموعة المرأة المسلسلة ومجموعة الجاثي على ركبتيه، ومجموعة الحمل ومجموعة الاسد . الخ وعددها ٩٠ مجموعة هي البروج.

ويبدو لنا أن هذه النجوم تتحرك عبر السماء من الشرق الى الغرب بسبب دوران الارض حول محورها من الغرب الى الشرق مرة كل يوم . فيشرق بعضها من جميع اتجاهات الافق الشرقي، ثم ترتفع في السماء حتى تصل أقصى درجات ارتفاع لها لحظة عبورها خط الزوال. ثم تبدأ بالانخفاض حتى تصل الى الافق الغربي وتختفي وراءه . وهناك نجوم تتحرك دون أن تشرق أو تغرب ، ولكنها ترسم في مساراتها اليومية دوائر مركزها النجم

(١) سورة الانعام : ٩٧ .

القطبي الذي هو في اتجاه الشمال على امتداد محور دوران الارض ، يستخدمه الملاحون ورواد الصحارى في تعيين الشمال .

وقد أوضح الله تعالى الاهتداء بالنجوم في آية أخرى بقوله :

« وعلامات وبالنجم هم يهتدون » . (سورة النحل : ١٦).

ثم ان الله تعالى لايريد منا أن نهتدي في أسفارنا بالنجوم فحسب ، بل يريد منا ما هو أهم من كل ذلك ، ما يجعل هذه النفوس تعرج في عوالم القدس وتقترب من الساحة القدسية الإلهية بتسبيحها ، خشوعها وخنوعها ، وذلك بقوله جل من قائل : « ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم »[1] . وهو تسبيح الله تعالى بعد منتصف الليل أو بين الطلوعين . كان يقول سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام في مناجاته : « إلهي ، غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أنامك ، وأبوابك مفتحات للسائلين » .

وقد جاء في الحديث : تتجلى العبادة في خمسة أشياء : (١) خلاء البطن (٢) تلاوة القرآن ، (٣) صلاة الليل ، (٤) التضرع عند الصباح ، (٥) البكاء من خشية الله تعالى .

انظروا كيف يصف الله تعالى في الآية المباركة الآتية في دقة عملية وملاءمة لفظية عواصف البحر وأنواءه مما لم يشاهده الرسول (ص) ولم يعرف عن حقيقته شيئا لولا تعليم الله تعالى اياه :

« أو كظلمات في بحر لجيٍّ [2] يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل

---

(١) سورة الطور : ٤٩ . والآية المتقدمة نذكرها لعظيم فائدتها وهي : « واصبر لحكم ربك ، فانك بأعيننا . وسبح بحمد ربك حين تقوم » . سورة الطور : ٤٨ .

(٢) لجي : عميق .

الله له نورا فما له من نور » . (سورة النور : ٤٠) .

وان هذه الآية كانت سبباً لاسلام ملاح غربي ، ذلك ، انه كان يقود سفينة في الجنوب الشرقي من آسيا ، واذا بعاصفة عظيمة تغيِّر حالة الجو فتتعالى الامواج بعضها فوق بعض ومن فوقها سحاب ، ويسود ظلام وأي ظلام ، بل ظلمات بعضها فوق بعض لايكاد المرء اذا أخرج يده يراها .

يحار الملاح في أمر السفينة ، ماذا يصنع ؟ وكيف ينجو ؟ فصار يجول في السفينة ، يصعد وينزل ، واذا به يرى رجلاً پاكستانيا قد انكب على كتاب يتلوه ، فسأله قائلا ، وما الذي تقرأ ؟ .

قال: انه كتاب الله ، انه القرآن ، فقال: ترجم لي الآية التي تقرأها ، فكانت الآية المتقدمة : « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج ... » .

فتحيَّر الرجل عندما رأى ان ما جاء في القرآن الكريم وصف رائع لما فيه الآن من حالة عصيبة ، وصف لايقوى عليه الا من جاب البحار وشاهد حالة العواصف الشديدة المظلمة ، وقال : ان محمدا لم يكن قد خرج من الجزيرة العربية الى مثل هذه البحار ولم يشاهد هذه الحالات الغريبة الاستثنائية ، إذن ، « ان هو الا وحي يوحى ، علَّمه شديد القوى » . فآمن من ساعته . واصبح منوِّرا بنور الاسلام الوهاج ، وتحقق قوله تعالى : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

ان الله تعالى يذكر في آيات جمة أن الجبال أوتاد لهذه الارض عن الميدان والميلان . وان الارض مهاد . وذلك بقوله :

« ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا » ومعلوم أن الارض كالمهاد أو الفراش لهذا الانسان فهي موطن البشر ومأواهم في الحياة الدنيا . وأما تشبيه الجبال بالأوتاد التي تحفظ توازن الخيمة عندما تشد اليها فهو تشبيه

علمي معجز لا يصل الى كنهه وسره الا الراسخون في علم طبقات الارض . وقد علم أخيرا بعد تقدم (الجيولوجيا Geologie) أي علم طبقات الارض أنه لولا الجبال لكانت قشرة الارض الصلبة في جملتها دائبة الاضطراب بسبب دوام اختلال التوازن القائم بين جوف الارض المنصهر وما يعاني من ضغوط عالية وقشرتها الصلبة وما تتعرض له من عوامل التعرية . وأهم عوامل التعرية هي الامطار والسيول والانهار والرياح واختلاف الحرارة ما بين الليل والنهار والشتاء والصيف وكلها تفتّت القشرة الصلبة .

ان قشرة الارض الصلبة هي ميزان دقيق حساس الا أنه ميزان من النوع المركب . فكل مكان من القشرة هو بمثابة كفة متوازنة تماما مع أي مكان مجاور . والميزان الدقيق تكون كلتا كفتيه متوازيتين تماما . وهما يظلان كذلك ما دامت الاثقال التي توضع على احداهما مساوية للتي توضع على الاخرى . فاذا ما تغير الثقل على احدى الكفتين لسبب من الاسباب اضطربت هذه الكفة وتأثرت الكفة المقابلة لها حتما . ويظل هذا الاضطراب قائما حتى تتساوى الاثقال مرة أخرى ويعود التوازن الى حالته الاولى . وجميع اجزاء القشرة الارضية متزنة تماما مع ما يجاورها من أجزاء لحفظ هذا التوازن تحمل أجزاء منها أعلى الجبال ، بينما تكون الاجزاء المتجاورة قيعان . فالجبال انما تثبت مجرد حفظ هذا التوازن كما يشير الى ذلك قوله تعالى :

« والجبال أرساها » (١) .

« وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا » (٢) « والارض مددناها وألقينا فيها رواسي » (٣) « وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم

---

(١) سورة النازعات : ٣٢ .

(٢) سورة الرعد : ٣ .

(٣) سورة الحجر : ١٩ .

وانهارا » [٤] « وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم » [٥].

الا أن المشاهد أنه : لا الحالة الداخلية لباطن الارض ولا الظروف الخارجية التي تتعرض لها الجبال والهضاب تترك هذا الميزان في حالة هدوء واستقرار . فباطن الارض المنصهر تجتاحه تيارات تؤدي الى التواء القشرة الصلبة مهما كانت هذه التيارات بطيئة ، وتجري المياه الى المنخفضات التي تتكون بالتواء القشرة. وهي التي نسميها البحار. وبمرور الزمن تصير قيعان هذه البحار مأوى لاحمال ثقيلة كثيفة جدا من الرسوبيات التي تأتي بها عوامل التعرية من المناطق المرتفعة في القشرة كالجبال والهضاب وترسب بقايا الكائنات البحرية ، وكلما ثقلت هذه الاحمال هبطت تحت ثقلها قيعان البحار. وتظل هذه الرسوبيات تتراكم حتى تكون جذوراً لجبال مستقلة نتيجة للضغط الشديد الذي يقع على حافتي الجزء الهابط من القشرة عليها ، فتلتوي القشرة وتنثني وترتفع رويداً رويدا لحفظ التوازن .

هذه القصة تصور لنا باختصار الثورات الجيولوجية أو حركات بناء الجبال . ولما قامت أول ثورة جيولوجية نتيجة للاضطرابات التي اجتاحت باطن الارض في أول أمرها، جاء رد الفعل في القشرة الارضية بظهور القارات وما رسا على سطحها من الجبال الاولى . ثم اختل التوازن تحت تأثير عوامل التعرية التي تنحت الجبال وتفتتها وتحمل انقاضها لترسبها في أعماق البحار والمحيطات ، وعند ذلك ، بدأت القشرة الارضية تستعيد توازنها المختل ، وعلا سطح المحيط تدريجياً حتى فاض الماء وظهرت بحار جديدة على أطراف القارات تركت آثارها بما أعطت من رواسب نراها اليوم .

وهكذا نجد الجبال هي من الوجهة العلمية بمثابة الاثقال التي تحفظ توازن القشرة الارضية وتبقى على ثبوتها وعدم انهيارها خلال أحقاب طويلة

---

(٤) سورة النحل : ١٥ .

(٥) سورة الانبياء : ٣١ .

يظل خلالها التوازن قائما رغم ما يعانيه باطن الارض من ضغوط عالية وما يجتاحه من تيارات حمل بطيئة ، وهذا المعنى الرائع هو عين ما أشارت اليه الآيات المتقدمة والآيات الآتية :

« وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءاً فراتاً .. (سورة المرسلات) .

« والارض مددناها وألقينا فيها رواسي » .. (سورة : ق) .

« وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها » . (سورة حم — سجدة) .

« والقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبثّ فيها من كل دابة » . (سورة لقمان ..) .

« أمّن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي » .. (سورة النمل) .

لم يدوّن الله تعالى الآيات الكونية المتقدمة وغيرها التي تربو على (٧٥٠) آية في كتابه المجيد لتعليمنا علم طبقات الارض أو الفلك أو غيرهما من العلوم . ذلك لان ما أودع الله تعالى من قوانين وخواص في حقل طبقات الارض اوفي حقل علم الفلك وغيرهما من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها أو عدها . « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » (١) . ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » (٢) .

وانما أراد ابداء عظمته وجليل قدرته كي يعتبر الانسان ويعلم أن الابداع لا يأتي جزافاً ولا يتكون بصدفة في مراحل لا تعد ولا تحصى ،

---

(١) الكهف : ١١ .

(٢) لقمان : ٢٧ .

أراد أن يفهم العالم أن الدين الصحيح الذي لا شائبة فيه ، الدين الـذي لم تمسه يد البشر المحرّفة هو ذلك الدين الذي يقوم على أساس تعاون وثيق وانسجام كامل بين النظرة العلمية أو الفكرية التي يُستعان بها في كشف حقائق الكون بالحس والتجربة والاستقراء والاستنتاج والنظرية الدينية التي تربط الكون والانسان بالإله الخالق المبدع . فتتولد من جهة علوم وضعية نظرية وعملية وتجريبية ، وتتطور وتتقدم وتتآخى في الوقت نفسه مع الروح الدينية الصافية التي تستشعر وجود الخالق وعظمته وتحاول الرقي الخلقي والروحي منسجمة ومتآلفة مع الروح العلمية والتقدم الفكري .

وهذه ظاهرة واضحة في الحضارة الاسلامية ، بخلاف ما كان في القرون الوسطى في أوروبا من اضطهاد واعدام العلماء الكونيين . فقد حررت النظرة الاسلامية الفكر العلمي من الشوائب المعوّقة باسم الدين وصفت الروح الديني وارتقت بها وأكملت بها الرقي المادي .

هذه الظاهرة هي التي دعا اليها القرآن بقوله : « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » [1] . انها نظرة جديدة الى الكون والانسان والحياة حيث لاتنافي ولا منافاة بين العلم المادي والتوجه نحو الخالق المتعال. وقد قال علي عليه السلام : « بالعلم يُعرف الله ويوحد » .

انها ظاهرة واضحة كل الوضوح في الحضارة الاسلامية منذ بدايتها. فقد كان ارتقاء العلوم المادية وارتقاء العلوم المعنوية يسيران في اتجاه واحد في هذه الحضارة ، من غير أن يكون بينهما هوة فاصلة أو تنافٍ أو مخالفة خلافا للحضارة السابقة واللاحقة .

فيجدر بالعالم أجمع أن يتخذ الدين الاسلامي ديناً عالمياً لينعم به البشر في دنياه ويسعد في الآخرة . ويترك ما أملته اليد البشرية من خرافات لا يسندها العقل والعلم .

---

(١) سورة يونس : ١٠١ .

حركة الارض فى القرآن الكريم

كان قد أجمع علماء اليونان قبل الميلاد على أن الارض ثابتة لاحراك لها وأن الشمس والأنجم تدور حولها ، حتى كان القرن السابع عشر الميلادي وجاء (غاليليو) بمرقبه وثبت لدى العلماء الكونيين : ان الارض تتحرك حول الشمس وأن الشمس ثابتة لا حراك لها . وحصل من جراء هذه العقيدة شجار عنيف بين الكنيسة التي كانت تقول بسكون الارض والعلماء الكونيين الذين قالوا بحركتها ، فأعدم نتيجة هذا التصادم في الرأي كثير منهم .

الا ان القرآن الكريم كان ينادي قبل ذلك بقرون : أن الارض أو الجبال التي عليها تتحرك كما يتحرك السحاب وتمر كما يمر . وذلك بقوله جل من قائل :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ، انه خبير بما تفعلون » (١) .

وحركة الجبال ومرورها أو حركة الارض هذه : هي في الحقيقة حركتان: حركة في دورانها حول الشمس على شكل اهليليجي أو قطع ناقص ، وحركة أخرى أو مرور آخر مع الشمس وبقية كواكب المجموعة الشمسية بسرعة ، ٧٠ ٠٠٠ كيلو متر تقريبا في الساعة الواحدة على شكل لولبي في هذا الفضاء اللانهائي متجهة نحو النجمة المسماة بالنسر الواقع كي تبلغ مستقرها كما أخبرنا الله تعالى في محكم كتابه بقوله : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٢) . ويعتبر اكتشاف حركة الارض بدورانها حول

---

(١) سورة النمل : ٨٨ .

(٢) سورة يونس : ٢٨ .

نفسها وحركتها أو دورانها حول الشمس من أروع ما اكتشفه العلم الحديث وقد سبق القرآن هذا الاكتشاف ما يزيد على ألف سنة تقريبا .

ولا يراد بمرور الجبال في الآية المتقدمة : «وترى الجبال تحسبها جامدة» مايحدث يوم القيامة ، ذلك لانه لاتبقى جبال اذا كان يوم القيامة حتى يراها الانسان في ذلك اليوم فيحسبها جامدة . وهو القائل : « ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربي نسفاً [٣] ، وبقوله : « واذا الجبال نسفت»[٤]؛ وبقوله : « وبُست الجبالُ بساً ، فكانت هباءً منبثا » [٥] .

ويقول حجة علماء الفلك: (سيمون) بشأن حركة الارض ضمن المجموعة الشمسية : « ان من أعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور هي : أن الشمس والكواكب السيارة التي هي في المجموعة الشمسية (مجموعتنا هذه) وأقمارها تجري في الفضاء متجهة نحو برج النسر ، بسرعة غير معهودة لنا على الارض ، يكفي لتصورها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يوميا ، فلن تصل مجموعتنا الشمسية الى هذا البرج الا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر ، وهذه دون مراء احدى معجزات القرآن العلمية » .

ودليل آخر على حركة الارض قوله تعالى :

« وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها » [١] .

ومعلوم أن مشارق متعددة ومغارب عديدة لاتحدث الا بحركة الارض حول محورها حتى تكون كل نقطة منها تارة مشرقاً واخرى مغربا حسب حركة

---

(١) سورة طه : ١٠٥ .

(٢) سورة المرسلات : ١٠ .

(٣) سورة الواقعة : ٥ — ٦ .

(٤) سورة الاعراف : ١٣٦ .

الارض ودورانها بالنسبة الى الشمس التي ترى لبعدها ثابتة على وجه التقريب .

ويقول الله تعالى في آية اخرى :

« ربّ السماوات والارض وما بينهما ورب المشارق » [٢] .

وفي آية أخرى أيضا :

« فلا أقسم برب المشارق والمغارب » [٣] . مما يدل على أن كل ما في هذا الكون من أجرام ومجرات وغيرها في حركة دائمة حول محاورها ولها مشارق ومغارب وهذا عين ما اكتشفه علم الفلك الحديث وعلم الفلك اللاسلكي بالنسبة إلى الانجم النائية في أغوار الفضاء والمجرات كذلك .

وان الآيتين الآتيتين تدلان دلالة واضحة على حركة الارض لئلا يبقى قسم منها في ظلام دائم والقسم الآخر في ضياء دائم .

« قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ، أفلا تبصرون » [١] .

وبما ان الله تعالى أخبرنا في الآية القائلة :« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» [٢] ان الشمس تسير في الفضاء الى حيث تستقر وهذا لايتلائم مع دورانها حول الارض حيث يخالف الجري الذي مآله الاستقرار في محل يعلمه الله تعالى ، اذن وجب ان نقول إن الشمس بحكم

---

(٢) سورة الصافات : ٥ .

(٣) سورة المعارج : ٤٠ .

(١) سورة القصص : ٧١ ـ ٧٢ ، سرمدا : أي بصورة دائمة.

(٢) سورة يس : ٢٨ .

الآية المتقدمة لاتدور حول الارض ، وبما ان خروج الارض من ظلام دائم أو خروج الارض من ضياء دائم يتوقف على حركتها حول محورها ، إذن يعلم من الآيات المتقدمة بعد الجمع بينها أن الارض متحركة حول نفسها، أو حول محورها .

ويقول الله جل جلاله في الآية الآتية : انه لو كان في جهة من الارض ليل لكان في الجهة الاخرى نهار بصورة حتمية ، وهذا لا يتم الا بدوران الارض حول محورها أو بدوران الشمس حول الارض. وبما ان الله أخبرنا ان الشمس تجري في الفضاء لمستقر لها ، أي : ليس لها دوران حول الارض إذن وجب أن نقول: ان الارض هي التي تدور حول نفسها ليتم الليل والنهار في كل ٢٤ ساعة .

والآية هي :

«حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغنَ بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » (١) .

فقوله تعالى « أتاها امرنا ليلا أو نهاراً » يشير الى حركة الارض حول نفسها ودورانها حول محورها ، ذلك لأن الليل والنهار يكونان على الكرة الارضية في وقت واحد في موضعين مختلفين . والله تعالى لا يتردد في تعيين وقت يريد فيه إفناء الارض وابادتها : هل يكون ذلك في الليل أم في النهار، وهو خالق كل شيء والعالم بكل شيء، عالم بما هو كائن وبما سيكون، إذن يشير قوله تعالى: « ليلا أو نهارا » الى أن قسما من الارض يتلقى أمر الفناء — من جانب الله تعالى — ليلا ، والقسم الآخر في نفس اللحظة يتلقى هذا الامر نهارا . وهذا لا يتم الا بحركة الارض أو دورانها حول محورها لحدوث الليل والنهار في نفس الوقت نتيجة هذا الدوران . . وقد نفينا دوران

---

(١) سورة يونس : ٢٤ .

الشمس حول الارض بالآية المتقدمة .

ويقول الله تبارك وتعالى : « ولا الليل سابق النهار » ومعنى ذلك: أن الليل لا يسبق النهار وكلاهما يحدثان في وقت واحد. حقاً ، عندما انفصلت الكرة الارضية بحالة نارية ملتهبة عن الشمس [١] ؛ كان الطرف الذي يلي الشمس نهارا والطرف الآخر ليلا ؛ وعندما بدأت تدور حول نفسها وحول الشمس أيضا بحكم الجاذبية على ما ثبت في علم (الميكانيك) كان الطرف المتوجه الى الشمس نهاراً والطرف الآخر ليلاً . فالليل والنهار كلاهما يحدثان في آن واحد دون أن يسبق أحدهما الاخر . ثم اذا اضفنا الى هذه الآية قوله تعالى في سورة يس : « ولا الليل سابق النهار » ، هذه الآية: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا »[٢]. نعلم أن الليل يتلو النهار ، فهما متعاقبان . وهذا لا يتم الا بدوران الشمس حول الارض ، أو بدوران الارض حول محورها . وبما ان الآية :

« والشمس تجري لمستقر لها »[٣]. تنفي دوران الشمس حول الارض ذلك لان الشمس تجري لمستقر لها ، ولا استقرار مع الدوران في نفس المدار؛ اذن : يُعلم ان لابد لتعاقب الليل والنهار من حركة الارض حول محورها ليكون بصورة دائمة الطرف المتوجه نحو الشمس نهارا والطرف الآخر غير المتوجه نحو الشمس ليلاً .

ومما لا مراء فيه : أن ليس للاجسام الصامتة ، الصماء أن ترتب لنفسها حركاتٍ مترتبةً منتظمة تحصل بسببها ، أي بسبب دوران الارض حول محورها ، حياة على الكرة الارضية ، فتعيش النباتات والحيوانات عليها، إذن : يحكم العقل بصورة فطرية : أن الله تبارك وتعالى هو الذي أعطى هذه

(١) انه تعالى يقول : أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما . وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون ». سورة الانبياء : ٣٠.

(٢) سورة الفرقان : ٦٢ . (٣) سورة ياسين : ٢٨ .

الحركات المنتظمة للكواكب والشموس كي تحصل بسببها حياة . ذلك ، لأن الارض لو كانت ثابتة ، لبقي طرف منها متوجها نحو الشمس ولاحترق كل ماعلى الارض من نبات وحيوان ولتبخرت المياه ، وانعدمت نتيجةً لذلك الحياة عليها وكذلك الطرف الآخر : الطرف غير المتوجه نحو الشمس لبقي في ظلام دائم وبرودة قارصة ، وانجمد بسببها كل ما على الارض من نبات وحيوان ومياه وانعدمت الحياة عليها أيضا .

فالله تعالى جعل هذه الدقة المتناهية في الخلق : من تعاقب الليل والنهار الى ما هنالك من ملايين الانظمة والقوانين والخواص تذكرةً لمن أراد أن يذكر وعبرةً لمن أراد أن يعتبر : لمن أراد أن يقوم بواجب الشكر تجاه نعمه التي لاتعد ولا تحصى [1] فيشكر الله تعالى بصلاة يصليها وصوم يطهر به نفسه وزكاة يطهر بها ماله وخمس يؤدي به ما فرض الله عليه ، وحج يتقرب به الى الله ، وانفاقٍ وبذل وقيام بحوائج الناس واعمال صالحات ، وبر الوالدين وصلة الرحم ، وتسبيح الله تعالى وتقديسه .

فلا يعتبر بآيات الله تبارك وتعالى وما أودع في الكـون من حركات وقوانين الا مَن آمن ولا يؤمن حقا الا من اتقى الله ، ولا تتم التقوى الا بالقيام بواجب الشكر . ولكل عضو من أعضاء الانسان شكر يناسب ذلك العضو ، ولكل جارحة من الجوارح شكر يناسبها ، ولكل ما مَنَّ الله على الانسان من منصب وجاهٍ وعلم وكمال شكرٌ يناسبها ، كما أن لكل ما منَّ الله على الانسان من مال ومنال وأرض وعقار شكراً عمليا يناسبها . ولايكفي قولك : الحمد لله ، اذا منَّ عليك بدور متعددة حتى تسكن في احـداها بعض المعوزين من أيتام وأرامل وغيرهم . فقد جاء في الحديث : « مَن كانت له دار ، فاحتاج مؤمن الى سكناها ، فمنعه اياها ، قال الله عزوجل : ملائكتي بخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا ، وعزتي ، فلا يسكن جناني أبدا » .

---

(١) وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . سورة ابراهيم : (ع) : ٣٤ .

اللطف وسنة الكمـال

كثيراً ما نقرأ في الكتب الكلامية أن الله تبارك وتعالى قد أرسل أنبياء مبشرين ومنذرين عملاً بقاعدة (اللطف) وان الله تعالى أراد أن يلطف بالبشر ويرفق بهم ،فجعل منهم أنبياء ومرسلين، منّ عليهم بصفة العصمة لقابليةهناك ليهدوا الناس سواء السبيل .

ويستنتج من ذلك انه لولا (قاعدة اللطف) لبقي البشر في دياجيرالجهل لايعرف ربه ولا يعرف كيف ينال سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ولبقي كالبهائم أو أتعس حظاً من البهائم أبد الآبدين .

ولكني أرى : أن الله تبارك وتعالى منّ على البشر بتعاليم السماء وأرسل أنبياء ومرسلين ومن بعدهم أوصياء سلام الله عليهم اجمعينعملاً بسنة الكمال هذا الكمال الذي نشاهد آثاره وآياته في كل جزءٍ من أجزاء العـالم من الآميبا (الكائن الحي ذي الخلية الواحدة) الى أكبر ما خلق الله من مجرات وشموس تعادل شمسنا هذه آلاف المرات .

كمال نشاهد آثاره في الذرة ، ذلك لان الذرة عالم مستقل في ذاته،لها قوانينها ودساتيرها ، وأي كمال أعظم من أن نرى حركة (الألكترون)بسرعة ألفي كيلو متر في الثانية حول النواة : (المركز) ، أي حول البروتون على شكل إهليليجي : قطع ناقص ، وأي كمال أعظم من رسم منحنٍ اهليليجي يكون المحيـط فيه محلاً هندسياً لنقاط تبعـد بمقدار القطر الكبير عن نقطتين معينتين : (البؤرتين) ، ومتى علم البشر أن معادلة القطع الناقص هي :

$$\frac{س^2}{ب^2} + \frac{ص^2}{جـ^2} = ١$$

لم يتعرف البشر على هذه المعادلة الا في القرن الثامن عشر الميلادي ، بعد قطع الرياضيات مراحل متعددة استغرقت آلاف السنين .

وهل للألكترون وهي شحنة كهربائية سالبة ، أن تسلك هذا الطريق الاهليليجي وان يرسم من تلقاء نفسه هذا المنحني المعقد الذي لم يقو البشر على تفهمه الا بعد آلاف السنين .

انه كمال محير للعقول في بطن الذرة .

وقل مثل ذلك بالنسبة الى حركة الكواكب حول الشمس وبالنسبة الى هذه الأبعاد التي نشاهدها بين الانجم السابحة في الفضاء بنظام محيِّر للألباب .

فلو كان البعد بين الارض والقمر عشر ما عليه الآن لكان المد الحاصل لمياه البحار والانهار نتيجة جذب القمر لما على الارض من مياه أضعاف ما عليه الآن ولانغمرت الاراضي والبقاع كلها تحت المياه ، ولما وجد مكان جاف للسكنى ، وهو قوله تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

وهكذا القول بالنسبة الى بعد الشمس عن الارض . فان الشمس تبعد عن الارض : ٨ دقائق و٢٠ ثانية بحساب السنة الضوئية أي أن الطائرة لو كانت سرعتها في الساعة ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٨٠ كيلو متر لوصلت الى الشمس خلال هذه المدة : (٨ دقائق و ٢٠ ثانية) . فلو كان هذا البعد نصف ما عليه الآن ، لكانت درجة الحرارة على وجه الارض أربعة أضعاف ما عليه الآن ولاحترق كل شيء وتبخرت المياه واستحالت الحياة على وجه البسيطة .وقد قال تعالى :

« وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » .

فلا ترى في كل ما خلق الله شيئاً عبثا يناقض سنة الكمال .

إن الماديين كانوا يتذرعون بأشياء تافهة لإثبات نظريتهم العشوائية ،

وقد تقدم العلم وفند آراءهم الالحادية .

انهم كانوا يقولون : إن بعض الأعضاء في البدن الانساني لافائدة منها وهذا يخالف سنة الكمال . حين أن الحكمة متأصلة من جانب الله في كل شيء . وقولهم هذا كان منبعثاً عن جهل ونقص في العلم ، انهم كانوا يقولون: إن (الزائدة الدودية) شيء زائد لا فائدة منها وقد علم بعد تقدم العلم ان لهذه الزائدة Apendis) حساسية فائقة أزاء التعفنات الداخلية وهي بمثابة صافرة خطر .

واما اللوزتان فكان يقال عنهما : انهما زائدتان أيضاً ، يجب اجتثاثهما في الصغر لئلا تكونا في المستقبل غدداً تتنة ، ثم علم أخيرا ان لهاتين اللوزتين أثراً هاماً في سلامة البدن الانساني ..

كان يقول علي عليه السلام : « لو شئت لجعلت من هذا الماء نورا » والنور أو الضوء طاقة ، كما أن الاشعاع طاقة . وقد علم أخيرا معنى قول علي عليه السلام بعد اكتشاف شيء عما في بطن الذرة وتحطيمها . فالماء مصدر عظيم للطاقة . وان الهيدروجين الثقيل الذي نحصل عليه من الماء العادي مصدر عظيم للطاقة . وان مفاعلات الاندماج سوف لاتختلف في حجمها عن المفاعلات الذرية (مفاعلات الانشطار) عند فلق الذرة وتحطيمها .

فالعلماء كما استخلصوا الطاقة من انشطار ذرات العناصر الثقيلة كاليورانيوم ، بذلوا الجهود للحصول على الطاقة أيضا من الماء العادي ، وذلك بعملية الاندماج النووي لذرات العناصر الخفيفة كالديوتيريوم والترتيوم كما في القنبلة الهيدروجينية ، ولكن تحت وسائل التحكم .

ويحتوي الهيدروجين العادي على قدر من الهيدروجين الثقيل الثنائي، وهو احدى مركبات الماء الذي يشغل خمسة أسباع مساحة الكرة الارضية.

وقد بلغ اهتمام علماء الذرة لظاهرة الاندماج النووي مبلغاً كبيراً .

لاعتقادهم الراسخ أنه في الامكان استخلاص كميات هائلة من الطاقة بهذه الطريقة بتكاليف زهيدة ودون التعرض لاخطار الاشعاعات الذرية وغيرها التي تنتج في عمليات الانشطار .

فالطاقة التي نحصل عليها من اندماج الهيدروجين الثقيل الموجود في ليتر من الماء العادي ، تعادل الطاقة الحرارية الناتجة من ثلاثمائة ليتر من الگازولين .

ولو أمكن التحكم في طاقة التفاعلات الاندماجية ، واستخدمت لخير البشرية لتوفر للعالم قدر من الطاقة يكفيه حقبةً من الزمن ، تبلغ عشرة آلاف مليون سنة ، دون اعتماد على مصدر آخر للطاقة ، وقد أمكن الوصول الى هذه النتيجة باعتبار أن : مساحة الكرة الارضية تساوي ٢٠٠ مليون ميل مربع ، والماء يشغل من هذا السطح خمسة أسباعه ، بمتوسط عمق قدره ميلان، والهيدروجين العادي يكوّن تسع ماء البحار والمحيطات ، وواحد من خمسة آلاف من هذا الهيدروجين من الهيدروجين الثقيل والعالم يستهلك الفحم بمعدل ستة آلاف مليون طن سنويا .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الاندماج الهيدروجيني هو التفاعل الذي تنتج به الشمس طاقتها الحرارية العظيمة ، وهو التفاعل الذي بنيت عليه التفجيرات الهيدروجينية المروعه التي تثبت امكان الحصول على الطاقة بعملية الاندماج ولكن دون تحكّم .

وقد تنبأ العالم الهندي « هومي بابا » بأن اطلاق طاقة الاندماج بطريقة تمكننا من التحكم فيها سيتم خلال العشرين سنة القادمة ، وهو يعتقد أن العصر التاريخي الذي نقتحمه قد يعتبر يوما فترةً بدائية للعصر الذري.

كل ذلك يدل على أن الكمال المودع من جانب الله تعالى في العالم المادي قد بلغ أقصاه ، فلابد من شمول هذا التكامل أو الكمال عوالمَ الانفس

والارواح ، أي لا يستثنى من هذا الكمال الانسان ، فلابد من فطرة توجه الفرد الانساني الى معرفة ربه والقيام بالاعمال الصالحات .

وكمثال آخر على الكمال المودَع في العالم المادي وارتباطه بعوالم النفوس أقول : ان العلماء المحدثين قد حسبوا أنهم لو أرادوا أن يخترعوا جهازا يقوم بما يقوم به العقل الانساني من اعمال خارقة لاحتاجوا الى جهاز بسعة كرتنا الارضية . وعلموا أيضا أن الفكر أو الحكمة المبذولة في تركيب مفصل من المفاصل في البدن الانساني لهي أعظم من الفكر المبذول في صنع القنبلة الذرية ، مع وجود أجزائها من جانب الله تعالى في هذه الارض قبلاً .

كما أن ظاهرة الطيران في الطيور بمراحلها الثلاث [1] هي من أعجب الظواهر الطبيعية ، بسبب صعوبة القيام بها وتفسيرها تفسيراً قاطعاً علميا مانعاً بل هي من المسائل التي لم يستطع علماء الطير حلها . فماأعظم ماأودع الله فيه من كمال !.

ان الكمال الذي أودعه الله تعالى في كل جزء أو جزيء من هذا العالم الرحيب يتجلى بوضوح لامزيد عليه بحيث يوحي الينا أن ليس في الكون المادي شيء الا وقد بلغ أقصى مرتبة من مراتب الكمال أو هو متكامل، يتابع ماسنّ له من مراتب كمالية متسلسلة حتى يبلغ الغاية القصوى من الكمال المحدد له ، مع العلم ان في كل مرحلة من مراحل الكمال من الدقة والتفكير ما يحير الألباب .

هذا ما نشاهده في العالم المادي . وان العالم المادي مخلوق الله الكامل على الاطلاق . وبما انه لايترشح من الكامل على الاطلاق الا الكمال ،وجب

---

(١) الاولى وتعرف بانزلاق : يبسط الطير فيها جناحيه دون ان يحركهما. والثانية وهي الدفيف : يضرب فيها بجناحيه رفعا وخفضا ضربات متتابعة ، والثالثة : طيران الصف ويأتيه الطير بجناحين منبسطين فلا يحركهما .

ان يتجلى الكمال في كل زاوية من زوايا هذا الكون مع ارتباط بين الزوايا والأجزاء ، ارتباط يحتم هذا التكامل ويشير ان الصانع له واحد متفرد في الوحدانية لايشاركه في خلقه اياه احد : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ » [١] .

إذن يجب أن لا تشذ عن سنة الكمال النفوس : هذه النفوس البشرية التي خلقها الله بارادته وركب فيها توحيده وتقديسه بمشيئته وهو قوله تعالى: « فطرة الله التي فطر الناس عليها » .

فقضية توحيد الله ، تبارك وتعالى ، أمر فطري داخل في ناموس الكمال العالمي ، دون أن نحتاج الى التمسك بـ (قاعدة اللطف) . كل ذلك لأن الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لايصدر عنه الا الكمال . ومن اهم نقاط الكمال لهذا الانسان : توحيد الله تعالى وتقديسه وتسبيحه .

(ألم ترَ أن الله يسبح له مَن في السماوات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون) [٢] .

ويقول تعالى « وهديناه النجدين » أي طريقي الخير والشر . فقد ألهمنا الله تعالى طريق الخير وطريق الشر . فالانسان محكوم لما تمليه عليه فطرته أو عقله الباطني قبل بعثة الرسل ، وهكذا اولئك الذين لم تصل اليهم الدعوة الاسلامية . انما أقول : الدعوة الاسلامية ، ذلك لان الاسلام ، دين الله في أرضه منذ أن خلق آدم أول الانبياء « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » [٣] .

انه تعالى يقول : « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » . لذلك ، يرى الفرد في عنفوان حياته ، وان لم تبلغه تعاليم السماء، أنه

---

(١) سورة الملك : ٣ .
(٢) سورة النور : ٤١ .
(٣) سورة آل عمران : ٦٧ .

ينكمش عند ارتكابه أول معصية ويتردد ويرتبك ،كأن قوة خفية تدفعه عن اقتراف الذنب . كل ذلك، لان الله أودع في النفس الانسانية بالفطرة هذا الرادع النفسي . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله « العقل نور القلب، يفرق بين الحق والباطل » .

فالنفس الانسانية تنكمش عند أول معصية والعقل الطبيعي : غير الملوث بالموبقات يمنعها ويردعها . فقد جاء في الحديث : (العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان) .

ولكن هذه النفس لو تمادت في غيها وضلالها ولم ترتدع بنداء الفطرة تكون محكومة لشيطانها . فينسحب العقل .

يقول علي عليه السلام : « لو قارف عبد ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه أبداً » .

وقد قال رسول الله (ص) ذات يوم لاصحابه : ألا أخبركم داءكم عن دوائكم ، قالوا بلى ، يا رسول الله . قال : داؤكم الذنوب ، ودواؤكم الاستغفار .

انه تعالى يقول : « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ، قالوا بلى . شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، افتهلكنا بما فعل المبطلون » (١) .

فالله تعالى قد غرس أسس التوحيد في النفس الانسانية ، عملا بسنة الكمال ، فالذي ينحرف ، انما ينحرف لظلمات في نفسه ، جاءته من ناحية الذنوب وعدم القيام بمعطيات الفطرة : (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون، حتى اذا جاءنا قال : ياليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين) (٢) .

---

(١) سورة الاعراف : ١٧١ . (٢) سورة الزخرف : ٣٦ — ٣٨ .

فالله الذي لا يصدر عنه الا الكمال ، قد أكمل الانسان من النواحي الروحية : بأن غرس فيه أصول المعارف الإلهية ، وقد جاء في الحديث : «كل مولود يولد على الفطرة ، فانما أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه» لذلك ، يقول احد علماء الآثار : لا يمكن أن ترى منذ وجد البشر على وجه البسيطة ، جماعة ، أو قرية أو ناحية مهما كانت صغيرة الا ولها معبد يتعبد الناس فيـــه .

والفرق بين القوانين الكونية كقوانين الجاذبية العامة ، قوانين الضوء الهندسي أو الحكمي أو قوانين تفاعل العناصر الى ما هنالك ، — وفطرة النفس الانسانية: أن هذه الفطرة (أو الاسلام والتوجه الى الحق المتعال) قابلة للتحول ، وليست كالمادة مسلوبة الاختيار والارادة .. فقد منّ الله تعالى على هذا الانسان بالارادة بعد ان جهزه بعقل وأراه النجدين [1] : « ليهلِك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة » .

فلا عذر لمن انحرف عن الصراط السوي واتبع هواه : « أفمن كان على بينة من ربه كمن زيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم » [2] .

وان الله تعالى قد عرف الانسان منذ أن خلقه الشيطان ودسائسه : «ان الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا » [3] .

فعلى الانسان أن لا يطيع الشيطان وان لا يذعن لمكائده ودسائسه . مع العلم أنه ليس للشيطان أية سلطة على الانسان . « وقال الشيطان لما قُضيَ الامر : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم ، فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ ، اني كفرت بما اشركتموني من قبل ،

---

(١) طريقي الخير والشر .

(٢) سورة محمد (ص) : ١٤ .

(٣) سورة الفاطر : ٦ .

إن الظالمين لهم عذاب اليم » [1] .

يظهر مما أسلفنا أن سنة الكمال ضاربة بأطنابها في الجماد والنبات والحيوان والانسان . وبما أن التكامل الانساني بما هو انسان ينحصر في المعارف الإلهية والاخلاق الفاضلة ، لذلك ، غرس الله تعالى أصول المعارف وأعني بها : التوحيد ، وتقديس الله تعالى ، الميل الى العبادة والخشوع ، ذكر الله تعالى في الشدائد والتوجه اليه .. الى ماهنالك في النفوس البشرية تثبيتاً لسنة الكمال : هذه السنة التي لابد وان تتحقق في كل ما خلق الله تعالى بصورة ضرورية ، وقد أكمل الله ذلك بارسال الرسل ليهدوا الناس سواء السبيل ويعرفوهم طرق السعادة المقربة اليه تعالى ويعلموهم الحلال والحرام على حد قول علي عليه السلام، اذ يقول : « وأرسل انبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ويهدوهم الى معايش تحييهم » .

فبعث الانبياء أمر طبيعي ، لابد من تحققه عملا بسنة الكمال من جانب الله تعالى في هذا الكون أو الوجود ، وتحقيقا للكمال العالمي في الجماد والنبات والحيوان والانسان والجن والملائكة .

ولما كانت تزكية النفوس من أهم عناصر الكمال لذلك جعل الله سبب بعث الانبياء: التزكية . بقوله جل من قائل : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

واما الرحمة فهي من صفات الله تبارك وتعالى وكذا اللطف ، وهو القائل: « كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » . « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءا ، فتصبح الارض مخضرة ، ان الله لطيف خبير » [2] « الله لطيف بعباده، يرزق

---

(١) سورة ابراهيم (ع) : ٢٢ .

(٢) سورة الحج : ٦٣ .

من يشاء وهو القوي العزيز » [١] .

فلطف الله تبارك وتعالى يأتي بعد هذا الدور التكاملي ، ليمن على من يشاء من عباده بالتوبة ومزيد النعمة : « ان الله كان لطيفا خبيرا » [٢] .

---

(١) سورة الشورى ؛ ١٩ .
(٢) سورة الاحزاب : ٢٤

سنة الكمال فى الكون الرحيب

ان نظرة واحدة الى هذا الكون الواسع الارجاء وما فيه من نظم وقوانين وعلاقات تكاد لا تتناهى توصل الانسان الى هذا الحكم القطعي : إن سنة الكمال الضاربة بأطنابها في هذا الكون المادي الرحيب الى أبعد الحدود .

فتكوّن الشمس والارض والقمر والكواكب وملايين النجوم في ملايين من المجرات وملايين الشموس التي هي على الاكثر اكبر من شمسنا هذه، قد جرى تحت قوانين رياضية وطبيعية ثابتة أودعها الله هذا الكون. وهو مما يدل على ان الخالق لهذا الكون قد بلغ من القدرة والتدبير الى حد لا يتناهى وان ما وصل اليه هذا الانسان من معلومات ودساتير لا يعادل شيئا مما هو كائن أو يكون .

إن نسبة علم الله تعالى الى علم الانسان المحدود هي نسبة المحدود الى غير المحدود أو نسبة المتناهي الى غير المتناهي أي كنسبة $\frac{ب}{\infty}$ ، ومآل هذه النسبة لامحالة هو : الصفر .

والقرآن الكريم هو أول كتاب علّم الناس العلاقة بين الرياح وهبوبها وتكاثف بخار الماء باثارة السحب ونزول المطر وذلك بقوله جل من قائل :

«الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا ؛ فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا ؛ فترى الودق يخرج من خلاله » [1] .

فمن سنة الكمال هذه الدورة المائية التي نشاهدها ما بين البحار والمحيطات وجو الأرض . فان أشعة الشمس تعمل على تبخير المياه من سطوح

---

(١) سورة الروم : ٤٨ .

المحيطات ، وعندما يحمل الهواء هذه الأبخرة الى أعلى وتبرد ، تتحول الى نقط من الماء او بلورات من الثلج أو هما معا داخل السحب ، ثم لاتلبث أن تنهمر هذه المكونات الى سطح الارض وتعود الى المحيط من جديد اما مباشرة أو عن طريق الأنهر أو المياه الجوفية ... الخ . ولا سبيل الى ايقاف هذه الدورة .

هذه دورة واحدة من دورات الحياة ومثلها توجد دورات تعد بالعشرات في شتى حقول الحياة من عضوية وغير عضوية يعزى اليها استمرارية الحياة في هذا الكون بأمر من الله تعالى . وهناك أيضا دورات اخرى لا تعد ولا تحصى خارج منظومتنا الشمسية لا يعلمها الا الله تعالى .

« الله الذي خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماءاً ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين [1] وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » [2] .

وقد جعل الله تعالى غاز الاوكسيجين أساس الحياة على الارض ، اذ تستنشقه الكائنات الحية ، فيجدد نقاء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل وهو يخرج مع هواء الزفير في صورة غاز (ثاني أوكسيد الكاربون) ، ويذوب الاوكسيجين في الماء (٤ر٠ سانتيمتر مكعب منه يمكن أن تذوب في غرام واحد من الماء في الأحوال العادية) . ولذوبانه هذا في الماء أهمية عظمى . اذ تستمد الحيوانات والنباتات المائية ما يلزمها للتنفس من الاوكسيجين المذاب في المـاء .

---

(١) دائبين : جاريين فى فلكهما لا يفتران .

(٢) سورة ابراهيم عليه السلام : ٣٢ — ٣٤ .

والغلاف الهوائي فوق الارض طبقات مرصوصة من الهواء بعضها فوق بعض . ونجد أن أكثر الطبقات كثافة وتضاغطاً هي الطبقات القريبة من سطح الارض ، حيث يتركز نحو نصف كتلة هواء الارض بأسره في الستة الكيلو مترات الاولى ، بينما ينتشر النصف الآخر في الطبقات التي تعلو ذلك وتمتد الى مشارف الفضاء الكوني .

وكلما نقص الهواء في المرتفعات (أي مع الارتفاع) نقص كميات الأوكسيجين كذلك ، بحيث أننا اذا بلغنا ارتفاعا معينا لايكفي الاوكسيجين الجوي للتنفس ، ويشعر المرء اذ ذاك بضيق الصدر والاختناق .

وان القرآن الكريم قد أوضح ذلك قبل كشف هذه الحقيقة من قبل علماء الطبيعة ، بقرون . وذلك بقوله جل من قائل :

«ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء»[1] .

رغم محاولة الانسان مدة مديدة لمعرفة كيفية تكون العالم ، فانه لايزال في دور التخمين والحدس . ولذلك قلما نجد علماء العصر الحاضر يتصدون الى وضع نظرية مبنية على اسس علمية من شأنها ان توضح كيفية تكون العالم بأجمعه . وان ما وضع من نظريات لحد اليوم تجرح وتعدّل من حين الى حين وهي بعيدة عن الواقع كل البعد . انه تعالى يقول :

« ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضدا »[2] .

غير أن النظام الشمسي بمفرده ليس مجهولا تمام الجهل ، والحقائق الكثيرة التي نعرفها عنه حدت بعدد غير قليل من العلماء الى وضع بعض الآراء

---

(١) سورة الانعام : ١٢٥ .

(٢) سورة الكهف : ٥٢ .

والنظريات عن كيفية حدوثه وتكونه .

منها : أن النظام الشمسي لم يتألف ولم يكتسب شكله الحالي بطريق الصدفة ، فأجزاء المادة التي تتصل كيفما اتفق بالشمس (كالمذنبات وما شابهها) لا يعقل أن تجتمع كلها في مستوٍ واحد على وجه التقريب وان تكون مداراتها وافلاكها قليلة التفلطح (على شكل قطع ناقص) وقريبة من الدائرة .

فلو كانت السيارات قد التحقت بالشمس عن طريق الصدفة لاقتضى أن تكون أفلاكها ومداراتها مختلفة التفلطح والميل بشتى الاشكال . غير أنا نرى أن النظام الشمسي مرتبط بعلائق كثيرة منظمة منها :

١ — أن مدارات الكواكب او السيارات حول الشمس بأجمعها على شكل اهليليجي (القطع الناقص) تقرب من الدائرة .

٢ — تقع هذه الافلاك أو المدارات بأجمعها في مستوٍ واحد تقريبا (ما عدا أفلاك النجيمات) .

٣ — ان الكواكب (أو السيارات) تدور بأجمعها حول الشمس باتجاه واحد .

٤ — تبعد الكواكب (أو السيارات) عن الشمس بعداً منتظم الاطّراد .

٥ — ان المستويات التي تدور فيها الكواكب أو السيارات على محورها تنطبق تقريبا على المستويات التي تدور فيها الشمس .

٦ — ان اتجاه دوران السيارات (الكواكب) على محورها هو نفس اتجاه دورانها حول الشمس .

٧ — تدور أقمار السيارات والكواكب حولها في مستوٍ ينطبق تقريباً على مستوى دوران الكواكب (السيارة) حول الشمس .

٨ — ان أقمار الكواكب (السيارات) تدور على الغالب في نفس الاتجاه

٦ — ان السيارات أو الكواكب الضخمة هي أسرع السيارات في الدوران على محورها .

فهذه العلاقات المنظمة توحي الينا أن يداً قديرة قد أنشأت هذه الافلاك والكواكب بحكمة فائقة ونظام بديع الى أبعد الحدود . « الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » (١) .

* * *

وكمثال على ان النظريات التي توضع من قبل العلماء ولا تؤيدها التجارب والحوادث المتأخرة نذكر نظرية (بوفون) .

قال (بوفون) : ان الارض وما يدور حولها من كواكب كانت في بداية الأمر كتلة غازية نارية مندمجة في الشمس ، وانها انفصلت عن الشمس على أثر تصادمها مع مذنب أو مذنبات كبيرة . فكل مصادمة من هذا النوع كانت تؤدي الى انشطار كتلة عظيمة من الشمس وتشكل احدى السيارات (الكواكب) .

ولقد فُنِّدت هذه النظرية لعلمنا أخيرا عن تركيب المذنبات وقواعد الميكانيكا . ذلك لأنه :

١ — لم يشاهد لحد اليوم مذنب ذو كتلة كبيرة تصطدم بالشمس ، فتقذف على أثر هذه المصادمة كتلا كبيرة كالكواكب .

٢ — لو كانت السيارات قد انفصلت عن الشمس على أثر تصادم جسم غريب لوجب أن تكون مدارات السيارات (الكواكب) مفلطحة تفلطحا كبيرا طولانيا بمقتضى قواعد الميكانيكا .. أي وجب أن تكون نسبة نصف القطر القصير الى نصف القطر الطويل كسرا بعيدا عن الواحد .

ان أشهر النظريات اليوم في تكون المنظومة الشمسية هي نظرية وضعها

---

(١) سورة الروم : ٥٤ .

الفيلسوف الالماني (عمانوئيل كنت) واصلحها العالم الفرنسي الرياضي الشهير (لاپلاس) في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد حاول لاپلاس أن يطبقها على القواعد الرياضية ؛ فجاءت كما يلي :

١ ــ ان المادة التي تتألف منها الشمس والكواكب كانت فيما مضى مبعثرة بشكل (سديم) كبير .

٢ ــ وان هذا السديم الغازي كان شديد الحرارة منتشراً كالسحاب .

٣ ــ فلما برد قليلا تجاذبت دقائقه نحو مركزها المشترك فدار على نفسه في الجهة التي تدور فيها السيارات حول الشمس وكان دورانه مداً عن اختلاف عريضة في كثافات أجزاء السديم الاصلي وسرعتها ، ثم استمرت الحرارة على الانتشار ، فازداد بذلك تكاثفاً وانقباضاً وازدادت سرعته الدورانية على أثر انقباضه لأسباب ميكانيكية .

٤ ــ فكان من جراء هذه الحركة الدورانية ان تفلطحت تلك الكتلة الكروية عند القطبين واستمر هذا التفلطح حتى اتى يوم اصبحت فيه قواعد التباعد عن المركز في الأجزاء الاستوائية مكافئة لقوة الجذب نحو المركز ، فانفصلت على أثر ذلك حلقات سديمية تماثل حلقات زحل من تلك الاجزاء الاستوائيــة .

٥ ــ وكانت الحلقة المنفصلة حين انفكاكها تدور بأجمعها حول السديم الاصلي مدة مديدة من الزمن ، ثم تنفرط فتتجمع دقائقها بشكل كرة غازية وتأخذ هذه الكرة بالدوران حول الكتلة الاساسية ؛ فتشكل بهذه الصورة احدى السيارات (أو الكواكب).

٦ ــ والسيارات بدورها كانت تتعرض لنفس الحالة التي تعرّض لها السديم الاصلي . فتنفصل عنها حلقات سديمية يؤول بها الأمر الى تشكيل أقمار تلك السيارة . اما حلقات زحل فانها احتفظت بشكلها حتى الآن ؟.

* * *

ان النظريات التي تؤسس لحل مشكلة النظام الشمسي أو تكوّن العوالم التي خلقها الله تعالى بقدرته وقدّر فيها أقواتها في هذا العالم الرحيب من مجرات لا تعدّ : مجرات في كل منها ملايين النجوم وملايين الشموس التي تبعد عنا مسافات لا تقدر بملايين الاميال على ما ثبت أخيراً ، هي نظريات مضطربة ، قلقة ، تعدّل من حين لآخر كلما عثروا على ظاهرة لا يمكن أن تفسر على النظرية الموضوعة . ذلك ، لأن الانسان لم يقف بعد على جميع ما أودع الله من قوانين في علم الميكانيك السماوي ، وما وضع من خواص تكاد لا تتناهى في العناصر والأجسام. وهذه النظريات محاولات علمية تكشف عن بعض ما أودع الله من قوانين ميكانيكية وخواص طبيعية في هذا الكون الرحيب.

يقول الله تبارك وتعالى :

« أولم يرَ الذين كفروا أن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما »[1].

فالله تعالى يخبرنا في الآية المتقدمة ، أن كل ما في هذا الكون المادي من أجرام ونجوم وشموس واقمار ومجرات ونيازك وسدم وغازات : كل ذلك كان في بادىء الأمر ، بأمره تعالى ، ملتصقة بعضها بالبعض الآخر ، انها انفصلت وتناثرت بقوله جل من قائل : كُن ، حسب مايريد وتباعدت وصارت تدور في مدارات اهليليجية أو شبه دائرية حسبما سنّ الله من قوانين ميكانيكية وخواص معينة فيما خلق من عناصر : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له: كُن ، فيكون » . (سورة يس).

لذلك يعتقد علماء العصر الحاضر أن السديم هو الحالة الابتدائية للنجوم أو المجموعات النجمية ، وانها في الوقت الحاضر في حالة التكاثف

---

(١) سورة الانبياء : ٣٠ .

والتقلص . ولذلك . لابد وان تنتج آجلاً أو عاجلا مجموعة من الكواكب أو عدداً من الشموس المماثلة لشمسنا .

ان السُدم [١] تختلف اختلافا تاما عن الكواكب المجتمعة وان شابهتها في ظاهرها . فانها لا تنحل الى كواكب مستقلة لا بالمرقب ولا بالتصوير الشمسي ، كما أنه يتبين من التحليل الطيفي [٢] انها تتألف من مواد غازية محتوية على عنصر يجهله علماء الكيمياء على الارض، ويدعونه (الغاز السديمي) نسبة الى السديم .

وقد قال الله تعالى :

« ثم استوى الى السماء وهي دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرها ، قالتا أتينا طائعين » [٣] .

وقوله تعالى في سورة الدخان :

« يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب اليم » .

ان اشكال السدم تختلف اختلافا كلياً . فبعضها تظهر بشكل منظم كروي أو لولبي أو عدسي أو حلقي واما البعض الآخر فيظهر في أشكال غير منتظمة لايمكن حصر أنواعها .

وإن الرصد قد أظهر أن منظر السديم يتغير كلما ازدادت قوة تكبير المرقب (تلسكوب) حيث تبدو عندئذ بعض اقسام وفروع لم تكن مرئية في المراقب الضعيفة أو المتوسطة ، وهكذا نرى انه كلما اتسع أفق العلم في اختراع مراقب كبيرة والوقوف على خواص الذرة ومعادلاتها المعقدة وفي الميكانيك

---

(١) السدم : جمع سديم .

(٢) ان أطياف النجوم وتحليل ضوءها الابيض وما يظهر من خطوط عند التحليل تعرفنا على ما فى النجوم من عناصر وذلك بعد قياس طول موجات تلك الخطوط الطيفية .

(٣) سورة حم ـ سجدة : ١١ .

السماوي والتحليل الرياضي كلما شاهدنا عوالم أخرى فأخرى الى حيث لا يتناهى في هذا الكون الرحيب .

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي، لنفد البحر قبلَ ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » (١) .

* * *

لنتكلم قليلا عن المجرة . ولو نظرنا الى السماء في ليلة ظلماء لاقمر فيها ولانور لرأينا منطقة طويلة تمتد فوق رؤوسنا كالقوس ، يمتد من أفق الى أفق وقد تركزت فيها النجوم بمقدار كثير ، وتكثفت فيها الى حد بعيد ، بعضها فوق بعض . وبما أن هـذا المنظر يكاد يشبه بيـاض ماء النهر في سواد الأرض ، لذلك سمي بالمجرة أي النهر الجاري .

وقد سميت المجرة من قبل العامة بسكة التبانة ، أو ، درب التبانـة ، كأن هناك تبناً منثورا سقط من تبان عند سلوكه طريقاً من الطرق . وقـد سماها اليونانيون (طريق اللبن) .

فالمجرة مجموعة نجوم كثيرة جدا عدد الرمل ، وفي المجرة من السدم ما يحول بيننا وبين ما ورائها من نجوم .

يمكن تشبيه المجرة الى قرص مفرطح كالرغيف ولو أننا جعلنا للرغيف قطراً وجعلنا له ارتفاعا لكان قطر القرص أو المجرة عشر أمثال ارتفاعه .

ان مجرة الدرب التبانة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالي ١٠٠ الف سنة ضوئية . وبما ان الضوء يقطع في سنة واحدة مسافة قدرها ٩٫٥ مليون مليون كيلو متر اذن قطر مجرتنا هذه يساوي مائة الف مضروبا في تسع ونصف مليون مليون كيلو متر .

---

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

ولما كانت شمسنا هذه نجما لا يعتد به ، يقع على مسافة حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة أثناء دوران المجرة . وبهذا ندرك مدى صعوبة تصور المقياس الهائل للكون الذي يقع وراء المجموعة الشمسية .

ان الفضاء الذي يقع بين النجوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكون ، فوراءه ، ملايين من المجرات الاخرى ، تندفع جميعا ، كما يبدو ، مبتعدة عن بعضها البعض بسرعات خيالية ، قد تبلغ نصف سرعة الضوء في الثانية أي حوالي ١٥٠،٠٠٠ كيلو متر في الثانية ، وتمتد حدود الكون الذي يمكن رؤيته بالمجهر مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية على الاقل في كل اتجاه . وهو قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون » (١) .

ان ما ذكرناه من مسافات ومجرات يعرفنا ضخامة هذا الكون الرحيب، وهكذا نرى ان اصغر شيء مادي أو اصغر جسيم عرف لحد الآن أي الذرة تشبه في تركيبها المجموعة الشمسية غاية الشبه ، ذلك لان الذرة مكونة من الكترونات تدور بسرعة هائلة حول النواة (المركز) أي حول البروتون .

هذا ويرى الانسان ان أصغر شيء في هذا الكون وأعني به الذرة الى أضخم شيء يمكن تصوره وهو المجرات الضخام التي تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية كلها تسير في مدارات مرسومة محددة في علاقة كل منها بالآخر .

قد بلغ رائدوا الفضاء الى حوالي سرعة قدرها (٢٩) ألف كيلومتر في الساعة في الدوران حول الارض أي حوالي ٨ كيلو متر في الثانية ، وهي سرعة كبيرة تماما بالنسبة الى مقاييسنا الارضية ، وهذا الرائد يكون اذ ذاك على ارتفاع ١٦٠ كيلو مترا عن سطح الارض .

---

(١) سورة الذاريات : ٤٧ .

فكوننا هذا يضم الوف الملايين من المجرات وكل مجرة منها تحتوي ألوف الملايين من النجوم ، وعند الحافة الخارجية لاحدى هذه المجرات وهي مجرة طريق التبانة أو (درب التبانة) نجم متوسط الحجم معتدل الحرارة ازداد لونه اصفرارا بسبب الشيخوخة ... هو شمسنا .

والارض واحدة من أجزاء مختلفة بدأت بأمر من الله في يوم ما بطريقة لم تعرف (ولن تعرف) تدور حول الشمس . ولا يزيد سمك قشرة الارض على بضعة كيلو مترات . تحتها صخور منصهرة ومعادن تغلي وسط حرارة شديدة . لا يمنعها من ان تتحول الى لهيب الا الغلاف الذي يحويها من (الغرانيت والبازلت) . وبين هذين النارين حيث الجمرات المكدسة لهذا الجزء الذي نعيش فوقه من هذا النجم البارد والنجم المتوهج الذي ترتبط به، يقف الانسان في الحياة مع الطيور والحيوانات ولكن ما أضعفهم جميعا : « وخلق الانسان ضعيفا » (١) .

فهذه الشركة من الحياة يمكن أن تفنى اذا حدث أي تغيير دائم لنسبة ضئيلة من طاقة الشمس سواء بالزيادة أو النقصان .

« ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده »(٢) ... (ان أمسكهما : أي : ما أمسكهما) .

فأرضنا هذه انما هي هباءة في موضع مدحور ؛ قرب الطرف من مجرة « درب التبانة » التي فيها مئات الملايين من النجوم . على ان هنالك مئات الملايين من المجرات وفي كل مجرة مئات الملايين من الانجم . اذن ، ماقيمة هذا الانسان بالنسبة الى ما خلق الله تعالى مما لا يتناهى من عوالم؛ هي من حيث الكبر أضعاف أضعاف أرضنا هذه ، فليدع الانسان من نفسه الغرور:

---

(١) سورة النساء : ٢٧ .
(٢) سورة فاطر : ٤١ .
(٣) سورة الانفطار : ٦ — ٨ .

« يا أيها الانسان ماغرّك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك » . وليعبد ربه : « وما خلقت الجنّ والانس الا ليعبدون » (١) . وليعلم انه لم يخلق عبثا : « افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون » (٢) ، «وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ولـكن أكثرهم لا يعلمون » (٣) . « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهوآلاتخذناه من لدنا ، ان كنا فاعلين » (٤) .

على الانسان أن يعبد ربه بجميع مافي العبادة من معنىً سامٍ رفيع ؛ يعبد ربه بخشوع وخضوع في صلاة يؤديها لوجه الله ، يعبد ربه بقيامه بأداء حقوق الوالدين والارحام والاصدقاء ، وبقضاء حوائج الناس ودفع الكرب عنهم . فقد جاء في الحديث : « من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » ، يعبد ربه بنشره حقائق الاسلام بين الناس ولا سيما بين المثقفين بثقافة العصر ، فما أحوجهم الى تفهم الاسلام تفهما صحيحا لاشائبة فيه ، وبتضحيته بنفسه وتفيسه في سبيل نشر الاسلام في أرجاء الارض ، فلا أجر أعظم من أجر من قام ببث حقائق الاسلام في العالم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين أوفد عليا عليه السلام الى اليمن : « يا علي ، لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً كان خيرا لك مما طلعت عليه الشمس » .

* * *

ولنعد الى هذا الكون الرحيب وما أودع الله فيه من سنن الكمال . نحن لانزال ضمن نطاق مجرتنا (درب التبانة)، فاذا انتقلنا الى المجرات

---

(١) سورة الذاريات : ٤٦ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٤٦ .

(٣) سورة الدخان : ٣٨ .

(٤) سورة الانبياء : ١٦ — ١٧ .

الاخرى وجدنا أرقاما لاتكاد يصدقها العقل. فالتلسكوبات الحديثة اكتشفت مجرات على بعد الف مليون سنة ضوئية وأكثر. ويقدر (شارليه Charlier أن قطر الكون (حسبما توصل اليه علم البشر أخيرا) عشرة آلاف مليون سنةضوئية . أي أن الحادث الذي يحدث في مجرة واقعة طرف الكون لاتعلم (أو يستحيل أن نعلم به) مجرة في الطرف الآخر قبل مرور عشرة آلاف مليون سنة من سنواتنا .

فالكون واسع جدا ، مترامي الاطراف ، كل شيء فيه في حركة مستمرة منتظمة ، ولا يوجد رابط زمني يربط ما بين أجزائه حسب نظرية (آينشتين) فكلمة : (آلان) لامعنى لها الا في هذه الارض ! .

* * *

ان علماء الطبيعة الفلكية يعلنون أن ليس هناك نجوم ثابتة . خذ مثلا: النجمين الشهيرين (نيِّر التوأمين) و (رأس هرقل) الذين عرفا دائماباًنهما: (زوج واحد) ، وقد بلغ من تقاربهما في السماء ، وتقارب نفس الدرجةمن البريق بينهماوعدم التغير فيملازمة كل منهما للآخر، ان العلماءكانوا يسمونهما بالتوأمين . الا أن التلسكوب والمرقب الطيفي واللوحات الفوتوغرافيةتقول: ان لا صلة بين هذين النجمين في أية ناحية من النواحي . فهما يسيران في طريقين مختلفين ، والاول يبعد عن الارض اكثر من مرة ونصف مرة من المسافة التي يبعدها عنها النجم الثاني. والواضح أن هذين النجمين غريبانعن بعضهما البعض . تصادف فقط ظهورهما مقتربين الى حد ما عندما ننظر اليهما من موقعنا الحاليعلى ظهر الارض. اما بالنسبةللكون المترامي الاطراف الذي فيه مالا يعد من نجوم ، فانه لا يظهر فيهما أي تغييرمحسوس ، وهما دقيقان نسبيا في حركتهما عبر السماء بالمقارنة مع اعماق الفضاء . ولاتستطيع العين البشرية أن تدرك الفروق بينهما من مثل هذا الفضاء الفسيح .

ولكن الكثير يختفي من عيوننا • فنحن اذا ركزنا اهتمامنا من خلال التلسكوب على(نير التوأمين) وحده ، وجدنا انه ليس نجما واحدا ، بل نجمان ، يفصل بين كل منهما والآخر مسافة تزيد مائة ضعف على المسافة بين الارض والشمس • واننا عندما نستخدم أكثر الاجهزة دقة في المراصد نكتشف ان ما يبدو للعين نجما واحدا ثابتا هو في الواقع مجموعة تضم ستة نجوم معا ، في ثلاثة أزواج • يدور كل نجم منها في فلك خاص وبسرعة خاصة •

ولما كان رجال البحر يعرفون الحالة الداخلية الحقيقية للنجم (نير التوأمين) والدوامات التي تدور في داخله ودوراته السريعة في مكانه القديم المعتاد في خريطة النجوم ، فان ذلك يجعله علامة ثابتة تصلح للاسترشاد بها في قيادة السفن •

وقد أثبت علم الفلك الحديث ان السماء الهادئة مكان لا تناسق فيه ، يحوي شموسا لا حصر لها ، تندفع في كل اتجاه تقريبا بمفردها اوفي أعداد كثيرة ، كأنها جزيئات متحركة لغاز من الغازات •

فالنجم (النسر الواقع) يقترب بسرعة تبلغ ١٣ كيلو مترا في الثانية ، بينما يتراجع النجم (الدبران) بسرعة ٥٣ كيلو مترا في الثانية •• (حارس السماء يعبرها بسرعة ١٣٥ كيلو مترا في الثانية •• اما نجما الطرفين من (الغطاس الكبير) فيتحركان في اتجاه واحد ، في حين ان نجوم هذه المجرة الاخرى تتجاذب بسرعة عظيمة في الاتجاه المضاد •

* * *

ونجمنا الذي نعيش فيه ليس مستثنى من ذلك ، فان الشمس تدور في طريق شاهق نحو الحافة الخارجية بطريق التبانة بسرعة ١٩ كيلو مترا في الثانية وهي تجر الارض في أذيالها ومعها كل الكواكب الاخرى ، وقد تحقق قوله

تعالى (وهو الحق الازلي): « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » [١] .

وفي نفس الوقت تدور المجموعة الشمسية في قوس هائل بسرعة ٢٤٠ كيلو مترا في الثانية ، بينما تدور المجرة كعجلة ضخمة من النجوم .

ان كل شيء في هذا الكون انما يشاهد كما كان ، لاكما يكون. فنحن نرى الشمس كما كانت منذ ثمان دقائق وعشرين ثانية مضت ، ونرى النجم الشعري كما كان منذ تسع سنوات ونرى (برج الثريا) كما كان منذ ٥٠٠ عام. ذلك لان وصول شعاع (برج الثريا) الينا يستغرق ٥٠٠ عام . وقد تميز العين في ليلة صافية لا قمر فيها سحابة من الضوء الباهت لاتزيد على القمر ، تدور في برج (المرأة المسلسلة) ، وهذه سحابة واحدة من المجرات الخارجية، وهي تبدو لنا كما كانت منذ مليوني عام . اما ما حدث لنجومها التي لاتحصى بعد ذلك ، فشيء لا يمكننا معرفته .

وبرج (المرأة المسلسلة) يقع عند الحد الخارجي للرؤية بالعين المجردة ولكنا قد نصل بالتلسكوب الى ملايين السنين من ماضي هذا الكون . وعندما نستخدم لوحة فوتوغرافية حساسة في أقوى تلسكوب ، فقد تصل بنا الى ألوف الملايين من السنين . وقد أطلق على أشعة هذه الاجسام البعيدة اسم : (الضوء الحفري) ، وهي تسبق في تاريخها ، حقا ، أكثر الحفريات التي وجدت على سطح الارض. وان الانسان ليعجب كيف يمكن وقف ضوء بمثل هذا الضعف بواسطة طبقة غازية رقيقة أو ذرة من الغبار وهو قادر على ان ينطلق بأقصى سرعته المستمرة وقدرها ٨٦٠ ٢٩٩ كيلو مترا في الثانية أو ٣٠٠ ٠٠٠ كم/ثانية تقريبا طيلة ملايين السنين. وهذه الاشعاعات تظهر الفراغ النسبي للفضاء بالمقياس الرحب لهندستها المعمارية : « وكل شيء عنده بمقدار

(١) سورة يس : ٣٨ .

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال »[١] . « صنع الله الذين أتقن كل شيء »[٢] « هو الذي جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل ؛ لتعلموا عدد السنين والحساب ؛ ماخلق الله ذلك الا بالحق ؛ يفصّل الآيات لقوم يعلمون »[٣] « سبح اسم ربك الأعلى ؛ الذي خلق فسوى »[٤] . « ربّنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى »[٥] .

* * *

واذا صورنا قطاعات معيّنة من السماء استطعنا اجراء احصاء للنجوم . ففي مرصد جامعة (هارفارد) صورة فوتوغرافية تحوي صور أكثر من ٢٠٠٠٠ مجرة خارجية والفي طريق للتبانة ويقدر العلماء عدد المجرات التي يحويها الكون ٥٠٠ مليون مجرة وقد علم بطريق علمية ان مجرة درب التبانة تحوي حوالي (١٠٠) ألف مليون نجم .

نعلم من كل ماتقدم أن الكون واسع جدا ، لم يبلغ البشر مع هذا التقدم العلمي في عوالم المادة الا الى جزء ضئيل منه ، وسيقف على شيء من عظمة هذا الكون كلما اتسع افق العلم ، لا سيما علم الذرة والرياضيات العالية والميكانيك السماوي وسيعلم حتماً أن ليس هنالك : (عَبثية أو عشوائية) في هذا الكون : « أفحسبتم أنما خلقناكم عَبثا وانكم الينا لا ترجعون »[٦] .

نعم ، جاء (أينشتين) بقوانينه لنفي العبثية عن الكون وليثبت أن الظواهر الكونية كلها تخضع لقوانين رياضية ثابتة ، هي أشبه بالنواميس

---

(١) سورة الرعد : ٨ — ٩ .
(٢) سورة النمل : ٨٨ .
(٣) سورة يونس : ٥ .
(٤) سورة الاعلى : ١ — ٢ .
(٥) سورة طه : ٥٠ .
(٦) سورة المؤمنون : ١١٦ .

الإلهية ، تتحكم في الكون الذي غدا وجودا هندسيا بديعا . وقد حلّت القوانين الرياضية والنظام محل العبثية والفوضى في نظر المتطرفين .

* * *

وكمثال لما أودع الله من نظام ودقة في الكائنات الدقيقة نذكر ميكروب: (كوكات البكتريا) الدقيقة الحجم. فان طول كل من هذا الميكروب (ميكرون) واحد . والميكرون يساوي جزءاً من ألف جزء من الميليمتر : مم ، أي أنا اذا صففنا ألفاً من هذه الكائنات التي يبلغ طول كل منها ميكرونا واحدا لوجدنا أن طول هذا الصف عبارة عن ميليمتر واحد . فاذا أخذنا سطحا مربعا طول ضلع من أضلاعه ميليمتر ، فاننا نستطيع أن نضع على تلك المساحة الصغيرة مليوناً من تلك الميكروبات :(١٠٠٠ × ١٠٠٠) . أما الميليمتر المكعب فانه يستوعب الف مليون من مثل هذه الميكروبات : (١٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠) فاذا عرفنا أن مجموع سكان الكرة الارضية في مختلف الممالك والاقطار يصل الى مايقرب من ثلاثة آلاف مليون نسمة فاننا ندرك بسهولة أن مثل هذا العدد من الميكروبات يمكن حشده فيما يعادل ٣ ميليمتر مكعب فقط .

ولتوضيح هذه الدقة في الحجم تأخذ مثلاً ميكروب الملاريا . «والميكروب في هذه الحالة عبارة عن حيوان أولي دقيق » . فاذا لسعت البعوضة الناقلة للملاريا انسانا سليما فانها تنقل اليه أعداداً كبيرة من الميكروبات الموجودة في لعابها . وتصل هذه الميكروبات الدقيقة الى الدم حيث تبدأ في مهاجمة الكرات الحمراء اذ يقتحم كل واحد منها إحدى هذه الكرات حيث يثقب غشاءها الخارجي دافعاً نفسه إلى الداخل، وعند إستقراره داخل الكرة الحمراء يتخذ من محتوياتها غذاءاً له فيلتهمها تدريجياً حيث ينمو ويزداد حجمه ثم يأخذ بعد ذلك في الانقسام الى ميكروبات جديدة، ويتم كل هذا داخل الكرة الحمراء ولكن ما هو حجم هذه الكرة التي يتخذ منها الميكروب مسكنا له يتسع

لاستقراره ونموه وتكاثره ؟.. الواقع أن الكرة الحمراء نفسها دقيقة الحجم جداً . ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة . اذ يبلغ قطرها حوالي ٨ ميكرون ، ويوجد فيها ما يقرب من ٥ ملايين كرة في الميليمتر الواحد من الدم العادي. فاذا كان هذا هو حجم الكرة الحمراء فاننا نستنتج بلا جدال ان الميكروب الذي يستوطنها أصغر منها بكثير .

فاذا اتخذت الكرة الحمراء — وهي معروفة لدينا جيداً لأنها تسبح في دمائنا بأعداد لاحصر لها — كوسيلة للمقارنة فانها تحتل مركزاً متوسطا في عالم الاحجام الدقيقة [1] .

وقد ثبت أن جميع الميكروبات تشترك في صفة واحدة هامة وهي استمرار حياتها بصفة لا نهائية. فبينما تموت النباتات والحيوانات على اختلاف انواعها بعد فترة زمنية — تطول أو تقصر تبعاً للنوع — نرى أن الميكروبات لها حياة مستمرة ، فان الميكروبات ، لاتموت الا في الظروف الخارجية الطارئة كتعريضها للحرارة الشديدة او معالجتها بالمركبات الكيميائية القوية التي تقتلها . واما في الظروف العادية فحياتها مستمرة .

وتتضح هذه الحقيقة من طريقة تكاثرها . فالخلية الميكروبية . وهي كما ذكرنا دقيقة الحجم . تتغذى وتنمو ثم تنقسم الى نصفين ، يكون كل منهما ميكربا جديدا ، ويعيد كل من هذين النصفين القصة من جديد . فينقسم كل منهما الى نصفين آخرين وهكذا في متوالية هندسية لانهائية أساسها : ٢

(١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، .... ، ٢ن — ١) .

ويتم تكاثر الميكروبات بسرعة مذهلة عند وجود الظروف الملائمة ، اذ تنقسم الخلية الميكروبية في بعض أنواع البكتريا بعد نصف ساعة فقط من

(١) صراع مع الميكروب ص : ٤ . للدكتور : محمد رشاد الطوبي.

وجودها . ومعنى ذلك ان الجيل الجديد — وهو الذي يستغرق ظهوره في حالة الانسان عدة سنوات — لا يحتاج الا الى نصف ساعة فقط ، ومعناه أيضا أن هناك ثمانية واربعين جيلا متتابعا في اليوم الواحد . فما بالك بعدد الاجيال التي تتكون في سنة واحدة أو في عدة سنوات . لا شك ان العدد يتضاعف الى درجة يصعب على العقل ادراكها أو تصورها من ضخامته [١] .

فلنعد الى النجوم ولننظر الى ما تقوم به من حركات معينة وفق دساتير رياضية متقنة حسبما حدده الله تعالى ، فهذه النجوم تسبِّح الله تعالى في حركاتها ومداراتها : « الم ترَ ان الله يسبِّح له من في السماوات والارض، والطير صافاتٍ كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون » [٢] . « سبَّح لله ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم » [٣] . « وان من شيء الا يسبح بحمده » [٤] .

فكل شيء في هذا الكون خاضع لله ؛ يسبح الله تعالى بأنواع التسبيح سواء أكان هذا الشيء مادياً أو غير مادي ؛ ذلك لان مآل المادة : الذرات؛ وهي القوى الكهربائية من موجبة وسالبة ؛ هي الطاقات . والطاقات تسبح الله تعالى كما يسبح الانسان الحيوان ، ولكنا لا نفقه تسبيحها « ولكن لاتفقهون تسبيحهم » [٤] .

فالجبال تسبح الله تعالى مع داود عليه السلام : « ياجبالُ أوبي معه والطير » [٥] .

---

(١) نفس المصدر من ص : ١١ .

(٢) سورة النور : ٤١ .

(٣) سورة الحديد : ١ .

(٤) سورة الاسراء : ٤٤ .

(٥) سورة سبأ : ١٠ .

قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » [٦]. « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوماجهولا » [٧].

نعم ، كل مافي السماوات والارض خشوع الله وخضوع ... لا يستثنى شيء أبدا . وهو القائل :

« ان كل من في السماوات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » [٨] .

فأنى لهذا الانسان أن يشذ عن تسبيحه تعالى ويتبجح باكتشافه القمر الصناعي وذهابه الى بعض الانجم القريبة بسرعة لا تتجاوز ١٠ كيلو مترات في الثانية . فما باله يلفظ المقدسات التي فيها الكمال النفسي ، فيعود ليصبح خشبة عارية عن كل فضيلة ، وروحا جامدا أشبه شيء بالصخرة الصماء.

« وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » [٩].

ان الله يأمرنا بتسبيحه كل يوم قبل طلوع الشمس وقبل الغروب بقوله جل من قائل : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار » [١٠] .

وبقوله : « فأوحى اليهم أن سبحوا بكرةً وعشيا » [١١] .

وبقوله : « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار » [١٢] .

---

(٦) سورة الحشر : ٢١ .

(٧) سورة الاحزاب : ٧٢ .

(٨) سورة مريم : ٩٦ .

(٩) سورة البقرة : ٧٤ .

(١٠) سورة طه : ١٣٠ .

(١١) سورة مريم : ١٠ .

(١٢) سورة آل عمران : ٤١ .

وبقوله « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » [١] .

وبقوله : « فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار » [٢] .

وبقوله : « فاصبر على مايقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » [٣] .

فما ألذ التسبيح لو كان خاليا عن كل شائبة . فهو انغمار في الحب الإلهي ، وذوبان في العشق اللاهوتي ، ان في هذا التسبيح الخالص لذة تفوق كل لذة مادية ، لذة لاتضاهيها أية لذة ، لذة لايريد الانسان أن يفارقها طرفة عين ؛ لذة تأخذ بمجامع القلب الى حيث الطمأنينة والارتياح النفسي . « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » [٤] . لذلك نرى أن ابراهيم عليه السلام يقدم ما عنده من الغنم وكان يملي ما بين الجبلين ، يقدمها الى من نادى من بعيد بصوت رخيم : « سبوح قدوس ، ربنا ورب الملائكة والروح » .

ما أحلى التسبيحات في أيام شهر رمضان المبارك ومنها : « سبحان الله خالق مايرى ومالا يرى ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله رب العالمين ؛ سبحان الله الذي ينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ويرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وينزل الماء من السماء بكلمته ؛ وينبت النبات بقدرته ويسقط الورق بعلمه ، سبحان الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » .

---

(١) سورة الحجر : ٩٨ — ٩٩ .
(٢) سورة المؤمن : ٥٤ .
(٣) سورة ق : ٣٩ — ٤٠ .
(٤) سورة الرعد : ٣٠ .

* * *

ولنستمع الى ما يقوله علي عليه افضل الصلاة والسلام حين تلا هـذه الآية المباركة .

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » .

« ان الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء القلوب ، تسمع به بعـد الوقرة [١] ، وتبصر به بعد العشوة ، وتنقاد به بعـد المعاندة » .

« وما برح لله — عزت آلاؤه — في البرهـة بعـد البرهـة وفي ازمان الفترات [٢] عباد ناجاهم في فكرهم ، وكلمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظة في الابصار والاسماع والافئدة . يذكرون بأيام الله ، ويخوفون مقامه . بمنزلة الادلة في الفلوات . من أخذ القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة . ومن اخذ يمينا وشمالا ذموا اليه الطريق وحذروه من الهلكة . وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات .

وان للذكر أهلا اخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيـع عنه ، يقطعون به ايام الحياة . ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في اسماع الغافلين . ويأمرون بالقسط ويأتمرون به ، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه . فكأنما قطعوا الدنيا الى الآخرة وهم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك . فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الاقامة فيه ، وحققت القيامة عليهم عداتها [٣] فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا ، حتى كأنهم يرون مالا يرى الناس . ويسمعون مالا يسمعون .

---

(١) الذكر : استحضار الصفات الالهية . والوقرة : ثقل فى السمع . والعشوة : — مثلثة العين — ضعف البصر .

(٢) الفترة بين العملين : زمان بينهما ، يخلو منهما ، والمراد : أزمنة الخلو من الانبياء مطلقا . وناجاهم : خاطبهم بالالهام .

(٣) العدات : جمع عدة . أي : كأنما القيامة كشفت لهم عن الوعود التي وعد بها الاخيار والاشرار .

فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم [٤] المحمودة ، ومجالسهم المشهودة ، وقد نشروا دواوين اعمالهم وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة أمروا بها فقصروا عنها ، أو نهوا عنها ففرطوا فيها ، وحملوا ثقل اوزارهم ظهورهم ، فضعفوا عن الاستقلال [٥] بها . فنشجوا نشيجا [٦] ، وتجاوبوا نحيبا ، يعجون الى ربهم في مقام ندم [٧] واعتراف ، لرأيت أعلام هدى ، ومصابيح دجى ، قد حفت بهم الملائكة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وفتحت لهم ابواب السماء ، وأعدت لهم مقاعد الكرامات ، في مقام اطلع الله عليهم فيه ، فرضي سعيهم وحمد مقامهم ، يتنسمون بدعائه روح التجاوز [٨] . رهائن فاقة فضله ، وأسارى ذلة لعظمته ، جرح طول الاسى قلوبهم [٩] ، وطول البكاء عيونهم . لكل باب رغبة الى الله منهم يد قارعة ، يسألون من لاتضيق لديه المنادح [١٠] ، ولا يخيب عليه الراغبون . فحاسب نفسك لنفسك ، فان غيرها من الانفس لها حسيب غيرك . (نهج البلاغة . الجزء الثاني . ص٢٣٧) .

فطوبى لاولئك الذين طال سجودهم وزاد خشوعهم وخنوعهم . فصقلت نفوسهم وتزكت أرواحهم فخلت من أدرانها وآثامها ، ثم عرجت الى معالم القدس ، حيث لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، « وعهدنا

---

(٤) مقاوم : جمع مقام ، مقاماتهم في خطاب الوعظ .

(٥) ضعفوا عن الاستقلال بها : أي القيام بحملها .

(٦) نشج الباكي ، ينشج ، نشيجا : غص بالبكاء في حلقه . والنحيب أشد البكاء . وتجاوبوا به : أجاب بعضهم بعضا يتناحبون .

(٧) عج ، يعج : صاح ورفع صوته ، فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .

(٨) تنسم النسيم : تشممه ، والروح — بالفتح — النسيم . أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له .

(٩) الاسى : الحزن .

(١٠) المنادح : جمع مندوحة وهي كالندحة — بالضم والفتح — والمنتدح — بفتح الدال — المتسع من الارض .

الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود»[١].

« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون »[٢].

« ويخرّون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا »[٣].

« اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا »[٤].

« أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ؛ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولوا الالبـاب »[٥].

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥ .
(٢) سورة المؤمنون : ١ — ٢ .
(٣) سورة الاسراء : ١٠٩ .
(٤) سورة مريم : ٥٨ .
(٥) سورة الزمر : ٩ .

هل للعلم الحديث أن يمد يداً الى ما وراء الطبيعة ؟

من الواضح المعلوم أن العلم الحديث انما يعمل في استخراج خواص المادة والقوانين التي محكوم لها (المادة) وتابعة لها والدساتير الرياضية التي تحكم المادة وتسيطر عليها ، فلا تحيد المادة عنها قيد شعرة .

العلم الحديث يعمل في المختبرات لاجراء تجارب متعددة تحت شروط معينة وشروط مختلفة ثم يربط المشاهدات بعضها ببعض حسب قوانين رياضية عقلية بحتة دون ان يكون للتجربة دخل في المحاكمات المجردة الرياضية ؛ ثم يستخرج العلم الحديث قانونا رياضيا او خاصية تحكم المادة ما دامت الظروف قائمة والشروط هي هي . لذلك كان يقول الفيزياوي المشهور : (لورد كلوين) « كل حادثة فيزياوية لا يمكن ان يعبر عنها بدستور رياضي، ليست بحادثة معروفة » .

فالعلم المادي يبرهن : « على سبيل المثال » في الفيزياء الرياضية العالية: ان الجسمين يتجاذبان بنسبة : حاصل ضرب كتلتيهما : ك ، كَ مضروبا في النسبة الثابتة : ى [1] مقسوما على مربع المسافة بينهما :

$$ق = ى \frac{ك \, كَ}{م^{٢}} .$$

فالكتلة تقاس بـ (غرام ــ كتلة) والمسافة تقاس بالسانتيمتر = سم ؛ فتستخرج قوة الجذب بالنسبة الى اصغر وحدة من وحدات قوة الجذب فيما اذا كانت :

(١) النسبة الثابتة في دستور الجذب العام تساوي ١ على ١٥ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ من ثقل الغرام .

ك = ١ غم ، كتلة ك' = ١ غم ، كتلة .

م = ١ سم .

أما حقيقة هذه القوة ، أي حقيقة الجاذبية ، فمسكوت عنها في العلم الحديث . ذلك ، لان القوة وكل شيء قواني [1] ليست من المادة في شيء: أي ليست القوة من الغرام أو السانتيمتر أو الزمن في شيء . (كما سترى ايضا) .

وهكذا في دستور الرقاص :

$$ن = ٢ط \sqrt{\frac{ل}{ح}}$$

فمدة الذبذبة الواحدة للرقاص تتناسب مع جذر طول الرقاص تناسبا طرديا وتتناسب عكسيا مع جذر التعجيل الارضي في محل يتحرك فيه الرقاص .

فمدة الذبذبة الواحدة تختلف باختلاف مقدار الجذب . والمقاييس هاهنا هي : الثانية والسانتيمتر . وليس واحد منهما من حقيقة القوة الجاذبية في شيء .

فلا سبيل الى استعمال هذه المقاييس : الثانية ، سانتيمتر ، غرام — هذه التي تستعمل في استخراج القوانين التي تتحكم في العالم المادي — لتفهم حقيقة الجاذبية او النفس او الروح او العقل الى ما هنالك من عوالم غير مادية . ولذلك بقيت حقيقة القوة الجاذبية مجهولة لدى الفيزياويين .

وهكذا حقيقة القوة الكهربائية او المغناطيسية وحقيقة الطاقة ، سواء أكانت طاقة حرارية أم كهربائية ، أم حركية أم ذرية ، الى ما هنالك . والفيزياويون يعترفون بعجزهم عن تفهم حقيقة كل ما ليس بمادي بحت . حتى انهم ليعترفون بعدم تفهمهم حقيقة المادة . ذلك لان المادة يؤول امرها الى الجزيء ، فالذرة (atome) . والذرة مجموعة قوى كهربائية موجبة :

---

(١) اسم منسوب الى القوة .

« بروتون » وقوى كهربائية سالبة : « الكترون » وقوى اخرى لايزال يعمل العلم الحديث للتعرف على آثارها .

ولسائل ان يسأل : هل يمكن تعريف: « الفكر » وتحديد معالمه بمقاييس مادية أي بمقياس الطول : سانتيمتر ، والوزن : غرام، والزمن : ثانية .وهكذا لا يمكن تعريف النفس أو العقل بهذه المقاييس المادية لانهما ليسا من صقع المادة في شيء .

فقد اشتبه المادي حين أراد ان يرى الله تعالى في مخبره:(انبوب التجربة tube) ذلك لان المخبر محل محدود ؛ انه محل مادي تحل فيه المادة وليس الله تعالى بمادة او بشيء يقاس بالسانتيمتر والغرام والثانية .كي يحل في المخبر :« انبوب التجارب » ، أو المختبر(Laboratoire) فيراه المادي بعينه انه لايشبه المادة ولا يشبه بقية الاشياء في شيء « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

ولكن ما يكتشف في المختبر من قوانين ثابتة ودساتير رياضية رصينة ومعادلات دقيقة تلك التي تحكم هذا الكون المادي يرشدنا الى واضع هذه المعادلات التي بلغت من الدقة مايحير الالباب . ذلك لانا كلما أكتشفنا قانونا لخواص المادة ، فتحت لنا أبواب من المجاهيل يجب ان يعمل العالم المادي[1] في مختبره مئات السنين كي يتمكن من حل البعض منها . وقد لا تساعده العلوم الرياضية الحاضرة لكشف معضلات تلك القوانين التي اودعها الله تعالى بين جزيئات المادة وذراتها . فكم من معادلات تفاضلية غير محلولة وكم من قوانين رياضية يجب ان تكتشف لحل ما لا يتناهى من مجاهيل تتراءى لنا

(١) لا اظن ان المادي القائم بتجارب دقيقة فى المختبر يبقى ماديا ، فهو لا محالة يعترف بواضع هذه القوانين الكثيرة الدقيقة التي لايمكن ان تأتي وتتحكم فى المادة وتنظمها بطريقة عشوائية .

في عالم الرياضيات .

فلا تزال الرياضيات ناقصة وهي في دور الالفباء ، وسيبقى هكذا آلاف السنين بل أبد الآبدين : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدادا » (١) .

فالله الذي لايحده شيء ، فالله الذي لاتتناهى عظمته، فالله الذي لايخلو منه مكان (هذا المكان اللانهائي الذي خلقه الله بقدرته الازلية التي لانفاد لها ولا انتهاء) لا يمكن ان يكون محدودا بحدود الانبوب : tube او بحدود المختبر كي يراه المادي في مخبره او مختبره .

ليس الله تعالى من صقع المقادير المحدودة ولا من المادة في شيء ، وهو خالق المادة .

فنحن نعرف الله تبارك وتعالى بما خلق من عوالم : عوالم شتى لاتتناهى نعرف الله بما أودع من كمال في بطن الذرة : هذه التي لا يمكن ان ترى بأدق الآلات ، حتى بالتلسكوب الالكتروني .

نعرف الله تعالى بما أودع من كمال خارق وتركيبات معقدة ، مترتبة بعضها اثر بعض في البدن الانساني الى حد لا يتناهى ، الى حد لا يدع (حسب قوانين حساب الاحتمالات) للصدفة مجالا ولا قيمة . كل ذلك اذا طهرت النفس الانسانية من مجونها وطيشها، فجورها وفسوقها . أي اصبحت النفس الانسانية ثمينة لتحل فيها معرفة الله جل جلاله . لذلك ، يقول علي عليه السلام : (لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان) .

إنه تعالى لا نهائي في قدرته وهيمنته وعظمته وحكمته وعزته وعلمه وكماله ورحمته ونعمه وملكه وجبروته : « هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصور لـه الاسماء الحسنى ، يسبح له ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم » [1] .

* * *

ان الرياضي ليرى بصورة واضحة ان الاعمال الحسابية : (هذه التي نستعملها في الكميات المحدودة) لاتجري على اللانهائيات .

نحن نعلم ان : ٥ × ٤ = ٢٠ .

ولكن ماذا يساوي : ∞ × ∞ . (اللانهاية مضروبة في اللانهاية).

ونعلم ان : ٢٠ ÷ ٥ = ٤ .

ولكن ماذا يساوي [2] : ∞ ÷ ∞

اللانهاية ÷ اللانهاية .

نحن نعلم ان : $٢^{٣}$ = ٢ × ٢ × ٢ = ٨ مثلا .

ولكن ماذا يساوي : ∞ ∞ (لا نهاية مرفوعة الى اللانهاية) .

ونحن نعلم $\sqrt{٢٥}$ = + ٥

ولكن ماذا يساوي $\sqrt{\infty}$ (جذر اللانهاية) .

ثم ما معنى : ∞ + ∞

مع العلم انا نعرف معنى ٤ + ٥ = ٩

وهكذا عند الطرح : ∞ − ∞ = ٠٠٠٠ ؟

فنرى ان العمليات الحسابية التي تجري على الكميات المحدودة لايمكن تطبيقها على اللانهائيات .

ولذلك ليس من المعقول ان نستعمل مقاييسنا المحدودة للتعرف الى الله

---

(١) سورة الحشر : ٢٣ — ٢٤ .

(٢) أن قانون (اوپيتال) فى الجبر العالي لايجري هنا لان ذلك القانون انما يجري حسب فروض معينة وهو خارج عن موضوعنا هذا .

الذي لاتتناهى عظمته وان بعد التشبيه .

* * *

هناك نوعان من الكميات : منها ما هي مبهمة : (تخيلية) ومنها ما هي معلومة . فالكميات المبهمة هي التي لا يمكن أن نعلم مقدارها بالضبط ولا يعلم ماهي ؟ وهي التي معاملها ٧ — ١ ، ف (٥ ٧ — ١) لاتعلم حقيقته .

فلو أدخلنا في معاملات معادلة الخط المستقيم ٧ — ١ : أي لو كانت هذه المعاملات : أ ، ب ، حـ من معادلة : أ س ∓ ب ص + حـ = . كميات مبهمة فان النتائج التي نلمسها في المقادير المحدودة تضطرب هاهنا وترينا نتائج غريبة جدا فيتقاطع المستقيمان المتوازيان وينطبق المستقيمان المتقاطعان .

فليلتفت المادي أنه حين محاولته معرفة الله تعالى انما يستعمل مقاييس مقتضبة مادية ، ليست من صقع اللانهاية في شيء ، وعليه أن يستعمل مقياساً واحداً هو مقياس نفسي تشعر به النفس الانسانية كلما نمت وتكاملت في مضمار التقوى والورع وتطهرت بالتزكية من أدرانها وأرجاسها .

يقول علي عليه السلام : « يشهد بذلك العقل لو سلم من أسر الهوى » . فهوى النفس يكون حجاباً حاجزاً دون رؤية الحق ودون الاعتراف بالله المتعال ولذلك لابد من تزكية لهذه النفس كي ترجع الى رشدها وصفائها ، حتى تحل فيها معرفة الله تعالى . وهو القائل : (قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) [1] .

نعم ان معرفة الخالق تتوقف على طهارة النفس وخلوها من الادران لذلك بعث الله الانبياء عليهم السلام ليطهروا الانسان من الدنس ويزكوه . وقد قال تعالى : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » [2] .

(١) سورة الشمس ٩ — ١٠ . (٢) سورة الجمعة : ٢ .

وقد قال الله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » [٣] . أي ان النجاة يوم القيامة : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » [٣] انما تكون بسلامة القلب وسلامة النفس . وكل ما جاء في الدين الاسلامي من نواه وأوامر ترمي الى سلامة القلب وتزكية النفس .

فالحدود التي شرعها الشارع المقدس على مرتكبي الكبائر من شرب الخمر والزنا والربا والقذف والقيادة ... الى ما هنالك ، كلها ترمي الى قلع الكبائر والموبقات عن وجه البسيطة ، كي لاتظلم النفس الانسانية بارتكابها إياها . فتجحد بارئها : لقوله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ما لكم كيف تحكمون » [٤] وقوله تعالى : « كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ، لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم » [٥] ولنفس السبب شرع الشارع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذا سائر ما ندب اليه الشرع وأمر به من مستحبات وواجبات : إطعام الطعام ، مساعدة الجار ، صلة الارحام ، البر بالوالدين ، قضاء حاجة المؤمن ، الإيثار ، الصلاة ، الصوم ، الزكاة ، الخمس الى ما هنالك كلها ترمي الى تعمير القلب ، فالنفس : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » [١] . وعند ذلك ، أي بعد القيام بما أمر به الشرع من واجبات وترك المحرمات وما ندب اليه من بعض المستحبات يتفتح القلب ، فيحل فيه حب الله تعالى ومعرفته ويقذف فيه نور يرى القلب من خلاله عظمة الله وقدرته التي لاتتناهى ويعزو القلب بصورة طبيعية كل ما يرى من هذا الابداع في الخلق الى العلي

(٢) سورة الشعراء : ٨٨ — ٨٩ .
(٣) سورة المطففين : ٦ .
(٤) سورة القلم : ٣٥ — ٣٦ .
(٥) سورة الشعراء : ٢٠٠ — ٢٠١ .
(١) سورة التوبة : ١٠٤ .

القدير • فقد جاء في الحديث : « العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء » •

عند ذلك يرى الفرد علانية أن مايقوم به المادي من استعمال مقياس محدود مقتضب لمعرفة الخالق وأعني به المقاييس المادية أو استعمال الحواس الخمس التي قد حُددت من جانب الله قابلياتها وطاقاتها هي مقاييس تفيد في المجالات المادية المحدودة فقط ، أما لمعرفة الله الذي لاتتناهى عظمته ، فلابد من مقياس غير مادي ، وهو هذا النور الذي نوهنا عنه ، هذا النور الذي يقذف في قلب العبد ، اذا أطاع الله وكفر عن ذنوبه • وهـو قوله تعالى : « نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » (٢) •

وليس هذا النور من نور الشمس المادي في شيء • فالضوء او النور انما هو شيء مادي حسبما اكتشفه (اينشتاين) وليس بشيء معنوي • وقد حصل اختـلاف شديد في مادة الضوء • ولكن (آينشتاين) برهن على ان الضوء شيء مادي ، وذلك بعد أن راقب الضوء او النور الآتي من أحد النجوم في يوم كان قد كسفت فيه الشمس • شاهد مسار هذا الضوء فرآه منحنيا وليس بمستقيم ، رآه ينحني حيث الجاذبية أكثر من قبل نجوم اخرى • فعلم أن الضوء انما هو جرم مادي فيه قابلية الانجذاب كبقية الاجسام المادية حسب قانون نيوتون للجاذبية العامة •

إذن ما كان من صقع المادة يمكن التعرف اليه بمقاييس مادية : سانتيمتر ، غرام ، ثانية • ومالم يكن كذلك ، كالنفس والعقل ، لايمكن التعرف اليه ؛ وانما نحكم بوجوده بما نشاهد من آثار في أنفسنا • لذلك اعترف (دكارت) Descartes الفيلسوف بوجود الخالق بعد أن شك في كل شيء : الا انه لم ينكر شعوره ، فقال : « أنا موجود ، ذلك لاني أحس واشعر » • ثم تدرج بمقاييس غير مادية الى معرفة الخالق جل جلاله • فقال : « اني احمل فكرة

(٢) سورة النور : ٣٥ .

الكمال ، فكان الاحرى ان أكمل نفسي من النواقص ان كنت أنا خالقا نفسي، وان أجعل عيني تبصر الى مسافات شاسعة وأذني تسمع من اماكن بعيدة وهكذا بقية الاعضاء . ولما كانت هذه الحواس محدودة القابلية وليس لي ان اعدل فيها وان اكملها كيفما أريد . اذن خالقها غيري . كما انه ليس خالقي انسانا آخر يشبهني ، لانه ناقص مثلي . فلابد ان هناك كاملا وهو الله تعالى قد خلق كل ما نشاهده تحت قوانين ثابتة ونظم دقيقة يحار فيها الالباب » .

واني اختم هـذا المقال بقول علي عليه أفضل الصلاة والسلام ، ففيه فلسفة المعارف الإلهية والطريقة التي لو أتبعها الانسان بلغ مرتبة اليقين .

« إن من احب عباد الله اليه عبدا أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه » .

* * *

علي عليه السلام والعلم الحديث

كان علي عليه السلام رياضيا ملهما وفلكيا بارعا وفيزياويا عظيما وكيميويا كاملا وهكذا في بقية الفروع العلمية من نبات وفسلجة وطبقات الارض ... الى ما هنالك .

ولقد بلغ الدرجة القصوى من الإتقان والكمال . وما كان ليتردد ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، عند الاجابة على سؤال . وقد سئل عن مسائل شتى في شتى المواضيع فأجاب بالبديهة وبصورة ارتجالية ، دونما تفكير وتحمل موجز مفهوم .

سأله ذات يوم (ابن الكوا) ، قائلا : يا علي ، كم المسافة بين السماء والارض ؟ فأجاب عليه السلام قائلا : دعوة مستجابة . .

حقاً ، ان هذا الجواب لهو عين الواقع ، لعدم تناهي الابعاد بصورة ظاهرية بين السماء والارض . فهذا الكون الاحدب — على حد تعبير (أينشتاين) لايمكن ان يستقصى غوره ، وانه ليتوسع يوما بعد يوم . وكلما تقدمت آلات الرصد وعلم الفلك اللاسلكي وعلوم الذرة والإشعاع عثروا على شموس أخرى وكواكب ومجرات وسدم تدهش الالباب ، ويتحقق قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون » [1] .

يقول (بليفن) : « ان الكون اوسع وارحب واعظم مما كنا نتخيله . وان الاجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بسرعة مخيفة » .

فلا يمكن أن يعبر عن المسافة بين السماء والارض بتعبير رياضي معلوم المقدار لعدم تناهي الابعاد .

---

(١) سورة الذاريات : ٤٧ .

ثم ان الله تبارك وتعالى لا يخلو منه مكان : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا ادنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » (١) .

وإن هذا الدعاء او الدعوة في جواب علي عليه السلام : « دعوة مستجابة» ليسري في هذه الاجواء التي لا تتناهى اذا استجيب ورفع ولم يحجب عن الصعود في العوالم اللانهائية .

وما أقام الاقدمون من أدلة على محدودية الكون انما يجري على الكميات المحدودة ، ولا يجوز تطبيق القواعد الرياضية في الكميات المحدودة على اللانهائيات : (∞) .

كان يقول قسم من الفلاسفة والعلماء ان الكون محدد .

ودليلهم على ذلك : « أننا لو اخذنا نقطة على سطح الارض ومددنا من تلك النقطة خطين مستقيمين حصلت بينهما (في تلك النقطة) زاوية . واذا قطعنا ضلعي تلك الزاوية بمستقيم آخر (مستقيم ثالث) حصل هنالك مثلث من ضلعي الزاوية والمستقيم القاطع لهما . يقولون : إن المستقيم القاطع أي الثالث يبقى محصورا بين ضلعي الزاوية مهما مددنا ضلعي الزاوية الى اللانهاية . اذن : الكون محدود ! ؟ ..

إن هذا الدليل يمكن تطبيقه على المسافات المحدودة ولا يجري على اللانهائيات ، ذا : لأنا اذا فرضنا النقطة المفروضة ، (تلك التي مددنا منها ضلعين وشكلنا الزاوية المعلومة) ، مركزا للكرة الارضية وجعلنا نصف القطر (ضلع الزاوية) مستقيما يمتد الى ما لايحدّ من المسافات ، أي الى اللانهاية : (∞) لاصبح سطح الكرة مستويا وخرج عن كونه

---

(١) سورة المجادلة : ٨ .

كرويا او شيئا ذا انحناء ذلك ، لأن درجة الانحناء لمنحنٍ ما = $\frac{١}{ر}$

(ر = نصف قطر الانحناء) : كما هو معلوم في الهندسة التحليلية .

فكلما كان نصف قطر الانحناء أصغر كان الانحناء اكبر وكلما كان نصف قطر الانحناء اكبر كان الانحناء أقل . فاذا أصبح نق = ∞ (اصبح نصف قطر الانحناء لا نهائيا) ، يكون :

$$\frac{١}{ر} = \frac{١}{\infty} = ٠$$

أي لا انحناء هنالك .

ألا ترى ان الشاقولين على سطح الكرة يكونان متوازيين اذا كانت المسافة بينهما عدة أمتار . حين ان الشاقولين يلتقيان في مركز الارض وبينهما زاوية ضئيلة جدا لايمكن قياسها بأدق الآلات .

إذن ليس من المعقول أن نقول : إن الضلع الثالث يبقى محصورا بين الضلعين الآخرين اذا بلغت الفاصلة بينهما لا نهائيا . فان اللانهائي يجل عن الحصر والحدود والا فليس بلا نهائي .

لنستعن بعلم المثلثات زيادة في التوضيح :

لنفرض النقطة على وجه الارض او بالاحرى في مركز الارض م وقد مدّ منها نصف القطر : م حـ ونصف القطر : م د .

فيكون الضلع الثالث المحصور : حـ د .

فلنكتب قيمة حـ د حسب قواعد المثلثات :

(حـ د)^{٢} = (د م)^{٢} + [حـ م]^{٢} — ٢ × دم × حـ م × جتام [١] .

(١) جتام = أي الجيب اتمام لزاوية م : Cosinus ، يراد بزاوية م ، زاوية د م حـ .

فاذا فرضنا : م حـ = ∞ ، م د = ∞ (١) .

وعوضنا :

$$(\text{حـ د})^{٢} = \infty^{٢} + \infty^{٢} - ٢ \times \infty \times \infty \times \text{جتام}$$

ولما كان (٢ جتام) مقداراً محدودا ، فلا أثر له تجاه اللانهاية عند التضعيف أو التقسيم :

$$\therefore (\text{حـ د})^{٢} = \infty^{٢} + \infty^{٢} - \infty \times \infty$$

$$\text{او } (\text{حـ د})^{٢} = \infty^{٢} + \infty^{٢} - \infty^{٢}$$

$$(\text{حـ د})^{٢} = \infty^{٢}$$

فيكون المستقيم المحصور بين ضلعي الزاوية لا نهائيا .

مع العلم انه لايصح أجراء الاعمال الاربعة والجذر والرفع في اللانهائيات كما في المقادير المحدودة . . فلا يعلم ماذا ستكون هـذه المستقيمات في اللانهاية .

* * *

ثم نحن باستطاعتنا ان نمد مستقيمات متعددة من مركز الارض على أن تكون الزوايا المركزية صغيرة جدا .

ثم نمدّ (أنصاف الاقطار) او هذه المستقيمات الى ما لانهاية ، فماذا تكون المستقيمات المحصورة بين اضلاع الزوايا المركزية التي هي كثيرة جدا .

ستكون ، ولاشك ، هذه المستقيمات المحصورة مثل حـ د ، د هـ ، هـ ط ، محيطا لدائرة مركزها الكرة الارضية . وتحصل عند ذلك دوائر متحدة المركز تحيط بعضها ببعض وتتباعد كالدوائر التي نشاهدها عندما نلقي حجرا في حوض ماء راكد . وتتباعد هذه الدوائر الى ما لانهاية ، حيث لايعلم مداها .

---

(١) يراد بـ ∞ اللانهاية .

فيصبح سطح الكرة التي نصف قطرها ∞ = لا نهاية ، مستوياً .

ويصبح محيط الدائرة التي نصف قطرها ∞ = لانهاية، خطا مستقيما.

فيخرج عما نشاهده في الكميات المحدودة على سطح الارض أو ما هو قريب من الارض بحدود معينة .

فنحن نتصور اللانهائية ولكن لسنا محيطين بها تمام الاحاطة كي نتمكن من تقديرها وتطبيق القواعد التي تجري في صقع محدود ، عليها .

وقد اشتبه كثير من الفلاسفة ، قديما وحديثا ، عندما فسروا نظرياتهم وفق مقاييس محدودة مقتضبة ، فاذا سئل احدهم عن الله تعالى طبق الكونيات المحدودة او القوانين الفيزيائية الارضية على « الله » الذي لاتنتهي عظمته ولا تحد قدرته ، فهو الذي : « لاينعت بتمثيل ولا يمثل بنظير ، ولا يغلب بظهير . قد حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الاوهام ، وانحسرت دون ادراك عظمته خطائف أبصار الانام » (١) .

وقد جاء في دعاء يقرأ ليلة القدر :

« يا موصوفا لايبلغ بكينونيته موصوف . ولاحد محدود ، يا غائبا غير مفقود ويا شاهدا غير مشهود يطلب فيصاب ، ولم تخل منه السماوات والارض وما بينهما طرفة عين ، لايدرك بكيف ولا يؤيّن بأين ولا بحيث . أنت نور النور » .

يلاحظ أن تفسيرات بعض الفلاسفة للكون والوجود ونظرياتهم عن خالق السماوات والارضين مشوبة بمقاييس مادية حالكة وتطبيقات مادية سخيفة ، من تطبيق العوالم اللانهائية على العالم المحدود بمقاييسه وحدوده لذلك قالوا نتيجة تطبيق مادي سخيف :

١ ــ الواحد لايصدر منه الا الواحد .. « يراد به الله » .

(١) من دعاء يقرأ فى كل يوم من ايام شهر رجب .

٢ ــ العقول عشرة .

٣ ــ ان الله غير عالم بالجزئيات .

وقالوا مثل ذلك أشياء كثيرة وبنوا على اسسهم المغلوطة ابنية واهية ، هي اوهن من بيت العنكبوت ، فأدى بهم الى وحدة الوجود ! بل وحدة الموجود ! ! ؟ . .

انه تعالى يقول : « ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم » (١) .

ويقول بالنسبة الى كيفية خلقه الخلق :

« انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن ، فيكون » (٢)

وقد قرأت مقالا لاستاذ الفيزياء الرياضية العالية في جامعة الاستانة قبل حوالي ثلاثين عاما يخطيء فيه بعض علماء الغرب في نظرياتهم عن اللانهاية ، فكثيرا ما نجد انه يعامل مع اللانهاية في الاعمال الحسابية عين مايعامل مع الكميات المحدودة . ويقاس اللانهائيات بنفس المقياس الذي يقاس به المتناهيات . وهذا بعينه يشاهد في ما يقوم به الماديون من سرد براهين وأدلة لتثبيت دعائم كفرهم وجحودهم وهذيانهم ! . .

* * *

فما قيمة هذا الانسان تجاه عظمة الله التي ليس لعدد ولا مقدار ان يحدها ، تلك العظمة التي هي فوق متناول العقول وحدود الافكار . والغريب أن يريد الانسان المادي المحدود في طاقاته وقابلياته (مهما حاول واجتهد واستفاد بأمره تعالى وإلهامه وتوفيقه مما أودع الله تعالى من نظم وقابليات في هذا الكون الرحيب) ان يحيط بالله وأن يرى الله بعينه التي يبصر بها ،

---

(١) سورة الكهف : ٥٢ .

(٢) سورة يس : ٢٨ .

هذه العين المادية التي لاتزال ولن تزال حقيقتها وجميع خواصها وقوانينها مجهولة . ذلك لانه ليس للبشر ان يستقصي جميع ما أودع الله من خواص وقوانين في العين . مع العلم ان العين محدودة في قابلياتها وطاقاتها .

فقد قال (لنكولن بارنت) : « ان ما يدركه الانسان عن الحقيقة التي تحيط به محدود ، بسبب عجز جهاز الابصار عنده . ولو أن عينه كانت اكثر حساسية ، فتدرك مثلا موجات الاشعة السينية (Payonsx) لبدت له الدنيا مختلفة تماما عما يراها الآن » .

كما ينفي (الدكتور الكسيس كارل) في كتابه : « الانسان ذلك الكائن المجهول » ! إمكان التعرف الى الانسان معرفة تامة .

فاذا كان الانسان لايقوى على معرفة نفسه ، فأنى له أن يحيط بخالقه وهو اللانهائي الذي لايحده شيء ؟ ! «يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم؛ الذي خلقك فسوّاك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ، كلا ؛ بل تكذبون بالدين ؛ وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » (١) .

حقاً : « قتل الانسان ما أكفره ، من اي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ؛ ثم اماته فأقبره ، ثم اذا شاء انشره ، كلا . لما يقض ما أمره » .. ! (٢) .

* * *

إن أينشتاين بما وجد من قوانين رياضية رصينة نفي العبثية والعشوائية في الكون . وبرهن على أن الظواهر الكونية كلها تخضع لقوانين رياضية ثابتة ، وهي النواميس الإلهية التي تتحكم في الكون . هذا الكون الذي غدا وجودا هندسيا بديعا يدهش الالباب .

---

(١) سورة الانفطار : ٦ — ١٢ .
(٢) سورة عبس : ١٧ — ٢٣ .

وقد أراد اينشتاين أن يحسب مقدار كتلة النجوم التي يمكن مشاهدتها في السماء . ولكنه عدل عن هذا الرأي عندما رأى ان انجما جديدة تتشكل في كبد السماء من حين لآخر .

فالتلسكوبات الحديثة اكتشفت مجرات على بعد الف مليون سنة ضوئية . ويقدر (شارليه) أن قطر الكون عشرة آلاف مليون سنة ضوئية ! وان الحادث الذي يحدث في مجرة في طرف الكون لاتعلم به (او يستحيل أن تعلم به) مجرة في الطرف الآخر قبل مرور عشرة آلاف مليون سنة من سنواتنا .

هذا ما اكتشف حديثا . ولكن لا يبقى الاكتشاف موقوفا على هذا الحد ، فكلما تقدمت العلوم رأوا عوالم اخرى لاتحدّ .

والسنة الضوئية تقدر بمسافة قدرها ١٠ كيلو متر تقريبا . أي ان الضوء يقطع في السنة الواحدة بسرعته المعلومة (٣٠٠ ٠٠٠) كيلو متر في الثانية مسافة قدرها عشر مليون مليون كيلو متر تقريبا .

لذلك يقال ان بعد القمر عنا ١ ١/٣ من الثانية (ثانية وثلث الثانية) . فاذا أردنا تعيين بعد القمر عنا علينا ان نضرب ١ ١/٣ من الثانية في سرعة الضوء . أي ٣/٤ × ٣٠٠٠٠٠ = ٤٠٠ ٠٠٠ كيلو متر .

وان الشمس تبعد عنا ٨ دقائق و ٢٠ ثانية أي انا لو ضربنا ٨ = ٦٠ + ٢٠ = ٥٠٠ ثانية في سرعة الضوء أي في ٣٠٠ ٠٠٠ كيلو متر لوجدنا بعد الشمس عنا : وهو ١٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلو متر . (أو : ٩٣ ٠٠٠ ٠٠٠) ميل .

فاذا حدث انفجار في نجم (الألفا السنتوري) سنة ١٣٨٣ هجرية ، فنحن لا نشعر به الا في سنة ١٣٨٧ هـ أي بعد ٤ سنوات ، ذلك لان نجم (الألفا السنتوري) تبعد عنا أربع سنوات ضوئية . فاذا نظرنا الى السماء في ليلة غار فيها القمر ، لانرى الا الضوء الذي صدر عن هذه النجوم قبل سنوات .

فاذا كنت تنظر الى نجم (الالفا سنتوري) فانك ترى ما صدر عنه من ضوء قبل ٤ سنوات ، حتى وان كانت نجمة (الالفا سنتوري) قد اختفت عن الوجود بأمر الله تعالى منذ سنة او سنتين او ثلاث سنوات .. وهكذا بالنسبة الى النجمة التي تبعد عنا مليون سنة ضوئية . نحن انما ننظر الى الشعاع الذي صدر منها قبل مليون سنة ، وان هذا الشعاع يحدثنا عن حالة تلك النجمة في الوقت الذي بدأ فيه ظهور الانسان على الارض بأمره تعالى ، أما النجوم التي تبعد عنا الف مليون سنة ضوئية ، فاننا نرى الآن شكلها وحالتها عندما كانت الحياة على الارض بادئة في التكوين بأمره تعالى ؛ وعندما لم تكن قد نشأت اللبونات والزواحف والطيور ولم يكن قد ظهر أي من الفقريات . ولا يدري أحد ، غير الله تعالى ، ماذا حدث لهذه النجوم في هذه السنين الطويلة ، قد تكون قد انطفأت او انفجرت منذ ملايين السنين ، ونحن لا نزال نراها حتى الآن ! . . : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » [1] .

والكون واسع جدا ، مترامي الاطراف ، كل شيء فيه في حركة مستمرة منتظمة وليس الكون بدرجة من الضيق حتى يبرهن على محدوديته بمدّ ضلعين من نقطة على الارض وتصور ان القاطع لهما محصور بين الضلعين ، فيستدل بذلك على تناهي الابعاد .

فسلام الله على امير المؤمنين حين يقول « دعوة مستجابة » جوابا على سؤال من سأل : كم بين السماء والارض ؟ ...

* * *

يقول علي عليه السلام : « في التجارب علم" مستأنف » وهو حقاً واضع الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية . وقد سبق عليه السلام في قوله هذا « بيكون : Bacon » قروناً .

---

(١) سورة الملك : ١٤ .

إن علماء الغرب ينسبون اكتشاف الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية الى « بيكون » وقد فاتهم أن الاسلام يشجع الطرق التجريبية بقوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم • ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » (١) •

سئل علي عليه السلام عن وزن فيل ، فطبق قانون الطوفان في الفيزياء • وسئل عن ثقل قيد في رجل احدهم ، فعين ثقله دون اخراج القيد من رجل الرجل معتمدا على قانون ارخميدس في الفيزياء ولم تكن اذ ذاك دراسة للعلوم اليونانية في الجزيرة العربية • وسئل عن مسائل رياضية صعبة فأجاب عنها بالبديهة ، قد ذكرنا البعض منها في نهاية الجزء الثاني من كتاب التكامل في الاسلام وفي الجزء الرابع من نفس الكتاب • وسئل عن قطر الشمس فأجاب مرتجلا ، وهو عين ما نقرأه في كتب الفلك اليوم • وسئل عن مسائل معقدة في الفرائض (الارث) فأجاب دون تفكير او تأمل •

وقد أملى الشيء الكثير في موازين الصناعة على بعض أصحابه • —

وللمسلمين أيادٍ بيضاء في حقل الرياضيات ومكتشفات هامة ، وقد شرح ما أضافه المسلمون من قوانين ودساتير واكتشافات في الرياضيات أستاذ الفيزياء الرياضية في جامعة استانبول : صالح زكي في أربعة مجلدات أسماها : « الآثار الباقية » وهو كتاب ممتع ، يطلع الانسان عند مطالعته على مدى عمق التفكير والتتبع الرياضي لدى المسلمين • وهذا نصير الدين الطوسي له مكتشفات في تسطيح الارض وتربيع الدائرة ومساحة الاشكال الكروية والمنحنيات وكتابه : « كتاب الشكل القطاع » كتاب وحيد من نوعه • ترجمه الغربيون الى اللاتينية والفرنسية والانكليزية وبقي قرونا عديدة مصدرا لعلماء أوربا ، يستقون منه معلوماتهم في المثلثات المستوية والكرية (١) • والطوسي

---

(١) سورة الاسراء : ٣٦ • (١) كتاب فلاسفة الشيعة ص ٩٤ •

اول من استعمل الحالات الست للمثلث الكروي القائم الزاوية .

ولأبي جعفر المصري وابي سعيد السجستاني وعلي بن أحمد الموصلي وابي يوسف الكندي ومحمد بن ميسر البغدادي آثار هامة في الرياضيات ومكتشفات جديرة بالذكر والتقدير .

وأما ابو العلاء البيهقي فقد ألف في الميكانيك والاثقال كتابا قيما وكذلك في دقائق المخروطات .

كما ان لأبي الريحان البيروتي مكتشفات رياضية جديرة بكل تقدير .

وهكذا نرى أن المسلمين يعدون آباء العلم الحديث على حد تعبير « نهرو » .

إن علياً عليه أفضل الصلاة والسلام كان له اليد الطولى في وضع أسس العلم الحديث ولكنه عاش في وقت الجدب العلمي في العلوم الكونية في الجزيرة العربية ، فلم تستفد الناس من مواهبه وكمالاته .

فيحق لأحد المفكرين أن يقول : « الاسلام هو الدين الوحيد الذي يماشي العلم المادي والفلسفة الحقة » .

ويحق لـ (وولتر) أن يقول : « ان (مارتن لوتر) لايقوى على حلّ عقد خيوط حذاء محمد » . كل ذلك عندما يرى عظمة الاسلام في حقول شتى ، في حقل الفلسفة الحقة والاخلاق المثالية والعدالة الاجتماعية وادارة البلاد والسياسة الدولية والعلوم المادية بفروعها المتنوعة . مع أنه لم تكن لدى (وولتر) مصادر كافية عن الدين الاسلامي .

فحقيق بشبابنا الجامعي أن يقدر الاسلام حق قدره ، وأن يضحي لأجل تحكيم دعائمه ونشره في أرجاء المعمورة . فانه تعالى يقول :

« والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » [٢] .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .

الصادق عليه السلام والعلم الحديث

قد يتساءل الناس : هل أن الامام عليه السلام كان مستوعبا العلم الحديث ، أو كان يعلم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم ؟

إن ما نقرأه عن أحوال الائمة عليهم السلام — يشير الى ذلك ، وانهم كانوا يجيبون بصورة ارتجالية دونما تفكير على أسئلة صعبة في حقول العلم الحديث ، مسائل يحتاج حلها الى تفكير ووقت لايستهان به ، مسائل ما كان ليقوى على حلها العلماء من جميع الامم في ذلك العهد . ولم نجد في ما نقرأه عن أحوال الائمة — عليهم السلام — أنهم استمهلوا للاجابة على مسألة ، او عينوا موعدا للجواب ، عدا ما صدر عن جميعهم — عليهم السلام — إخبار بالغيب طابق الواقع تماماً : فقد قال الرضا عليه السلام : « سوف لا يحج من ملوك بني العباس أحد بعد هارون » ، وكان كما اخبر به الرضا (ع) . وقال عليه السلام : « هارون وأنا كهاتين . وضم اصبعيه » . قال الراوي : ما عرفنا معنى حديثه حتى دفناه معه .

وإن هذا العلم — واعني به علم الامام عليه السلام — على ضربين :

١ — علم مستقى من رسول الله صلى الله عليه وآله على حد قول علي عليه السلام : « علمني رسول الله ألف باب من العلم ، ينفتح لي من كل باب الف باب » ، وقوله : « سلوني قبل ان تفقدوني ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله ، هذا ما زقني رسول الله زقا » ، وقوله : « سلوني ، فان عندي علم الاولين والآخرين » ... الى ما هنالك من روايات كثيرة ، كلها تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو المعلم الاول لعلي عليه السلام في شتى العلوم ، وعلي (ع) معلم الائمة — عليهم السلام — .

٢ — وعلم يأتي من طريق الالهام ، وهو علم لدني (إن صح التعبير) .

فان المكتشفات الحديثة تعتمد — في الدرجة الاولى — على الالهام والحدس ، وما يراه المكتشف في حلمه (في عالم الرؤيا) .

يرى المكتشف في عالم الرؤيا أنه يُلهم مراحل حل مسألة رياضية صعبة لم يقوَ على حلها مدة مديدة . ويلهم صنع آلة ، او تركيب مواد وعناصر لصنع دواءٍ ناجع لمرض تعسر شفاؤه ... الى ما هنالك .

وقد جاء في الحديث : « العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء » .

هذا العلم ليس بالعلم المادي فحسب ، وانما هو المعارف الالهية او الفلسفة الالهية الحقة ، تأتي كرشحاتٍ للنفس الزكية ، برياضاتها وقيامها بأعمال صالحات ، انه علم بحقيقة الكون والحياة والوجود ، انه علم يفسر هذه الآية الشريفة : وهي قوله تعالى :

« انما يخشى الله من عبادة العلماء » .

انه علم جاء من مراقبة النفس وجعلها مطيعة لأوامر الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة ... انه علم يورث الخشية ، علم يمنُّ الله تعالى به على عبد هو مصداق هذا الحديث : « ان من أحب عباد الله اليه عبدا أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه » .

انه علم يتأتى من الاخلاص عند الصباح ، على حد ما جاء في هذا الحديث : « مَن أخلص لله أربعين صباحا ، جرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة » .

هذا النوع من العلم — العلم بما وراء الطبيعة والوقوف على فلسفة الكون الحقة — لا يتأتى الا من ناحية التقوى وتزكية النفس ، ومَن مثل الامام المعصوم في مراتب التقوى وتزكية النفس ، فنفوسهم — عليهم السلام معصومة من الزلل ، بالغة أسمى مراتب الزلفى ، نتيجة التقوى ، تقوى لايقوى

عليها غيرهم — صلوات الله عليهم ، فهم منهج الايمان ، ومعادن الحقائق ، وشفعاء الخلائق ، ومفاتيح رحمة الله ، ومقاليد مغفرته ، وسحائب رضوانه ، ومصابيح جنانه ، وحملة فرقانه ، وخزنة علمه ، وحفظة سره . ولهم القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف والرجاء [1] وجعلها أوعية للشكر والثناء وآمنها من عوارض الغفلة وصفاها من سوء شواغل الفترة .

فهم ، على ما جاء في زيارة الجامعة : « خزان العلم ، ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الامم وأولياء النعم ، وعناصر الابرار ودعائم الاخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأمناء الرحمن وسلاسة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين » .

* * *

نعم ، ان الالهام الرباني كان حليف المكتشفين وهم لم يقطعوا شوطا في عالم التزكية . وانهم ليعترفون بالالهام الرباني في مكتشفاتهم ومخترعاتهم ، ويقولون : تملى علينا الحقائق والمعادلات والقوانين كأن شخصية مجهولة تلقننا وتملي علينا مراراً ومرارا ، ونحن ندون ما يملى علينا من خارج أنفسنا دون أن تكون لنا تجارب سابقة توصلنا الى ذلك .

لقد سئل (فراداى) عن سر نجاحه الكبير فيما اكتشفه في العلوم الطبيعية والكيميائية والكهرباء ووضعه بعض الدساتير دون ان يكون بارعا في الرياضيات التي تعتبر أساسا لما اكتشفه فقال :

« انه ينظر الى طبيعة الاشياء ، فيرى ريشة سحرية تخط على صفحات عقله الآراء المبتكرة ، فيمتحنها في مخبره ومختبره ، فاذا بها هي الحقيقة المنشودة ! » .

أما (ألبرت أينشتاين) ، الذي يعدّ من أعلم علماء العلم الحديث في

(١) من زيارة خاصة جامعة لائمة المؤمنين .

القرن العشرين ، فقد كان بطيء النمو والنطق ، ضعيف العقل في صغره ، حتى صار والده يقدم له أنواع الهدايا واللعب كي يتلافى ما عليه من نقص . وكان غير مختلط بالاطفال منعزلا عنهم . وفجأة نظم اينشتاين اناشيد في مدح العزة الالهية والدعاء والاستغفار . ويلج بعد ذلك ميادين الطبيعة والرياضيات العالية . ويقول هو عن ذلك : « كأن عاصفة قد انطلقت في رأسي تلهمني المكتشفات » .

والطبيب العالمي « باتينك » مكتشف (الانسولين) الذي يعالج مرض البول السكري ، قد يئس من كشف دواءٍ ناجع بعد دراسات طويلة على الكلاب دامت مدة مديدة . وفي ليلة أجهد فيها نفسه في البحث . فلما ذهب الى فراشه نام نوما قلقا . وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل هب من سريره ، وهو يستمع الى قول يتردد في أذنه ، ودونه في مذكرته وهو يغالب النوم : « اربط قناة البنكرياس في الكلب ، ثم انتظر ستة أسابيع الى ثمانية حتى تضمر ، ثم استأصل بقيتها واصنع منها خلاصة » .

وبعد أن دونها نام الى الصباح . فذهب الى (مكلود) : رئيس قسم الفسلجة في كلية الطب بجامعة (تورنتو) الذي استمع اليه وهو يضحك مما يعتقد أنه اضغاث أحلام ، او احلام متعب مكدود . فلما علم أن (باتينگ) يريد أن يبيع عيادته ليجري هذه التجارب وافق : (مكلود) بدون اقتناعٍ بصحة ماسمع وسافر في إجازة وترك (باتينگ) ليجري تجاربه على عشرة كلاب . وقد نجحت تجاربه في ٢٧ يوليو ١٩٢١ وكان كما سمعها تتردد في أذنه وهو في منامه .

ويقول (جونسون) في كتابه : (المسألة الكبرى) ، إن [دي ليفد] الموسيقي الشهير ، انما اشتهر في اختراعه : (لحن السماء) و (أغنية العميان) لانه سمع هذين اللحنين وهو نائم ، فلقن حالة النوم ، ويقول : ليس هذان

اللحنان من اختراعه ! .

وأما العلامة الرياضي الشهير : (هانري پوانكاره) حاول غير مرة أن يستكشف قانونا عاما لحل مجموعة معادلات جبرية ، ولم يتمكن من ذلك الا بعد أن رأى الحل مكتوبا تفصيلا في نومه وهو القائل كلمته المشهورة : « نحن الرياضيين ، انما نعمل لاجل الفيزياء والفلسفة ! » ، علما منه : أن الفلسفة الحقيقية يجب أن تبتنى على العلم الصحيح الذي لا غبار عليه وقد خرج من مرحلة الظن والاحتمال ولا يقبل الشك والترديد وهو الرياضيات البحتة .

عندما كنت ادرس في المتوسطة ، عصت مسألة هندسية على مدرس الهندسة ، فلم يقو على حلها وطلب الي ان احلها . فحاولت ان احلها وأنا في الترام في طريقي من بغداد الى الكاظمية فلم استطع ، واشتغلت فيها ليلا ، فلم استطع ، حتى اذا كان الصبح ، فصليت صلاة الصبح ، ثم قلت في نفسي لأصلِّ ركعتين واسأل الله بعدهما أن يمن علي بالحل . فبينما أنا في التشهد اذ تتراءى لي خطوط اوصلتها فحلت المسألة بصورة بسيطة وأنا في حال التشهُّد .

كان المسلمون الاوائل : عندما كان الغربيون يؤمون جامعات الشرق ، المستنصرية ، جامعة القاهرة ، جامعات الاندلس ، يسألون الله تبارك وتعالى في حل مشاكلهم العلمية ويقال عن كثير منهم : اذا تعسرت على أحدهم مسألة . صلى ركعات وسأل الله تعالى حل مسألته واذا بها تحل بأمر الله والهام منه تعالى .

والمعروف : أن الدكتور : جيمس گريكوري الفلكي الرياضي الاسكتلندي انما حصل على أبرع آرائه العلمية خلال أحلامه .

فالله تبارك وتعالى هو الملهم للنحل لصنع بيوتها الهندسية على شكل

مسدسات منتظمة ، ذلك لان من لم يدرس في المدارس المتوسطة لا يقوى على رسم مسدس منتظم • ولا يعلم ان ضلع المسدس المنتظم يساوي نصف قطر الدائرة المحيطة به الا من درس الهندسة ونظرياتها • وفي أية مدرسة متوسطة درس النحل البراهين الهندسية ونظرياتها حتى يبني بيته العجيب على شكل مسدسات منتظمة تنعدم المسافة بينها : مسافات لا فائدة منها • ؟

ولا يوجد الا ثلاثة اشكال تبنى منها غرف متصلة تنعدم الفاصلة بينها • وهذه الاشكال هي : المثلث المتساوي الاضلاع والمربع والمسدس المنتظم وهو اصعبها في التنفيذ • وهومايقوم به النحل • لذلك يقول العالم : (مترلينك): « لو أن أحدا من عالم آخر هبط الى الارض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة ، لما وسعنا الا ان نعرض عليه مشط الشمع المتواضع الذي يبنيه النحل » •

وان النظام المعماري العجيب الذي نجده في اعشاش النمل مما يدل دلالة واضحة ان الله هو الذي يلهم النمل في صنع عشه ، صنعا كان يعجز عنه الانسان القديم مع ما أوتي من عقل وفكر • فالنمل يصنع بناءاً ذا عشرين طابقا ، قد حقق في كل طابق مايحتاجه النمل من حرارة مناسبة ورطوبة وتهوية وقاعات للاجتماع وغرف لتربية الصغار •• الى ما هنالك •

على ان النمل يملك جيوشا منظمة ، يمارس من أنواع الحروب التي يمارسها الانسان • كالحرب المكشوفة ، والهجوم الشامل والتعبئة العامة وحرب الخنادق والمفاجآت وخطط التسلل وحرب الابادة الشاملة والحصار والاقتحام والهجوم والتقهقر والانسحاب الاستراتيجي • الا انها تتميز بميزتين أساسيتين ، عجيبتين : الاولى : أحترام ملكية الغير احتراما كاملا والثانية : تقديم الطعام للنمل الجائع •

ولننظر الى أخلاق النمل عندما تقدم طعاما لغيرها من النمل من داخل

معدتها ، اذ انه حين تخرج الطعام لغيرها من معدتها تصبح واضحة السعادة فرحة . حتى ان النملة لاتستطيع مقاومة تضرعات العدو الحائع ، فتقدم له حاجاته من الطعام قبل أحتدام القتال .

فليتعلم الانسان من النمل هذه الاخلاق الرفيعة !

وهكذا نرى أن الالهام من جانب الله تعالى ضارب بأطنابه في أرجاء الكون . وان حصة الانسان من هذا الالهام الرباني أكبر من غيره من المخلوقات وكيف لايكون الامام عليه السلام مع ما أوتي من نفس زكية طاهرة مُلهما علوما شتى ومعارف جمة يعجز عن الوصول اليها البشر العادي .

* * *

يروي لنا الجنابذي في معالم العترة الطاهرة عن صالح بن الاسود : سمعت جعفرا الصادق يقول : « سلوني قبل ان تفقدوني ، فانه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي . فكان يقول : حديثي حديث أبي ، وحديث ابي حديث جدي ، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب ، وحديث علي حديث رسول الله » .

نعم ، قد أملى الصادق عليه السلام خمسمائة رسالة في علم الكيمياء على جابر بن حيان .

يقول : (هولميارد) : « ان جابرا هو تلميذ جعفر الصادق او صديقه ، وقد وجد إمامه الفذ سندا ومُعينا وراشدا أمينا وموجها لايستغنى عنه . وسعى جابر بن حيان ان يحرر الكيمياء بأرشاد أستاذه من أساطير الاولين التي علقت بها من الاسكندرية [1] فنجح في هذا السبيل الى حد بعيد ، ومن أجل ذلك يجب أن يقرن اسم جابر مع أساطين هذا الفن في العالم مثل : بويله ، بريستله ، لا ووازيه وغيرهم من الاعلام » .

(١) الامام الصادق : ملهم الكيمياء . ص : ٣٧ .

وقد يستغرب بعض الكيميائيين من علم الامام عليه السلام في الكيمياء مع كونه في المدينة !

لذلك ، يقول : (روسكا) : « انه لمن المستحيل على جعفر ان يكون كيميائيا ، فليس من الممكن ان يتعاطى تلك الصنعة سواءً كان نظريا أم عمليا وهو في المدينة !

ذلك ، لأن روسكا وأمثال روسكا لم يصلوا الى حقيقة الامامة . وكيف أن الله تعالى يُجري على يدي الامام الخوارق والمعاجز اظهارا لامامته ، كما يُجري ذلك على أيدي الانبياء عليهم السلام ، وهو على كل شيء قدير .

فجابر بن حيان الذي يُعد من أساطين علم الكيمياء يذكر في رسائله : أن جعفر بن محمد هو الذي ، قال له ، أو علمه ، أو القى عليه ، او حدثه بكذا ، ويقول في رسائله الموسومة بـ (المنفعة) أخذت هذا العلم عن جعفر ابن محمد عليه السلام .

كان يقول علي عليه السلام : « في التجارب علم مستأنف » . وها هو جابر بن حيان تلميذ الصادق عليه السلام ، يقول [1] : ملاك هذه الصنعة العمل . فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبدا ، ويقول جابر بن حيان في مقام آخر :

« ان الاصل كان من الطبائع لا من غيرها . فالوصول الى معرفتها ميزانها . فمن عرف ميزانها عرف كل ما فيها ، وكيف تركبت . والدربة مخرج ذلك . فمن كان دربا ، كان عالما حقا ، ومن لم يكن دربا لم يكن عالما . وحسبك في الدربة في جميع الصنائع . اذ الصانع الدرب يحذق وغير الدرب يعطل » .

نعم ، ان جابرا قد تعلم من استاذه الصادق عليه السلام علما سماه :

---

(١) فلاسفة الشيعة : ص : ٢١٢ .

علم الموازين ، في الكيمياء وهي المعادلات الكيمياوية التي نجدها في الكتب الحديثة ، مثال ذلك :

$$2\,H_2SO_4 + Cu = CuSO_4 + SO_2 + 2\,H_2O$$
$$S + Cu + O_4 = CuSo_4$$

وقد علمه الصادق عليه السلام كيفية استحضار الحامض الكبريتيك ، والحامض النيتريك ، وهو أول من اكتشف (الصودا الكاوية) ، واول من استحضر ماءَ الذهب وأول من ادخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الحامض ، ولا تزال هذه [1] الطريقة تستخدم الى الآن في تقدير عيارات الذهب في السبائك وغيرها ، وهو كذلك اول من لاحظ ما يحدث من راسب (كلورور الفضة) عند اضافة محلول ملح الطعام الى محلول نترات الفضة .

ويُنسب الى جابر أيضا ، وهو ما تعلمه من امامه الصادق عليه السلام ، استحضار مركبات اخرى غير التي مرت ، كـ (كاربونات البوتاسيوم) ، و (كاربونات الصوديوم) ، واستعمل (ثاني اوكسيد المنغنيز) في صنع الزجاج ، وتعلم جابر خصائص ومركبات الزئبق واستحضرها . وقد استعمل بعضها فيما بعد في تحضير (الاوكسجين) . ولا يخفى ان جميع هذه المركبات ذات أهمية كبرى في عالم الصناعة ، فبعضها يستعمل في صنع المفرقعات والاصبغة ، وبعضها الآخر في السماد الصناعي والصابون والحرير الصناعي .

وقد تعلّم جابر من استاذه الامام الصادق عليه السلام الطرق التجريبية

---

(٢) يراد بـ (S) : الكبريت و بـ (Cu) : النحاس و بـ (O) الاوكسيجين .

(٣) يراد بـ (H_2SO_4) : حامض الكبريتيك و بـ (H_2O) : الماء و بـ ($CuSO_4$) : كبريتات النحاس و بـ SO_2 ثاني اوكسيد الكبريت .

(١) فلاسفة الشيعة : ص : ١٨٨ .

والعمل في المختبر ، ثم المشاهدة والاستنتاج . وكان يقول : « ان واجب المشتغل بالكيمياء هو العمل واجراء التجربة ، وان المعرفة لاتحصل الا بها » .

* * *

كان الصادق سلام الله عليه ، عدا علمه بموازين الكيمياء يعلم منطق الطير . وان العلم الحديث ليعترف بمنق الطير وحركات خاصة ، لها معانٍ يتفهمها الطير المخاطب .

فقد قال جابر بن حيان : « كنت عند مولاي الصادق عليه السلام ، اذ سقطت بين يديه حمامتان ، فهدر الذكر على الانثى ، ثم جاء اليها وأحكم برأسها منقاره ، وبعد قليل طارا . فقلت يا مولاي ، ما كان من أمرهما ؟ فقال : الذكر اتهم الانثى بفرية ، فأنكرت ، وما زال بها حتى حلفت بالبراءة من المولى ، عندئذ صدقها » .

* * *

قد وضع جابر بن حيان ١٣٠٠ مؤلف في الحيل (الميكانيك) و ٥٠٠ مؤلف في الطب ، ولاشك ان جابرا ، ما كان ليقوى على أن يأتي بهذه المؤلفات لاسيما ، في الميكانيك ، الا اذا استقاها من منبع فياض نمير ألا وهو امامه الصادق عليه السلام ، ذلك لان ما هو مدوّن الآن في علم الميكانيك بصورة موضوعية دون تكرار نفس الموضوع ، مثل ما يدون (في دائرة المعارف للعلوم) لا يمكن ان يتجاوز ٣٠٠٠ صفحة بما في ذلك : الميكانيك العادي والميكانيك الرياضي : Mecanique rationnelle ولو كانت مؤلفات جابر بن حيان في الميكانيك موجودة لحد الآن لخطا العلم في حقل القوى والحركات خطوات ناجحة ،سريعة ، ولكانت ثروة عظيمة فيحقل العلم المادي ، للمخترعين والمكتشفين .

* * *

ان جابر بن حيان كان يعظم إمامه الصادق عليه السلام أيما تعظيم ويقسم

به كثيرا في المعضلات ، من جملة ذلك : قوله :

« وهذا ، وحق سيدي ، كلام جوهري ، نقي ، ما فيه شوب ولا رمز » .

ومن جملة كلامه :

« أتعلم ما قد كشفت للناس فيه ، فان لم تصل اليه فاطلبه ، فانه يخرج لك جميع غوامض كتبي وجميع علم الميزان ، وجميع فوائد الحكمة ، وتصير به ، وحق سيدي عليه السلام ، من أهل الصنعة ، وتعلم الصالح من الفاسد والسلام » (١) .

* * *

ويقول في مقام آخر : « وحق سيدي ، ما وقعت كتبي الى انسان ، فضيعه الله ، بل يكون له رزق ، ولو اجتهد الناس كلهم على حرمانه ما أمكنهم » .

* * *

وقد سئل أبو عبدالله الصادق عليه السلام : كما جاء في الوسائل في باب الاجارة : عن رجل قبّل رجلا حفر بئرٍ عشر قامات بعشرة دراهم . فحفر قامة ، ثم عجز . فقال : « له جزء من خمسة وخمسين جزءاً من العشرة دراهم » .

من الواضح المعلوم أن التعب الذي يصيب الرجل في حمل مقدار من التراب الى مسافة مترين ضد الجاذبية الارضية هو ضعف ما يصيبه لنقل مثل ذلك المقدار من التراب الى مسافة متر واحد فقط ضد الجاذبية الارضية . فان القوة التي تصرف ضد الجاذبية الارضية لرفع كيلو غرام واحد الى مسافة متر واحد يطلق عليها في الفيزياء (كيلوغرام ــ متر) = كغم / متر . فاذا رفعنا الكيلو غرام الواحد الى مسافة مترين كانت القوة المصروفة تعادل ٢ ــ كيلوغرام ــ متر : ٢ كغم/م . و واذا رفع ٣ كيلو غرامات الى أعلى كانت

(١) الامام الصادق : ملهم الكيمياء ، ص : ١١٣ .

القوة المصروفة ٣ كغم / م ٠ وهكذا ٠

فالطاقة التي صرفت لرفع مقدار معين من التراب ضد الجاذبية الارضية الى ارتفاع قامتين هي ضعف ما يصرف الى ارتفاع قامة واحدة وهكذا ٠ فلنحسب وحدات الطاقات المصروفة لحفر البئر كلها بهذا الاعتبار :

١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ + ٦ + ٧ + ٨ + ٩ + ١٠ = ٥٥ وحدة

او حصة ٠ فيجب أن يقسم ١٠ دراهم على ٥٥ حصة : ١٠/٥٥ من الدرهم

وهذا ما يستحقه المستأجر من المبلغ كله ازاء حفره قامة واحدة ٠

فهنا : ١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٠٠٠٠ + ٠٠٠ + ١٠ متوالية عددية أساسها = ١

والحد الاول = ١ وعدد الحدود = ١٠ والحد الاخير = ١٠ —

أي د = ١ ، أ = ١ ، ن = ١٠ ، ل = ١٠ فمجموع الحدود حسبما معروف في الجبر :

ح = ن/٢ (١ + ل) وبالتعويض ٠

ح = ١٠/٢ (١ + ١٠) = ٥ × ١١ = ٥٥

أو باستعمال الاساس :

ح = ن/٢ [٢ ١ + (ن — ١) د] ، وبالتعويض

ح = ١٠/٢ (٢ + ٩) = ٥ × ١١ = ٥٥

وان الصادق سلام الله عليه كان عالما بالطب الى حد بعيد ٠ وان ما دوّنه جابر بن حيان في الطب في مؤلفات جمة انما هو مستقى من علم الصادق (ع)

وما جاء في توحيد المفضل عن طبائع الاشياء وفوائد الادوية وما جاء فيه من معرفة الجوارح التي تكفل بها علم التشريح ومناظراته مع الطبيب الهندي ، كل ذلك دلائل واضحة على ما كان للصادق من علم واسع في حقل الطب وطبائع الاشياء . وهو القائل : «ان لكل ثمرة سما . فاذا أتيتم بها ، فأمسّوها الماء واغمسوها في الماء » .

وبقوله : « انا أهل بيت لا نتداوى الا بافاضة الماء البارد ، يصب علينا » .

وقد نطقت الاخبار ودلت الآثار أن الصادق عليه السلام قد كلم الفرس بلسانهم واهل اللغات المختلفة بلغاتهم وناظر أهل كل علم وفن فخصمهم مثل علماء النجوم والفلك ، والطبيعيات والطب وما عداها .

* * *

والاسلام دين يحث على العلم والتعقل والتفكر والنظر الى حد بعيد وذلك بقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رُفعت والى الجبال كيف نُصبت والى الارض كيف سُطحت » [1] وبقوله :

« إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها ، وبثّ فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والارض لآياتٍ لقوم يعقلون » [2] .

وبقوله : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وبقوله : « وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون » .

---

(١) سورة الغاشية .
(٢) سورة البقرة : ١٦٤ .

وبقوله : « قل ، هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

وبقوله : « قل أنظروا ماذا في السماوات والارض ... » .

وبقوله : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها وما لها من فروج » .

وبقوله : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلف الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه ، كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور » .

وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ان يدعوه بهذا الدعاء : « ربِّ زدني علما » .

فكان للمسلمين مكتشفات هامّة استجابة للآيات القرآنية المتقدمة وأحاديث نبوية ، منها : « تعلموا العلم من المهد الى اللحد » . « تعلموا العلم ولو بالصين « .

* * *

واضح ان الامام الصادق عليه السلام لم يجد بيئةً صالحة لبث علومه الجمة ، اذ أن الوسط الاجتماعي لم يكن وسطا علميا مركزا كما نراه اليوم . لذلك ، لم يكن للمسلمين حظ وافر للاستفادة من علومه في حقول شتى . على أن ما أودع الله من خواص ومعادلات وقوانين في أجزاء هذا الكون تكاد لاتتناهى ، فكلما عثرنا على قانون او خاصية جاءت وراءها قوانين وخواص تدهش الالباب .. فالكيمياء الذرية الحديثة علم حديث يحاول الوقوف على سر الخلق ! وهيهات ! ! نعم ، صاروا يقولون : الحياة : تفاعلات كيمياوية ، ولكنها ليست كتلك التي تجري في الاواني والاوعية في المختبرات ، فللأوعية والمخابر كيمياؤها وللحياة كيمياؤها : انهم بحثوا عن المادة الكيمياوية التي

يختبىء وراءها سر الحياة ، فوجدوها في حمض ، سموه : الحمض النووي ! وأشاروا اليه بأحرف : ONA . ثم صاروا يقولون : ان سر الحياة يختبىء وراء هذا الحمض ، حتى قالوا ان الحياة هي هذا الحمض نفسه لا غير ؟ ! (١)

ولقد أخذ علماء الكيمياء الحيوية يبحثون في الحموض النووية ، فألفوها متصفة بصفات خاصة لاعهد لهم بأمثالها في الحوامض المعروفة . وكان أعظم هذه الصفات شأنا قدرة الحوامض المذكورة على التكاثر العفوي وتمكنها من التمثل ، ولقد أمكن بطرق كيمياوية معقدة وأساليب دقيقة استخلاصها ، فتبين أنها تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية تؤلف وحدة صغيرة تتسلسل وتتكرر بشكل شريط أو سلسلة طويلة تقابلها سلسلة أخرى مثلها ، تصطف أمامها وتلتف احداهما حول الاخرى بشكل حلزوني ويربط بين السلسلتين ، بمسافات متساوية الابعاد ، روابط هيدروجينية تجعل شكلها النهائي كشكل سلم لولبي او درج مأذنة مستديرة . ولقد تبيَّن ان ما يميز حمضا نوويا من آخر هو طريقة ترتيب المواد الواحدة الداخلة في كل منها ، كما ان غياب أحدها واستبداله بنوع آخر يؤدي الى تغير في طبيعة الحمض النووي ، وقد شبهوا ذلك بكلمات من حروف محدودة يتبدل معناها ويتباعد باختلاف ترتيبها ، فان حرف : ح ، س ، ب اذا تتابعت فيها الحروف ح ، س ، ب كان معناها: حسب ، من الحساب ،واذا تعاقبت بالترتيب الآتي : س ، ح ، ب كان معناها سحب من السحب . لقد صاغوا الحمض النووي وبلوروه ، فكان من ذلك : حمض : ظنوه سر الاسرار ! ولكنه بدا عاجزا عن التكاثر بصورة عفوية ، كما يتكاثر الحمض النووي الذي وجد في الحمات . كانت صبغات الحمضين واحدة ولكن الفرق بينهما عظيم جدا : هو الفرق بين الحياة والموت ، هو الفرق بين الصنم العديم الروح والجسد الحي الآهل بالروح . لقد كان

(١) مجلة حضارة الاسلام : السنة الرابعة ، العدد السادس .

عنصرا طبقوا عليه تعبير سرّ الاسرار !!.. ولكن ينقصه الواجب الوجود الازلي وهو قدرة الباري جل جلاله الخلاقة واهبة الحياة ونافخة الروح .

فما هي الروح كيف تدب في الاجسام الكيمياوية سؤال شغل العلماء والفلاسفة منذ قديم الزمان . ولا يزالون في أول المرحلة ، وهو الاعتراف بواجب الوجود وهو الله تعالى وسيبقون كذلك أبد الآبدين . وهو قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

لذلك يقول عدد من علماء الفضاء والذرة الامريكيين والروس : « وكلما ازددنا علما بالفضاء وأسباب الحياة زاد جهلنا » .

ويقول (لنكولن بارنت) : « ان ما يدركه الانسان عن الحقيقة التي تحيط به محدود ، بسبب عجز جهاز الابصار عنده ، ولو ان عينه كانت أكثر حساسية ، فتدرك مثلا موجات الاشعة السينية لبدت له الدنيا مختلفة تماما عما يراها الآن » .

حقاً ، أن الانسان لايزال ناقصا في ملكاته وقابلياته سواء منها الحواس وقابلية التفكير ، وسيبقى ناقصا ويظل يتتبع ويجد فيفتح له باب من العلم بهذا الكون الرحيب واذا به أمام ابواب لاتتناهى من المجاهيل وهكذا أبد الآبدين . ذلك : لان ما أودع الله تعالى من خواص وتركيبات معقدة في كل جزء او جزيء او ذرة من هذا الكون المعقد تكاد لاتتناهى وهو قوله تعالى : « ولو أن ما في الارض من شجرةٍ أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » .

نعم ، كل هذه المكتشفات وما أملاه الامام من علوم تساعد على معرفة الله ، لو طهرت النفوس من أدرانها وأرجاسها ولم تحجب عن التقرب الى الله بالمدنسات . ذلك لان : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » (١) .

(١) من كلام لعلي عليه السلام .

وان معرفة الله تعالى غاية الغايات والعلوم المادية تبرهن على عظمة الله تعالى وسعة علم الله الذي لايتناهى . ولا شيء ألذ من معرفة الله تعالى وتسبيحه وتقديسه . ولنستمع الى ما يقوله الامام (جعفر بن محمد) عليهما السلام في معرفة الله تعالى :

انه عليه السلام يقول : « لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم الى ما متع الله به الاعداء من زهرة هذه الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنات مع أولياء الله . ان معرفة الله عز وجل آنس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ، ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم » .

استمعوا الى ما يقوله الشهرستاني في إمامنا جعفر الصادق عليه السلام : « هو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع أحدا في الخلافة ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط . وقيل : من أنس بالله استوحش من الناس ، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس » . ومن كلماته سلام الله عليه : « من طلب الرياسة هلك » .

يُروى : أن سفيان الثوري ، الذي كان محدث العراق وواعظ الكوفة حضر مجلس الصادق عليه السلام والامام صامت لايتكلم ، فقال الثوري : « لا أقوم حتى تحدثني » . فقال الصادق عليه السلام : « أنا احدثك ، وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان ... اذا أنعم الله بنعمة ، فأحببت بقاءها ودوامها ، فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فان الله عز وجل قال في كتابه :

« لئن شكرتم لازيدنكم» ، واذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ،فان الله عز وجل قال في كتابه : « استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموالٍ وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا » ... ياسفيان ، اذا حزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من « لا حول ولا قوة الا بالله » فانها مفتاح الفرج . وكنز من كنوز الجنة ، فعقد سفيان بيده ، وقال : « ثلاث وأي ثلاث » .

وكان ابو حنيفة يروي عن الصادق عليه السلام ، ومع انه كان في مثل سن الصادق عليه السلام لم يتأبّ عن الاخذ عنه : فقد صحب الصادق (ع) سنتين وكان يقول : « لولا السنتان لهلك النعمان » .

وان الصادق سلام الله عليه كان اذا التقى بأبي جعفر المنصور يقول الحق تصريحا وتلميحا ، ويروى ان ذبابا حام حول وجه المنصور حتى أضجره ، وأبو عبد الله عليه السلام في المجلس : فقال : « يا أبا عبد الله : لِمَ خلق الله الذباب ؟ » ، فقال الصادق عليه السلام : « ليذلّ به الجبابرة » .

وقد كتب اليه المنصور قائلا « لِمَ لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ » فأجابه الصادق عليه السلام : « ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنيك ، ولا نراها نقمة فنعزيك » فكتب اليه المنصور : « تصحبنا لتنصحنا » ، فأجابه : « من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لايصحبك » .

انظروا الى ما يقوله (مالك) عن الصادق عليه السلام ، انه يقول : « لقد كنت آتي جعفر بن محمد ، وكان كثير التبسم ، فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أخضر واصفر ، ولقد اختلفت اليه زمانا ، فما كنت أراه الا على أحدى ثلاث خصال: اما مصليا ، واما صائما ، واما يقرأ القرآن ، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا

على الطهارة ، ولا يتكلم فيما لايعنيه ، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله . وما رأيته الا يخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتي » . وجعل يعدد فضائله .

ولقد سئل سلام الله عليه : لماذا حرم الله الربا ؟ فأجاب : « لئلا يتمانع الناس » . وهو الحق ، ذلك لأن الناس اذا كانوا لايقرضون الا بالربا ما وجد تعاون بينهم وعند عدم وجود التعاون حصل التمانع بينهم واذا حصل التمانع أحضرت الانفس الشح .

وقد بلغ الامام مرتبة قاصية من السخاء ، فكان يعطي حتى لا يبقي لعياله شيئا . وكان يقول : « لايتم المعروف الا بثلاثة : بتعجيله وتصغيره وستره » .

وكان الصادق عليه السلام حليما ، سمحا الى أبعد حد ، ويقابل الاساءة بالتي هي أحسن ، عملا بقوله تعالى : « ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . وكان يقول : « اذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتم ، فانه ان كان كما يقول فيه القائل كانت عقوبة قد عجلت ، وان كان على غير ما يقول ، كانت حسنة لم يعملها » .

وكان عليه السلام رفيقا مع كل من يعامله من عشراء وخدم . يروى في ذلك : انه بعث غلاما له في حاجة فأبطأ فخرج يبحث عنه ، فوجده نائما ، فجلس عند رأسه ، واخذ يروّح له حتى انتبه ، فقال له : « ما ذلك لك . تنام الليل والنهار ! لك الليل ، ولنا النهار » .

وكان عليه السلام يدعو الله أن يغفر لمن أساء اليه . فقد كان اذا بلغه نيل منه او شتم له في غيبته ، يقوم ويتهيأ للصلاة ، ويصلي طويلا ، ثم يدعو ربه : ألا يؤاخذ الجاني ، لان الحق حقه ، وقد وهبه الجاني غافرا له ظلمه . وكان يعتبر : من ينتقم من عدوه — وهو قادر على الانتقام — ذليلا . وقد

نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : « ما نقص عفو من عز ، وما نقص مال من صدقة ! » .

وكان الصادق سلام الله عليه صبورا الى حد بعيد . فقد مات بين يديه ولد صغير له ، فبكى وقال : « لئن أخذت لقد ابقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت » ثم حمله الى النساء ، فصرخن حين رأينه ، فأقسم عليهن ان لا يصرخن ، ثم أخرجه الى الدفن وهو يقول : « سبحان من يقبض أولادنا ، ولا نزداد له الا حبا » ، ويقول بعد أن واراه التراب : « انا قوم نسأل الله ما نحب فيمن نحب فيعطينا ، فاذا أحب ما نكره فيمن نحب رضينا » .

وهكذا كان الصادق عليه السلام مثالا رائعا في كل فضيلة ، وكان رجلا مثاليا في كل صفة من صفات الكمال . فهو الامام حقا بعلمه ، وعبادته وسمو صفاته وجهاده المبين . فيجدر بفلاسفة العالم أن يستقوا من علمه ويقتدوا بسيرته ويصححوا فلسفتهم على ضوء معارفه فيخرجوا الناس من الظلمات الى النور . فقد قال الله تعالى : «ومَن لم يجعل الله له نورا فما له من نور !»[1] .

---

(١) سورة النور : ٤٠ .

هل ينقذنا العلم فحسب

كانت أوروبا في القرون الوسطى تتسكع في دياجير الجهل والخرافة والانحطاط المرير نتيجة الرهبانية التي كان يتعاطاها القساوسة ورجال الدين، وانتشرت حياة العزوبة التي كانت الرهبان يزينونها للناس ويرغبون فيها ، مما أدى الى قلة النفوس وانتشار الاوبئة والامراض في طول القارة الاوربية وعرضها ، وقد دس هؤلاء الرهبان في كتبهم المقدسة معلومات بشرية ومسلمات عصرية عن التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية بمقدار ما كان موجودا في ذلك العصر ، وعدوا ذلك مقررات دينية لا يمكن أن تتبدل او تتغير ،حين أن العلوم الطبيعية رهينة التجربة والبحث. ولم تكن الطريقة التجريبية متأصلة في ذلك الوقت . فجاء دور التجربة والمشاهدة والبحث على ضوء التجارب المتكررة ، بالآلات والادوات واجهزة خاصة ، فثبت اذ ذاك عدم صحة ما دوّنه الرهبان في كتبهم الدينية عن الفلك والامطار والزوابع والرعد والبرق ... الى ما هنالك فحصل شجار وتضارب بين المكتشفات المستندة الى التجربة والاستقراء وبين ما دوّن من الخرافات في الكتب الدينية من قبل الرهبان . أي حصل كفاح مشئوم بين الدين والعقل ، والعلم الذي انهزم فيه الدين ، ذلك الدين المختلط بعلم البشر المتغير من وقت الى وقت ، ذلك العلم الذي فيه الحق والباطل والخالص والزائف هزيمة منكرة ، وسقط رجال الدين في أوروبا سقوطا لم ينهضوا بعده ، وكانت نتيجة ذلك : أن أمست أوروبا لا دينية على وجه التقريب .

ولم يكتف الرهبان بما أدخلوه من معلومات بشرية زائفة في كتبهم الدينية ، بل صبغوا هذه المعلومات الطبيعية او الجغرافية الناقصة او الزائفة

صبغة دينية يجب الاعتقاد بها ، ووصموا غير المؤمن بها بالكفر ، حتى انهم ألفوا كتابا أسموه : « الجغرافية المسيحية ! » : Christian geography فيه من الخرافات ما أنزل الله بهامن سلطان وقالوا بكفر من لا يدين بها .

الا ان علماء الطبيعة حطموا سلاسل التقليد الديني ، فرفضوا هذه النظريات ، الجغرافية المغلوطة وغيرها من معلومات زائفة المدونة باسم الدين في كتب الدين . وأعلنوا اكتشافاتهم ونتائج اختباراتهم ، فقامت قيامة الكنيسة وقام رجالها المتصرفون في زمام الامور في أوروبا ، وكفروا كل من لا يؤمن بما جاء من الخرافات المدسوسة في كتب الدين ، (والدين منه براء) ، واستحلوا دماءهم وأموالهم وانشأوا محاكم التفتيش التي كانت تعاقب وتعدم أولئك الملحدين والزنادقة ! أي الذين لايؤمنون بمعلومات مشوشة مغلوطة جغرافية دسّت في كتب الدين باسم الدين .

وقد عاقبت هذه المحاكم (٣٠٠ ٠٠٠) عالم وأحرقت منهم (٣٢ ٠٠٠) أحياءاً ، كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو ، نقمت منه الكنيسة أراءاً من أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل واقترحت بأن لا تُراق قطرة من دمه . ومعنى ذلك انه يجب ان يحرق حيا .

كما انه حكم على (كاليله Galilio) بالقتل لقوله بحركة الارض حول الشمس ، ولكنه كان صديقا للبابا وحلف بالاناجيل كلها امام محكمة التفتيش ان لاحركة للارض ! فسجن مدة من الزمن . ونجا من الاعدام .

ونتيجة لهذا الصراع بين العلم والكنيسة قرر الثائرون من علماء الطبيعة الذين كان علمهم مستندا الى الطريقة التجريبية : أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان [١] ، وان العقل والنظام الديني ضدان لا يجتمعان ، فمن استقبل

(١) وقد أسهبنا الموضوع فى الجزء الاول من كتاب التكامل فى الاسلام فى أن لاتنافى بين الدين والعلم التجريبي .

أحدهما استدبر الآخر ، ومن آمن بأحدهما ، فقد كفر بالآخر .

واذا جاء ذكر الدين ، تذكروا تلك الدماء البريئة التي أريقت في سبيل التحقيق العلمي على أساس التجربة والمشاهدة والبحث العلمي الصحيح وتلك القسوة التي أظهرتها رجال الكنيسة ضد العلم والعلماء . تذكروا تلك الوجوه الكالحة والعابسة التي قست على رجال البحث وأعدمتهم دون مبرر عقلي او ديني ، (لا الدين الذي تقول به الكنيسة ! ؟) .

ولم يكن عند هؤلاء الثائرين من حسن التفكير ان يميزوا بين الدين الصحيح والزائف وأن يبحثوا عن الاسلام دين الحق والعقل والتفكير الصحيح .

فلم يرسلوا مَن يبحث لهم عن هذا الدين وأعني به الدين الاسلامي ، ليعلموا كيف أن الاسلام يؤيد العلم ويشجع البحث العلمي الحر ، وهو قوله تعالى : « ولا تقف [١] ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » [٢] . « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها » [٣] .

وقوله تعالى : « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار . والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الارض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » [٤] .

وبقوله تعالى : « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » [٥] .

---

(١) ولا تقف : ولا تتبع .
(٢) سورة الاسراء : ٣٦ .
(٣) سورة محمد (ص) : ٢٤ .
(٤) سورة البقرة : ١٦٤ .
(٥) سورة يونس : ١٠١ .

وبقوله تعالى : « قل سيروا في الارض ، فانظروا كيف بدأ الخلق » [٦] .

وبقوله : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » [١] .

وبقوله : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (سورة : ق) .

وبقوله : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت » . (سورة الغاشية) .

وبقوله : « أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق » . (سورة الروم) .

وبقوله : « يُنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ، ان في ذلك الآية لقوم يتفكرون » . (سورة النحل) .

وبقوله : «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [٢] ويتفكرون في خلق السماوات والارض » . (سورة آل عمران : ١٩١) .

وقوله تعالى : « وكذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تعقلون » . (سورة البقرة) .

وقوله تعالى : « أفلا تعقلون » .

وقوله تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة أتخذوها هزوا ولعبا ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » . (سورة المائدة) ..

وقوله تعالى : « وما يذكّر الا أولوا الالباب » . (سورة البقرة) .

وقوله تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون ، قل العفو [١] ، كذلك يبيّن

---

(٦) سورة العنكبوت : ٢٠ .
(١) سورة الروم : ٢١ .
(٢) على جنوبهم : مضطجعين .
(١) العفو : الفاضل عن الحاجة .

الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » . (سورة البقرة : ٢١٩) .

وقوله تعالى : « قل ، هل يستوي الاعمى والبصير ، أفلا تتفكرون » . (سورة الانعام) .

وقوله تعالى : « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز [٢] ، فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وانفسهم ، أفلا يبصرون » . (سورة السجدة : ٢٧) .

وقوله تعالى : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ، ليدبروا آياته . (سورة : ص) .

وقوله تعالى : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » . (سورة الانعام ...) .

وقوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (سورة المجادلة) .

حتى آل أمر العلماء المحدثين الى معاداة الدين ، أي دين ، والكفر بما وراء الطبيعة والتمسك بالمبدء المادي والالحاد والزندقة ، وانكار كل ما لا يُرى بالعين او بالميكروسكوب ، أو التلسكوب ، وعدم الايمان بالغيب .

حتى قال : هكسلي صراحة في كتابه : (الانسان في العالم الحديث) : « ان الجهل والعجز فقط هما اللذان يخضعان الانسان لله ! فاذا أزدادت معرفته وقوته ، فلا موجب اذن لفكرة الله وما يرتبط بها من عبادات . . . وليكن الانسان هو الله ! » .

ولو كان لدى المسلمين في تلك الحقبة من الزمن عددٌ وافٍ من

---

(٢) الجرز : اليابسة التي لانبات فيها .

المبشرين بالدين الاسلامي العظيم فذهبوا الى أوروبا ، وقرأوا على الناس الآيات القرآنية التي تؤيد اكتشافات العلماء المحدثين :

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (١) . وقوله تعالى : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون (٢) » ، « كلٌ يجري الى أجلٍ مسمى (٣) » ... « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ، يدبّر الامر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » (٤) .

« وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمرُّ مرَّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء (٥) .

« ألم تر ان الله يزجي (٦) سحابا ثم يؤلف بينه (٧) ، ثم يجعله ركاما فترى الودق (٨) يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » (٩) .

---

(١) سورة يس : ٣٨ .

(٢) سورة الانبياء : ٣٣ وسورة يس : ٤٠ .

(٣) سورة الرعد : ٢ .

(٤) سورة الرعد : ٢ .

(٥) سورة النمل : ٨٨ .

(٦) يزجي : يسوقه برفق .

(٧) أي يتكاثف البخار : فتقترب اجزاؤه بعضها من بعض نتيجة البرودة وتأين الهواء (الكهربائية) .

(٨) الودق : المطر ...

(٩) سورة النور : ٤٣ .

« فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون » [١] .

« ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . (سورة الذاريات : ٤٩) .

« فلا اقسم برب المشارق والمغارب » . (سورة المعارج : ٤٠) .

« يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » . (سورة الزمر : ٦) . الى آيات كونية اخرى تبلغ ٧٥٠ آية ، هي عصارة المكتشفات الحديثة وما سيكتشف في مستقبل قريب أو بعيد ، لأسلمت برمتها ولآمنت بالدين الاسلامي : دين العلم والعقل والعلم الصحيح . هذا الدين الذي « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم [٢] والاغلال التي كانت عليهم » . (سورة الاعراف : ١٥٧) .

فاتجه الغرب ، نتيجة تصرفات الكنيسة الخاطئة وتقاعس المسلمين عن التبشير بالاسلام ، الى المادية بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر ونفسية وعقلية واخلاق واجتماع وعلم وادب وسياسة وحكم بصورة تدريجية ، فأنكر العلماء المحدثون كل شيء وراء المادة ، وقالوا ان المادة هي الخلاقة والمفكرة والمدبّرة والمحيط (او البيئة) هو المؤثر الوحيد العالي التفكير والمدير اللبيب والمهندس البارع المبدع دونما نظير ، فصاروا يستهزؤون بكل نظرية تبرهن على وجود الباري جل جلاله وأسموها الطريقة التقليدية البالية الخرافية التي لا تجدي نفعا ولا تكشف شيئا . جحدوا كل شيء وراء الحركة والمادة ، وأبوا الايمان بكل مالا يأتي تحت الحس والاختبار

---

(١) سورة الحاقة : ٣٩ .
(٢) القيد والتكاليف الشاقة .

ولا يدخل تحت الوزن والمساحة والزمان او لا يقاس بالغرام والسانتيمتر والثانية ، فأصبح عندهم الايمان بالله وبما وراء الطبيعة من قبل المفروضات أو المواضيع التي لا يؤيدها العقل ولا يشهد بها العلم .

نعم ، قد بقي ثلة من الناس في أوروبا يؤمنون بالغيب ولكن منهج التفكير كان ينكر ذلك ولا يؤدّى بالايمان بالله والوحي والنبوات والحياة الاخروية ، ذلك لانه لا شيء من المذكورات يدخل تحت منهجهم الفكري الذي لا يؤمن الا بالحس والاختبار ، وما يصدقه القياس الزمني : الثانية .. والقياس البعدي : السانتيمتر ... والقياس الوزني : الغرام ... فصاروا يزدادون كل يوم شكا في العقائد الدينية !! ..

ونتيجة لهذا التفكير المنهجي نهض الكتّاب والمؤلفون يؤيدون وجهة نظر المادية ويكتبون كتبا اجتماعية تؤيد النواحي المادية في الحياة ، وان لا شيء وراء المادة او الطبيعة العمياء ! ويفسرون الاخلاق تفسيرا ماديا وينشرون الفلسفة النفعية وفلسفة اللذة الابيقورية (Epicure) ويقولون : ان الفكر من نتائج المادة [1] .

وقد جعل هؤلاء الحواس الخمسة أساسا للمعلومات والعلم أي علم حين انه يقول (لنكولن بارنت) : « ان ما يدركه الانسان عن الحقيقة التي تحيط به محدود بسبب عجز جهاز الابصار عنده . ولو ان عينه كانت أكثر حساسية ، فتدرك مثلا موجات الاشعة السينية (Rayons X) لبدت له

(١) قد علم اخيرا ان لا تناسب بين حجم المخ وقوة التفكير . فمخ الاسكيمي اضخم لو قيس بحجم بدن صاحبه ، ويأتي بعده مخ اليابانيين . وقد وجد ان اصغر مخ هو مخ العبقري الايطالي : « دانتي » . وعلم كلما ابتعد الشيء عن حالته المادية وآل أمرها الى الاشعاع والقوى والطاقات كان أكثر فعالية وانتاجا وتأثيرا .

الدنيا مختلفة تماما عما يراها الآن » .

ثم أن السياسيين دعوا الى فصل الدين عن السياسة ، وقالوا : أن الدين اذا كان لابد منه ، فانما هو قضية شخصية ، لاينبغي ان يتدخل في أمور السياسة ، ولا معنى لتشكيل دولة على أسس دينية [1] ! ؟ وان النصرانية انما موضوعها الحياة الاخروية ، والمتدينون لايفيدون الدولة في شيء وان كان وجودهم يفيد الكنيسة لتقيدهم بأحكام دينهم ، والملوك والامراء لهم أن يكذبوا ويخونوا وينقضوا العهود والمواثيق اذا اقتضت الحالة ودعت سياسة الوقت الى ذلك .

فالكذب والخيانة والغش والنفاق دعائم لكل دوله تريد ان تعيش ، وهكذا أولدت الفكرة المادية فصل الدين عن الدولة وأوجدت سياسة الغش والكذب .

وثار المؤلفون على الاخلاق القديمة والنظم الاجتماعية السابقة وزيّنوا للناس الإثم والفحشاء والمنكر والشهوات والنزوات ودعوا الناس الى التهام الحياة البهيمية وارضاء الشهوات وانتهاب المسرات ، فكانت المراقص ودور الخمور والفجور . وصار الغرب يؤمن بكل ما يحمل « خاتم » التجريب يأخذونه قضية مسلّمة لا تحتمل الشك او التأويل ، اما مالا يخضع للمعمل فهو خرافة او هو على الاقل شيء ساقط عن الحساب ، ولما كان الله سبحانه وتعالى لايدخل الى المعمل ! ولا يخضع للتجريب العلمي ! فقد استغنوا عنه وأعلنوا انه غير موجود !

---

(١) كما كان فى صدر الاسلام والناس فى دعة واطمئنان ، قد نالوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ..

نعم ، قد فعلت هذه الموجة الالحادية العاتية الغاشمة فعلها وانتشرت كالنار في الهشيم وأدى ذلك الى تحطم الدين وانهيار الاخلاق والتقاليد وتلوث كل تراث بشري في حقل النبل والاخلاق والفضائل .

* * *

ثم ان هؤلا العلماء الماديين قد فسروا نظرية (دارون) تفسيرا خاطئا يحقق ميولهم المادية ، وقالوا بالتولد الذاتي ، حين ان (داروِن) نفسه كان يعزو نظريته التكاملية الى خالق مدبّر عظيم ، نظم هذه الخطوات التكاملية التي لا تعدّ ولا تحصى اعتبارا من آميبا : (الكائن الحي ذي الخلية الواحدة) الى ما هنالك من نباتات وحيوانات تكاد لاتتناهى . اذن هذه الخطوات من الدقة والتعقيد ما يحيِّر الالباب . وهي من التنوّع وتعدد المراحل ما ينفي الصدفة ويجعلها في مرتبة الصفر على ما ثبت في حساب الاحتمالات من أبحاث الرياضيات العالية ، حقا « ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد » [١] . « أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولوا الالباب » [٢] ، ان هذا الانسان يمر كل يوم على آيات وشواهد على عظمة الله تعالى ، تكاد لاتتناهى ، يمر عليها معرضا عنها ، غير معتبر بها لغشاوة على عينيه من جراء ما تلوثت به يداه من أجرام وآثام وفسوق وفجور ، نعم ، « وكأين من آية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » [٣] . ولكن الله تعالى يمن على هذا البشر بأنواع الآيات كل يوم لعل هذا الانسان يرتدع عن غوايته : « سنريهم آياتنا في

(١) سورة العاديات : ٦ — ٨ .
(٢) سورة الرعد : ١٩ .
(٣) سورة يوسف : ١٠٥ .

الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد . » (سورة حم . سجدة : ٥٣) .

* * *

وجاء فرويد ، بعد (دارون) بنصف قرن ، فزاد في الطين بلة وصور الانسان حيواناً عرياناً لا حياء له (٢) ، حيوانا عريانا من كل خُلق ومن كل دين ومن كل شعور نظيف ، وقال : ليس هنالك حقيقة في العالم الا الشهوة والشعور بالجنس ، فالجنس هو كل شيء ، وكل شيء نابع عن الجنس ! الطفل يرضع ثدي أمه بلذة جنسية ! ويتبوّل ويتبرز بلذة جنسية ، ويحرك عضلاته بلذة جنسية ، ويرتبط بأمه بشعور جنسي ، كما ترتبط الطفلة الانثى بأبيها بشعور جنسي . وهكذا ينمو هذا الشعور الجنسي مع نمو الطفل ، فلا معنى للكبت ، وليعمل كل من الجنسين لتحقيق اللذة الجنسية كيفما كان ، دون قيد وشرط !!! ...

لقد تلقف الشباب بصورة خاصة تعاليم فرويد وتشبثوا بها تشبثاوراحوا يوسعون رقعتها في كل اتجاه .

نعم ، دعا (فرويد) الى العلنية في ممارسة الجنس من دون خجل ، وأضفى الصيغة الشرعية على سلوكه البهيمي ، وتخصص قسم من الادباء في تحبيب ممارسة الجنس الى الشبان بطريق غير مشروع أمثال : (و . هـ . لورنس) ، ونظموا موسيقى كاملة في اثارة الجنس والتعبير عنه بشتى صنوف التعبير مع مصحوبة بالرقص وحركات شهوانية ، وكانت نتيجة ذلك ان اسودت القلوب وادلهمت النفوس ، فاتجه العلماء المحدثون ، هؤلاء الذين تشبعت

(٢) جاء في الحديث عن النبي (ص) : الاسلام عريان ولباسه الحياء . وفي حديث آخر : « لا ايمان لمن لاحياء له » .

أفكارهم بعبادة الطبيعة العمياء وتلوثت نفوسهم بأنواع الموبقات الى الطريقة العلمانية في الدولة والشؤون الاجتماعية والاعتقاد بأن العلم البشري والقوانين الوضعية كافيان للكمال البشري، وان ليس وراء المادة شيء، ولم ينزل الله تعالى من السماء كتابا يهدي الناس سواء السبيل، كل ذلك لاتباعهم هوى نفوسهم، فكان أمرهم فرطا : على حد قوله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان امره فرطا » (٢) .

* * *

ثم ان الثورة الصناعية الكبرى التي قضت على المعامل الصغرى في القرى والارياف أدت الى نزوح القرويين الى المدن ابتغاءً للرزق، وانطلق هؤلاء العمال الى الفسق والفجور وأوغلوا في البغاء، وبعد ان اطمأنوا الى حياتهم الجديدة أرسلوا الى أسرهم لتلحق بهم في المدن ، الا أن هذا لم يقض على الضرورة التي كانت من قبل ، بل ظلت قائمة للأجيال الجديدة التي رأت فيها طريقة سهلة للتخلص من وطأة الجنس بغير تبعات . واصبح البغاء بصوره المختلفة من أول الصداقة الفردية الى بيع الجسد لكل راغب هو المتعارف في الاوساط . وسمي هذا تطورا يتفق ومفاهيم العصر الحديث .. وما عداه خرافة وتقاليد بالية يجب على المثقف ان يتركها ليعدّ من المثقفين !

ثم ان النساء بحكم الضرورة التحقن بالمعامل ايضا ، ذلك لان رواتب الرجال كانت قليلة ، والبغاء كان منتشرا الى حد بعيد مما منع الشاب من التزوج الى مدة مديدة ، فزاد التحاق النساء بالمعامل مع الرجال جنبا الى جنب في الفحشاء والمنكرات مما لوث النفوس وابعدها عن عالم التكامل النفسي أيما ابعاد .

---

(١) فرطا : اسرافا .
(٢) سورة الكهف : ٢٨ .

فماتت النفوس من جراء تلوثها بأنواع الموبقات على الشؤاطىء والطرقات والترام وفي كل مناسبة ، فصارت ، لادلهمامها ، لاتؤمن الا بالمادة وهذا العلم المادي ، وزعمت ان العلم المادي هو الكمال المطلق وانه موصل هذا الانسان الى الكمال المنشود ، انه هو المعبود الذي يجب ان يعبد وهو حلال المشكلات .

فالعلم المادي هو الاخلاق الفاضلة وهو غذاء الروح وموصل هذا الانسان الى غاية الغايات .

فالانبياء والوحي والجنة والنار والبعث والحساب والاعتراف بالذنب والغفران مفاهيم خرافية أولدتها جهالة القرون الوسطى والاولى ، قضى عليها العلم المادي حيث لا رجعة ولا عود .

وهكذا تحجرت النفوس ، فنشأت المذاهب المادية وعلى رأسها مذهب ذوي العاهات على حد تعبير الاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد ، حين أنه لا رابطة بين العلم المادي والتكامل النفسي بوجه من الوجوه ، ولكن شهوة التجريب لم تقف بالتجريبيين عند المادة ، ميدانهم الاصيل ، بل راحوا يجربون في كل شيء وكل ميدان حتى عنّ لهم في مبادىء هذا العصر ان يجعلوا النفس مادة للتجريب يخضعونها لتجارب المعمل والمختبرات ، ويستنتجون من هذه التجارب قوانين يحكمون بها النشاط النفسي ويفسرون بمقتضاها الانسان والانسانية ! وصاروا يخضعون حتى المعنويات لتجارب المعمل للوصول الى حقائق موضوعية ثابتة !

* * *

التكامل النفسي انما هو نتيجة تعاليم روحية تؤدي الى كمال النفس

الانسانية وهي ليست من العلم المادي أي من السانتيمتر والغرام والثانية في شيء .. انما هو دساتير روحية تكاملية قررها الله تعالى على لسان انبيائه عليهم الصلاة والسلام .

ذلك، لان العلم المادي انما هو نتيجة التجربة والاختبار والمشاهدة والمقارنة والاستقراء والاستنتاج والتجريد والتعميم الى ما هنالك من فعاليات ذهنية لا تتصل بالنفس من حيث السمو والضعة او التكامل والتسافل في شيء فان عملية :

$$\frac{\text{ن} + ١}{٣} \times ٣ \quad \frac{\text{ن} - ١}{\text{س}^{٢} \quad \text{ع}^{٢}}$$

أو رسم المنحني : القطع الزائد : $\frac{}{\text{ب}^{٢}} - \frac{}{\text{جـ}^{٢}} = ١$

او رسم القطع الزائد المجسم : $\frac{\text{س}^{٢}}{\text{ب}^{٢}} + \frac{\text{ع}^{٢}}{\text{جـ}^{٢}} - \frac{\text{ص}^{٢}}{\text{د}^{٢}} = ١$

او حل معادلة تفاضلية : Equation differentielle) او مسألة فيزيائية أو كيميائية ، كل ذلك يجري من قبل النفوس بأجمعها دون تفريق بين المتعالية منها او المتسافلة ، المتألهة منها او الملحدة ، المتصفة منها بأخلاق ملكوتية أو المتردية باغواءات شيطانية ، فلا تؤثر تجربة كيميائية أو عملية حسابية أو معادلة تفاضلية : Equations differentielle او دستور كسوف الشمس أو

دساتير ليبنيتز في التحليل الرياضي Analyse Mathematique في سمو النفس

أو تسافلها ، انما يتأتى سمو النفس بالقيام بأعمال صالحة من مساعدة الغير وخدمة الابوين والارحام والقيام بحوائج الناس بصورة سرية ولوجه الله تعالى ونكران الذات في سبيل الخير والتضحية لانقاذ الآخرين والمثول بين يدي رب العالمين بخشوع وخضوع وصلوات مقبولة والتهجد جوف الليل ببكاء وخنوع ، وبتزكية النفس من أدرانها واوساخها على ما قرره الشرع[1] واعطاء فضول الاموال الى الفقراء والمعوزين ، لا سيما الارحام الى ماهنالك من واجبات ومستحبات يطول ذكرها .

فالعلم مجرد عملية ذهنية وفكرية لا تمت الى صناعة تهذيب النفس وتكاملها بصلة .

يقول (ماريت ستانلي كونجدن) وهو عالم أمريكي معاصر — في مقال له بعنوان : (درس من شجيرة الورد) : « ان العلوم حقائق مختبرة ، ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الانسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته ، ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود ، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ . وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات كذلك .. وليس باليقين .. ونتائج العلوم بذلك تقريبية وعرضة للاخطاء في القياس والمقارنات ، ونتائجها اجتهادية ، وقابلة للتعديل بالاضافة والحذف .. وليست نهائية » .

ويقول سير (جيمس جينز) عالم الطبيعيات والرياضيات :

(١) قال علي عليه السلام : « ليس الدين بالرأي ، انما هو اتباع » .

« لقد كان العلم القديم يقرر تقرير الواثق ان الطبيعة لاتستطيع ان تسلك الا طريقاً واحداً : وهو الطريق الذي رسم من قبل لتسير فيه من بداية الزمن الى نهايته • وفي تسلسل مستمر بين علة ومعلول • وانه لا مناص من ان الحالة : (أ) تتبعها الحالة (ب) • اما العلم الحديث فكل ما يستطيع أن يقوله حتى الآن : هو : إن الحالة (أ) يحتمل أن تتبعها الحالة (ب) او (جـ) أو (د) أو غيرها من الحالات الاخرى التي يخطئها الحصر • نعم ، ان في استطاعته أن يقول : ان حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالا من حدوث الحالة (حـ) وان الحالة (حـ) أكثر احتمالا من الحالة (د) • • • وهكذا ، بل ان في مقدوره أن يحدد درجة احتمال كل حالة من الحالات (ب) و (جـ) و (د) بعضها بالنسبة الى بعض • ولكنه لايستطيع أن يتنبأ عن يقين : اي الحالات تتبع الاخرى • لانه يتحدث دائما عما يحتمل • اما ما يجب ان يحدث فأمره موكولا الى الاقدار » •

وقد يكون العلم مع نفس متردية آلة تخريب وفساد : « والله لا يحب الفساد » [1] • وقد قال علي عليه السلام : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » •

فالعلم يكون وسيلة تخريب وهدم ان لم تتحل النفوس بمكارم الاخلاق وفضائل الخصال على ماقرره الشرع ووفق مايريده الله تعالى وهو العارف بطرق تكامل النفوس •

وكم من عصابات في أمريكا وغير أمريكا تقوم بأعمال منكرة من اختطاف البنات أو البنين وسرقات خطيرة ، فيسرق ما في المصارف والبيوت التجارية

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ .

بشتى الوسائل من قبل عصابات هم من خريجي المدارس العالية !! .

والجيل الناشىء في أوروبا يعاني أقصى درجات التحلل والانحدار ! فعصابات للخطف والسلب والنهب والاغتصاب ، عصابات من الاطفال لمهاجمة القطارات وقذف نوافذها بالاحجار ، عصابات — من الاطفال — تضع الاحجار على القضبان لتخرج من عليها القطارات ! عصابات الحشيش والافيون وبقية المخدرات . « التزويغ » من دفع اجرة الركوب . . . كل الرذائل التي يمكن أن يتصورها الانسان ! ...

ولقد علمت ان استاذاً في الفيزياء الرياضية العالية نال مكافأة ثمينة على مؤلف خطير ، فأنفد المكافأة في شهواته ونزواته وابتلى بمرض السيفيليس ومات وهو مجنون ، وآخر مع كونه دكتورا في التربية وعلم النفس كان يشرب الخمرة ويستمر في العربدة حتى يُمسي مهزلة للآخرين وآخر دكتورا في مواضيع ثلاثة كان يفتخر بارتياده دور البغاء ويقول متبجحاً . . . ! ؟

ليس لهذا العلم المادي تأثير في توجيه الشباب نحو الكمال والاخلاق الفاضلة وضبط النفس عن الولوج في الشهوات والموبقات . كان يقول كندي: « ان الشباب الامريكي مائع منحل مترف غارق في الشهوات ، وانه من بين سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين بسبب انهماكهم في الشهوات ، وانذر بأن هذا الشباب خطر على مستقبل أمريكا ، وأهاب بالعلماء والمصلحين الاجتماعيين أن يبحثوا هذا الخطر ويقرروا العلاج » .

يقول (ول ديورانت) : « ان أختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغيير أخلاقنا . فقد كان القانون قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج لان النكاح يؤدي الى الابوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد

مسؤولا عن ولده الا بطريق الزواج ، أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية وبين التناسل وخلقت موقفا لم يكن آباؤنا يتوقعونه ، لان جميع العلاقات بين الرجال والنساء آخذة في التغيير نتيجة هذا العامل ، ويجب على القانون الاخلاقي في المستقبل ان يدخل في حسابه هذه التسهيلات الجديدة التي جاءت بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة » .

حتى ان في بعض الدور التي أعدت للعبادة والصلاة ، فبعد ان ينتهي الاب من الموعظة في الكنيسة الامريكية ، يطفيء الانوار الكبرى ويضيء المصابيح الخافتة المغرية بالخلسة ويدير اسطوانات الرقص للشباب والفتيات بنفسه . وهكذا تعمل النظرية القائلة : دعه يعمل : (Laissez faire) بلا حواجز . فأدت الى تفسخ مرير في الاخلاق والانفس .

وهكذا نرى ان ليست هنالك أية صلة بين الكمال النفسي ، وما يتعلمه الانسان من دساتير في الفيزياء والكيمياء وما يكتشفه من قوانين في الفلك أو الرياضيات او دساتير تتعلق بعلم الاجتماع أو علم آثار النفس او ما يضعه من قوانين لتنظيم شؤون الناس . انهما : أي الكمال النفسي والانتاج العلمي وأعني به العلم المادي او القوانين البشرية الموضوعة ، من واديين مختلفين .

فالكمـــال النفسي يتأتى من تطبيق دساتير السماء ومراقبة النفس في خلواتها والخشوع امام عظمة الله التي لاتتناهى والاستغفار بشتى أنواعه ، والآخر ، واعني به العلم المادي او الثقافة العصرية عملية ذكائية وفكرية يقوم بها العالم المادي ، بغية الكشف او نيل درجة في الاوساط الاجتماعية او الشهرة بين الناس .

ولا مراء ان الانسان مهما سما وتعالى لا يأتي بسنن اخلاقية رصينة

ودساتير تكاملية ناصعة لنقائص في نفسه ، فوجب ان يتبع العالم المادي سنن الانبياء (ع) لو أراد التكامل الناصع الذي لا شائبة فيه ، لان الله تعالى هو الذي وضع سنن تكامل النفس الانسانية وأوحاها الى أنبيائه (ع) ليهدوا الناس سواء السبيل .

فالعلم المادي والتعرف الى ما أودع الله تعالى من دساتير في عالم الفيزياء والكيمياء وفي الميكانيك السماوي والارضي ومن قابليات النمو والتكاثر والتنوع في حياة النبات والحيوان يزيد في ايمان الشخص ويعطيه من الاطمئنان ما ترتاح له النفوس ، فالعلوم الطبيعية منافذ ينفذ منها التفكير الانساني ليرى ما أودع الله تعالى من دقيق الصنع في هذا الكون الرحيب .

فالمعارف الإلهية وتعاليم الانبياء (ع) تفتح القلوب وتجعلها متدرجة نحو الكمال المنشود .

فقد قال علي عليه أفضل الصلاة والسلام ، بالنسبة الى المعارف الالهية ومعرفة الله تعالى ، الى كميل :

« يا كميل ، ان هذه القلوب اوعية ، فخيرها اوعاها للعلم ، احفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة ، عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع[1] ، اتباع كل ناعق غاوٍ ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق » .

هؤلاء الذين يميلون مع كل ريح هم أولئك الماديون المثقفون بثقافة

---

(١) همج رعاع : الهمج ذباب صغير كالبعوض ، يقع على وجوه الغنم ، والرعاع : الاحداث الطغام أي أوغاد الناس .

العصر ، من طب وكيمياء وفيزياء ونبات وعلم طبقات الارض ... الى ماهنالك فلم يتعرفوا الى المعارف الإلهية وعوالم ما بعد الطبيعة ولم يعملوا لاجل التدرج في عوالم تكامل النفس ، فصاروا أشبه شيء بدابة همشها علفها ، لم يستضيئوا بنور العلم الإلهي ولم يلجأو الى ركن وثيق ، فصاروا لايخشون الله تبارك وتعالى مع كونهم من العلماء في عوالم المادة ، فلا ينطبق عليهم قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » [1] ، ذلك لان المراد في هذه الآية من كلمة « العلماء » اولئك الذين يذكرهم علي عليه السلام بقوله : « فخيرها اوعاها للعلم » .

نعم ، ان هؤلاء قد قست قلوبهم وصار عليها غشاوة حجبت عنهم مشاهدة أنوار القدس من جراء أنواع الفسوق والآثام . وقد جاء في الحديث « ما ضرب ابن آدم بعقوبة أشد من قسوة القلب » وان القلب ليقسو من :

١ ـ ترك ذكر الله تعالى .

٢ ـ كثرة الاكل والشرب ، ففي الحديث : لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء .

٣ ـ لقمة الشبهة ، اي من مال مشكوك حليّته او من مال غير مزكى او غير مخمّس ، الخ ، ففي الحديث : « في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب » .

٤ ـ كثرة أكل اللحم ، ففي الحديث : « لا تجعلوا بطونكم قبور الحيوانات » .

٥ ـ التعجيل في الاكل .

---

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

٦ — كبر اللقمة .

٧ — تأخير الصلاة عن وقت الفضيلة ، « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » [١] .

٨ — كثرة الكلام ، لقوله تعالى « والذين هم عن اللغو معرضون » [٢] .

٩ — الاكل بالشمال ، أي : باليد اليسرى .

١٠ — كثرة النوم ، لقوله تعالى : « كانوا قليلا ما يهجعون » [٣] .

١١ — كثرة الضحك ، ففي الحديث : « لا يكمل ايمان احدكم حتى يترك المزاح جده وهزله » .

١٢ — الهمّ بالدنيا للدنيا ، لقوله تعالى : « لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ، ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » [٤] .

١٣ — طول الامل . ففي الحديث عن رسول الله (ص) : « ان أخوف ما اخافه عليكم اثنان ، اتباع الهوى وطول الامل ، اما اتباع الهوى ، فيصد عن الحق ، واما طول الامل فينسي الآخرة .

١٤ — كثرة المال ، لقوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » [٥] ، ولقوله تعالى بالنسبة الى قارون : « فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين

---

(١) سورة الماعون : ٤ — ٥ .
(٢) سورة المؤمنون : ٣ .
(٣) سورة الذاريات : ١٧ .
(٤) سورة آل عمران : ١٩٦ — ١٩٧ .
(٥) سورة الكهف : ٤٦ .

أوتوا العلم [١] ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الارض . فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » [٢] .

١٥ ــ مجالسة الانذال ، فقد جاء في الحديث : « عاشروا من يذكركم الله » .

١٦ ــ الخلوة بالنساء . فان الشيطان هو الثالث لهما كما جاء في مضمون حديث .

١٧ ــ مجالسة الاغنياء .

١٨ ــ مجالسة الضال والجائر في الحكم . « ولا تركنوا الى الذين ظلموا ، فتمسكم النار » [٣]

١٩ ــ ترك مجالسة العلماء ، فقد جاء في الحديث : « النظر الى وجه العالم عبادة » .

نعم ، اذا ماتت النفوس بشهواتها ومراقصها واستهتارها ، شقيت ، وللشقي علامات وامارات ، فعن رسول الله (ص) : «علامات الشقاء أربعة : نسيان الذنوب السابقة ، وذكر الحسنات الماضية ، لا يدري قبلت ام ردت والنظر الى من فوقه في الدنيا ، والنظر الى من دونه في الدين » .

* * *

يقول (روبرت هتشنس) بالنسبة الى العلم المادي : « لقد بلغ العلم

(١) يراد بهذا العلم : المعارف الالهية .
(٢) سورة القصص : ٧٩ ــ ٨١ .
(٣) سورة هود : ١١٤ .

في آن واحد الى الاوج في المعرفة والتكنولوجيا [١] والتحكم في الطبيعة، والى الحضيض في حياته الاخلاقية والسياسية » .

فهذا القول ان دل على شيء ، فانما يدل ان ليس للعلم المادي ، ومختلف الدساتير في الرياضيات أي أثر في توجيه الانسان نحو الكمال وايجاد سياسة عالمية ترتاح لها النفوس ويرتضيها الله تبارك وتعالى .

ويؤيّد ما اقول : قول أحد اعضاء مجلس الوزراء الامريكي «اندرسن» (وهو رجل في مقتبل عمره ، متمالك لقواه العقلية وقد كان أستاذا للقانون): « اذا كان للانسان ان يحكم على نفسه بشكل موثوق ، فان المقاييس التي يستخدمها للحكم على سلوكه يجب أن تكون ، بالضرورة ، من الطراز الذي يتعدى قدرته على تحويرها او تحديدها ، اذ لو اعطي القدرة على تحديد هذه المقاييس لاضحت حتما ما يريدها ان تكون ، وعليه ، فان ما لدي الآن من قدرة غير محدودة على تبرير الامور قد يجعل الاكاذيب تبدو عند ذاك وكأنها حقائق ، والخديعة وكأنها تتجلبب ثوب الشرف ، والاضطهاد وكأنه يستخدم مكان العدالة ، هذه بالنسبة اليّ ، هي الخطيئة الكبرى للفلسفات المادية والانسانية ولكل منهج فلسفي آخر لايقر بوجود مستقل لقيم اخلاقية وروحية مطلقة ... هذه القيم هي روحية مطلقة لا مادية نسبية ، وهي أعلى وأبعد من ان يصل اليها الانسان في تطوره . وعلى الانسان ان يدرك انها قيم ثابتة أزلية من صنع الله . وعليه ان لايتصور انها ملك خاص لعقله يكيفها لتنطبق على كل حالة عارضة . وعلى هذا فاننا نؤكد اعتقادنا بوجود مصدر

---

(١) التكنولوجيا : Technologie العلم الذي يبحث عن تاريخ واصول الفنون والصنايع على اختلاف انواعها .

إلهي للقيم الروحية المطلقة ، ونرى انه لا يجوز للانسان ان يعمل فيها يد الهدم والتخريب » (١) .

ولو كان قد تشرف (اندرسن) بالدين الاسلامي العظيم لوجد في الاسلام من التعاليم ما يجعله ان يقول : ان حياة الانسان في النشأتين تتوقف على اعتناقه دين الاسلام . فهو حقا ، حياة القلوب : « يا ايها الذين آمنوا ، استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » (١) . « أو مَن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون » (٢) .

* * *

العلم المادي لا يرتقي بالنفوس الى معالم القدس ولا يعترف بالغيب ، والاعتراف بالغيب انما هو رشحات النفوس الزكية ، تلك التي اتصفت بالتقوى : « الم ، ذلك الكتاب لاريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب » (٣) .

كيف يؤمن بالغيب من اظلمّت نفسه بالمادية الصماء ، كيف يؤمن بالغيب من أتخذ الفحشاء شعارا والخمرة دثارا . لايؤمن بالغيب الا الاتقياء الخاشعون فلابد للمؤمن بالغيب من خشيةٍ في خلواته : فيما بينه وبين ربه ، فان لم يكن هناك خوف وخشية فلا قبول للمعارف الإلهية ، بل يقوم مقامه الجحود والاستهزاء . وقد جاء في الحديث : « رأس الحكمة مخافة الله » . « ولقد

(1) R. B. Anderson . , Time , October 26 . 1953 . P . 27 .

(١) سورة الانفال : ٢٤ .
(٢) سورة الانعام : ١٢٢ .
(٣) سورة البقرة : ١ — ٣ .

آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءاً وذكراً للمتقين،الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون (١) » (٢) .

* * *

فالفرق بالنسبة الى الاخلاه والعقيدة في القديم والجديد انه قد وجدت مذاهب ونظريات في القديم كانت تبرر الانحراف والتحلل دون أن تلبّس ثوبا علميا . ولكن اليوم تلبس هذه النظريات والمذاهب الهدامة للنفوس والمميتة للارواح ثوبا علميا ويبرهن على صحتها بما يترشح (من عنديات) من نفوس اظلمت بفجورها ومجونها ، فأصبحت مدلهمة لاينفذ اليها بصيص من نور الحق والواقع .

وقد يغري الشاب مجاملة بعض الغربيين لاسيما أهل فرنسا . فيقول : انهم ظرفاء ، مهذبون . نعم ، انهم ظرفاء للمنفعة . فحين يستقبلك اهل باريس بالادب والظرف و (الاتيكت) ويمنحونك عواطفهم انما يريدون ان تنفق في فرنسا أكثر ما تستطيع انفاقه من النقود ! .

* * *

ان الله تعالى يفتح على هذا الانسان أبواب رحمته كي يقربه من الاعتراف بالغيب ولكي يزيد في ايمانه بشتى الطرق ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » (٣) « سأريكم آياتي ، فلا تستعجلون » (٤) ومنها : الرؤيا . فكم من رؤيا تشير ان هناك عالما آخر وراء المادية الحالكة وأن المدبّر للأمور هو الله تعالى ...

---

(١) مشفقون : خائفون .
(٢) سورة الانبياء : ٤٨ — ٤٩ .
(٣) حم — سجدة : ٥٣ .
(٤) سورة الانبياء : ٣٧ .

فقد ذكر لي أحدهم انه رأى والده في عالم الطيف يقول له : ولدى ، إن لصديقي : (الروحاني) مشكلتة ، عليك ان تحلها وتدفعها عنه .

يقول : فذهبت عند الصباح الى بيته ورأيته قد حمل بساطا له في سيارة يريد الذهاب به الى السوق ليبيعه ، فيقضي دينه الذي طولب به حثيثا فسألته عن مقدار الدين ، فقال لي (١٠٠) دينار . فدفعت اليه المبلغ امتثالا لامر والدي . وأرجعت بساطه الى بيته .

كيف يفسر لنا المادي هـذا الطيف مع ان الرجل يدعى انه لم يلاق (الروحاني) منذ أكثر من ستة أشهر .

ذكر لي استاذي في الاصول انه ضايقه صاحب الدار ببدل الايجار مضايقة شديدة ، وهو لايملك ما يدفع به بدل الايجار ، فأمسى في قلق شديد . وصار يتوسل الى الله تعالى في أن يمنّ عليه بحلّ مشكلته ، فاذا بالباب تطرق ، يفتح الباب ، فيرى صاحب الدار قد جاء معتذرا قائلا : « إبقَ في الدار ما شئت ، ولا أطالبك بعد هذا بشيء ، ذلك لاني رأيت في عالم الرؤيا مَن يهددني بالقضاء عليّ والهلاك ان أنا طالبتك بشيء من بدل الايجار » .

أنى للصدفة أن تلعب دورا في هذه الرؤيا مع تنوع المراتب والمراحل ، وإن حساب الاحتمالات كما اسلفنا ، يجعل الصدفة في مرتبة الصفر لو تعددت المراحل ، ولقد جُرِّب ان الشخص لو فكّر في موضوع فانه لا يراه كما يريد في طيفه ، خلافا لما يظنه البعض .

فالايمان بالغيب لايرتضيه المادي ولا يعترف به ويراه خرافة ورجعية وتقهقرا الى ما هنالك من تعابير . وان اختلاف التعابير وتعددها لا ينفي ما

هو واقع مشاهد كالملموس . كيف يؤمن بالغيب من اظلمت نفسه وتلوثت جوارحه ولم يفكر في توبة او تكفير ، فان الذنوب اذا تراكمت اصبحت حجابا حاجزا دون رؤية الحق والواقع ، فيصدأ القلب فلا يبقى فيه نور يبصر به عوالم الغيب « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (١) .

نعم ، أن استعمال الـ (هروئين) من قبل بعض الشباب المثقف والتفسخ الخلقي الفظيع بين الشباب والشابات وسهولة الحصول على المرأة زميلة في العمل وفي الشارع وفي دور التعليم وفنون الاغراء التي زوّدت المرأة بها عن طريق الصحافة والاذاعة والسينما ثم التليفزيون والبغاء المتاح في جميع صوره والوانه من بيوت للدعارة رسمية وغير رسمية ومسارح وملاه تصطاد الزبائن وتقدم لهم البضاعة الدنسة والتوجيه الفكري بأن الحياة خلقت للاستمتاع ، ثم فقدان أولاد تتراوح أعمارهم بين (١٥ — ٢٠) سنة بعدد لايستهان به كل يوم واضطراب أهليهم وذويهم لاجلهم ، وما يجري بواسطة التلفونات من تواصل غير مشروع وما نلمسه من فراغ عقائدي نتيجة هذا التفسخ المرير، كل ذلك يدل على ان الطريقة العلمانية في الحكم او اصلاح المجتمع من حيث الصفات الكريمة والفضائل دون خشية الله ومراقبة الله أي دون التمسك بتعاليم السماء وسنة أهل البيت عليهم السلام تؤدي الى أنهيار النفوس ومن ثمّ الى الهلاك والثبور . تؤدي الى قلق نفسي وأنواع الانتحار وأمراض عصبية وشذوذ ومرض وجنون ! كما نشاهد اليوم .

انه تعالى يقول : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والارض

---

(١) سورة المطففين : ١٤ .

ومن فيهن » [١] .

فلله شريعته الغرّاء ولا نجاة لهذا البشر الا باتباعها « ثم جعلناك على شريعة من الامر . فاتّبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون » [٢] .

فلا علاج لاصلاح هذا البشر الا بأن يتمسك بتعاليم السماء وان لايقتصر على ما أنتجته التجارب البشرية في حقول العلوم المادية أو الاجتماعية فان العلوم المادية لاتمت الى الكمال النفسي بأية صلة ، وليست منه في شيء واما العلوم الاجتماعية ، فهي علوم بشرية حالكة ، مضطربة ، متغيرة ، ان اصلحت جانبا ، فانها تفسد جوانب أخرى كثيرة ، ولا تهيّىء الفرد لآخرة سعيدة ولا توجهه نحو الكمال النفسي ، ذلك الكمال الذي يرتضيه الله تعالى لعباده الصالحين .

فلابدّ لهذا الانسان إن أراد السير في مدارج الكمال ان يتمسك بكتاب الله والعترة الطاهرة على حد قول علي عليه السلام حيث يقول :

« إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، خلّف فيكم كتاب الله وأهل بيته ، فعندهم علم ما تأتون وما تتقون ، وهم الطريق الواضح والنور اللائح وأركان الارض القوامون بالقسط [٣] . بنورهم يستضاء ، وبهديهم يُقتدى من شجرة كرم منبتُها ، فثبت اصلها وبسق [٤] فرعها وطاب جناها [٥] . نبتت في مستقر الحرَم وسقيت ماءالكرَم . وصفَت من الاقذاء [٦] والادناس وتُخيِّرت من أطيب مواليد الناس . فلا تزولوا عنهم فتفرقوا [٧] ، ولا

(١) سورة المؤمنون : ٧١ .
(٢) سورة الجاثية : ١٧ .
(٣) العدل .
(٤) طال فرعها وارتفع الى السماء.
(٥) طاب ثمرها (٦) الاقذاء جمع قذى ، وهو ما يسقط في العين والشراب
(٧) أي تفترقوا فتذهب قوتكم .

تنحرفوا عنهم فتمزّقوا [٣] . والزموهم تهتدوا وترشُدوا ، واخلفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم بأحسن الخلافة ، فقد أخبركم أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، أعني كتاب الله وذريته » [٤] .

فقد جاءنا من جانب الله تعالى : « نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » [٥] .

« يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » [٦] .

---

(٣) أي تصيروا متمزقين فى كل واد لايهديكم هاد ولا يجمعكم جامع .
(٤) من كتاب : دستور معالم الحكم . للقضاعي .
(٥) سورة المائدة : ١٥ — ١٦ .
(٦) سورة الاحزاب : ٤٥ — ٤٧ .

الاسلام هو الدين العالمي في مستقبل قريب

مما لامراء فيه ان الله تبارك وتعالى قد أودع في النفس الانسانية غريزة التوجه اليه تعالى والاعتراف بربوبيته وهو القائل : « هو الذي يسيِّركم في البر والبحر ، حتى اذا كنتم في الفلك وجَرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق ، يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ، متاع الحياة الدنيا ، ثم الينا مرجعكم ، فننبئكم بما كنتم تعملون » . (سورة يونس : ٢٢ — ٢٣) .

« واذا مسَّكم الضرُّ في البحر ضلَّ من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا » [١] . « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون [٢] . « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد [٣] ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختَّار كفور » [٤] . فان هذه الغريزة : التوجه الى الحق المتعال عند الشدائد والمحن متأصلة في نفس الانسان يشعر به من بقي على فطرته السليمة الى حدٍّ ما : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » [٥] . فان الطفل حسبما اودع الله فيه من غريزة التوجه

(١) سورة الاسراء : ٦٧ . (٢) سورة العنكبوت : ٦٥ .
(٣) مقتصد : متوسط بين الكفر والايمان ، ختار : غدار .
(٤) سورة لقمان : ٣١ . (٥) سورة الروم ٣٠ .

اليه يشعر بعد أن يبلغ الخامسة او السادسة من عمره بقوة خارقة مهيمنة عليه ، يستعين بها ويتوجه اليها في الشدائد وهذا المهيمن اللانهائي في صفاته وكمالاته هو الله تعالى وهكذا كل مَن في السماوات والارض مضطر بأن يتوجه الى الحق المتعال بصورة فطرية وهو القائل :

« وله اسلم مَن في السماوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون » .
(سورة آل عمران : ٨٣) .

حتى ان الجمادات اسلمت لله تعالى في حركاتها وقوانينها التي أودعها الله فيها ، فهي مطيعة منقادة مُسيرة ، ليس لها أن تنحرف عما رسم لها قيد شعرة : « وان من شيء الا يسبح بحمده » الا ترى : ان الالكترون يدور حول البروتون في باطن الذرة بسرعة ٢٠٠٠ كيلو متر في الثانية بشكل أهليليجي ، فهذا نوع تسليم الى مشيئة الله تعالى ونوع انقياد واسلام يتناسب مع حياة الذرة ، كذلك تتجاذب الاجسام او الكرات مستسلمة الى أمر الله حسبما اودع فيها من قانون :

$$ق = ى \frac{ك ك'}{م^{٢}}$$

(قوة الجذب بين كتلتين ، ك ، كَ) تتناسب طرديا مع حاصل ضربهما وعكسيا مع مربع المسافة بينهما ، و (ى) هي النسبة الثابتة ومقدارها :

$$\frac{١}{١٥\,٠٠٠\,٠٠٠\,٠٠٠}$$ من ثقل الغرام .

ويقول الله تعالى في هذا المقام :

« ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده »[1] .

وكذلك الرقاص يطيع الله تعالى في تذبذبه وحركاته التابعة لقانون وضعه الله تعالى :

$$ن = ٢ ط \sqrt{\frac{ل}{جـ}}$$

فان مدة الذبذبة الواحدة لهذا الرقاص يتناسب طرديا مع جذر طول الرقاص وعكسيا مع التعجيل الارضي ، و (ط) هي النسبة الثابتة وتساوي

٢٢

٣ر١٤١٦ أو ـــــ تقريبا .

٧

وان حدوث الماء من امتزاج حجمين من الايدروجين (H_2) مع حجم من الاوكسجين (O) بعد افراز تيار كهربائي نوع تسبيح الله تعالى

وان التيار الكهربائي يسبح الله تعالى باتباعه قانونا من الله على (جورج

ف

سيمون اوم) الفيزيائي الالماني الشهير بأكتشافه : ت = ـــــ أي شدة

م

التيار تتناسب طرديا مع الجهد الكهربائي وعكسيا مع مقاومة السلك .

ومئات القوانين في الفيزياء العالية كلها أدلة واضحة على تسبيح كل شيء في أرضنا هذه لله تبارك وتعالى وكم من قوانين فيزيائية في كواكب اخرى ومجرات لا تعد لا تشبه ما على الارض من قوانين لاختلاف الشروط والاحوال لايعلمها الا الله تعالى : « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام

(١) سورة فاطر : ٤١ .

والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم »[١] .

وما أعظم قول الله تعالى حين يقول :

إن كل من في السماوات والارض إلا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتية يوم القيامة فردا »[٢] .

فحين يعمل جهاز الرادار الذي وضعه الله تعالى بفضله في جسم الوطواط دون حاجة من الحيوان الى انتباه أو اصلاح انما يسبح الله تعالى أيما تسبيح وان عمليات الهضم والامتصاص في الجسم الانساني والتفاعلات الكيموية التي تنطوي عليها والخميرة التي تقوم بكل تفاعل والخرائط التي تبين التفاعلات الدائرية العديدة وما يدور بين كل منها والآخر من تفاعلات اخرى والجذور حين تمتص المواد الكيمياوية من التراب ويوصلها الى الاغصان فالاوراق وعملية التنفس والتغذي بالهواء المحيط كل اولئك استسلام لامر الله تعالى دون زيغ او حيد . وفي الوقت نفسه يوحي ان وراء كل ذلك النظام خالقا اعلى نظم الكون ابدع تنظيم ولم يكن الانسان في جميع هذه المعلومات الا مستكشفا عما أودع الله من قوانين وخصائص ، بلطف منه تعالى .

فكل شيء في هذا الكون حتى الطير يسبح لله تعالى بأنواع التسبيح ، وله صلاته الخاصة به وقد أسلم وجهه الى الله : « ألم تر ان الله يسبح له من في السماوات والارض والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون »[٣] .

وهكذا الرعد يسبح لله تعالى بتسبيح لا نفهمه على حد قوله تعالى : « ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته »[٤] .

« وله من في السماوات والارض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ .
(٢) سورة مريم : ٩٣ — ٩٥ .
(٣) سورة النور : ٤١ .
(٤) سورة الرعد : ١٣ .

ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون » . (سورة الانبياء : ١٩ ، ٢٠) .

فالتسبيح انما هو تقديس الله تعالى وتنزيهه عن كل نقص وهو توجه الى الله تعالى واستسلام واسلام .

والاسلام دين الله في أرضه منذ ان خلق السدم والكواكب والشموس والمجرات والنبات والحيوان والانسان ، والاسلام دين الله منذ ان بعث آدم (ع) نبيا ،ودين الانبياء جميعا ، وقدقال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ، ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم » (٣) « قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، ان اتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين » (٤) .

وان دين ابراهيم عليه السلام هو « الاسلام » وكان حنيفا مسلما على حد قوله تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (٥) .

« يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا وأعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج . ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس . فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله ، هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » (٦) .

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في

---

(٣) سورة حم ـ سجدة : ٤٣ .
(٤) سورة الاحقاف : ٩.
(٥) سورة آل عمران : ٦٧ .
(٦) سورة الحج : ٧٧ ـ ٧٨ .

الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذا قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يابني ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٧) .

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا . انك أنت السميع العليم . ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم » (سورة البقرة : ١٢٧ — ١٢٨) .

كانت التوراة تدعو الى الاسلام ، وذلك بقوله تعالى « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا » (٨) .

وان حواريّ عيسى كانوا مسلمين : « واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي ، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » (٩) .

« فلما أحس عيسى منهم الكفر . قال : من أنصاري الى الله . قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون » (١٠) .

وان سحرة فرعون قد أسلموا أيضا ، وذلك بقوله تعالى : « وما تنقم منا ، الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » (١١)

ان يوسف (ع) كان من المسلمين : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السماوات والارض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين » (١٢) .

ويقول الله تعالى في قصة لوط (ع) : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين

---

(٧) سورة البقرة : ١٣١ — ١٣٢ .
(٨) سورة المائدة : ٤٤ .
(٩) سورة المائدة : ١١١ .
(١٠) سورة آل عمران : ٥٢ .
(١١) سورة الاعراف : ١٢٥ .
(١٢) سورة يوسف : ١٠١ .

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » [١٣] .

فكل شيء أسلم وجهه لله من جماد ونبات وحيوان ولابد لهذا الانسان الذي منّ الله عليه بعظيم النعم وسخر له الشمس والقمر ورزقه من الطيبات أن يسلم وجهه لله تعالى وان لايحيد عن سنة الله في أرضه وسمائه ، وهو القائل : « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور [١٤] ولذلك ما من شيء يقرب العبد الى الله تعالى كجلب الناس ولا سيما الشباب الى حظيرة الاسلام في أرجاء الارض « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » [١٥] . « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغني عن العالمين » [١٦] .

وقد انبرى في السنوات الاخيرة ثلة من المسلمين للدعوة الى الاسلام ونشر حقائق الاسلام . دين الله الخالد في الكون الرحيب ، فتأسس مركز اسلامي باسم Islamue Center . 333 في جنيف (سويسرا) ويصدر هذا المركز مجلة « المسلمون » .

ويزداد عدد المسلمين في أفريقيا في كل سنة مئات الآلاف ، والافريقيون يرحبون بالاسلام أيما ترحيب ، ذلك لان الاسلام في نظرهم يأبى الاستعباد والاستعمار ، وهو دين الحرية والانطلاق . لذلك يوفد ثلة من المبشرين بالدين الاسلامي والدعاة من قبل الجامع الازهر في مصر وكلية الشريعة في دمشق الى أفريقيا وغيرهامن البلاد.وأما فيالايامالاخيرة فقد تأسستجمعيات اسلامية متعددة في انحاء العالم . وهم يوجهون نداءاتهم الى العالم الاسلامي

(١٣) سورة الذاريات : ٣٦ .
(١٤) سورة لقمان : ٢٢ .
(١٥) سورة التوبة : ٢٠ .
(١٦) سورة العنكبوت : ٦ .

لإرسال دعاة مجاهدين يقومون بدعوة اسلامية شاملة ، فاليابان أرض خصبة للدعوة الى الاسلام • وفي الهند فعاليات مشكورة لنشر حقائق الاسلام بشتى اللغات • وقد شيد مسجد فخم في هانبورك : (هانبورغ) بألمانيا الغربية ويسلم كل يوم نفر من الالمان ، ويعملون بما نص عليه الدين الاسلامي •

* * *

ومن الطريف جدا ان أنقل هنا باختصار من مجلة حضارة الاسلام [1] أسلام امرأة فرنسية من مواليد بلجيكا اسمها (بوليت گيو) • كانت تسكن في شقة بناء في حي فخم بجوار بحيرتي (أكسل) على مقربة من جامعة بروكسل عاصمة بلجيكا • وكان نزيلا الدور الثاني من هذا البناء (محمد وعدنان) من الطلاب السوريين •

وكان مألوفا ان يتلاقى محمد وعدنان وهذه الجارة الفرنسية (بوليت گيو) معظم الايام على مدخل الدار السفلي ، او اثناء الدرج ، فلا يكون بينهم اكثر من تحية طائرة تفرضها المجاملة ، دون ان تجر وراءها كلمة واحدة•

وان هذه الامرأة الفرنسية (بوليت گيو) كانت تعتني عناية صارخة بزينتها اليومية الى حد الافراط ، فكانت انموذجا من الاستهتار الذي لايقيم وزنا لاي مقياس او تقدير • ومع ذلك فهي تمر بالطالبين السوريين وزائريهما كما تمر بالآخرين من الناس في الشارع والترام والسيارة والشركة التي كانت تعمل فيها كسكرتيرة لمديرها • انها ما كانت تثبت نظرها في أي وجه ، الا بمقدار ما يتطلب الموقف • فكان غرضها الوحيد من ذلك الاستهتار هو فقط أجتذاب الابصار وأثارة الفضول دون أي شيء آخر •• !

— ٢ —

وحدث ذات يوم ان محمدا ، وهو اكبر الطالبين ، قد عاد من اجازته الصيفية ، ليستأنف دراسته بقسم الدكتوراه في الكيمياء الصيدلية ، وكذأبهما

(١) مجلة حضارة الاسلام ، العدد السادس والسابع من السنة الرابعة.

في مثل هذه المناسبة كان عليه أن يخص جيرانه ببعض الهدايا الشرقية . فملأ لصاحبي البناء طبقا من الحلوى ، ثم مضى بمثله الى الجارة المجهولة ، هـذه الفرنسية (بوليت گيو) ولما اطلّت الجارة الفرنسية تتعرف الطارق ، فوجئت بما لم تتوقع ، وجمدت قليلا قبل ان ترد تحيته ، ثم سألت في لهجة لم تخلُ من الاستغراب : ماذا ؟

ومد محمد يده بالطبق الشهي ، وهو يقول : انها هدية صغيرة من حلويات دمشق ، قدمت مثلها الى جيراننا الآخرين ، فهل تتكرمين بقبولها • تناولت (بوليت) الهدية شاكرة • ودعته الى الدخول ، وألحت بذلك . فلم يسعه الا الاستجابة ، واتخذ مجلسه في الغرفة ، ودخلت (بوليت) بالهدية الى غرفة الطعام ، ثم عادت ومعها صحفة فضية يعلوها قدح صغير مذهّب وانحنت وهي تقدمه اليه ، ولكن محمدا وضع يده على صدره وهو يعتذر : سأكون شاكرا اذا اعفيتيني •

ـ ولكنها خمر جيدة ، من احسن انواع الكونياك •

ـ لا اشك في حسن ذوقك ، ولكن لا اشرب الخمر ••

ـ لماذا ؟؟ ••

ـ لانني مسلم •

ـ مسلم !!!

وانزلقت الكلمة في عفوية ممزوجة بالدهشة وجمدت عيناها لحظة على وجه ضيفها ، كأنها تريد ان تتبين خصائص هذه الكلمة الغريبة من خلال ملامحه وقسماته •

ولم تشأ ان تحرج الفتى بالالحاح ، فوضعت الكأس في الصحفة الفضية على النَضد النصفي ، ثم أخذت مجلسها في مقعد مجاور ، وجعلت تنظر اليه ، وهي تقول : الاسلام ! هذا شيء أذكر اني قرأت عنه في بعض الكتب ، وقد

اعجبني منه دعوته الى النظافة .

فقال محمد : ان النظافة في الاسلام من الصفات الاساسية ، ولكني أرجو مع ذلك ان يكون الكتاب الذي قرأتِه عنه من الكتب النظيفة ، التي لاتتعمد تشويه الحق .

فقالت : الحق أنني لم أقرأ الكثير عن هذا الدين الشرقي ، ولم اتعمد البحث عن مضمونه .

فقال محمد : فهل ترغبين في قراءة شيء عن الاسلام ؟ .. لدي كتاب بالفرنسية ، ذو أسلوب ادبي معجب ، وفيه كثير من الحقائق الموضوعية عن هذا الدين الإلهي .

فقالت (بوليت) سأكون شاكرة اذا أعرتني هذا الكتاب ما دمت واثقا من موضوعيته .

ولم يشأ ان يؤخر الامر ، فاستأذن ليأتيها به ، وما هي الا دقيقتان حتى أقبل عليها ، وهو يقول : انه مقدمة لكتاب ضخم ألفه مصري اسمه (عبد الله دراز) بعنوان (أخلاق القرآن) ، لينال به أجازته الدكتوراه من باريس .

— ٣ —

كانت شقة محمد واخيه عدنان اشبه بمكتبة الجامعة ، يرتادها العديد من طلاب العرب في مختلف أوقات النهار . وقد تطور أمرها أخيرا ، حتى أصبح بين روادها الافريقي الاسود ، والهندي الاحمر والاسباني الإبيض . وبذلك لم يقف دور الشقة عند حدود المذاكرات الجامعية ، بل تجاوزها الى المدارسات الاسلامية ، والعبادات واقامة الفرائض ، وطبيعي ان هؤلاء الرواد لم يكونوا من طبقة الطلاب وحدها ، بل تعددت مستوياتهم كما تعددت جنسياتهم ففيهم الطالب والعامل والتاجر ، والفقير والثري ، يفدون الى الدار من أنحاء العاصمة ، ليتعاونوا على فهم دينهم ، وتجديد عقيدتهم ، والبحث في شؤون

شعوبهم ، وأوطانهم • وقد رأوا أخيرا ان يخصصوا يوما في الاسبوع يتلاقون فيه على حصص منظمة من الدراسة والعبادة ، فحصص للقرآن ، وأخرى للحديث ، ومثلها للفقه ، ووقت خاص لبعض المؤلفات الاسلامية الحديثة وفترات خاصة للاستجمام وللعبادة ، وهكذا كان يوم الاثنين من كل اسبوع هو اليوم الجامع لهؤلاء الرفاق • يتزودون منه بما يعوزهم لبقية الايام ، ويتهيئون له بالافكار الجديدة والاسئلة العديدة •

وفي جو هذه الاجتماعات يتعذر على من يحضرها لاول مرة أن يعرف مؤسسيها ودعاتها • لان روح الاخوة لايدع مجالا لاي تمييز بين الواحد والآخر من روادها • ولكن القدامى منهم يعلمون أن الاخوين الدمشقيين محمدا وعدنان ، هما نقطة الانطلاق والارتكاز في هذا التجمع • وقلما تمضي عليهما ليلة دون أن يحاسبا نفسيهما على ما صنعا في نهارهما • وكانا قد شقّا لنفسيهما طريقا آخر الى عمـل مثمر ، ينسجم مع أخلاقهما التي لم تألف الانحراف عن سبيل الحق • وهكذا انتهيا الى الاتفاق على مخطط مدروس ، ذي شعبتين : أولاهما ذاتية تتركز في تعهد نفسيهما بالجهاد المتصل سواء في حقل الدراسة ، او التهذيب الروحي ، حتى يحصناها من تلك المفاسد التي تكتسح الكثرة من مواطنيهم في مختلف أقطار اوربة ، وأما ثانيتهما ، فموضوعية وبالاصح انسانية ، تستهدف تنظيم الطاقات الاسلامية في نفوس الشباب المؤمن ، ليس فقط في بروكسل ، بل في أي مكان يمكن أن يتاح لهما الاتصال به في بلجيكا وخارجها •

ومنذ ذلك اليوم بدأ نشاطهما في نفسيهما والاقربين من رفاقهما ، ثم قضوا جميعا متعاونين في توسيع مجالات هذا النشاط • حتى استطاعوا أن ينقلوا خطواتهم الاولى في سبيل انشاء المركز الاسلامي الذي يحلمون به • وكان ذلك حين أحرزوا موافقة الحكومة البلجيكية على اعطائهم البناء الخاص

بالحكومة التركية في معرض (بروكسل) ، وهو البناء الذي أنشىء على صورة المسجد بقبته ومنارته • ثم أصبح فارغا معطلا بعد ارفضاض العرض • وهاهم أولاء يعدون عدتهم منذ اليوم ليقيموا فيه صلاة عيد الفطر الذي بات موعده وشيكا • ثم ليجعلوه فيما بعد مسرح نشاطهم الذي لم يعد بمتسع له البيت •

وقد أصبح لديهم مكتبة متنقلة تحتوي على طائفة من أنفس الكتب الاسلامية بالعربية وغيرها ، وتقدم بطريق العارية للرجال والنساء على سواء • ولقيت حركتهم عطفا مشجعا لدى بعض السفارات الاسلامية ، وبخاصة سفارة (السنغال) التي يقوم على رأسها رجل يهمه أمر الاسلام وانتشاره في أصقاع الارض ويحيط به قلة من الموظفين لايقلون عنه حبا للاسلام واهتماما بشؤون المسلمين • ولم تعد حركتهم محصورة في حدود المسلمين وحدهم ، بل بدأت الاتصالات بعناصر مثقفة من البلجيكيين والاوروبيين أنفسهم • وها هو ذا عدد منهم نساء ورجالا يحضرون اجتماعاتهم الاسبوعية ، ليستمعوا الى معاني القرآن والحديث ، وليشاركوا في مناقشة الافكار المختلفة التي تقرأ في بعض هذه الاجتماعات عن الاسلام والمسلمين •

علم محمد أن المرأة الفرنسية تريد ان تترك شقتها الكبيرة في هذا البناء الى شقة صغيرة في بناية أخرى فأقترح على صاحبة البناء ان يقدم شقة كان يسكن فيها هو وأخوه عدنان الى المرأة الفرنسية وهما ينتقلان الى الشقة الكبيرة ، فحصلت الموافقة •

— ٤ —

وعاد الاخوان مساء ليجدا كل شيء قد تم على ما يرام ، بل فوق المرام لقد بدلت الدار بالدار ، ورتبت أشياؤهما من كتب وثياب وحقائب وما الى ذلك مما يملك المسافر في أمكنتها المناسبة من المنزل الجديد ، وكانت الدار

بأثاثها الاصلي الفاخر غاية في الاناقة التي يحلم بها طالب في منزل أجرة (پانسيون) • فأستشعرا روح الهناءة ، ووقفا هنيئة يخططان للاجتماعات المقبلة ، ولم ينسيا ان يخصصا قاعة مناسبة لصلاة الجماعة وقيام الليل المشترك في أوقاته الاسبوعية • وشد ما أدهشهم منظر بياضهم مغسولا مطويا ، وثيابهم منظفة مكوية ، وقد نسقت على مشاجبها في الخزائن ! فقدروا فضل الجيران الذين نهضوا بهذا العبء متبرعين ، وفي هذه الآونة فوجئا بالجرس يدق ، ولما فتح الباب أطلت منه المرأة الفرنسية تحييهما وتسألهما اذا كانت ثمة من خدمة اخرى تستطيع تقديمها لهما •• !

واستجابت المرأة لدعوتهما ، فجلست لترشف قدح الشاي الذي صبّ لها ، وقالت ردا على الثناء الذي وجهاه اليها ••• : لم أفعل شيئا كبيرا ، لقد وجدت نفسي في فراغ الاحد ، وكان لابد من نقل أمتعتي الى داركما الاولى كما أتفقنا ، فبدلا من أن أعود فارغة الى فوق ، في كل مرة ، كنت احمل بعض امتعتكما بطريقي ، بمساعدة الجارة الكريمة صاحبة البناء ، ثم وجدت لدي بقية من فراغ فسليت نفسي بأنجاز بعض الاشياء التي قد يضيق وقتكما عن انجازها في الوقت المناسب •

قال عدنان : ولكن هذا كثير ، أيتها الجارة المحترمة •

وقال محمد : لقد وضعتنا بذلك تحت عبء من الفضل قد نعجز عن مكافأته ، وهنا اثبتت قليلا نظرها في وجه الفتى الذي صبغه الحياء ، وبرق ببوادر الشعور بالجميل ••• ثم قالت : « بل لعل الامر على العكس ، ولو علمت ما أحدثت عاريتك في نفسي لادركت أنك انت المتفضل •• » •

وفجأة وثب الى خيال محمد صورة تلك الليلة التي طواها وراء ستة أشهر ، وتذكر الكتاب الذي أعارها اياه ••• فقال : ارجو ان يكون وقتك قد أتسع لقراءة الكتاب •••

ـ لقد أعدت قراءته خمس مرات ...

ـ وبالطبع كتبت ملاحظاتك عليه .

ـ الملاحظات كثيرة ... ولكني لم أكتب واحدة منها خارج قلبي ... أجل .. لقد نقشت انطباعاتي بالكتاب هنا ، على صفحة قلبي التي لا تقبل المحو ....

وسكتت ، وسكت الفتيان بما يسمعان . وينظر كل منهما الى الآخر دون كلام ... حتى عادت المرأة تقول : كنت أحسب ان تجاربي الماضية كانت كافية لصرفي نهائيا عن أي تفكير ديني . ولكن هذا الكتاب قد كشف لي بشكل مباغت انني على اتم الجهل بجوهر الدين . وانني لاول مرة أجد نفسي في مواجهة الحقائق الإلهية ، التي قضيت شطرا كبيرا من عمري في البحث عنها بغير طائل .

قال عدنان : ذلك حال طبيعي ، فالقلب الانساني كالقفل الدقيق ، لا يستجيب الا الى مفتاحه ، وليست الحقائق الإلهية الا ذلك المفتاح .

ـ تمثيل رائع ، واستطيع القول بنتيجة خبراتي الشخصية أن هذه الحقائق هي وحدها التي تروي عطش القلب الضائع في صحراء المجهول . وكل تفكير ديني مجرد عنها هو كالماء الملح لايزيد النفس الظامئة الا تلهبا واحتراقا .

وفي غير تعمد انسرب بصر محمد يجول في مظهر هذه المرأة ، كأنه يفتش عن الدليل الذي يؤكد أنها جادة في الذي تقوله . فاذا هو يصطدم بالواقع ، الواقع البعيد عن كل صلة بهذه الحقائق ... !

ان الاحمر الذي يغرق شفتيها .. والركبتين تشدان النظر الى ما وراءهما في إغراء وتح . والضغط الصارخ الذي يلصق الثوب القزم بكل جزء من أنحاء هذا الجسم المصنّع ، والذي لايزال محتفظا بالكثير من مُغريات الفتوة

كل اولئك من شأنه أن يفرغ كلامها المحكم من كل معنى جادٍّ • وبخاصة في مقياسه هو الذي لايستطيع التفريق بين الفضائل الروحية وسلوك مدعيها ولذلك لم يستطع منع وجهه من ابتسامة خفيفة لايفوت الذكي ما وراءها !!••

وعادت الفرنسية الى الكلام : « لقد اطمأن عقلي وقلبي الى هذا الدين وأريد ان اسألكما عن السبيل الى اعتناقه ••• » •

قال محمد : ان مجرد الاقتناع به هو اعتناقه • ويبقى اعلان ذلك بالشهادتين : أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ••

ــ فأنا اشهد ان لا اله الا الله ، لاني مقتنعة من قديم بهذه الحقيقة ، واما رسالة محمد ، فلا ينكرها الا كافر بعقله ، او كاره للحق • فهل أنا اذن مسلمة الآن ؟ !

ــ بالتأكيد ••• ولكن هناك مشكلة •••

ــ مشكلة ! ••• وما هي ؟ •

ــ هي : أن الاسلام نظام كامل •• يؤخذ جملة لا تفاريق ••• وهو يفرض على معتنقه سلوكا معينا ، ومظهرا خاصا ، وخلقا مميزا ••• بحيث يمثل في شخصه المتميز ، الخطوط العملية الكبرى لحقيقته الإلهية •

ــ أدركت هذا من سلوككم •• الذي اعطاني في الواقع كثيرا من التفسيرات التي لم يتسع لها الكتاب • لقد سئمت الاديان التي تفصل بين السلوك الشخصي والمعبد • وتتساهل حتى في الفضائل الرئيسية • فلا تتورع عن استخدام المسابح المختلطة ، والملاهي العابثة ، والمراقص المنكرة ، كوسيلة لاستبقاء الرباط بينها وبين الشباب الطائش ، وكرهت من رجال هذه الاديان بوجه خاص وقوفهم في نطاق الطقوس الرمزية داخل حدود المعبد ، فيفصلون بذلك بين المعبد والشارع • اذ يفصلون بين لحظات العبادة وبقية الحياة • فيكتفون من المتدين ان يظل على صلة بمعبدهم ولو ساعة في الاسبوع

ثم لا عليه بعد ذلك ان ينطلق وراء غرائزه في سباق محموم لا يعترف بأية رقابة لعين الله . ولا أية مسؤولية تجاهه ، وذلك بخلاف الاسلام الذي تبين لي انه من الشمول بحيث يعتبر الارض كلها معبدا ، وكل عمل صالح ما دام المؤمن يأتيه وهو مستهدف رضوان ربه . ومن هنا كان المسلم الحق صورة صحيحة للاسلام ... وهو لاشك سعيد بذلك . لانه لايستشعر أي تناقض بينه وبين قوانين الطبيعة من حوله وفي داخله . بل ، انه ليشعر بديل ذلك بأتم الانسجام بينه وبين الحياة . وأن كل شذوذ عن موجبات هذا الدين مؤدٍ الى شقائه ، لانه تصادم مع مبادىء الحياة نفسها .

وأمسكت قليلا تحدق في ما بين يديها دون تركيز على شيء بعينه ، وقد غرق البهو كله في صمت عميق . وأطرق كل من الفتيين مثلها يسبح في غمرة هذه المعاني ، التي فتحت امام نفسيهما آفاقا ماتعة ، يخيل اليهما أنهما يستشرفانها لاول مرة .

وقطعت الصمت كرة اخرى لتقول : « من أجل ذلك استجابت نفسي كلها لهذا الاسلام . اذ وجدت فيه دعوة الله المتجاوبة مع اعماق الفطرة الانسانية ... وقد صممت على أن اخضع جميع تصرفاتي الى احكامه ... »

ولم يشأ محمد ان يؤخر ملاحظاته او يجمجم بها فقال : « ولو قضت هذه الاحكام بتغيير نظام حياتك كله ! ؟ ... » .

وفي تصميم قاطع أجابت ، وما فائدتي من الاسلام اذا هو لم يغير طريقتي في الحياة ! ... وهل تظن انني كنت راضية عن نفسي ونظام حياتي .. وعن أي شيء مما حولي ! ...

ثق أيها الجار الكريم انني كنت انسانة ضائعة ، بل غريقة ، يتلاعب بها تيار المجتمع على كره منها . ولم تكن تصرفاتي الشخصية جميعها الا محاولة للهروب من الواقع الحائر ، الذي تفرضه علي حضارة لاأؤمن بها

لانها حضارة عوراء ، لاترى من الانسان الاجانبه الجسدي ، ولا تقيم وزنا لاي ظمأ داخلي خارج نطاق المادة ، ولقد كان لقائي بك ليلة الهديةأول صدمة شدتني الى الاتجاه الآخر ، ثم جاء كتاب الدكتور (دراز) فدفعني شوطا بعيدا في هذا الطريق • وكان لطريقة حياتكم في هذا الجوار الطيب أثرها العملي في صيرورتي الى هذا التقرير المطمئن ••• وأنا اليوم بما أدركته من هذا الدين اشعر بأنني عثرت على نفسي ووجدت حقيقتي ، ووضعت قدمي في الطريق السوي ، فكيف لااخضع وجودي كله لحقائق الاسلام• وهو الذي أنقذني من ذلك التمزق ، وهداني السبيل بعد ذلك الضياع الوبيل ••• !

وعقب عدنان على ذلك قائلا : ولكن عناءا جديدا ينتظر القابض على هذا الدين ••• لعل أهون منه قبض الجمر •• إنه يفرض تطهير الجسد كما يفرض تطهير داخله سواء بسواء • ويتطلب من المسلمة بوجه خاص التخلص نهائيا من مثل هذه الثياب الى أشكال اخرى تتم بها الحشمة ، دون تضييق ولا تقصير ولا خلاعة ، حتى الشعر ، لا يأذن بظهوره لاجنبي ••• وهناك صلوات خمس في كل يوم وليلة لا مندوحة من أدائها ••• ثم صيام شهر رمضان الذي نحن فيه هذه الايام • ثم كف النفس عن كل شهوة حرمها الله كالخمر والرقص المختلط ، والخلوة بالاجنبي ••• وأقل ما يجره هـذا الاتجاه هو أن تصبحي هزأة لدى الذين سيرون منك كل هذا التغيير دون مسوغ مقنع في أنظارهم •

وكف عن الكلام ليرى أثره في نفسها ، فاذا هي تقول : اما هذه الثياب فستتغير في أسرع وقت ••• وفي الصلوات الخمس فرص سعيدة يتاح لي فيها أن أروي ظمأ قلبي الى مناجاة الله • وسأجد في الصيام دون ريب متعة رائعة ، اذ تعرفني حاجة الانسان الى نعم الله التي ألِف أن لايعيرها تفكيراً ••

ولقد مجت نفسي تلك الشهوات التي لم تزدني الا استشعارا للفراغ الروحي الذي طالما عانيته ... اماهزء الناس فقد توقعته، ووطنت نفسي على احتمال كل شيء ...

ولم يبق لدى الفتيين ما يقولانه بازاء هذا الاصرار الحاسم .. فاكتفيا بأن قدما اليها الاوراق التي كتب فيها بالفرنسية صيغ الوضوء والصلاة... ومالا مندوحة عن معرفته للمسلم المبتدىء . ثم قال محمد : سنكون جميعا مسرورين باستقبالك اصيل كل اثنين . اذا شئت ان تحضري معنا بعض الدراسات والعبادات...وسترحب بك اخوات من السنغال وألبانيا واندنوسيا وأنحاء اخرى من العالم ...

وقد اختارت (بوليت گيو) الفرنسية لنفسها اسما جديداً (هدى) بعد اعتناقها دين الاسلام ودخلت في صباح اليوم التالي على مدير الشركة البلجيكي فقالت له : لدي خبر، أرى من واجبي اطلاعك عليه لكي لايفاجئك.

وابتسم المدير لسكرتيرته في لطف ابوي وقال : اعرضي ما تريدين..

ــ ابتداءاً من الغد سترون تغيراً بل انقلابا في حياتي كلها ، وأول ما تلمحونه من ذلك في ثيابي التي ستكون ادنى الى أردية الرواهب ...

ــ لعلك راغبة في اللجوء الى الدير ! ?...

ــ كلا .. لا شيء من ذلك .. انما قررت أن أكون مسلمة ...

ــ مسلمة ! .. وهل يعني ذلك أن تتركي الكاثوليكية .. ? ?

ــ هو ذاك ، لان الاسلام شيء غير المسيحية المعروفة كلها...وسأعرفك به عندما تريد ...

ــ ولكن الاسلام كما قرأت وكما أخبرنا بعض القسس يحتقر المرأة... ويجعلها قعيدة بيتها لا تصلح لاي عمل .. !

ــ ذلك من دسائس أعداء الاسلام الذي لا تعرفه مع الاسف الا عن

طريقهم . أما الواقع فهو أن المرأة لم تسترد اعتبارها الانساني الا في ظل الاسلام ... وقد لبثت احقابا لاتعدو منزلة الشياطين في حكم رجال الكنيسة حتى هبت على أوربة نفحات الحضارة الاسلامية عن طريق الاندلس والحروب الصليبية ، فاذا رجال الكنيسة يعدلون رأيهم في المرأة ، ثم لايزالون يعدلونه حتى انتهوا الى الاعتراف ببعض حقوقها التي قررها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ... ومهما يكن فذلك بحث نرجئه الى وقته المناسب . ولكن هذا لن يؤثر في اخلاصي في عملي بل سيزيدني رغبة فيه واتقانا له، لانني بذلك احقق احد تعاليم ديني الجديد ...

ولم ير المدير في أمر سكرتيرته أي أمر ذي بال . ما دام اسلامها لن يحول دون استمرارها على عملها بالنشاط المعتاد نفسه ... وقلب شفتيه ويديه وهو يقول لها : ذلك امر يخصك ولايهمني .

ثم مضت هدى الى زملائها من مستخدمي الشركة ، تنقل اليهم النبأ في لهجة مثقلة بالجد . وأكدت لهم جميعا انهم ينكرون غدا مظهرها الجديد، لانه مخالف لمألوفهم ، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها ، وان يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير ، وأنها لن تسبب شيئا من الازعاج .

وجاء اليوم الثاني ... وغادرت هدى الشقة الى عملها اليومي في زيها الاسلامي الجديد . الذي اعدته لها اختها فاطمة الاندنوسية : ثوب سابغ أبيض يمتد من أعلى النحر الى اسفل الساق . وقد اتسع حتى لايمثل أي عضو تحته . وخمار زبدي اللون ادير على الرأس وحول العنق ، بصورة لااناقة فيها ولا سذاجة. وفي القدمين المجوربتين حذاء قليل الارتفاع لايوحي بأي اغراء او تبذل ... وقد تعمدت ان تكون نظارتاها من اللون الاسود.. لتستطيع حجب تأثرها من الاشياء المزعجة التي تتوقع أن تراها أثناء اليوم. وربما كان أغرب ظواهرها هو هذا الوجه الذي تقابل به الناس لاول مرة

منذ ثلاثين سنة ونيف خاليا من كل أثر للزينة او الطلاء ... فلا أبيض ، ولا دهان ، ولا أحمر ، اللهم الا حمرة الخجل الذي غشي وجهها جميعا .

وفي سيارة الشركة ، التي اعتادت ان تمر بها كل صباح ، تلقت أول صدمة ، وذلك حين انصبت عليها أحداق العمال والمستخدمين فاغري الافواه من الدهشة . لا تكاد اعينهم تصدق ان هذه هي سكرتيرة المدير ! وحتى الرجال والفتيات الذين أنبأتهم خبرها بالامس لم يتمكنوا من كتمان دهشتهم فراحوا يتغامزون ويتهامسون وهم يسارقونها النظر . وهي في هذه الغمرة من المفاجآت لم تلحظ هدى ان أحدا رد عليها تحيتها ، كأنهم لم يسمعوها او كأنهم شغلوا عن الرد بهذا المنظر ، حتى جعلت تراجع نفسها فلا تدري: أألقت تحيتها أم صرفها انشغال فكرها عن ذلك ! ..

ولم تتمالك رعشة سرت في جسدها وهي تستقبل هذه المفاجأة ، ثم غلبها الضعف ، فاذا دمعتان كبيرتان تتدحرجان على خديها [1] ، فتسرع الى مسحها بمنديل صغير كانت تشغل أصابعها بلمسه وتقليبه ! .

ووددت لو تطير بها السيارة لتخلص من هذا الجو ، وقد قررت ان تلوذ بغرفتها فلا تغادرها لضرورة قاهرة ، وان تتجنب هذه الانظار ، فلا تخالط اصحابها الا بعد ان يألفوا منظرها الغريب .

ولكن سرعان ما خاب فأل المسكينة ، اذ ما كادت تهبط من السيارة الى داخل مكتبها حتى فوجئت بالمدير . يطل عليها من الباب الخاص ، يقلب نظره طويلا في هـذا الزي الذي لمحه عن بعـد ، والذي سمع المستخدمين

---

(١) ماأعظم فضيلة الصبر ، فانه تعالى يقول : « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » . (سورة الزمر : ١٠) وقال تعالى : « وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون » . (سورة القصص : ٨٠) .

ويقول علي عليه السلام : « فى البلا تحاز فضيلة الصبر » .

يتهامسون بشأنه .. !

وانتبه المدير الى موقفه ، فلم يسعه الا ان يتكلم ، اسعدت صباحا أيتها الآنسة ، ارجو ان لا تجدي ما يزعجك طوال اليوم ! ..

وادركت ما يريد ، وتذكرت كلمات عدنان ... وتصميمها السابق ، فردت تحيته بكل ما استطاعت من لطف ، ثم قالت : ليثق حضرة المدير أن لاشيء يزعجني ... لانني مطمئنة الى ان مسلكي هو الافضل .. وكل استغراب له انما يرجع الى بعد المستغربين عن فهم الحقائق الالهية .

ولم يجب المدير بشيء .. وترك لشفتيه ان تتمتما ببعض الكلمات الغامضة ... ثم انسحب الى مكتبه ...

وانتضت (هدى) بتصميمها . وتذكرت أيضا أن الاسلام يستحق منها اكثر من هذه المزعجات . انه غريب في (بروكسل) كغربته من قبل في مكة ، ولقد تلقى أتباعه الاولون ، بين أخوتهم الكافرين به ألوان العذاب في سبيله قبل ان يحتل مكانته الطبيعية في وطنه الاول ، فلم لاتحتمل هي اليوم بعض ذلك العذاب في سبيل تعريفه الى الناس في هذا البلد البعيد عن روحه وحقائقه . واستمرت حياة هدى على هذا المنوال اياما طوالا ... لقيت أثناءها الامرين من فضول الناس ... فلم تجتز شارعا ولم تطأ حانوتا ، ولم تركب حافلة ، ولم تدخل مركز الشركة الا سمعت الهمس ورأت الغمز واللمز ... وقابلت ذلك كله بجلد هائل ... ولكنها ماتكاد تخلو الى نفسها في بيتها حتى تتسلم الى بكاء طويل ونشيج محرق ... ! (١) .

---

(١) قال رسول الله (ص) : « اذا أحب الله عبدا نصبت فى قلبه نائحة من الحزن ، فان الله تعالى يحب كل قلب حزين ، واذا ابغض الله عبدا نصب له فى قلبه مزمارا من الضحك . وما يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن الى الضرع ، ولم يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان من جهنم فى منخري مؤمن ابدا » .

وجاءت صاحبة البناء ذات يوم الى دار الطلاب ، لتخبرهم أن جارتهم التي من حقها أن تكون سعيدة في عيد ميلادها اليوم ، قد أغلقت عليها بابها لتنخرط في بكاء حزين ...

وهبطوا : عدنان ومحمد والبلجيكية لاستطلاع خبرها ، وبعد أكثر من دقيقة استجابت لدعوة الجرس وفتحت لهم الباب . فدخل الفتيان الى الردهة ليأخذا مكانهما بانتظارها ... ولما عادت نحوهما في رداء الاستقبال ، كان أثر الدمع لايزال بارزا من تحت نظارتيها السوداوين ... ورحبت بهم في صوت لم تستطع اخلاؤه من أثر البكاء ...

وتكلم محمد في كثير من التحفظ ، لقد كثرت أحزانك في هذه الايام .. ولابد لانها نتيجة لوضعك الجديد . ولما يواجهك بسببه من مزعجات . وكان الاولى أن تقابلي ذلك بالصبر الذي وراءه الاجر ...

وكأنها احست في تلك العبارة ما حرك أشجانها من جديد ، فلم تستطع منع عينيها من الدمع ... وترددت مليا تغالب نفسها ، وتسترد أنفاسها ، حتى استطاعت ان تستأنف : « .. حقا ، انها لاحداث مزعجة : تلك التي أصادفها في كل مكان ... ولكنها لا تزيدني الا شعورا بالرضى واشفاقا على هؤلاء المساكين الذين لايعلمون ما يعملون ... ولعل كثيرا من دموعي وأحزاني لاتعدو ان تكون تعبيرا عن الغبطة الروحية التي تستغرقني ، عندما

وقال رسول الله (ص) : يا علي ، عليك بالبكاء من خشية الله ، يبني لك بكل قطرة الف بيت فى الجنة » .

وقال رسول الله (ص) : البكاء من خشية الله يطفيء بحارا من غضب الله وقد وبخ الله تعالى اناسا على ترك البكاء عند استماع القرآن عند قوله : « افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » . ومدح الذين يبكون عند اسنماعه بقوله : « واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » . وقال بعض العرفاء: اذا أراد الله ان يتوب على عبد جعله يبكي على ذنوبه ! ...

أشعر بأنني اتحمل بعض التضحية في سبيل الله ... غير ان أخوف مايخيفني هو ان يكون البعض الآخر من هذه الدموع والاحزان نتيجة لضعف خفي في قوتي الروحية ! ...

وتهدج [١] صوتها ، ثم عاقها النشيج عن متابعة الكلام ... فأمسكت لتمسح دموعها وتهدىء أعصابها .

ورأى محمد ان يساعدها على هواجسها ، فقال : ان مثل هذه الظاهرة تبدو جلية في جميع الذين هُدوا الى الاسلام من أخوتنا الاوروبيين . وهذا اسماعيل الذي كان اسمه روجيه ، كثيرا ما تهيج مشاعره حتى لا يجد راحة لقلبه في غير البكاء وهذا كما يبدو لي نتيجة رهافة بالغة في العواطف ولدتها الاشواق الروحية والتأمل المستديم في معاني القرآن الحكيم [٢] ... وهنا رفعت هدى بصرها الى محدثها وقد شاع في وجهها بشر خفي ، ثم قالت وفي صوتها رنة السعادة : « لكم يسرني أن يكون استنتاجك مصيبا أيها الاخ ... الحق ، انني أحس في قلبي رقة لم أعهدها قبل اسلامي ... وكثيرا ما يطغى عليّ هذا الشعور حتى أغيب في فيضه عن كل شيء ... الا تلك الاشارات السماوية التي اكتشفها كل يوم في الآيات القرآنية . او الاحاديث النبوية ... » .

وتوقفت قليلا ، كأنما اعترضها خاطر مفاجيء ... ثم قالت : لقد عرضت على أختي بنت سفير السنغال أن اترك الشركة الى سفارتهم ، أجد الجو الاسلامي الذي يريحني من مضايقات المخالفين . فترددت أولا ، ثم رأيت

---

(١) تهدج الصوت : تقطع فى ارتعاش .

(٢) « وممن هدينا واجتبينا ، اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » . (سورة مريم : ٥٨) . « ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا، ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » . (سورة الاسراء : ١٠٧ — ١٠٩) .

ان اقبل هذا العرض وان كان دخله دون مرتبي الاول • لانه سيوفر لي من الراحة النفسية ما أنا في مسيس الحاجة اليه • وفي هذه المناسبة أقول لكما انني قررت الاكتفاء بالضروري من دخلي ، لاجعل ما يزيد عن حاجتي في خدمة الدعوة ، ولمساعدة الفقراء من لاجئي الالبان المسلمين • وسوف افتح منزلي لاستقبال أطفال هؤلاء الذين تضطر أمهاتهم الى تركهم للعمل أثناء النهار • وعندي اقتراح آخر هو أن تتخذ من هذا المنزل مركزا خاصا لاجتماعات نسوية أسبوعية تضم المسلمات وغير المسلمات ، من المثقفات الاوربيات اللواتي نأنس فيهن رغبة في الحق ، وقدرة على فهمه •

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة مساءً • فتذكر الاخوان موعدهما مع بعض زملائهما الجامعيين من البلجيك والهولنديين ، فاستأذنا بالخروج لاستقبالهم ، بعد ان اتفقا مع هدى على جميع النقاط التي أثارتها • ووضعوا لكل منها الترتيب المناسب •••

* * *

فالمرجو من الشباب المؤمن أن يتأسى بتضحية هذين الشابين وطريقتهما في أعلان الاسلام ونشره بين رجالات الغرب ونسائهم ، وان يتعلم منهما الصبر • والاناة والعفة والعفاف ، والثبات على المبدأ •

فللشاب أوقات فراغ يستطيع فيها أن يخدم دينه ، ويخدم الانسانية جمعاء ، بل ينقذها من هوتها السحيقة وويلاتها الفادحة ، وغيها وضلالها الفظيع ، فليست المناصب العلمية : (ماجستير ودكتوراه •••) كل مايزيّن الانسان ويجعله في مصاف الآدميين ، وانما النفس هي الميزان في كمال الشخص ، لا ما أملته الحافظة او انتجته الذاكرة بمساعدة الذكاء ، فالانسان انسان بنفسه : بكمالها وفضائلها وجهادها ، لا باختراعاته وابتكاراته فحسب فرب رقاع أعلى نفسا وارفع كمالا وأقرب الى الله ممن بلغ مرتبة «أينشتاين»

في عالم الكشف والاختراع . وقد قال الله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولم يقل أكثركم ذكاءا او علما او اختراعا . وقد قيل :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وكم رأينا من شبان حازوا على شهادتين عاليتين او أكثر ، او نالوا درجة الدكتوراه ، الا انهم لم يتقدموا في الكمال النفسي شبرا واحدا . فهم يتقلبون في دور الخمور والفجور وهم من أسوأ الناس أخلاقا واقلهم وفاءً واشدهم بخلاً وأكثرهم تكبرا وأبعدهم عن الفضيلة ، حتى أنهم يتكبرون على الآباء ولا يقومون بأداء حقوق الامهات ، كأنهم وجدوا دون ان يقطعوا مراحل الطفولة ودون تحمل الآباء والامهات في سبيل نشوئهم أنواع الاتعاب والتضحيات . فبئس العلم المادي الذي لا يرافقه رقة ولطف وأخلاق وفضيلة . وبئس العلم المادي الذي يجعل النفس الانسانية من الغلظة والخشونة والقسوة كالحجارة او أشد قسوة ، « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون » (١) .

فلابد من انقلاب جذري في حياتنا التعليمية في معاهد التدريس ، من رياض الاطفال الى التحصيل الجامعي ، انقلاب اخلاقي على ضوء تعاليم الاسلام ، فلم يترك الاسلام كل ما يؤدي الى كمال هذا الانسان مذ نعومة أظفاره الى أن يترعرع الا وقد بيّن فيه حكمه بوضوح وجلاء ، فنحن بحاجة الى إيجاد جيل يمثل الانسانية والكمال الانساني خير تمثيل . وهذا لايتحقق مع تقليد رجال التربية في الغرب في حقول الاخلاق والكمال النفسي ، بل يتحقق باتباع تعاليم القرآن ، « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى

(١) سورة البقرة : ٧٤ .

صراط مستقيم » [١] . وقد قال علي عليه السلام : «ان هذا القرآن هو الناصح الذي لايغش والهادي الذي لا يُضل والمحدث الذي لايكذب » .

فلا أخلاق فوق اخلاق نبينا محمد (ص) ولا كمال فوق كماله ؛ وقد خاطبه الله تعالى قائلا : « وإنك لعلى خلق عظيم » [٢] .

وقد صرح نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى هو الذي أدبه ، بقوله : « أدبني ربي ، فأحسن تأديبي » . فعلى حملة لواء العلم والاخلاق في مدارسنا على أختلاف مراتبها ودرجاتها ان يتأدّبوا بأخلاق الرسول (ص) وأهل البيت عليهم السلام كي يتأدب من يربونهم بآداب محمد صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته (ع) ؛ بآداب الاسلام المثالية ، ليمثلوا الكمال الانساني قبل ان يكونوا علماء في مختلف الفروع من العلم المادي . فقد قال علي عليه السلام : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » . وقال أيضا : « ان الناس الى صالح الادب أحوج منهم الى الفضة والذهب » . وقال ايضا : « ان الحازم من شغل نفسه بجهاد نفسه ، فأصلحها وحبسها عن أهويتها ولذّاتها ؛ فملكها . وان للعاقل بنفسه عن الدنيا وما فيها وأهلها شغلا » . وقال أيضا : « ان العاقل من نظر في يومه لغده ، وسعى في فكاك نفسه ، وعمل لما لابد له ولا محيص عنه » . وقال أيضا : « ان الحازم من قيّد نفسه بالمحاسبة وملكها بالمبالغة وقتلها بالمجاهدة » .

وقال عليه السلام أيضا : « ان من أحب العباد الى الله سبحانه عبدا أعانه على نفسه فأستشعر الحزن وتجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه وأعد القِرى ليومه النازل فيه » .

وقال أيضا : « ان افضل الناس عند الله من أحيا عقله وأمات شهوته

---

(١) سورة المائدة : ١٥ — ١٦ .
(٢) سورة القلم : ٤ .

واتعب نفسه لصلاح آخرته » .

وقال أيضا : « ان الكيّس من كان لشهوته مانعا ولثروته عند الحفيظة واقما قامعا » [٣] .

فطوبى للمجاهدين في سبيل نشر حقائق الاسلام في البلاد الاسلامية وخارجها وهو القائل : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » [٤] .

وقد قال علي عليه السلام : « ان من بذل نفسه في طاعة الله سبحانه ورسوله كانت نفسه ناجية سالمة ، وصفقته رابحة غانمة » .

* * *

ويجدر بنا ان نذكر هاهنا بايجاز آراء بعض الشخصيات الذين أعتنقوا الدين الاسلامي في الغرب نتيجة بحث وتنقيب وتتبع عميق دليلا على أن الاسلام هو الدين العالمي في مستقبل قريب وانه هو دين الله في ارضه وسمائه: « إن الدين عند الله الاسلام » [١] [٢] .

١ ــ اللورد هيدلي رئيس الجمعية الاسلامية البريطانية : يحدثنا بقوله :

« ينظر الاوروبيون دائما الى الاسلام كأنه وحشية وهمجية . فلو علموا كل ما فعله محمد لإزالة التوحش والهمجية التي لقيها داخل بلاد العرب لغيروا تلك الافكار حالا . إنهم هم المبشرون المسيحيون الذين لم يدخروا وسعا في تحريف الديانة الاسلامية ، وان هذا لاعظم الكذب الذي يخزيهم وان كانوا ليظنون أن ما يفعلونه حسن ، فما أعظم الفرق بين الطمس التعمدي

(٣) واقما : وقم الدابة : جذب عنانها لتقف . والحفيظة : الغضب والحمية فى الشيء الذي ينبغي ان يحفظ .

(٤) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) اقتبسنا هـذا الفصل بكل ايجاز من كتاب : « لماذا اخترنا الدين الاسلامي » الذي صدر حديثا لمؤلفه الاستاذ السيد محمد الرضي الرضوي.

للحقيقة وبين الحالة التي يسير عليها المبشر المسلم في عمله • روح الاسلام تحلق فوق أشياء ارقى وارفع من تلك الاطماع الدنيئة والاختلافات الجنسية في الشرق والغرب » •

« روح الشكر هي خلاصة الدين الاسلامي ، والابتهال أصل في طلب القيادة والارشاد من الله • وان كان شكري لله على كرمه وعنايته كان متأصلا فيّ من صغري وأيام حداثتي ، الا انني لا استطيع ان اشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التي قرع فيها الدين الاسلامي لبي حقا وتملك رشدي صدقا واقنعني نقاؤه واصبح حقيقة راسخة في عقلي وفؤادي اذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتها قط من قبل ونجوت من العقائد الغريبة المتعلقة بسائر فروع الكنيسة المسيحية المختلفة واستنشقت تلك النجاة كما استنشق هواء البحر الخالص النقي • وبتحقيقي من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده أصبحت كرجل قفز من سرداب مظلم الى فسيح من الارض تضيئه شمس النهار » •

« حياة محمد كمرآة امامنا تعكس علينا التعقل الراقي والسخاء والكرم والشجاعة والاقدام والصبر والحلم والوداعة والعفو وباقي الاخلاق الجوهرية التي تكوّن الانسانية ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة » •

« لم يشهر السلاح محمد الا عند الحاجة القصوى لحماية الحياة البشرية وربما ادّعي بأن الاسلام استعمل السيف في نشر الدين ولكن ألدّ أعداء الاسلام القادحين فيه عجزوا عن ان يأتوا ولو بأقل دليل او مثل من الامثلة التي أثر فيها الحرب في هداية أية قبيلة او شخص الى الاسلام » •

« والحق أننا نرى من بين جميع الانبياء الذين أسسوا ديانات ، ان محمدا هو الوحيد الذي استطاع ان يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية معتمدا فقط على بداية رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن الإلهية

وان في أستغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لاكبر معجزة على الاطلاق » .

« ومن مميزات الاسلام الاصلية ملائمته لجميع الاجناس البشرية . فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الاسلام . فدين الرسول محمد عليه السلام قد أكد من الساعة الاولى لظهوره ، وفي حياة النبي عليه السلام انه دين عام صالح لكل زمان ومكان ، واذا كان صالحا بالضرورة لكل جنس كان صالحا بالضرورة لكل عقل ، اذ هو دين الفطرة ، والفطرة لاتختلف في انسان عن آخر ، وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة » .

٢ — المستر آرثر : يقول :

« يريد كل منا أن يختار لنفسه الاحسن — أحسن الاطعمة ، احسن المساكن ، احسن المراكز ، احسن الاخوان ، ولكن ، كم منا فكر في ان يختار احسن الديانات ، ان معظمنا راضٍ بالدين الذي وجد عليه آباءه ، وفرارا من التعب نترك البحث ونكون مصداق هذه الآية المباركة « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون » . (سورة المائدة : ١٧) .

إني لاتجاسر على ان اقول : اذا عينت لجنة من الانكليز الاكفاء حقيقة ممن هم على شاكلة المأسوف عليه : اللورد سالسبري والمأسوف عليه اللورد : بيكو نسفيلد والمستر بلفور واللورد هالدين والسير روفس اسحاق .. الخ لفحص الدين الذي يجب ان يتدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامي الذي يشهد له العقل ، والذي يجيب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى ...

٣ — و . ب . فارمر : W. B. Farmer يقول :

اولا : ان الدين الاسلامي دين عملي ، دين منزه من المخبئات والخرافات دين يسهل فهم مغزاه ، دين مبرأ من كل ما يخالف العقل ، ولم تتراكم فيه

عقد الفلسفة الألوهية .

ثانيا : انه دين يتعرض للامور الاساسية الاصلية ، وانه دين يزاول القوانين الاولية للطبيعة والفطرة ، وانه لايعرف فصلا بين الدين والعلم ضمن ترجيحه لعلم الديانة على سائر العلوم . لانه علم المكرمات وعلم الحياة السعيدة الموفقة .

ثالثا : للاسلام احكام تامة وقوانين كاملة في جميع مراحل الحياةالبشرية على هذه البسيطة في كل ناحية من النواحي الاجتماعية والادارية والعسكرية والتجارية .

ويشتمل الاسلام على دساتير توضح السبل وترشد الى الطريق ، الاسلام ينظم كل عمل تحتاج البشرية الى مزاولته .

الاسلام له المام بالظروف الراهنة في الحياة وهو دين جاء لهذا البشر العائش في عالم الدنيا .

٤ ــ الدكتور جرموناس الاستاذ بجامعة بوداپست : يقول :

« خالجني منذ طفولتي حنين الى ارض الاسلام وكأنها ارض الميعاد الخيالية . فان الاندفاع نحو الاهداف المادية والرغبة الملحة في السرعة وهما طابع الحضارة الاوربية أبديا لي الشرق الاسلامي دنيا سحرية تفيض بالشعر وتزدان بالمثل الانسانية . واني أنا الرجل الاوربي الذي لم يجد في بيئته الا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية ، تأثرت اعمق التأثر ببساطة الاسلام وعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه » .

« وبينما التمس الاوربيون أسباب سعادتهم في الاستزادة من نعيم البدن كفل الاسلام للانسان راحة نفسه ، اذ قامت تعاليمه على ان السعادة لاتكون في عرض زائل كسيارة او طيارة ، بل في رضا الضمير ، وسبيله ان يقوم الانسان بواجبه نحو ربه ونحو الناس ، فيحس الافراد بعد الوفاء بهذه

الواجبات اطمئنانا قلبيا اطول عمرا من السعادة العابرة التي تصدر عن طريق الاسلحة وتنبعث عن الرغبة في التدمير » .

« ولقد وهم السطحيون من الناس — حين قارنوا حال الدول الاسلامية بتزايد نفوذ الدول المسيحية — ان الدين الاسلامي هو علة سقوط دولة المسلمين . ولكني استطيع ان أجهر بمنتهى الجرأة بعدان قرأت كتاب المسلمين المقدس وثقافة الاسلام بأنه لا يوجد في تعاليم الاسلام كلمة واحدة او عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلمين او يمنع زيادة حظه من الثروةوالمعرفة والقوة » .

« ان محمدا رسول الله لاعظم مصلح ثوري عرفه التاريخ مؤيد بوحي من عند الله .. ونحن مأمورون ان نفهم تعاليمه ونطبقها على شؤون حياتنا الدنيوية مع الايمان بأن ما أوحي به اليه انما هو أساس لايهتز ولا يتعثر لكونه إلهيا » .

« ولقد أخطأ المسيحيون اذ لم يفهموا الاسلام على حقيقته وبالتالي لم يتشبعوا بروحه » .

« ان أوروبا لم تعرف الاخاء بين الناس الا بعد الثورة الفرنسية ، بينما دعا الاسلام اليها وطبقها المسلمون قبل ثورة فرنسا بنحو آلف عام » .

« واني لأجرؤ على القول : بأن الاسلام منح المرأة حقوقا قانونية أكثر مما كان لها في ظل المسيحية ، ولقد اعترف باباحة تعدد الزوجات في حدود معقولة : بالامر الواقع أي بما تقتضيه غريزة الرجل ، فحال بهذا دون تعدد الزوجات غير المشروع الذي يسود الجماعة الاوروبية في هذه الايام » .

« لقد كانت المادية الصارخة والتشيّع للأجداد أي الايمان باللحم والدم هي الدوافع المحركة قبل الاسلام ، وكان العنف هو الحكم الاسمى ، وهنا جاء وحي القرآن وهبطت كلمة الله معلنة بأن التفاخر بالانساب والاعتزاز

بصلة الدم والتشيع للجنس لن تؤدي الى صيانة الحياة الانسانية ولا الى تحقيق الهدوء والنجاح ، وان الطريق الى ذلك هو تقوى الله والصلاح واتباع قوانين السماء » .

لقد وضع الاسلام حدا للنظرية التي كانت تعتبر الانسان وحدة في قبيلة او وحدة في شعب أو ابناً للغة من اللغات ، وسمى بالافراد من وهدة الحيوانية الى أفق انسانية فسيحة .

واني لأؤمل بل أتوقع ان يكون الاسلام قادرا مرة اخرى على تحقيق هذه المعجزة في الوقت الذي تحيط بنا فيه ظلمة كثيفة ، واني لامد يدي لاخواني المسلمين وانخرط في صفوفهم مجاهدا في سبيل الاسلام باذلاً ما أستطيع من اخلاص وحسن طوية كاشفا عن الجروح باحثا عما يطهرها ويشفيها متحملا في سبيل ذلك مايتحمله المجاهدون من نصب مؤملا في النجاة التي كتبت للمتقين » .

٥ ــ الدكتور بنوه (علي سلمان) : الكاثوليكي الفرنسي يعتنق الدين الاسلامي ، فيقول :

« كان شعوري بوحدانية الله يمنع عليّ قبول مبدأ : « ثالث ثلاثة » كما انه كان بطريق التبعية يحول بيني وبين الاقرار بألوهية المسيح . وبهذا كنت على اتفاق تام من حيث لا أشعر مع ما يتضمنه الشطر الاول من شهادتنا (لا اله الا الله) ومع روح سورة الاخلاص : « قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » . وعليه يتبيَّن ان أعتناقي الاسلام كان راجعا اول مرة الى اسباب روحية ، ألا ان أسبابا اخرى حملتني على دخول هذا الدين ومن بينها عدم الرضى بالرهبانية التي يجترىء أصحابها على نيل سلطة يعتقدون من ورائها انه يمكنهم محو السيئات البشرية . وما كانت ترضيني كذلك الطريقة المتبعة عند الكاثوليكيين : (التعميد) وهي

زعم ادماج روح المسيح في الاطفال بواسطة تناول القربان المتمثل فيه بدن المسيح .

« ثم ان نصوص بعض آي الكتاب الموحى به على نبينا منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا تتناسب وأحدث مبادىء العلوم العصرية ، وكان من جراء هذه الملاحظات ان آمنت نهائيا ، فأصبحت بهذا على وفق الشطر الثاني من شهادتنا : (محمد رسول الله) ... »

٦ ــ الدكتور حميد ماركوس الالماني يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ويقول :

« زاد الاسلام في أفكاري وتصوراتي كثيرا مما يرجع الى الشؤون البشرية والوداد الانساني مما لم أجدها في مجالات أخرى ولم أسمع بها من سواها ، ان التوحيد الاسلامي عقيـدة قدسية منزهة عن الخرافات التي لا تتلائم والعلوم الحديثة ، ولذلك لا مضادة بين العقيدة والعلم في الدين الاسلامي ، فهذا امتياز خاص عظيم في الدين الاسلامي يهتدي به رجل صرف جلّ مقدرته واستعداداته في سبيل العلوم » .

« والامتياز الثاني لهذا الدين : أنه ليس جملة من تعاليم فارغة ، وأماني خلابة تأخذ في طريقها العمياء في الحياة ، بل هي قواعد وأحكام نافذة في حياة البشرية مباشرة » .

« ان القوانين الاسلامية لا تسلب الاختيار والحرية الفردية ، بل هي ارشادات تهدف الى تأسيس حرية جماعية عامة . ان الاسلام واسطة ذهبية لربط الحياة الفردية بالحياة الاجتماعية » .

٧ ــ الاستاذ دونالد ركيول الامريكي يعتنق الدين الاسلامي ، فيقول :

« لفت نظري بساطة العقيدة الاسلامية وسهولتها ، فليست هناك أسرار ولا ألغاز نؤمن بها ولا نناقشها ، بل مردّ الايمان الى العقل والنظر في ملكوت

الله ، وما في الكون من نظام بديع ، يهدي ، بالضرورة ، الى وجود إله متصرف له الخلق والامر » .

فاذا عرفت الله وآمنت به ، فالاسلام يقول لك ان الله أقرب الى الانسان (من حبل الوريد) والله يخبرك عن نفسه فيقول : « واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداعِ اذا دعانِ » (١) ، فلا ضرورة من ثم للوسيط بينك وبين خالقك ، ولا حاجة بك الى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك (٢) ، أو هيكل لاتتم العبادة الا فيه ، « ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله » . (سورة البقرة : ١١٥) .

« وراعني تلك السماحة التي يعامل بها الاسلام مخالفيه : سماحة في السلم وسماحة في الحرب ولين مع أهل الكتاب من نصارى ويهود » .

« والجانب الانساني في الاسلام واضح ملموس في كل وصية من وصاياه وفي كل تشريع جاء به ، فالناس وان اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها فهم متساوون امام الله ، لافضل لأحد على آخر بسبب غنى او جنس او لون وانما يتفاضلون بالتقوى » (٣) .

« وللفقير والعاجز والمحتاج (حقه المعلوم) على القادرين ، يؤدونه زكاة واجبة . والاسلام لايقعد بمتبعيه عن ركب التقدم والعمران ، بل يأمر الناس أن يأخذوا بالاسباب ، فقد قال النبي الكريم : (اعقلها وتوكل) . « وهو لا يحرم الانسان الطيب من متاع الدنيا » (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٦ .
(٢) « ومن يغفر الذنوب الا الله » . (سورة آل عمران : ١٣٥) .
(٣) « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (سورة الحجرات : ١٣) .
(٤) ولا بأس بذكر صك الغفران بالمناسبة هاهنا . فقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندي فى كتابه : « اظهار الحق » : « اخترع البابا : (لاون العاشر) للمغفرة تذاكر تعطى منه او من وكيله للمشتري بمغفرة خطاياه الماضية والمستقبلة ايضا ، وكان مكتوبا فيه : « ربنا يسوع المسيح يرحمك ويعفو عنك باستحقاقات

٨ ــ كونراد (خالد) الانكليزي يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ، وهو من الاسرة الملكية ، وقد أذاع في أواخر العام الماضي رسالة باللغة الانكليزي عنوانها : (الاسلام دين البشر) ، جاء فيها قوله : اني لسعيد ومغتبط ان أجدني قادرا على القول بأني مسلم ، وان الاسلام وحده هو الدين الحق وان رسالته بسطت للبشر رواق الامل في الحياة على حين ان غيره من الأديان ينهار اليوم ويتداعى للسقوط .

٩ ــ كنود هلمبو (علي احمد كنود هلمبو) كاتب صحفي دانمراكي كبير يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ، وهو مؤمن من أعماق قلبه ان مستقبل العالم للاسلام . وان النصرانية قد فشلت ، وان الاسلام هو الحياة بذاتها وسيبقى الى الابد . ويقول : قد منيت الكتب السماوية قبل القرآن بالتحريف فليس الا القرآن هاديا للانسانية .

١٠ ــ The Reverand R. G. Flowers (رج فلوَرز) قسيس بريطاني يعتنق الدين الاسلامي . انه يقول : « العلة التي دعتني لمتاركة فرقتي الغربية (الفرقة الارتودكسية) واعتناق الدين الاسلامي ذات أهمية ، تمس صميم الحياة ، فليست هي من الطفيليات الآنية وليدة العواطف والاحاسيس الطارئة ، بل هي نتيجة المراجعات الكثيرة التفصيلية الضرورية ، ووليدة التفكير العميق واستجابة للأدعية والطلبات من الباري جل شأنه » .

آلامه المقدسة . وبعد ، فقد وهب لي بقدرة سلطان رسله بطرس وبولس والبابا الجليل في هذه النواحي ان اغفر لك : أولا : عيوبك الاكليروسية مهما كانت، ثم خطاياك ونقائصك ، ولو كانت تفوت الاحصاء ، بل ايضا الخطايا المحفوظ حلها للبابا وبقدر امتداد مفاتيح الكنيسة الرومانية اغفر لك كل العذابات التي سوف تستحقها في المطهر ، وادرك الى اسرار الكنيسة المقدسة والى اتحادها والى ما كنت حاصلا عليه عند عمادك من العفة والطهارة ، حتى انك متى مت تغلق في وجهك ابواب العذابات وتفتح لك ابواب الفردوس ، وان لم تمت الآن فهي باقية لك بفاعلية تامة الى آخر ساعة موتك باسم الاب والابن والروح القدس ، آمين » .

ويقول أيضا في كتاب ارسله الى رئيس جمعية الشيعة الامامية في لندن .
« ان قلوبنا وأرواحنا لتتلهف على أشد الاشتياق الممكن لنكون دعاة فعالة الى الدين الاسلامي في العالم . ونسأل الله العظيم ان يمنحنا حياة سليمة مقرونة بالصحة كي نوفق الى هذا الهدف المقدس .

١١ — Count Edward gioja (الكونت ادوارد گيوجا)
الايطالي يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ويقول : « قمت في تحقيق ومطالعات حول الاديان كلها : قديمها وحديثها ، وقايست بين واحد واحد منها ، ونظرت اليها بمنظار النقد والتمحيص ، فكانت النتيجة أن جهودي في ذلك حفزتني شيئا فشيئا الى الاعتقاد بأن الايمان والعقيدة الاسلامية هو الدين الثابت الحقيقي . وان القرآن ليتضمن بين دفتيه كلما تحتاج اليه الروح الانسانية في ارتقائها وكمالها المعنوي .

١٢ — J. W. Lovegrove — (ج . و . لاف گروف) يعتنق الدين الاسلامي ، فيقول : « لايعتقد انسان بدين خرافة [1] ما لم يسحق نداء عقله بقدميه . فوظيفة الانسان تجاه ربه ومع جاره تجب ان تكون أساسا وهدفا لكل دعوة دينية ، أما الاسلام فقد جعل من هذا القانون الخلقي دستورا عمليا نافذا عاما » .

---

(١) ومن الخرافات التي أشار اليها ما جاء في الباب التاسع عشر من سفر التكوين : ان لوطا عليه السلام زنى بابنتيه بعد ان شرب الخمرة ، فحملتا منه بالزنا ، (٣٠ — ٣٨) . وفي الباب الثامن والثلاثين من السفر المذكور : ان يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار كنته فحملت بالزنا منه وولدت توأمين : فارص : (جد سيدنا عيسى عند المسيحيين) وزارح (وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم اولاد فارص المذكور كما هو مصرح به في الباب الاول من انجيل متي) . وجاء في الباب الحادي عشر (٢ — ١٦) من سفر صموئيل الثاني : ان داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا الحثي وحملت منه ، فأهلك زوجها بالمكر وأخذها زوجة له . وفي الباب الحادي عشر من سفر الملوك الاول (٤ — ١٣) . ان سليمان عليه السلام ارتد في آخر عمره ، وكان يعبد الاصنام بعد الارتداد وبنى المعابد لها ولم يحفظ ما اوصاه به الرب .

١٣ — محمد رايموندلويس — يعتنق الدين الاسلامي • ويصم السعادة في أوربا ، انه يقول : « السعادة ، يالها من خيال ملؤه الاوهام ، أي سعادة ؟ فالبعد بينهم وبين السعادة شاسع جدا • وان جميع مزايا المدنية الغربية وتلكم الاماني المتفشية في دنيا الغرب لم تؤثر في نيل السعادة الحقيقية ولا يوجد لها أي أثر بتاتا » • ويقول : الاسلام : الحجر الاساسي لكل صرح قويم تبتني عليه الاخوة البشرية •

١٤ — Ibrahim Voo — (ابراهيم ڤو) المسيحي ، يعتنق الدين الاسلامي • فيقول : « اني قبل اعتناقي الاسلام كنت كاثوليكيا رومانيا ، بصورة لم اكن لاعتقد بمراسيم التثليث ، والعشاء الرباني ومعجزات المضيف ، فكنت مخالفا للأسرار والمخبئات الدينية في حال لم أوع الايمان بالله تعالى ، فلم يساعدني أي قسيس كاثوليكي في توضيح هذه المسائل بصورة مقنعة أبدا • والجواب الوحيد الذي كنت أتلقاه على أستمرار هو : ينبغي للأسرار ان تبقى اسرارا ، ان المسيح آخر الانبياء ، ومحمد مبطل في دعواه (هداهم الله الى الصواب) [1] •••

فعلمت بعد ان صادفت جماعة من المسلمين في (مالايا) : أن الاسلام دين العقل وان هذا الدين هو الدين الذي كنت أتطلبه باسم الحقيقة الواقعية ، فلا أحد ولا شيء يُعبد سوى الله تعالى ، ولا توجد في معبد اسلامي صورة

(١) يقول مؤلف كتاب « على حافة العالم الاثيري » فندلاي : يحدثنا مذهب القديس : أثنا سيوس : أننا اذا لم نصدق غير المعقول فأننا لن ننجو بل نهلك دون شك الى الابد ، فكيف يستطيع عاقل او عاقلة ان يقرأ هذا المذهب ، ثم يقول فى نزاهة : أن من خليط هذه الكلمات عديمة المعنى يتألف دينه الذي يعتنقه . وغير خاف ان أسقف كانتريري يؤيد الاعتقاد القائل : « بأن القسيس بتدشينه القربان يمكنه ان يجعل المسيح يجيء ويحل فى خبز العشاء الرباني وخمره » .

وتمثال او نقوش . ان الصلاة في المسجد سخرت قلبي الى الأبد ...

١٥ ــ الاستاذ ويرنر الفريد المسيحي الكاثوليكي يعتنق الدين الاسلامي ويعمل في نشره ، وهو الآن رئيس الجمعية الاسلامية في هامبورگ واسمه الجديد : الشيخ عمر شوبرت (٢) .

١٦ ــ لوماكس (محمد عز الدين) المسيحي الامريكي يعتنق الدين الاسلامي وهو يقول : ان المسيحيين لايزالون يعلمون الناس : ان المسلمين عبدة أوثان ، ولكن والحمد لله في عام ١٩١٧ م اعترتني مشاعر نفسانية دخيلة حركت قلبي ودفعت ارادتي الى اجتياز ٥٠٠ ميل لاقتات من فضلات موائد المسلمين ولآخذ من أدبيات روح الدين الاسلامي نصيبا .

١٧ ــ Oscar . J . Pfaus او سكار . ج ، پفوس (جعفر حسن علي) المسيحي الالماني الطالب حاليا في المدرسة الصناعية العالية في ڤاكسو والمؤسس للجمعية الاسلامية في المدينة نفسها (ڤاكسو ــ السويد) . انه يقضي أكثر أوقاته في سبيل بث الدعوة الاسلامية هناك في شتى الاساليب ، في قطر يرى عدم رغبة أهله في ان يسمعوا عن الاسلام شيئا . لان دعاة السوء ملؤوا اسماعهم بأراجيف أختلقوها وأحاديث مشوهة للاسلام ابتدعوها ، ومع هذا فلم يفتر في عمله ولم يتوانَ في سيره ، وتأتي البشائر انه ناجح في ايجاد تأريخ اسلامي جديد .

---

(٢) انه يوالي أهل البيت وأختار مذهب اهل البيت من بين المذاهب الاسلامية ، وعندما سئل ، أجاب ، بقوله : من اذا الذي يترك عترة آل النبي مصطفى (ص) ومن ذا الذي هو فى غنى عن اشفاعتهم يوم الحساب . حيث روى عن الامام علي (ع) عن النبي (ص) انه قال : « ألم تسمع قوله تعالى : « أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض ، اذا جاءت الامم للحساب ، تدعون غرا محجلين .. وأضاف قائلا : فانني اطمع فى أن اكون احد الذين ينالون اشفاعة من بد الامام الكريمة .

١٨ — ليوبولدڤايس (محمد أسد) النمساوي — يعتنق الدين الاسلامي وهو من كبار الصحفيين — أخذ يجاهد مجاهدة الابطال بعد اعتناقه الدين الاسلامي لبث الدعوة الاسلامية وتفهيم حقائق الاسلام • انه يتأسف للاسلام فيقول : ان الحياة الاسلامية في الواقع تظهر على كل حال في أيامنا الحاضرة بعيدة جدا عن الامكانيات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الاسلام • من ذلك مثلاً : أن كل ما كان في الاسلام تقدما وحيوية أصبح بين المسلمين اليوم تراخيا وركودا ، وكل ما كان في الاسلام من قبل كرما وايثارا أصبح اليوم بين المسلمين ضيقا في النظر و (أنانية) وحبا للحياة الهنيئة • —

لقد تحققت ان ثمة سببا واحدا فقط للانحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين ، ذلك السبب يرجع الى الحقيقة الدالة على أن المسلمين أخذوا شيئا فشيئا يتركون اتباع روح التعاليم الاسلامية ، فنتج من ذلك ، أن الاسلام ظل بعد ذلك موجودا ، ولكنه كان جسدا بلا روح • واعتقد ان الاسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر • وهكذا تجمعت رعباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد •

١٩ — المستر هاري أ • هنيكل يعتنق الدين الاسلامي بعد بحث وتحليل عميقين • انه يقول : « من المفروض في كل مسيحي أن يعتقد بأن الكتاب المقدس ليس ككتاب ديني تجب قراءته ، بل قطعة نفيسة يزين بها بيته ، ولا أبالغ اذا قلت انه قد تنقضي السنون دون ان يخطر ببال أحد ان يلقي نظرة على الكتاب المقدس ، بل يظل كما صدر من المطبعة •

قال الاستاذ : شارلس فرانسيز في كتابه (قصة الدين) : الانجيل كتاب لا يعرفه أحد في أمريكا ، أما القرآن فهو كتاب يعرفه كل مسلم • وهذه عين الحقيقة ، ومن حسن حظ الديانة المسيحية أن الانجيل كتاب لا يعرفه

أحـد .

ويقول المستر هاري : الاسلام دين العقل والتسامح وهو خال من كل شائبة . وجدت الاسلام يشجع على متابعة الحقيقة ، وان صحائف التاريخ مملوءة بالحقائق التي تثبت عرقلة الاديان الاخرى للمدنية والعمران وذكر الكاتب أحاديث نبوية كثيرة عن العلم والسعي للمعرفة .

وقال يوسف مكاب ، أحد الملحدين : ومن الصعب جدا وجود علم غير مدين بفضله للاسلام .

ويقول المستر هاري المسلم : « ولا أتردد لحظة في القول ثانية : لو كان الاسلام منتشرا في الغرب أكثر من انتشاره اليوم لادهش العالم المتمدن بكثرة أنصاره ومشايعيه ويرجع السبب في عدم انتشاره الى تشويه الحقائق التي يتعمدها البعض ممن يتصدون لترجمة الكتب الاسلامية الى اللغات الاخرى . ومع هذا فالزمان وحده كفيل بازالة هذه الصعوبة .

٢٠ ــ الاستاذ فؤاد غريب يعتنق الدين الاسلامي الحنيف معجبا بالعدالة الاسلامية وبالسيرة النبوية وبالديانة الاسلامية الغراء .. ويقول :

قـد بلغت قسطا من الثقافة يدلني على المحجة ويومىء لي بالفوز . ووقفت يوما أتأمل هذه الروح المتأججة في صدري والثائرة بين جوانحي والتي تحاول ان تتنفس بشيء لم أكن لاستطيع التعبير عنه آنذاك ، وأفقت مع حيرتي واضطرابي ، ودلفت مستهديا الى أخي : (الاديب) ، اسأله ان يدلني على (روح الاسلام) التي قصرت عنها حتى ذلك الحين بكل صراحة فلا يتبع معي مجاملة أو غيرها ، وكنت من الاندفاع بحيث قلت متمثلا : (فان لم تفعل ما تؤمر فما بلّغت) . فانفجر بين يديّ باكيا يضمني الى صدره ويقول : « لتجدنّ اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك : بأن منهم

قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا ، آمنا فأكتبنا مع الشاهدين » .

وغرقت في دموعه وغرق في دموعي ، فما كنت أناجيه ، اخي : نعمان الا كأني أحس بصوت الهي يتردد في كياني ويهزني بعنف وقوة ، حيث كان يسمع صوت محمد (ص) يتردد في حديثه لاصحابه : أخي عيسى ، وانتبهت بعد غفوة لأجد هدية صاحبي بضعة كتب تصور الاسلام بأجلى صوره وتنافح عن الروحانية الحقة وتفتح في النفس آفاقا من الحرية والانسانية . وعلمت ان الاسلام التحرير الاعظم للانسانية .

ثم يقول : « وقد يكفي للتدليل : موقفه يوم حنين وكيف كان يسند صحابته المنهزمين من الانهيار ، فينال الاذى الكبير ، ولكن لم ينس واحدا منهم ، فقد كان يتفقدهم واحدا واحدا ، ويناجي ربه داعيا : « رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في هذه ابدا » .

وبمثل هذا الايثار وهذه التضحية لم يكن النبي محمد (ص) ليفرق نفسه عن اصحابه ولا الكتاب . فقد جاء في سورة البقرة : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير » .

« فأي عدالة سماوية واجتماعية هذه التي لا تفرق بين الكتب المنزلة ، ولا بين الرسل ، انها رسالة محمد ، وانه القرآن العظيم ، اللهم فاشهد : اني آمنت بمحمد » .

٢١ ــ الاستاذ يني يماني (زايد يحيى يماني) . يعتنق الدين الاسلامي الحنيف بعد دراسات وبحوث في الاديان ، انه يقول :

« عندما يسألني سائل لماذا أسلمت ؟ أكاد أجيب ولماذا لااسلم ؟ ولماذا

لايسلم كل باحث عن الحقيقة التي لاتخفى كثيرا وراء الحجب ولكنها مستعدة أن تتجلى له اذا هو رغب حقا فيها ، وخطب ودها وسعى لها سعيها » .

« ان هذا السؤال لماذا اسلمت ؟ يوازي السؤال لماذا إهتديت ؟ وهذا يدخل في نطاق الغيبيات والاجابة عليه اجابة صحيحة كاملة من الخوارق ، لأن الله وحده هو علام الغيوب . هو الذي شاء لي الهدى فهداني : « من يهد الله فهو المهتدي » [1] .

يقول : كان ابي مسيحيا متدينا وكانت أمنيته ان اسير على نهجه في تدينه ، فلم يدخر جهدا لهذا . فبعث بي الى مدارس (الفرير Frerer) لكني بدل أن أؤمن بما كانوا يلقنونني اياه اصبحت اشك فيه ، حتى اذا بلغت أربعة عشر ربيعا كنت زنديقا لاأؤمن بشيء ، وضاعف من زندقتي خرافات دينية لا يصدقها العقل المجرد . فصرت ادرس العقائد والديانات جميعا واقارن بينها ، فعرفت ان الله هو الحقيقة العظمى وان كل شيء سواه باطل . عرفت ان الله كما يقول (ابن سينا) الوجود المحض ، والحق المحض ، والخير المحض ، والعلم المحض ، والقدرة المحضة ، والحياة المحضة .

ولما كان الذي جاء بالاسلام هو محمد رسول الله (ص) فقد كان طبيعيا أن أؤمن به واشهد بصدق رسالته ، وبالقرآن الذي أنزل معه وبالتعاليم الانسانية التي جاء بها .

٢٢ — ارنست تشريري البرازيلي (محمد عبد الرحمن) يعتنق الدين الاسلامي فيقول : « الاسلام ليس دين تفرقة عنصرية ولا يدعي أبناؤه انهم الشعب المميز أو الجنس المختار واكثر من ذلك فهو دين عالمي للناس جميعا .

٢٣ — Feysal W . Wagener (فيصل و . واگنر) الهولندي أحد أعضاء الكنيسة الكاثوليكية يعتنق الدين الاسلامي ، في كانون الثاني

(١) سورة الاعراف : ١٧٧ .

لسنة ١٩٥٢ م ، فيقول :

« علائق متعددة الجوانب وفحص دائم عن الدين الحق حفزتني نحو الكتب والمنشورات الاسلامية » .

ويقول : « ان قولة الرسول (ص) : اطلبوا العلم ولو بالصين عرفتني شدة الاواصر الوثيقة بين الاسلام والعلم ، وهذه ميزة لهذا الدين لاتجدها في تاريخ الكنائس المسيحية بتاتا » .

« وان دراسة أعمق حول الاسلام أبدت لي ان الاسلام مجموعة من قوانين وأحكام كافلة لنواح شتى ، دينية واخلاقية ، احتماعية واقتصادية ، سياسية وقضائية » .

٢٤ — اشميتس دور مولين المهندس (محمد عادل بك) المهندس الالماني يعتنق الدين الاسلامي ويعمل لاجل نشر الاسلام بين أهل وطنه والدفاع عنه وعن المسلمين فألف كتبا عدة ، أشهرها : (الاسلام) ، (في الحرام) ، (استانة) ، (بلدة الاسلام) ، وقد أثبت عادل بك في مؤلفاته ان الاسلام قريب جدا من النصرانية الحقيقية ، وان ما عليه العالم المسيحي الآن من التقاليد والعادات مفسدة كبيرة ومدعاة الى الشهوات البهيمية والفقر المدقع وغير ذلك من المصائب والامراض الاجتماعية .

٢٥ — الفونس اتيين دينه (ناصر الدين) الفنان الفرنسي يعتنق الدين الاسلامي بعد دراسة طويلة ، فيقول : « ان العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير ، فقد يكون المرء صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير ، وكما ان الاسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والاجناس فهو صالح كذلك لكل أنواع المدنيات » .

ويقول : « ان الاسلام يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم فهو ببساطته المتناهية ... يهدي علماء أوروبا وآسيا الى الطريق المستقيم

ويجدون فيه تعزية وسلوى من غير ان يحول بينهم وبين حريتهم التامة في آرائهم وافكارهم ، كما انه تعزية وهدى لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهامهم الوثنية ... ويرقى في بروج ذلك التاجر الانكليزي رجل العمل الذي يعتبر الوقت من ذهب ، كما يرقى بروح الفيلسوف المتدين ويسمو بنفس الغربي الشغوف بالفن والشعر ، بل هو يسحر لب الطبيب العصري بما قرره من الوضوء المتكرر كل يوم وبما في الصلاة من حركات منتظمة تفيد الجسم والروح معا » .

ومن جملة مؤلفاته في الاسلام : (السيرة النبوية) في مجلد كبير وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتنوعة من ريشته الخاصة ، يمثل فيها المناظر الاسلامية ومشاهد الدين ومعالمه ، ونشره كذلك باللغة الانكليزية بنفس الحجم الكبير والاتقان التام .

٢٦ — وارتون كرباسين (حسين اثنا عشري) الشاب الباريسي ، يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ، فيقول : « وكانت الليالي فرصة مغتنمة للمطالعة حول الدين الاسلامي ، وقرأت القرآن عدة مرات ولكني اصبت مدة اقامتي بالمحمرة (خرم شهر) بمرض (سينوزيت) بصورة شديدة جدافكان يؤلمني ليل نهار . وانتهت نظريات الاطباء الى العمل الجراحي ولم تطاوعني نفسي .

وصادفت تلك الايام وهي السنة الماضية شهر المحرم (شهر الامام حسين عليه السلام) وفي جواري دار واسعة ، مغطاة بخباء كبير أعدت للتعزية بمناسبة الوقت ، وكانت المآتم تقام في الليالي وتلقى فيها ذكريات المصائب وكلمات الوعظ والارشاد ، فاعتدت الجلوس وراء الشباك ، والاستماع الى المصائب والكلمات .

فاتفق ذات ليلة أن قدم الي أحد خدمة المأتم طبق شاي وقال : ايها السيد تشتهي أن تشرب شاي الامام الحسين عليه السلام ؟ فقبلت منه على اشتياق

ورغبة تامة ، وعندما لمست شفتاي ذلك الشاي أحسست ان نورا خاطفا في فكري ، فناجيت ربي : (إلهي بحرمة الامام الحسين ومنزلته أرني معجزة خارقة لاستريح من هذا الالم ومن شدة مرض (السينوزيت) المهولة ، وفي اليوم التالي وعند نهوضي من فراش النوم رأيت عجبا ، ان المعجزة وقعت وشفيت رأسا .

فكانت مطالعاتي السابقة حول الاسلام وهذه الواقعة العجيبة التي شاهدتها عيناي أثرت أثرها في نفسي ، فصممت على اعتناق الدين الاسلامي وبعد أشهر عدت الى طهران ومنها الى (قم) وحضرت مجلس آيـة الله (شريعتمداري) واجريت مراسيم الشهادتين واعتنقت الاسلام وسـميت باسم : (حسين اثنا عشري) .

وقد ذكرت مجلة (نور دانش) الزاهرة ان عمر هذا الشاب ٣٢ سنة ويعرف ست لغات .

٢٧ — (فرانسيسكو پاياللي) الايطالي يعتنق الدين الاسلامي ويقول : « ان الفطرة الاسلامية مبثوثة بطبيعة الحال في نفوس كثيرين من الاوروبيين على غير علم منهم بأن ما يشعرون به هو عين المبادىء التي قررها الاسلام . فلو جاءهم الدعاة ووضعوا بين أيديهم الحقائق الاسلامية باللغات الاوربية وبالاساليب التي يأنس الاوربيون بها لتحول هؤلاء جميعا لهذه الدعوة يجاهدون في سبيلها ويفتحون الفتوح لهدايتها .

٢٨ — فيتورادي الميدا (عبد الله الاسلامي) الشاب البرتغالي يعتنق الدين الاسلامي بعد دراسة وافية .

يقول الصحفي جبرائيل بقطر في مقال كتبه عن الشاب البرتغالي المسلم: « وبعد عام ونصف عام ورد الي خطاب مكتوب بلغة عربية ... من هذا الشاب البرتغالي المسلم ... انه يذكرني بالمقابلة التي تمت بيننا في (لشبونة) ويروي

لي قصة حياته بعد أن افترقنا ، فيقول : انه ترك لشبونة الى طنجة بعد ان تزوج من سيدة پرتغالية أسلمت بعد ان عرفت منه حقيقة الاسلام ، وانه أنجب طفلة سماها (زهرة الورد) • اما هو فقد اعلن اسلامه باسم (عبدالله الاسلامي) ، وانه اخذ في دراسة اللغة العربية ليستطيع قراءة القرآن الكريم وفهم معانيه ••• وانه ما زال يتمنى أن يحج ويزور مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام وكعبة المسلمين •

٢٩ ــ الاستاذ نشكنتا بادهيايا (محمد عز الدين) رئيس جامعة حيدر آباد سابقا واستاذ التاريخ في جامعة مهراجا في ميسوري يعتنق الدين الاسلامي بعد بحث عميق • واسمه بعد اسلامه : (محمد عز الدين) •

كان في أول أمره شديد الاعجاب بمذهب العقليين ولكنه لم يلبث ان تحول عنه لانه لم يرو له غليلا • واخذ بعد ذلك في درس الدين البوذي واعجب بظاهر رفعته الاخلاقية ، لكنه وجده اخيرا على عكس طبيعة البشر فمله • ثم صار يقارن بين اليهودية والزردشتية والبرهمية والبوذية والنصرانية والاسلام • وفرغ نفسه مدة لدرس التصوف وعاد منه أيضا غير مقتنع •ثم عاد الى دراسة الاسلام بصورة مفصلة فاستمالته وشعر بصحته واسلم • وهو يبني رضاءه بالاسلام على أبواب ثلاثة :

١ ــ صحة أخبار الاسلام وانه الدين التاريخي الوحيد •

٢ ــ موافقته للعقل •

٣ ــ انه عملي (لا خيالي) •

٣٠ ــ كروب الشاب المسيحي الارمني يعتنق الدين الاسلامي رغبة في الحجاب الذي يأمر به الدين الاسلامي وتحريمه التبرج والسفور ويدعى بـ (علي اسلامي) ، وهو مسلم جعفري يتابع مذهب أهل البيت (ع) •

٣١ ــ (عبد الله وايسر) أحد علماء اللاهوت يعتنق الدين الاسلامي

الحنيف وذلك ان : في روما كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أعدت (عبدالله وايسر) للتبشير في الهندوزودته بالدراهم الكافية ، وأدخلته أحد المستشفيات الكاثوليكية ليتعلم صناعة التمريض لتساعده للتأثير في الهنود .

وقدم المستشفى مسلم هندي واحتك بعبد الله فتعرف عبد الله على مبادىء الاسلام وكان قد درس أيضا شيئا عن الاسلام ، فعبد الله ، قبل ان يسافر الى الهندللقيام بمهمة التبشير ،عدل عما انيط به ونطق بالشهادتين، وصار يحاضر عن الدين الاسلامي وندد بالكنيسة واستعبادهـا المعقول وسيطرتها على حرية التفكير .

٣٢ ــ عليجاه محمدالبطل المتحرروالملون الامريكي يعتنق الدين الاسلامي ويتبعه في ذلك (٢٥٠٠٠٠) من الملونين الامريكيين في أمريكا حاليا .وقدبنيت نتيجة جهوده المشكورة مساجد جميلة على أساليب حديثة في حارات الملونين يجتمعون فيها كل يوم لأداء فريضة الظهر جماعة ، وان أصوات المؤذنين بكلمة التكبير والتوحيد من مآذن تلك المساجد كل صباح ومساء لتدوي في أرجاء مدينة نيويورك . وتوسعت دائرة نشاط (عليجاه محمد) الى ٢٥ بلدة امريكية منها : ديترويت ، شيكاغو ، بوستون ، فيلادلفيا ، سان فرانسيسكو، لوس انجلس ، كليولند ، رايتون ، اتلانتا ، نيويورك .

٣٣ ــ بقيا الشاب المسيحي الارمني يعتنق الدين الاسلامي عام ١٣٨٠ هجرية . انه يقول قد قرأت في انجيل يوحنا المطبوع في لغتنا الارمنية قولا عن عيسى ان نبيا يأتي من بعدي هو خاتم الانبياء .

ويقول : ان الارامنة بعدأن يموت الميت منهم يزين بملابس عرسه وبالحلي والحلل ويوضع في صندوق ويدفن في الارض وبعد الفراغ من الدفن يشربون الخمر على قبره ويطربون ، ثم يتوجهون الى الكنيسة للمغازلة ولاعمال تخل بالشرف . وكان لهذه الاعمال أثر سيىء في نفسي ، فاتفق اني حضرت تشييع

جناز احد المسلمين وشاهدت صنع المسلمين عند دفن موتاهم وما يقومون به من أعمال بعد الدفن ، فرأيت الحقيقة في الاسلام ، فذهبت الى العلامة الشيخ مصطفى الآملي في (دزفول) وأسلمت على يديه وسماني (محمدا) ولقبني بـ (اسلامي) .

وبعد ، ان أسلم محمد تبرع جماعة من المسلمين بمال ليتجر به ولكنه ابي وعاش بكد يمينه وقال : لم يكن اسلامي طمعا في المال .

وقد اراد احد العلماء اختباره قبل ان يعلن اسلامه ، فقال له : ان في الاسلام فقرا وعسرا وضيقا ، فما بالك تسلم ، فأجاب : أني اسلم لاني وجدت الحقيقة ، غير مبال لما يصيبني من ضيق وعسر .

٣٤ — صاحبة السمو الاميرة الانكليزية (ديانخ مود) أميرة سرواك تعتنق الدين الاسلامي وتقول : لقد دهشت عندما رأيت ما في الدين الاسلامي من طهارة وحكمة ويسر . وقد شعرت بأن قلبي كله وروحي جميعا مغموران بهذه الهداية التي هي في غاية الملائمة للبشر والعقول . وقد قالت بعد أسلامها: اني عازمة على اصدار مجلة باسم (الاخبار الاسلامية) في باريس . وذاهبة الى المانيا وغيرها للعمل على نشر الاسلام .

٣٥ — (لدي اولين كابولد) احدى المثقفات البريطانيات تعتنق الدين الاسلامي وتقول : اني لست أتذكر اللحظة الخطيرة التي هبطت على حقيقة الاسلام فيها ، بل وليس في وسعي تعيينها ، فكل ما ادري هو اني لم ازل مسلمة ولا أزال . وليس يثير العجب هذا الامر عندما يتذكر الانسان أن الاسلام هو دين الفطرة الموافق للطبيعة البشرية ولحياتها الاجتماعية ، فاذا ترك الطفل ونفسه ينشأ على هذا الدين الفطري ألبتة ، كما يقول احد علماء اوروبا : (الاسلام دين الحس المشترك البشري) : يعني الفطرة البشرية .

وتقول : « فكلما قرأت وكلما توصلت اليه في تحصيلاتي العلمية

وأختبرت بها الامور ثبت لدي ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي يمكن للبشرية العمل وفق منهاجه القويم . وهو الدين الوحيد الذي يحل عقد المسائل الاجتماعية ويذهب بكل مشكلة أبهم على العالم طريق حلها وهو الذي يجلب للانسانية السلام العام والسعادة الابدية .

٣٦ ــ فاطمة ج . ب . كاترجي الهولندية تعتنق الدين الاسلامي سنة ١٩٥٥ م وتقول : يتجلى الاسلام حلا لعُقد الحياة المعنوية والمشاكل الاجتماعية في عالمنا المتقطع الاشلاء : لايقتصر الاسلام على النواحي الروحية والمعنوية فحسب ، بل يعالج الجوانب المادية والطرق العلمية أيضا .

وتقول : الاسلام يراود الروح البشرية مباشرة وله مقدرة ليوفر لنفوسنا المضطربة ذلك الاطمئنان والراحة اللائقة .

٣٧ ــ Mrs. Cecilia Connolly سيسليا (محمودة كوتلي) الاسترالية تعتنق الدين الاسلامي بعد دراسة وتحقيق وتقول : قبلت الاسلام لما وجدت نفسي مسلمة بطبعي حتى وقبل أن اعرف ذلك ، فقد تخلّيت عن المسيحية أبان شبابي لعدة اسباب ، منها :

اني كلما واجهت احد الروحانيين المسيحيين وسألته عن مشكلة دينية سلبت راحتي واخذت بأفكاري كلها او عن تعاليم الكنيسة الثقيلة كانت الاجابة على اسئلتي من طراز واحد ، وعلى نسق مطرد في الجميع وهي لاينبغي لكم السؤال والتجسس حول تعاليم الكنيسة ، بل الواجب عليكم هو الايمان الخالص .

٣٨ ــ وقد اهتدت الى الاسلام في هذه الايام : عزيزة روشه نرون الفرنسية وهي عضوة جمعية الاخوة الاسلامية في فرنسا وهي تخدم في هذه الجمعية من غير تعب ولا ضجر . وقد انشأت مجلة أسمتها : (النظر الى الشرق) الغاية منها تفهيم الفرنسيين الاسلام .

٣٩ ــ البروفسور : القسيس داود بنيامين (عبد الاحد داود) ، يعتنق الدين الاسلامي ، وهو يقول : لست أعلل اسلامي بسبب سوى العناية الإلهية وأراه لايرتبط بشيء غير الهداية من الذات الاحدية فقط . فلولا العناية الالهية لكانت المساعي والجهود وجميع المعارف والعلوم للوصول الى الحق والحقيقة أقرب الى الضلالة والعمى .

٤٠ ــ الدكتور دي كابريو الايطالي يعتنق الدين الاسلامي وهو اليوم رئيس مجلس ادارة المركز الثقافي الاسلامي في (سان فرانسيسكو) وقدسئل عن سبب اعتناقه الاسلام ، فأجاب : انه التقى بزوجته في مدينة (سان فرانسيسكو) فأعجب بمسلكها في الحياة والاسلوب التي تنتهجه في حياتها، فلما سألها عن سبب ذلك ، قالت : انها مسلمة ومن أبوين روسيين ، وقد ولدت في اليابان ثم هاجرت مع أهلها الى أمريكا وشرحت له التعاليم الاسلامية فوجدها ــ على حد قوله ــ هي التعاليم التي كان يتصور أنها يجب أن تكون عليه المعتقدات البسيطة المعقولة لكل البشر ، وعلى ذلك اعتنق الاسلام . ولم يجد شريكة لحياته أفضل من تلك السيدة المسلمة التي يمكن ان تعينه على ان يحيا حياة اسلامية صحيحة .

٤١ ــ الدكتور خالد شيلدريك أسلم عام ١٩٠٣ م ومنذ اعتناقه الدين الاسلامي قام بواجبه في بث الدعاية الاسلامية في انكلترة وفرنسا وكندا .

وهو يقول : ان المبشرين في الصين بذلوا أموالهم وأنفسهم ونساءهم لتبليغ المسيحية في الايام الماضية ، ولكن لم يتبعهم سوى عدد قليل جدا ازاء الجماهير التي تعتنق الاسلام . واما اتباع المسيحية فلرغبة في المال ، او الوظائف أو النساء اللاتي يردن على المبشرين من حين لآخر .

والدكتور خالد منهمك اليوم بتصنيف الكتب والمقالات الاسلامية على طريقة مذهب أهل البيت عليهم السلام في جرائد الهند الانكليزية وهو أول

مسلم انكليزي استجاب الى العقائد الشيعية الامامية الاثنى عشرية • وهو خطيب بارع يصلي بالانكليز وغيرهم كل الاوقات المفروضة •

٤٢ ــ الدكتور توماس بالنتين أيبزتنك الامريكي يعتنق الدين الاسلامي وقد أعجبه ما في الاسلام وتعاليمه السمحة من عدل واخاء ومساواة وقد أصدر عدة مجلات في باكستان وجنوب افريقيا •

٤٣ ــ المحامي : زكي عريبي رئيس الجالية اليهودية في مصر يعتنق الدين الاسلامي الحنيف وهو من أشهر المحامين في مصر •

يقول : اني نظرت في رسالة هذا الرجل العظيم (محمد بن عبد الله ص) الذي لم تؤهله للرسالة ثقافة ولا علم ولا دين ، نشأ كما ينشأ الناس ، وعاش عيشتهم وحيا حياتهم ، ثم اذا به قد اوحي اليه بهذا الكتاب الخالد الآتي من وراء الحجب ، وهو مليء بأخبار الاولين •

« وأعجبني من هذا الدين أنه جاء مصدقا لما قبله ، فالمؤمن به من اهل الكتاب لايقتلع مع دينه اقتلاعا ولا ينخلع عنه أنخلاعا • فان كان يهوديا وجد في القرآن تمجيد موسى ودين موسى الحقيقي ، بل وتمجيد أبناء اسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين في وقت من الاوقات • وان كان مسيحيا وجدفي القرآن تمجيد المسيح بن مريم وتمجيد أمه • بل وتمجيد آل عمران جميعا بل واعترف بهم الاسلام كأخوة مكرمين حيث يستأمنون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين • واني لأحب ان يدلني الناس على دين آخر فيه هذا التسامح وفيه هذا البعد عن النصب » •

« ووجدته دين سياسة رشيدة ، لايعلو فيها الحاكم ولا يذل المحكوم » •

٤٤ ــ المهندس : البرهمي الروحي الهندي : كل ماني مسرا : (كل محمد) يعتنق الدين الاسلامي الحنيف بعد مناقشات طويلة وقد حسن أسلامه بالتزامه بالعبادات كلها وكتب كتبا مهمة في الاسلام •

٤٥ — (يوسف • م • بينيوا ليونارد تشيروا) يعتنق الدين الاسلامي فيقول : قلما يوجد كتاب او نصادف مقالا على صحيفة يبحث عن الاسلام وعن القرآن المقدس • الى أن سافرت الى بايرا Beira وفي احدى الليالي جاء مدير الفندق وأصحبني وسائر المسلمين الى مسجد حديث البنيان لأداء فريضة الصلاة ، والتمست منهم قرآنا • وفي الغد أعطوني قرآنا مترجما بالانكليزية بقلم (مارما دوك پيكتال) وشعرت بعد ذلك اني بحاجة الى من يكلمني حول الدين الاسلامي ، الى أن ذهبت الى (لندن) وحضرت ساحة (هايد) عند دكة الجمعية الاسلامية البريطانية لاستمع الى محاضراتهم ، وهناك تعرفت حقا الى كثير من حقائق الاسلام • فاعتنقت الاسلام وعلمت ان الدين الاسلامي هي الرابطة الكبرى العالمية لجميع أبناء البشر وباستطاعة كل أحد ان يفهمه عمليا وهو أنفع دين عرفته البشرية حتى اليوم •

٤٦ — ذو الفقار مسيح (ذو الفقار علي) المسيحي يعتنق الدين الاسلامي فيقول : اعتنقت الدين الاسلامي لما وجدته دينا كاملا حافلا بجميع ما يحتاج اليه البشر في حياته الدنيوية والدينية ، وليس هو يختص بعصر دون عصر أو جيل دون جيل ، وان النجاة في الدارين لا تحصل الا بالتمسك بدين الاسلام •

٤٧ — رابرت والديا (حسين اسلام دوست) يعتنق الدين الاسلامي وهو يقول : كنت من سكنة (رضائية) فاتفق بيني وبين جماعة من أهلها مشاجرة في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان المبارك ١٣٨١ هـ •

وكان سبب ذلك انهم أساؤا الادب الى نبينا عيسى (ع) [1] • وكنت أقابلهم متحاملا عليهم ، واوشكت ان اسيء الى مقدسات الاسلام ، غير اني

(١) عيسى عليه السلام من أنبياء أولي العزم ، على كل مسلم تقديسه وتبجيله ومن أعتقد سوء فيه (ع) ونال من كرامته فقد خرج من زمرة المسلمين

أحجمت ، الى أن جن الليل واردت المنام ، فعمدت الى اطفاء المصباح ، وإذا بالغرفة اضاءت من جديد ، فهرعت الى مصدر الضوء ، واذا بانسان على زي عربي ، واضعا يده على قائم سيفه وسط الغرفة ، وتوجه الي وقال : نعم ما صنعت اليوم ، امسكت عن النزاع وعن الاهانة بمقدسات المسلمين • وها اني أعرض عليك ثلاثة أمور ، لابد لك من امتثالها • قلت : سمعا وطاعة قال : ليس هكذا ولابد ان تحلف بموت امّك ، فحلفت له بذلك • قال :

عليك أولا أن تتشرف بالذهاب الى قم وتسلم هناك ، وتمكث عشرة ايام ، ثم تزور قبر الامام الرضا عليه السلام • وتمكث أيضا هناك عشرة أيام وبعدها تذهب الى الاعتاب المقدسة ، كربلاء والنجف وسائر الائمة (ع) وسأكون معك في حرم الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان هذا آخر كلامه وغاب عني [1] •

وقد قام هذا الشاب بما أمر به وأسلم وحسن اسلامه •

٤٨ — ١٢٠٠ — من الهندوسيين يعتقون الدين الاسلامي • وقد الف أحد الاساتذة البلجيكيين كتابا عن الديانة الاسلامية جاء فيه : ان انتشار هذه الديانة في ازدياد ، خصوصا في جهات آسيا ، وان الاسلام الذي كان الاوربيون يتوهمونه خطرا كبيرا ينتشر انتشارا سريعا في الشرق الاقصى وخصوصا في الصين • ففي الصين الآن عشرون مليونا من المسلمين وفي الهند والسند يزداد عدد الداخلين في الاسلام ازديادا مرموقا •

وذكرت جريدة النهضة الغراء نقلا عن جريدة (البلاغ السماوي) التي تصدر بالانكليزية في بومباي ما يأتي :

---

(١) صار كثير من رجالات الغرب يؤمنون بالغيب بتجسد الارواح وبعوالم ما بعد الموت وقد ألفت في ذلك مئات الكتب ، ومنها : على حافة العالم الاثيري ، لمؤلفه : J. Arthur Findlay وكتاب : « الانسان روح لا جسد » ، وكتاب : العالم غير المنظور .

لقد اتسع نطاق الاسلام في البلاد الامريكية إتساعا عظيماً وانتشر المبشرون الاسلاميون في طول البلاد وعرضها ، فكانوا يتلقون من أهل البلاد اقبالا عظيما وتشجيعا منقطع النظير .

وقد تأسست في (ريودوجانيرو) عاصمة البرازيل جمعية اسلامية كبرى همها القاء المحاضرات وبث الدعوة الاسلامية ، ولا يمضي اسبوع الا ويعتنق فيه أفاضل القوم هناك الدين الاسلامي ، وقد بلغ عدد المسلمين في شمال البرازيل خمسين ألفاً كلهم من ذوي المقامات العالية .

٤٩ — علي أكبر (عباسي) البهائي يعتنق الدين الاسلامي ويقول : « كان السبب الاساسي لنزوعي الى الاسلام هو ان البهائية لا تراعي جانب العفاف رأسا ، وليس لاحترام الاعراض والنواميس وحفظها مفهوم ولا معنى في لغة هذا المبدأ . فكنت اتحرج واتألم على أثر ذلك كثيرا . ولم يكن ضميري ليقبل حسب الفطرة الانسانية التغاضي عن تلكم التجاوزات العرضية في منتدياتنا البهائية . فكان التطاول على عرضي أو عرض غيري من زملائي البهائيين أمرا لم اكن لاتحمله بتاتا . وكنت أفكر دائما : (لو كنت انسانا فمن واجبي التحفظ على عرضي وناموسي) . فلأجل هذا وغيره من الامور الروحية اندفعت نحو التحقيق حول الدين الاسلامي النزيه . فرأيت العفاف والتقوى ونزاهة الجانب والطهارة ، وبكلمة جامعة ، رأيت الفضيلة الانسانية بجميع معنى الكلمة وبواقعها الحقيقي متوفرة في الاسلام .

٥٠ — حبيب الله (إغماضي) البهائي [1] يعتنق الدين الاسلامي ، ويقول:

(١) ومن جملة ما جا من صفات الله تعالى فى كتاب « البيان » لزعيم البابية: « بسم الله السلط ذي السلطيات ! بسم الله السلط ذي المستلطيات ! بسم الله السلط ذي التسالطيات ! بسم الله السلط ذي المسلوطيات ! ؟ ... وأيضا فى مكان آخر : بسم الله الاقدم القدام القادم القدمان المتقدم القيدوم المقادم ذي المقدامين ذي القدمات ذي الاقـدام ذي القدومين ، ذي المقاديم المستقدم ، المستقدمان ذو القداديم ... الخ !!؟

« على أثر جهلي قضيت ثلاثين عاما مغفلا ملتزما للفرقة الكاذبة ذات المبدأ المزيّف الذي يعتنقه أناس غير مقيدين بشيء ولا ثابتين على عقيدة . شعارهم التزوير والتدليس . أناس تعمل فيهم ايادي الاجانب منذ مئة عام في بلادنا الايرانية » .

« كلنا يعلم ان منطقة (عشق آباد) في البلاد الروسية غرست شجرة خبيثة ، كانت من ثمرتها تلك الجناية الفادحة التي كونت أمثال (الباب والبهاء) عملاء المستعمر الغاشم .فأستطاعوا على ايدي جماعة استهوتهم اللذائذ الوقتية لا يعرفون للضمير معنى ، ولا يراقبون الله في شيء ، ان يخدعوا شرذمة من الجهال » .

« كان من سوء الحظ ان كنت أحد هؤلاء المغترين مدة ٣٠ عاما كما ذكرت ، شاهدت خلالها فجائع وفضائح بعيدة عن الشرف والناموس . ولكن جهلي المطبق ، وعدم اتصالي بالطبقات المثقفة جعلاني لا أشعر بفضاعة الامر . ولم أكن اعرف عن الاسلام سوى مجموعة مشوهة ، كان زملائي البهائيين وأقطابهم يعرفونها الينا كما يريدون » .

* * *

وهكذا نرى ان كل من تشرف بدين الاسلام علم انه الدين الحق ، أنزله الله رحمة للعالمين ، وهو آخر الاديان ، لم تتسرب اليه يد البشرية بتحريف أو تغيير ، وأن محمدا (ص) خاتم النبيين وسيد الرسل اجمعين ، وان اصلاح هذا العالم لايتم الا بجعل الاسلام دينا عالميا خالدا ، « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » [١] . « ما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرا ونذيرا » [٢] .

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٠ .
(٢) سورة سبأ : ٢٨ .

فعلى المسلمين في انحاء العالم ان يقوموا بتضحيات غالية لنشر الاسلام وتفهيمه وتطبيقه ، فانه دين الفطرة ، والفطرة السليمة هي التي تجلب الناس الى قبوله وتطبيقه . فقد برز في أمريكا ، التي ترصد أكبر قواها لمحاربة الاسلام في آسيا وافريقيا ، حركة اسلامية شابة تدعو الى اقامة حكم اسلامي ، على الرغم مما يسلطونه عليها من الدعاية للتشويه والتنفير . كل ذلك لان الاسلام دين الفطرة ودين الله في أرضه في مستقبل قريب . ولذلك نقرأ في كتاب La Conquete du monde musulman [٣] : « ينبغي للمبشرين أن لايقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة . اذ من المحقق ان المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوروبين وتحرير النساء : وان المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد افراد المجتمع عن تعاليم الدين ، واقدر أفراد المجتمع على جرّ المجتمع كله بعيدا عن الدين [٤] .

الا أن بالرغم من كل هذه المحاولات ، ان الفطرة هي الغالبة وهي القوة القاهرة المسيطرة على النفوس ، وان قليلا من التضحيات في أوساط أفريقيا وامريكا واليابان سوف يجعل الدين الاسلامي دينا عالميا شاملا ، فلا ترى في أية بقعة من بقاع الارض الا من يقول : لا اله الا الله — محمد رسول الله .

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [٥] .

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » [٦] .

---

(٣) تسخير العالم الاسلامي .
(٤) جاهلية القرن العشرين : ٣٣٣ . محمد قطب .
(٥) سورة محمد : ٧ .
(٦) سورة آل عمران : ١٦٠ .

أثر الحاجات في تكامل النفس

ان الله تبارك وتعالى قد أودع الكمال في كل بقعة من بقاع الارض وفي كل جزء وجزيء وذرة ، فما من شيء مادي الا وترى فيه النظم والقوانين المحيرة للالباب وخواص مدهشة مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » [١] ودساتير رياضية تربط أجزاء هذا الكون بعضها ببعض ، قد عثر على جزء ضئيل منها هذا الانسان بلطف منه تعالى . ولكن الانسان [٢] لظلمات في نفسه (بما اجترحت يداه !) لم يؤد ما عليه من واجب الشكر تجاه نعمه تعالى ، فصار يتخبط تخبط عشواء في دياجير الظلم والفساد : « والله لا يحب الفساد » .

وان الانسان كموجود خلقه الله تعالى لابد له ان يتبع ما سن له من مراحل تكاملية ، كي يحقق الكمال الانساني ، هذا الكمال الذي سنه الله تعالى على لسان انبيائه عليهم السلام . كل ذلك ، لئلا يشذ هذا الانسان عن بقية الموجودات في البلوغ الى أقصى مراتب الكمال كل بحسبه ومرتبته .

وواضح ان الله تعالى هو الكامل على الاطلاق لا يصدر منه (لايخلق) الا الكمال . فـ (الكمال) شعار هذا الوجود بأمر منه تعالى .

ومن جملة اسباب الكمال الانساني : حاجاته المتنوعة وعرض هذه الحاجات على الله المتعال اذ كلما زادت العلاقة بين العبد والمعبود كلما تكامل الفرد وتقرب اليه تعالى . ولا يراد بهذه العلاقة الا الزلفى اذ لا سنخية بين الخالق والمخلوق خلافا لما ذهب اليه بعض الحكماء ! . ولا بد للانسان في حياته

---

(١) سورة الملك : ٣ .

(٢) « ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد » : (سورة العاديات ٦ — ٨) .

الدنيوية من أمراض وشدائد وغايات مشروعة وآمال طيبة يريد تحقيقها فالى من يذهب لتحقيق آماله المشروعة او لدفع مرضه العضال يقول زين العابدين عليه السلام [١] : « من أين لي الخير يا رب ولا يوجد الا من عندك ، ومن اين لي النجاة ولا تستطاع الا بك ، لا الذي احسن استغنى عن عونك ورحمتك ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك» .

فلا بد لهذا الانسان أن يتوسل الى الله المتعال الذي بيده مفاتيح الامور كلها وذلك بعد قطعه المراحل التي امرنا الله تعالى بها .

فالمريض يراجع الطبيب . ولكن الطبيب قد لا ينجح في معالجته ويطول به المرض او يشتبه في تشخيص المرض . فالله هو الذي يهيء لهذا الانسان أسباب الشفاء من حيث يحتسب ، ومن حيث لا يحتسب . وقد يبرأ الشخص من مرض عضال مستعص بمجرد الدعاء اذا كان من المقربين المخلصين [٢] .

كما ان الانسان قد يقوم بفعاليات خطيرة في سبيل تحقيق غاية مشروعة ، ولكنه يخفق في جميعها فلا ينجح فلابد له من التوسل الى الله والخشوع

---

(١) من دعاء يرويه ابو حمزة الثمالي عن السجاد عليه السلام .

(٢) ننقل هذه الحادثة تأييدا لما قلنا ومثلها حوادث جمة من كتاب : « بين الله والانسان (ص : ١٠٢) من مؤلفات العلامة الشيخ محمد جواد مغنية:

تقع بلدة حبوش فى جنوب لبنان ــ جبل عامل ــ قرب النبطية ، ويوجد فيها الآن رجل اسمه حسن طالب نعمة ، تشاجر مع آخر ، فطعنه هذا بسكين غاصت بكاملها فى أمعائه ، ومزقها تمزيقا ، وخرج ما فيها ، واشرف حسن على الهلاك ، فعرضه اهله على عدد من الاطباء ، منهم الجراح المعروف نبيه الشاب الموجود حاليا فى صيدا ، فأجمع الاطباء كلمة واحدة على انه ميت بعد لحظات لامحالة ، وان التطبيب لايجدي شيئا ، وقبل ان يلفظ النفس الاخير اصابته غفوة رأى فيها الحسين بن علي سيد الشهداء (ع) ، فاستغاث به ، فوضع الحسين (ع) يده الشريفة على مكان الجرح فعاد كل شيء صحيحا كما كان ، وقام الرجل من ساعته معافى كأن لم يكن شيء وهو الآن حي يرزق ، ويعرف ذلك جميع أهل حبوش ، البالغ عددهم أكثر من ٣٠٠٠ نسمة .

والخضوع بين يديه والتضرع والبكاء والدعاء والقيام بصلوات مستحبة كي يمن الله عليه بقضاء حاجته المشروعة .

فالحاجات عامل قوي في التوجه الى الحق المتعال ، اذا كان الفرد ممن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، ويؤمن ان التوفيق منحصر به تعالى ، مع العلم ان على الانسان ان يطرق الابواب المشروعة التي بها يمكن ان يتحقق ما يريد على شرط المشروعية .

* * *

ولا مراء ان الله تبارك وتعالى موجود في كل مكان وفي كل آن وحين ولا يخلو منه مكان . فللعبد ان يسأل حاجته من الله تعالى في أي مكان شاء وفي أي وقت أراد ، فالله يستجيب دعاءه ويقضي حاجته عاجلا او آجلا حسب حكمته تعالى ان كان منقطعا اليه تعالى غاية الانقطاع ، متوسلا اليه توسلا ملؤه الاخلاص .

وللأوقات أثر في استجابة الدعاء ، فأبواب السماء مفتحة ليالي الجمعة من أول الليل الى طلوع الفجر الصادق ، يستجاب الدعاء فيها من أول الليل الى طلوع الفجر وأما بقية الليالي ففي الثلث الاخير منها يستجاب الدعاء ، لان أبواب السماء مفتحة بلطف منه تعالى في الثلث الاخير ويستجاب الدعاء عند الزوال على ما جاء في بعض الروايات . وهناك أوقات اخرى لا حاجة لذكرها فالاوقات كلها صالحة لاستجابة الدعاء ، اذا أخلص العبد في دعائه واستجمع شروط الاستجابة وكان موضوع الدعاء موضوعا مشروعا يرتضيه الله تعالى ولا يخالف اوامر الشرع ولا يؤدي الى سوء العاقبة والضلال . « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » (١) .

(١) سورة سبأ : ٣ ، لايعزب : لايغيب ولا يخفى .

كما أن الله تعالى لا يتوقف عن عمل ما يريد ولا يتردد . فمشيئته تتحقق في كل آن : « يسأله من في السماوات والارض، كل يوم هو في شأن » [١]. ولا يشغله شأن عن شأن .

كذلك يستجاب الدعاء في كل بقعة من بقاع الارض والسماء ، الا ان لبعض الاماكن أثرها في استجابة الدعاء . منها المساجد ، والعتبات المقدسة : « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » [٢] .

وها اني أذكر هنا بايجاز بعض الاعمال والادعية التي لها أثرها الفعال في قضاء الحاجة باذنه تعالى .

١ — المواظبة على صلاة جعفر الطيار (رض) ، ولابأس بذكرها هاهنا مع كونها مسطورة في الجزء الثالث من هذا الكتاب :

هي اربع ركعات كل ركعتين بسلام . يقول في كل ركعة بعد قراءة السورة ١٥ مرة : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر . ويقولها ١٠ مرات حال الركوع و ١٠ مرات بعد الركوع حال القيام و ١٠ مرات في السجدة الاولى و ١٠ مرات بين السجدتين و ١٠ مرات في السجدة الثانية و ١٠ مرات بعد السجدة الثانية قبل القيام ، فيكون مجموع التسبيحات في كل ركعة ٧٥ مرة وفي الركعات الاربع ٣٠٠ مرة .

والافضل أن يقرأ في الركعة الاولى بعد الحمد سورة « اذا زلزلت »

---

(١) سورة الرحمان : ٢٩ .
(٢) سورة النور : ٣٦ — ٣٨ .

وفي الركعة الثانية بعد الحمد سورة : « والعاديات » وفي الركعة الثالثة بعد الحمد سورة النصر : « اذا جاء نصر الله » . وفي الركعة الرابعة بعد الحمد سورة الاخلاص : « قل هو الله احد » .

وان يقول في السجدة الاخيرة بعد التسبيحات : « سبحان من لبس العز والوقار ، سبحان من تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان من لا ينبغي التسبيح الاله ، سبحان من أحصى كل شيء علمه ، سبحان ذي المن والنعم سبحان ذي القدرة والكرم ، اللهم اني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وكلماتك التامة التي تمت صدقا وعدلا صل على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا ، ويذكر حاجته .

وروى الشيخ في المصباح والسيد في جمال الاسبوع عن المفضل بن عمر قال : رأيت ابا عبد الله عليه السلام صلى صلاة جعفر بن ابي طالب (رض) ورفع يديه ودعا بهذا الدعاء : يا رب ، يارب ، حتى انقطع النفس . يارباه يا رباه حتى انقطع النفس رب رب ، حتى انقطع النفس ، يا الله يا الله ،حتى انقطع النفس ، يا حي ياحي ، حتى انقطع النفس ، يا رحيم يا رحيم ،حتى انقطع النفس ، يارحمن يارحمن سبع مرات، ياأرحم الراحمين : سبع مرات . ثم قال: « اللهم اني افتتح القول بحمدك ، وانطق بالثناء عليك ، وامجدك ولا غاية لمدحك ، واثني عليك ومن يبلغ غاية ثنائك وامد مجدك ، واني لخليقتك كنه معرفة مجدك وأي زمن لم تكن ممدوحا بفضلك ، موصوفا بمجدك ، عوادا على المذنبين بحلمك ، تخلف سكان ارضك عن طاعتك فكنت عليهم عطوفا بجودك ، جوادا بفضلك عوادا بكرمك ، يا لا اله الا أنت المنان ، ذو الجلال والاكرام » . وقال يا مفضل ، اذا كانت لك حاجة مهمة ، فصل هذه الصلاة وادع بهذا الدعاء وسل حاجتك يقضيها الله ان شاء الله تعالى .

٢ ــ المواظبة على صلاة يوم الخميس وهي أربع ركعات بسلامين ، في

الركعة الاولى بعد الحمد ١١ مرة سورة الاخلاص : « قل هو الله أحد » .

وفي الركعة الثانية بعد الحمد ٢١ مرة سورة الاخلاص وفي الركعة الثالثة بعد الحمد ٣١ مرة سورة الاخلاص وفي الركعة الرابعة بعد الحمد ٤١ مرة سورة الاخلاص .

وبعدالسلام يقرأ سورة الاخلاص ٥١ مرة وبعدها يقول : اللهم صل على محمد وآل محمد ٥١ مرة ثم يسجد ويقول في سجوده : مائة مرة رب... ثم يسأل حاجته .

٣ ــ المواظبة على صلاة الليل والدعاء بعدها لقضاء الحاجة لا سيما اذا دمعت عيناك حال توسلك وتضرعك .

٤ ــ وهناك صلاة خاصة لرسول الله (ص) ،وصلاة خاصة لعلي عليه السلام ، وكذلك لكل من الائمة عليهم السلام ، لها آثارها في قضاء الحوائج مسطورة في كتب الادعية .

٥ ــ وقد ذكر الكفعمي في (البلد الامين) دعاءا يرويه مقاتل عن الامام زين العابدين عليه السلام قائلا : من قرأ هذا الدعاء مائة مرة ولم تقض حاجته فليلعني : (أي فليلعن الراوي) .

« الهي كيف أدعوك وانا انا ، وكيف اقطع رجائي منك وأنت انت . إلهي اذا لم اسألك فتعطيني فمن ذا الذي اسأله فيعطيني الهي اذا لم ادعك فتستجيب لي فمن ذا الذي أدعوه فيستجيب لي . الهي اذا لم أتضرع اليك فترحمني فمن ذا الذي اتضرع اليه فيرحمني ، الهي ، فكما فلقت البحر لموسى عليه السلام ونجيته اسألك ان تصلي على محمد وآله وان تنجيني مما انا فيه وتفرج عني فرجا عاجلا غير آجل بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين » .

وهناك أدعية كثيرة وصلوات متنوعة مذكورة في كتب الادعية ، تفيد في قضاء الحوائج باذنه تعالى .

مع العلم ان بعض الحاجات قد لا تقضى فيؤجر الانسان أضعاف ذلك في الآخرة ، ويتمنى عند ذاك : ليت حاجاته كلها لم تقض في الدنيا لينال مراتب عالية في « جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين » .

فعن ابي عبد الله عليه السلام كما في الكافي [١] . قال : ان المؤمن ليدعو الله عز وجل في حاجته ، فيقول الله عز وجل : اخروا اجابته شوقا الى صوته ودعائه ، فاذا كان يوم القيامة ، قال الله عز وجل : عبدي ، دعوتني ،فأخرت اجابتك ، وثوابك كذا وكذا ، ودعوتني في كذا وكذا فأخرت اجابتك وثوابك كذا وكذا . قال : فيتمنى المؤمن انه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب » .

وفي خبر عن ابي عبد الله عليه السلام [٢] . قال : لا يزال المؤمن بخير ورجاء رحمة من الله عز وجل ما لم يستعجل فيقنط ويترك الدعاء ، قلت له ، كيف يستعجل ؟ قال : يقول : دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الاجابة » .

ومعنى هذا الحديث : ان الله تعالى لمصلحة هناك قد يؤخر الاستجابة ، أولا يستجيب دعاء العبد ليعطيه اضعاف ذلك في الآخرة . وهو على التقديرين في خير لاشتغاله بالدعاء الذي هو من اعظم العبادات ، فقد جاء في الحديث: « الدعاء مخ العبادة » . فهو والحالة هذه في أشرف الحالات .

ومن المعلوم ، كما جاء في منطوق حديث ، كان بين قول الله عز وجل « قد أجيبت دعوتكما » [٣] وبين أخذ فرعون اربعون سنة .

---

(١) كتاب الدعاء ، الجزء الثاني من أصول الكافي ، ص : ٤٩٠ ، طبع دار الكتب الاسلامية .

(٢) نفس المصدر ص ٤٩٠ .

(٣) سورة يونس : ٨٩ .

وعن ابي عبد الله عليه السلام : « ان العبد ليدعو ، فيقول الله عز وجل للملكين : قد استجبت له ، ولكن : احبسوه بحاجته ، فاني أحب ان اسمع صوته ، وان العبد ليدعو ، فيقول الله تبارك وتعالى : عجلوا له حاجته ، فاني أبغض صوته ! » (١) .

* * *

لنستمع الى كلام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام حين يدعو ربه ، ففيه أدب الدعاء الرفيع :

« إلهي ، يامنتهى مطلب الحاجات ، ويا من عنده نيل الطلبات ، ويا من لا يبيع نعمه بالاثمان ، ويا من يستغنى به ولا يستغنى عنه ، ويا من يرغب اليه ولا يرغب عنه ، أنت اهل الغنى عن خلقك ، وهم أهل الفقر اليك ، فمن حاول سد خلّته من عندك ، ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في مظانها واتى طلبته في وجهها ، ومن توجه بحاجته الى أحد من خلقك او جعله سبب نجحها دونك ، فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان » .

ويقول زين العابدين عليه السلام في مقام الحاجة في موضع آخر :

« اللهم ولي اليك حاجة ، قد قصّر عنها جهدي ، وتقطعت دونها حيلي ، وسوّلت نفسي رفعها الى من يرفع حوائجه اليك ، ولا يستغني في طلباته عنك ، وهي زلّة من الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين ، ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي ، وقلت سبحان ربي ، كيف يسأل محتاج محتاجا ، وأنى يرغب مُعدِم الى معدم ، فقصدتك يا الهي بالرغبة ، وأوفدت عليك رجائي بالثقة بك ، وعلمت ان كثير ما اسألك يسير في وجُدِك ، وأن كرمك لايضيق عن سؤال أحد ، وان يدك بالعطايا اعلى من كل يد » .

(١) اصول الكافي ج : ٢ ، ص : ٤٨٩ .

فعلى الانسان ان ينغمر في حبه لله تعالى وان يلتذ بالدعاء حين طلبه حاجة من الله تعالى ويزداد الحاحا في الطلب والدعاء ، فالله تعالى يحب من العبد أن يكون ملحا كثير الدعاء متضرعا خاشعا ، فقد جاء في حديث : « اذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه » .

وقد يبلغ الحال بالانسان عند الدعاء ، لاسيما جوف الليل ، اذا نامت العيون وهدأت الاصوات ، انه يريد من الله تعالى أن يكون دائما هكذا متوسلا مناجيا ربه بفنون الدعوات ، منقطعا اليه غاية الانقطاع ، لما يرى في تلك الحالة من السمو والعروج ، والفرح والسرور فوق حد الوصف والتعريف فهو في حالة الدعاء والتضرع أقرب ما يكون من الله تعالى ، وهذا التقرب غاية الغايات وخاتمة السعادات . فتراه ينسى حاجته ويراها شيئا تافها ازاء هذا الانغمار اللاهوتي والتسبيح الملكوتي ، فلا يريد قضاء حاجته ، ويفوّض أمره الى الله تعالى ، لا سيما اذا كان متعلق الحاجة أمرا من أمور الدنيا الزائلة ، فانه بدعائه هذا قد وجد الله الذي بيده كل الامور ومعرفة غاية السعادات .

فقد قال الحسين عليه السلام ، مخاطبا ربه : « ماذا وجد من فقدك ؟ وما الذي فقد من وجدك ؟ » .

ويقول عليه السلام في موضع آخر في مقام طلب الحاجة : « اللهم حاجتي التي ان أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني وان منعتنيها ، لم ينفعني ما أعطيتني ، اسألك فكاك رقبتي من النار » . وقال ايضا : « الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك من السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء » .

نعم ، أن العبد في حالة الدعاء وانقطاعه الى الله المتعال ، يصبح وكأنه يرى الله تعالى علانية وكأنه يخاطبه وهو قريب منه ، فيبلغ درجة الخشية

والزلفى في هذا العالم اللاهوتي ، فيكون مصداق كلام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، حيث يقول : « اللهم اجعلني أخشاك كأني اراك واسعدني بتقواك ، ولا تشقني بمعصيتك ، وبارك لي في قدرك حتى لا أتعجل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت » .

ثم ان الانسان عندما يقوم بأعمال من أدعية وصلوات مع الحاح واصرار لقضاء حاجته ، يبلغ بعد مدة الى درجة من التقرب الى الله تعالى بحيث يشعر في قرارة نفسه أن حاجته قد قضيت ، وان دعاءه قد استجيب . فيلهم اليه قضاء حاجته فترتاح نفسه ويطمئن قلبه . وقد اعترت لي هذه الحالة مرات في حياتي، فما أحلى الحاجات المشروعة وما أحلى الحالات التي تعتري الانسان عند قيامه بأعمال تؤدي الى قضاء حاجته من دعاء وصلوات وأعمال صالحات .

* * *

ثم إياك ان ترفع حاجتك الى أحد من البشر من سلطان أو غيره ، فانه نوع شرك بالله تعالى ، فقد قال الامام الصادق عليه السلام :

« أتقوا الله وصونوا انفسكم بالورع والاستغناء بالله عن طلب الحوائج الى صاحب سلطان . واعلموا ان من خضع لصاحب سلطان ، او لمن يخالفه على دينه طلبا لما في يده من دنياه أخمده الله ومقته ووكله اليه ، فان هو غلب على شيء من دنياه فصار اليه منه شيء نزع الله البركة منه ولم يؤجره على شيء ينفقه في حج ولا عتق ولا بر » .

وجاء في الحديث الشريف عن الرسول الاعظم : « اللهم ارزق محمدا وآل محمد ومن أحب محمدا وآل محمد الكفاف والعفاف » .

* * *

ولا مراء ان دين الاسلام دين اجتماعي يضمن للمسلم سعادة الدنيا والآخرة ، ويأمر المسلمين أن يكونوا متضامنين متعاونين فيما بينهم ، يعمل كل منهم لاسعاد الآخر ورفع حاجاته ، وان قضاء حوائج الناس ودفع المكروه

عنهم لفي الدرجة الاولى في قائمة الاعمال الصالحة ، وكم من آيات في القرآن الكريم تحثنا على العمل الصالح بعد الايمان بالله تعالى مباشرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (١) .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٢) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

« واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٣) .

« فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات » في عدة مواضع « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم » (٤) « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (٥) .

« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما أتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات » (٦) .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات ، لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير . ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى . ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ، ان الله غفور شكور » (٧) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .
(٢) سورة البقرة : ٨٢ .
(٣) سورة آل عمران : ٥٧ .
(٤) سورة المائدة : ١٠ .
(٥) سورة الفتح : ٢٩ .
(٦) سورة المائدة : ٩٣ .
(٧) سورة الشورى : ٢٢ — ٢٣ .

« ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط » (١) .

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » (٢) .

« وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم ، تحيتهم فيها سلام » (٣) .

« ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » (٤) .

« ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى » (٥) .

الى كثير من آيات أخرى لم نرد تدوينها كلها ، تشير الى أن الدين الاسلامي قد بني على دعامتين : هما : الايمان والعمل الصالح .

ويتجلى العمل الصالح : في قضاء حاجات المسلمين حتى وغير المسلمين بغية جلبهم الى حظيرة الاسلام كما كان يعامل مع المؤلفة قلوبهم في صدر الاسلام ، وفي ادخال السرور الى قلوب المؤمنين وصلة الرحم وعيادة المرضى والعمل لأجل دفع الاسقام عنهم بشتى الوسائل الى ما هنالك ، فقد قال الامام أبو جعفر عليه السلام (٦) .

« ان في ما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام قال : ان عبادا لي ابيحهم جنتي وأحكمهم فيها ، قال : يارب ، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها ، قال : من ادخل على مؤمن سرورا ، ثم قال : ان مؤمنا كان في مملكة جبار فولع به (٧) ، فهرب منه الى دار الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك : فأظله وارفقه واضافه ، فلما حضره الموت اوصى الله عز وجل اليه : وعزتي وجلالي ، لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ، ولكنها

(١) سورة يونس : ٤ .
(٢) سورة الرعد : ٢٩ .
(٣) سورة ابراهيم : ٢٣ .
(٤) سورة الشورى : ٢٦ .
(٥) سورة طه : ٧٥ .
(٦) اصول الكافي : ج٢ ، ص ١٨٨ .
(٧) ولع به : استخف به .

محرمة على من مات بي مشركا ، ولكن يا نار هيديه [1] ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفي النهار ، قلت من الجنة ؟ قال : من حيث شاء الله .

وكذلك عن ابي جعفر عليه السلام قال : « تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة وصرف القذى عنه حسنة وما عُبد الله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن » .

وفي اصول الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام : قال : من احب الاعمال الى الله عز وجل : ادخال السرور على المؤمن واشباع جوعته .

وقال رسول الله (ص) : « من حمى مؤمنا من ظالم بعث الله له ملكا يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم » . وقال (ص) : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقيل كيف ننصره ظالما ؟ قال : تمنعه من الظلم » . وقال ابو عبد الله الصادق عليه السلام : « من أغاث اخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده ، فنفس كربته واعانه على نجاح حاجته ، كتب الله تعالى له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها امر معيشته ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وأهواله » . وقال عليه السلام : «من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد » . وقال رسول الله (ص) :

« من سر مؤمنا فقد سرني ، ومن سرني فقد سر الله » .

وقال (ص) : « ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادخال السرور على المؤمنين » .

ولا شك ان من اوضح مصاديق ادخال السرور على المؤمن : قضاء حاجته ودفع الكرب عنه ، لذلك حث الدين الاسلامي المؤمنين على القيام بقضاء حوائج الناس بمالا مزيد عليه . فعن ابي عبد الله عليه السلام :« قضاء حاجة المؤمن خير من عتق الف رقبة وخير من حملان الف فرس في سبيل

(١) هيديه : أي ازعجيه وافزعيه وحركيه واصلحيه .

الله » [1] .

وفي الكافي أيضا ، عن ابي جعفر عليه السلام ، قال : أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام : « ان من عبادي من يتقرب الي بالحسنة ، فأحكمه في الجنة ، فقال موسى : يا رب ، وما تلك الحسنة ؟ قال : يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته ، قضيت او لم تقض » .

وقد قال ابو عبد الله الحسين عليه الصلاة والسلام : « اعلموا : ان حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملوا النعم ، فتحول نقما » .

وقال أيضا : « ايها الناس من جاد ساد ، من بخل رذل ، وان اجود الناس من اعطى من لا يرجوه » . وقال ايضا : « من نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ، ومن احسن أحسن الله اليه والله يحب المحسنين » .

ويحدثنا الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن احمد بن محمد ابن عبد الله عن علي بن جعفر [2] ، قال : سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول : « من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها اليه ، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله ، وان رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعا من نار ينهشه في قبره الى يوم القيامة مغفورا له او معذبا ، فان عذر الطالب كان اسوأ حالا »

وقال الصادق عليه السلام : « ايما رجل من شيعتنا اتاه رجل من اخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر الا ابتلاه الله تعالى بأن يقضي حوائج عدة من اعدائنا ، يعذبه الله عليها يوم القيامة » .

وهكذا نرى ان الاسلام فرض على المؤمنين ان يقوموا بقضاء حاجات اخوانهم مع القدرة والا فهم معاقبون ، في الدنيا والاخرة ، فـ « اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة » كما جاء في متن حديث . والعكس بالعكس وهذا تفسير للحديث القائل : « الدنيا مزرعة الآخرة » ، فطوبى لاولئك

(١) اصول الكافي : ج ٢ ، ص ١٩٥ .
(٢) اصول الكافي : ج٢ ، ص ١٩٦ .

الذين يهتمون بحوائج الناس ايما اهتمام سواء نجحوا أم اخفقوا فـ « من هم بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة ، ومن هم بسيئة ولم يفعلها لم يكتب عليه شيء » .... الحديث .

وان قضاء الحاجة أكثر اجرا من التعبد في زاوية من الزوايا على ما جاء في حديث رسول الله (ص) : حيث يقول : « من قضى لاخيه المؤمن حاجة فكأنما عبد الله دهره » .

وفي حديث آخر عن الرسول (ص) : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين » .

وقال ابو جعفر عليه السلام : « من مشى في حاجة اخيه المسلم اظله الله بخمسة وسبعين الف ملك ، ولم يرفع قدما الا كتب الله له حسنة وحط عنه سيئة ، ويرفع له بها درجة ، فاذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها اجر حاج ومعتمر » (١) .

وقال عليه السلام : « ان المؤمن لترد عليه الحاجة لاخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه ، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة » .

وقال عليه السلام : « من طاف بالبيت طوافا واحدا كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة ، ورفع له ستة آلاف درجة — وفي رواية، وقضى له ستة آلاف حاجة ، حتى اذا كان عند الملتزم فتح له سبعة أبواب من الجنة » قلت له : جعلت فداك ، هذا الفضل كله في الطواف ؟ قال : « نعم ، وأخبرك بأفضل من ذلك : قضاء حاجة المؤمن افضل من طواف وطواف وطواف حتى بلغ عشرا » .

وقال عليه السلام : « تنافسوا في المعروف لاخوانكم ، وكونوا من أهله فان للجنة بابا ، يقال له المعروف ، لا يدخله الا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا ، فان العبد ، ليمشي في حاجة اخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين واحدا عن يمينه وآخر عن شماله ، يستغفران له ربه ويدعوان بقضاء فاجته»

(١) جامع السعادات : ج٢ ص ٢٢٦ .

ثم قال : « والله لرسول الله صلى الله عليه وآله اسر بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة » .

وقال ابو عبد الله عليه السلام [١] : « قال الله عز وجل : الخلق عيالي، فأحبهم الي ألطفهم بهم واسعاهم في حوائجهم » .

وقد روي ان عابد بني اسرائيل كان اذا بلغ الغاية في العبادة صار مشاءا في حوائج الناس عانيا بما يصلحهم .

وهكذا نرى المفاضلة بين التعبد والقيام بحاجات الناس ، وان الدين الاسلامي دين فيه من التساند الاجتماعي والتضامن والتكافل ما يؤدي الى اسعاد البشر في الدارين . ولسنا بحاجة ان نستمع الى كلمات فلاسفة الغرب في سنن التكامل والرقي ، فقد جاء الاسلام بالقول الفصل ، كيف لا يكون كذلك وهو دستور السماء ، دستور الله في أرضه ، وانى للبشر الناقص مهما سمى نفسه حكيما او فيلسوفا ان يأتي بمثله ، ذلك لان النفس المتسافلة أو البعيدة عن الحق ، النفس المحكومة لشيطانها وشهواتها لاتأتي الا بدساتير ناقصة ، لا توصل الفرد الى الدرجات العلى من التقرب الى الله في عوالم القدس ، ولا تؤدي الى حياة سعيدة في الدنيا ، وان حالة الغرب اليوم في عوالم تكامل النفس اكبر شاهد على ما أقول .

لنستمع الى ما يقوله ابو عبد الله عليه السلام بالنسبة الى التنفيس عن المؤمن ، انه عليه السلام يقول : « ايما مؤمن نفس عن مؤمن كربة وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة ، قال : ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة ، قال : والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه ، فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير » [١] .

ولنذكر حديثا واحدا في اطعام المؤمن وسقيه : « فقد قال علي بن الحسين عليه السلام من أطعم مؤمنا من جوع اطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقى مؤمنا من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » [٢] .

---

(١) اصول الكافي : ج ٢ ص ١٩٩ .

(١) أصول الكافي : ج ٢ ص ٢٠٠ . (٢) نفس المصدر : ٢٠١ .

وحديثا في إكساء المؤمن :

فعن ابي عبد الله عليه السلام قال : « من كسا اخاه كسوة شتاء أوصيف كان حقا على الله ان يكسوه من ثياب الجنة وان يهون عليه سكرات الموت وان يوسع عليه في قبره وان يلقى الملائكة اذا خرج من قبره بالبشرى وهو قول الله عز وجل في كتابه : « وتتلقاهم الملائكة ، هذا يومكم الذي كنتم توعدون » (٣) .

وحديثا في اكرام المسلم :

فعن ابي عبد الله عليه السلام « قال : من أتاه اخوه المسلم فأكرمه فانما أكرم الله عز وجل » (٤) .

فعن أمير المؤمنين عليه السلام : قال : قال رسول الله (ص) : ايما مسلم خدم قوما من المسلمين الا اعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة » .

وهكذا نرى ان الحاجات طريق للاتصال بالله تعالى والانقطاع اليه وخير وسيلة لتكامل النفس الانسانية التي تنحصر كمالها في اقترابها الى الله المتعال وتذكرها خالقها في كل حين .

فما أحلى حالة المتعبد حين يقوم بعمل عبادي ليقضي الله حاجته وكم يزداد اعتقادا بالله وحبا اليه بعد انقضاء حاجته المشروعة ، ولقد كان اليقام بقضاء حاجات الآخرين ، لا سيما الارحام ، سببا هاما لهداية كثيرين .

وقد عرفت اشخاصا كثيرين كانوا قد تركوا الصلاة وخاضوا فيما خاض فيه الطائشون ، ولكنهم بعد ان قاموا بخدمة ملموسة تجاه احد ارحامهم وقضوا بعض حاجاتهم ، تفتحت قلوبهم لقبول معالم الهداية والكمال وزالت عنهم غياهب الشك والارتياب ، وكادوا ان يبلغوا مرتبة اليقين ، فراقبوا أعمالهم واصلحوا أنفسهم على ضوء تعاليم الاسلام الحقة ، وخرجوا باذن ربهم ، من الظلمات الى النور . فطوبى لهم وحسن مآب .

(٣) نفس المصدر : ص ٢٠٤ .
(٤) نفس المصدر : ص ٢٠٦ .

الفهـرس

التسلسل	الموضوع	الصفحة
١	من حقائق القرآن : والشمس تجري لمستقر لها	٣
٢	كل شيء عنده بمقدار	٩
٣	فلا أقسم بمواقع النجوم	١٥
٤	وجعلنا السماء سقفا محفوظا	٢٠
٥	هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها	٢٧
٦	حركة الارض في القرآن الكريم	٣٤
٧	اللطف وسنة الكمال	٤٠
٨	سنة الكمال في الكون الرحيب	٥٠
٩	هل للعلم الحديث أن يمد يدا الى ما وراء الطبيعة	٧٤
١٠	علي عليه السلام والعلم الحديث	٨٣
١١	الصادق عليه السلام والعلم الحديث	٩٤
١٢	هل ينقذنا العلم فحسب	١١٤
١٣	الاسلام هو الدين العالمي في مستقبل قريب	١٤٣
١٤	اثر الحاجات في تكامل النفس	١٩٩

التكامل في الاسلام

مطبعة النعمان النجف تلفون ١٩٩٧ المسكن ٢٢٧ حي

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

التكامل في الإسلام

كتاب يطلعك على فلسفة الاسلام الحقة ، ويزيل ، بأذن الله تعالى ، ما يختلج فى بعض الصدور من ريب ، ويريك : أن الاسلام دين العقل والمنطق الصحيح وان لاتنافى بينه وبين العلم الحقيقي ، لا الظنون والاهواء ! ....

الجزء السادس

بقلم :

أحمد امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال الى وجوده وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبه والتشاكل. بل هو الذي لاتتفاوت ذاته ولا تتبعض بتجزية العدد فى كماله. الى أن يقول :

أيها الناس، إنه لا شرف أعلى من الاسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجل من العافية ولا وقاية أمنع من السلامة، ولامال أذهب بالفاقة من الرضى والقنوع، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، والرغبة مفتاح التعب، والاحتكار مطية النصب، والحسد آفة الدين. والحرص داع الى التقحم فى الذنوب وهو داع الى الحرمان. والبغي سائق الى الحين (١) والشره (٢) جامع لمساوي العيوب.

---

(١) الحين : بفتح المهملة : الهلاك والمحنة.

(٢) الشره : غلبة الحرص والغضب والطيش والحدة والنشاط وفي بعض النسخ : (الشره) : هو الحرص أيضاً.

الى أن يقول : أيها الناس ، انه لا كنز أنفع من العلم ولا عز أنفع من الحلم ، ولا حسب أبلغ من الأدب ، ولا نصب أوجع من الغضب ، ولا جمال أحسن من العقل ولا قرين شر من الجهل ، ولا سوأة أسوء من الكذب ، ولا حافظ أحفظ من الصمت . ولا غائب أقرب من الموت (١) .

---

(١) من كلام لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام مقتبس من تحف العقول . طبع دار الكتب الاسلامية ، ص : ٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الانقلاب الصناعي وما أعقب من ويلات والانحلال الخلقي والتفكك الاجتماعي وعدم الايمان بالمقدسات ومعاداة الكنيسة للعلماء الكونيين وإعدامها كثيراً منهم وكتابات الفلاسفة الماديين وتفنيدهم ماقررته الكنيسة أو المسيحية من أخلاق وعادات، والحرية المطلقة في الأعراض كل اولئك اولدت فلاسفة وجوديين ورجالا ماديين صاروا يستهزئون بالدين والفضائل وما كان يسمى شرفا ونبلا واخلاقا وفضيلة، حتى صار أحدهم يفتخر أن يوم وفاة امه قام بمعانقة بغية من البغايا وآخر يقول مخاطباً رب العباد: « انت رب . الا أني حر » (١) : كلام سوفسطائي من مستهتر لا يعلم معنى الحرية على الوجه الصحيح ، ولا يقدر ضآلة نفسه أمام عظمة الله التي لا تحد .

إن شبابنا اليوم يقتبس فكرته الاجتماعية والخلقية بل الدينية مما يقرأ في كتب الغرب والروايات التمثيلية وغيرها . وهو يرى أن كل ذلك

---

(١) من كلمات (سارتر) الوجودي

يترشح من مدنية راقية ، تطلق الصواريخ وتسير بين الكواكب ، فتصل الى القمر وعطارد وزهرة الى ما هنالك . فيلتبس عليه الأمر . فيظن بل يعتقد أن أفكار أوربا وفلسفتها الاجتماعية والدينية هي كعلومها المادية حقائق ناصعة لا غبار عليها وهي واجبة الاتباع لنيل مدارك الكمال وقد فاته أن النفس لامارة بالسوء ، فتميل نحو ما يحقق شهواتها ونزواتها على ضوء الفلسفة المادية ، فيسخر نتيجة هذا الاتباع مما كان يعتقد قبلا من مقدسات ويظنها خرافة . ويجزم أنه قد خرج من عالم كله قيود الى عالم آخر كله إنطلاق وحرية وسرور .

وهذه (سوئد) بلد الحرية والحضارة النموذجية ، قد وجد فيها منذ زمن غير بعيد شباب متخنثون ، يتشبهون بالبنات من حيث شعر الرأس واستعمال المساحيق ويرتدون البسة الفتيات من الداخل والفساد ضارب باطنابه بينهم وبين الآخرين الى اقصى حد .

وفي المانية الغربية من اصل مائة شارب في مصح المدمنين على الخمر يوجد ١٤ فتى اعمارهم دون الـ ٢٥ سنة . وكثير من هؤلاء اعترفوا بأنهم تناولوا الكأس الاولى على يد أحد الكبار ، بل منهم من تناولها من احد الابوين ! ودلت الاحصاءات اخيراً ان اكثر من نصف الـ ١٠ مليار ليتر خمراً التي تشرب في المانيا سنويا تشرب داخل البيوت .

وجاء فى تقرير رسمي : ان ثلث الشباب الامريكيين الذين هم فى الثامنة عشر لا يصلحون للخدمة العسكرية ويؤكد ان السبب فى ذلك

يعود الى كثرة ارتكاب الموبقات من الآباء مما يؤدى الى إنجاب ذرية ضعيفة غبية ولكثرة ادمان الخمر والفواحش .

وفي تقرير آخر نشر في استوكهولم ان نسبة الاصابات بالامراض التناسلية تزداد في أوربا من جديد .

وفي تقرير آخر : إن الاصابات بالسيلان في بريطانية والسويد وبلغاريا قد ازدادت زيادة كبيرة في السنوات الاربع الماضية وان الاصابات بالزهرى ازدادت في الدانمرك والسويد وفرنسا خلال السنوات الخمس الماضيـــة .

وفي (نيويورك) ، (١٥٠٠) عصابة محترفة : شأنها السرقة ، كل عصابة تتألف من ١٠٠ شخص أو اكثر ، وفيهم حملة الشهادات العالية ! ؟

وان أهالي شيكاكو في امريكا يدفعون في كل سنة ١٦٥ مليون دولار الى السراق المحترفين وقاية لأموالهم ، وما يقدم في الولايات المتحدة كلها كمهدية للسراق يبلغ ١٢ مليون دولار في السنة ، وهناك في أمريكا فئة خاصة تصطنع الاسناد والاوراق الرسمية . وواردها السنوي ٤٠٠ مليون دولار .

وان (روبرت بورن) كان يسرق في السنة ٣٠٠ سيارة ويبيعها وان بعض الموظفين كانت لهم حصة في الموضوع .

يقول الدكتور : السكسيس كاريل . في كتابه : « الانسان ذلك المجهول » في معرض انتقاده للحضارة الغربية ما نصه :

« إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لاتلائمنا، لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلميـة ، وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم . وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا ، الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » ص : ٣٨

ويقول في مكان آخر :

« وهؤلاء النظريون يبنون حضارات ، بالرغم من أنها رسمت لتحقيق خير الانسان . الا أنها تلائم فقط صورة غير كاملة أو مهولة للانسان . ان نظم الحكومات التي أنشأها أصحاب المذاهب في عقولهم عديمة القيمة . فمبادىء الثورة الفرنسية وخيالات ماركس ولينين ، تنطبق فقط على الرجال الجامدين (غير الأحيـــاء أو المتحركين) . فيجب أن نفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية ما زالت غير معروفة . فان علوم الاجتماع والاقتصاديات علوم تخمينية » . . (ص : ٤٣)

ويقول في مكان آخر :

« يجب ان يكون الانسان مقياساً لكل شيء . ولكن الواقع هو عكس ذلك ، فهو غريب في العـالم الذي ابتدعه ، انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ، لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته . ومن ثم ، فان التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة ، هو إحدى الكوارث التي عانت منها الانسانية . فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا

غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا ، اننا قوم تعساء ، لأننا ننحط اخلاقياً وعقلياً ان الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم ، هي على وجه الدقة الجماعات والامم الآخذة في الضعف ، والتي ستكون عودتها الى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها اليها ، ولكنها لا تدرك ذلك . إذ ليس هناك مايحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها . وحقيقة الأمر أن مدنيتنا ـ الحضارة الغربية ـ مثل المدنيات التي سبقتها أوجدت أحوالا معينة للحياة ، من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة ، وذلك لأسباب لا تزال غامضة ! » . . ص : ٤٤ .

ويقول الفيلسوف جود : في كتابه : philosophy : by Joad

« ان العقل البشري لا يزال يافعاً ، فلا يتوقع حالياً أن يستطيع فهم الكثير جداً عن العالم الذي وجد نفسه فيه ، فنحن في الحقيقة نشعر أننا كلما ازدادت معرفتنا صرنا أكثر ادراكا لمدى مانحن فيه من جهل . افرض : ان المعرفة الانسانية تمثل رقعة ضئيلة مضيئة في بحر يلفه الظلام الدامس من جميع نواحيه ، فهذه المساحة اللانهائية من الظلام هي التي تمثل الجهل ، وكلما وسعنا مساحة الرقعة المضيئة (المعرفة) وسعنا كذلك مدى تماس محيط معرفتنا بظلام الجهل من حولنا » .

ويظن كثير من شبابنا انه لم يكن للاسلام قسط في حقل الحضارة الصناعية ، ويردهم : كوستاولوبون في كتابه : النفسية السياسية ، بقوله :

« قد يكون من الاوربيين مستعمرون ماهرون ، ولكن منذ عهد رومية كان المسلمون من الشعوب الوحيدة التي حملت علم التمدن حقيقة ، وهم الذين فازوا وحدهم بنشر المواد الجوهرية من المدنية وأعني بها : الدين والمصانع والصناعة بين ظهري عناصر جديدة من غير عنصرهم » .

ويقول في مكان آخر :

« هـل من الواجب ان نذكر ان العرب ، والعرب وحدهم ، هم الذين هدونا الى العالم اليوناني واللاتيني ، وان الجامعات الاوربية ، ومنها جامعة باريز ، عاشت مدة ستمائة سنة من مترجمات كتبهم وجرت على أساليبهم في البحث ، وكانت المدنية العربية من أدهش ماعرف التاريخ » .

ويقول في مكان آخر :

« كلما تعمق المرء في دراسة المدنية العربية ، تجلت له أمور جديدة واتسعت الآفاق أمامه ، وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة العرب ، وان جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنة بكتب العرب خاصة . وان العرب هم الذين مدنوا أوربا في المادة والعقل والخلق ومتى درس المرء ماعمل العرب وما كشفوه في العلم يثبت له انه مامن أمة أنتجت مثل ما أنتجوا . في هذه المدة القصيرة التي كتب لملكهم قضاؤها »

« وإذا نظر المرء في صناعاتهم وفنونهم . لايسعه الا الاعتراف بأنه

كانت لهم ميزة خاصة لم تبلغها أمة . ولئن كان تأثير العرب في الغرب عظيما ، فان تأثيرهم في الشرق أعظم ، وما من عنصر أثر مثل تأثيره قط ، فان الشعوب التي دانت الارض لسلطانهم كالاشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان قد عفت الايام آثارهم . ولم يخلفوا سوى آثار ضئيلة . بحيث لم يبق سوى ذكريات أديانهم وألسنتهم وفنونهم » ويقول :

« وقد اضمحل امر العرب ايضاً ، ولكن أهم عناصر مدنيتهم : وهي الدين واللسان والفنون لا تزال حية » . وقال أيضاً : « ان العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

ان الشباب في أمريكا واوربا قد تدهور الى حد بعيد لا يرجى فيه الخير . وقد تأسى بهم بعض شباب الشرق مع الاسف الشديد ، وان علماء النفس والاجتماع يعملون في اصلاح الحالة ولا يستطيعون . ذلك لان التسيب والانحراف قد بلغا (كما سنجد في بعض صفحات هذا الجزء) حداً قاصياً من جراء هذه الحرية المفسدة للنفوس والمضللة للعقول . وقد قال الفيلسوف الفرنسي ، كوستاولوبون قبل عشرات السنين : « وقد وصلنا الى طور من الحياة تجعل خطر الاخلاق أجل من خطر الذكاء فليس للذكاء قيمة اذا لم يعتمد على القوة والارادة وضبط النفس . والتربية وحدها خليقة أن توجد هذه الاخلاق اذا لم تكفلها الوراثة » ! ؟

ولكن من الواضع لأسس هذه التربية ومن المطبق لها ؟ ! . فاذا كانت

الاسس التربوية بشرية حالكة فلا أثر لها في إصلاح النفوس . لأن الناقص لا يترشح منه الا شيء ناقص مبتور . وان حالة الغرب الراهنة بما فيها من مؤسسات تربوية ضخمة خير شاهد على صحة ما أقول :

فلابد من الرجوع الى دساتير تربوية جاءت من وراء هذه النفوس الضالة ، جاءت من وراء المادة الظلماء ، جاءت من جانب الله تعالى على لسان أنبيائه عليهم السلام .

إذن : فلا نجاة إلا بالتمسك بدين لم تمسه يد البشرية المحرفة : دين الاسلام القويم . وقد قال الله تعالى بشأنه :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) .

لا نجاة الا بايجاد الخشية في نفوس الشباب ، حتى يخافوا الله ، فلا يرتكبوا ما نهى الله عنه في خلواتهم ومحاضرهم فقد قال رسول الله (ص) « رأس الحكمة مخافة الله » .

لا نجاة إلا باعتقاد رصين بيوم الجزاء ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (٢) .

فلو تذكر الشاب : يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » (٣) . « يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج » (٤) « يوم تشقق الارض عنهم سراعا ، ذلك حشر علينا يسير » (٥) .

---

(١) سورة الحجر ٩ (٢) سورة الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩

(٣) سورة طه : ١٠٢ (٤) سورة ق : ٤٢ (٥) سورة ق : ٤٤

« يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ، فذرني ومن يكذب بهذا الحديث . سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم ان كيدي متين » (١) . وأثرت الخشية في جميع أجزاء بدنه فهو اذ ذاك يرتدع عما نهى الله تعالى ، فلا يرتكب ما حرم الله وما يفسد النفس فيبعدها عن الصراط المستقيم .

ذلك لان الخروج عما سنه الله على لسان انبيائه : اسراف وهو بدوره يؤدي الى الضلال والعمى والكبرياء والغرور . وقد قال تعالى :

« كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب : (المؤمن : ٣٤)

« والذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم . كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » (سورة المؤمن : ٣٥) .

فعلى الشاب ان يراقب الله تعالى في جميع أموره ويتذكر قوله تعالى حيث يقول : ألم يعلم بأن الله يرى (١) وان يعبد الله كأنه يراه . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك » .

وفي الحديث القدسي : « انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني . والذين انحنت أصلابهم من خشيتي ،

(١) سورة القلم : ٤٢ ـ ٤٥ (١) سورة العلق : ١٤

وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الارض . فاذا نظرت الى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب » .

حكي ان زليخا لما خلت بيوسف ، قامت وغطت وجه صنمها . فقال يوسف : « مالك . أتستحين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار » .

وقد ورد في الاخبار : ان العاقل ينبغي أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر في صنع الله ، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب .

وقال الصادق عليه السلام : طوبى لعبد جاهد في الله نفسه وهواه ، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله ، ومن جاوز عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً ، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى ، وليس لقتلها وقطعها سلاح وآلة مثل الافتقار الى الله ، والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل ، فان مات صاحبه مات شهيداً ، وان عاش واستقام أداه عاقبته الى الرضوان الأكبر . قال الله عز وجل : والذين جاهدو فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » .

فانت أيها الشاب . بين يديك حقائق ناصعة عن الدين القويم دين الاسلام ، خاتم الأديان بل أكملها ، ترشدك الى الصراط السوي .

وتنير لك الطريق ، كي تسلك مسلكا يؤدي بك الى تكامل نفسك وإبلاغها أسمى مراتب الكمال . وهل هناك هدف أسمى من التكامل ؟ ولأجله وُجدنا في هذا العالم . فشمر عن ساعد الجد في تطبيق ما أمر به الاسلام كي ترى نفسك كيف تتجلى يوما بعد يوم مشرقة ، وضاءة منيرة . مطمئنة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (١) .

« يا بني آدم ، قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » (٢) .

« يا بني آدم ، لا يفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما . انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » (٣) .

---

(١) سورة الرعد ٣٠ (٢) الاعراف : ٢٦ (٣) الأعراف : ٢٧

قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ؟

من حقائق القرآنه العلمية

في القرآن الكريم آيات هي عصارة العلم الحديث وما ستنتجه المكتشفات العلمية في الكون الرحيب في مستقبل قريب أو بعيد . وليس لأحد مهما أوتي من علم غزير وكفاءة فائقة ونبوغ مرموق أن يفسر جميع الآيات الكونية في القرآن تفسيراً علمياً ناصعاً كاملاً غير ناقص . وهكذا كلما تكامل العلم المادي كلما ظفرنا بحقائق جديدة سبق كلام الله المجيد الى ذكرها بايجاز . وإن علوم القرآن التي كانت موضوع بحث المفسرين في القدم . كعلم القراءات وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الرسم القرآني وعلم المحكم والمتشابه والتفسير التاريخي والحكمي واللغوي والأدبي لفي معزل عن التفسير الفيزياوي والفلكي والطبقاتي والجغرافيائي والطبيعي . حتى أن القدماء لم يتوسعوا في تفسير القرآن في النواحي الاجتماعية والادارية والسياسية والحربية التي يتناولها القرآن الكريم .

وهناك من لا يؤمن بالعلم المادي ويرى أن العلم المادي يضاد الدين

فلا يهمه تفسير القرآن على ضوء العلم الحديث ، ظناً منه ان العلم المادي في تغير مستمر ، وقد فاته أن ما اكتشفه العلم الحديث وحققته التجارب مرات ثابت لا يتغير ، بل تتغير النظريات التي توضع لتفسير الطاقات ، كالطاقة الكهربائية أو الجاذبية أو الضوء ، ذلك لأن الطاقة ليست من المادة في شيء . لذلك لم يعلم لحد الآن (ولن يعلم على ما أعتقد) حقيقة الطاقات على اختلاف أنواعها من حرارية وحركية وكهربائية وجاذبية وكيف تتبدل هذه الطاقات بعضها الى بعض ،

فنحن بقدر ما نعرف طرقا شتى لاستخدام الكهرباء في التدفئة والعلاج والانارة وإدارة الآلات وتسيير القاطرات والسيارات ونحوها لا نعرف تماماً ما هي الكهرباء وقس على ذلك الضوء والحرارة . فكلها نطلق عليها لفظاً مبهماً هو الطاقة التي اودعت بين ثنايا الكون ويمكن أن يتحول بعضها الي بعض : الا انه لا يمكن خلقها أو استحداثها من العدم .

لذلك لم يتمكن المادي من معرفة حقيقة المادة بعد أن رآها تتحول الى طاقات ، لا سيما وقد تمت منذ سنوات معدودة كشوف جديدة في عالم الكونيات تناولت صميم تكوين الذرة وأثارت اهتمام العلماء وعلى رأسهم رجال الفلك وأهم نتائج هذه الكشوف العثور على البروتون السالب او البروتون المضاد للبروتون الذي نعرفه ـ والكهرب الموجب ـ وهو الالكترون المضاد للالكترون الذي نعرفه ـ ومعنى ذلك ان في هذا

الوجود نوعين مختلفين من المادة (١) تبنى منهما النجوم والشموس والكواكب وسائر الاجسام ، واذا حدث أن التقى نوع منهما بالآخر او تصادم معه تحدث عمليات إفناء ذرية تختفي معها معالم المادة من الوجود بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي استخدمت في الأصل في ربط جسيمات او نويات وذرات تلك المواد . فكيف يفسر لنا المادي عملية الإفناء الذري وانقلاب المادة الى طاقات !

فلا تنافي بين العلوم المادية . والحقائق الدينية إذ هما من مصدر واحد . ولولا أهمية العلوم المادية فى تثبيت عقيدة التوحيد لما دون الله تعالى (٧٥٠) آية كونية او اكثر في كتابه الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » . .

وإني أرى ان هذا النوع من التفسير ، أي تفسير القرآن الكريم على ضوء العلوم الحديثة من فلك وفيزياء وكيمياء ورياضيات ، وعلم الحياة وعلم النبات والحيوان وطبقات الأرض والجغرافية على ما فيها من اقسام والطب الحديث والتاريخ والعلوم الاجتماعية والسياسية يزيد في إيمان الشاب الجامعي ويجعله يعتقد ان دين الاسلام هو دين العلم الصحيح ودين العصر الحديث ودين الأجيال القادمة مهما تقدم العلم وبلغ شأواً قاصياً . وذلك لان العلم مهما تقدم فى كشوفه تجلت حقائق القرآن اكثر فأكثر . ولا يصح الاعتماد على ما جاء في الكتب الفلسفية القديمة من علوم طبيعية مغلوطة

---

(١) « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » سورة ياسين .

تخالف الواقع وتفندها التجارب . وصارت تستند الكشوف الفيزيائية على الرياضيات العاليـة وأين الفلسفة القديمة من الرياضيات العالية . لذلك كان يقول (پوانكاره الفرنسي) : « نحن الرياضيين إنما نعمل للفيزياء والفلسفة » .

كانت الفلسفة القديمة تستند في كثير من استنتاجاتها على الظن ، فكان يقول أحدهم : إن الأرض كروية ، ذلك لأن الكرة اكمل الاشكال وان حركة الشمس حول الأرض دائرية لأن الدائرة أكمل الاشكال وهكذا . . . والله تبارك وتعالى ينهانا عن إتباع الظن ، وذلك بقوله عز من قائل :

« وما يتبع اكثرهم إلا ظناً ، ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

وبقوله تعالى :

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن » .

فلا يجوز تفسير الآيات الكونية التي تقوى ناحية التوحيد في النفوس استناداً الى الظن وما لايؤيده التجارب والمعادلات والدساتير الرياضية والفيزيائية كتفسير (المد والجزر) مثلا بملاك البحر الذي تصوروه عندما يضع ابهامه في البحر يفيض الماء وعندما يخرج ابهامه يغور الماء ويكون الجزر حين أن القضية قضية جاذبية القمر والشمس لمياه البحار والانهار .

كما أنهم بدلا من أن يفسروا العمد الذي لا يرى بالعين ، بالجاذبية في الآية الآتية .

« الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها » .

استندوا الى خرافة يونانية القائلة : إن الارض قائمة على قرن ثور والثور قائم على بطن حوت . . . (اما الحوت ! ؟ .)

وكم من نظريات سخيفة وظنون فاسدة دخلت من الفلسفة اليونانية البائدة في الاسلام ورآها الفلاسفة والمتفلسفون حقائق لا غبار عليها وصاروا يدافعون عنها بحماس لا مزيد عليه .

والحق يقال : إن النهضة العلمية في الغرب ما قامت الاعلى أسس من المشاهدة الصحيحة والتجارب السليمة . وما القوانين العلمية سوى تفسير لما يشاهد في عالم المادة . ورغم اننا لا ندعى اطلاق صحة هذه القوانين ، الا أننا نسلم بأنها تمثل جانباً كبيراً من الصحة والدقة، وانها تقترب من الكمال بتقدم العلوم والفنون فبمرور الوقت واتساع أفق المعرفة وازدياد الدقة في عمليات الرصد والملاحظة والمشاهدة يضيف العلماء من آن لاخر جانباً من التعديلات او التحويرات الى بعض القوانين العلمية لجعلها أقرب للحقيقة او أعم للنفع .

فان دساتير الجاذبية التي اكتشفها (نيوتون) لم تلغ من قبل (أينشتين) وانما عدلت حتى يمكن تطبيقها في مسافات شاسعة بين الانجم والكواكب النائية جداً وان دساتير نيوتون لا تزال تطبق وهي صحيحة في مسافات محدودة أي على الكرة الارضية .

لذلك كله أرى من الضروري ان يلم العالم الديني بشيء من العلوم

العصرية العامة قبل مرحلة الاختصاص ، وان يتخصص في بعض الفروع لا سيما الفيزياء ان وجد متسعاً من الوقت والكفاءة .

فليس من الصواب في شيء ان يبني الناس معتقداتهم الدينية أو صرح نظرياتهم العلمية على مجرد الخيال او الاستنتاج دون برهان أو تجربة ، فان مثلهم في ذلك كمثلنا عندما نجلس للتفكير في خواص المادة أو ظواهر الكون دون ان ندرس الاشياء ونرصدها ! او كمثل أولئك الذين يرثون عقائدهم دون اختبار موادها من حيث الخطأ والصواب ، وفي امثال هؤلاء يقول القرآن الكريم :

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » (سورة المائدة) .

* * *

إنه تعالى يأمرنا ان نسير في الارض فننظر كيف بدأ الله الخلق حتى نزداد ايماناً ويقيناً ، ونخضع تجاه عظمته التي لا تتناهى . « وان من شيء الا يسبح بحمده »

لا يزال العلم الحديث يجهل كيف ابتدأ خلق العالم . والله تعالى يقول : « ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم » إذ نحن لم نكن حين خلق الله تعالى السماوات والارض وكيف نشاهد خلق

انفسنا ونحن بعـد لم نتكامل من حيث التكون والوجود . ولا نعلم لحد الآن كيف دبت الحيـاة على وجه البسيطة وكـيف كـانت النباتات والحشرات والحيوانات على اختلاف انواعها . انما هي نظريات تجرح وتعدل من حين لآخر . كما في تشكل المجموعة الشمسية . وعادة تبدأ كل نظرية علمية تحاول تفسير أصـل الوجود من فروض خاصة لا سبيل للبرهنة عليها أو من نقطة خاصة لا سبيل للذهاب الى أبعد منها . فالعلم الطبيعي لا يتعرض لمسألة الخلق من العدم وانما ينصب على دراسة خصائص ما هو كائن فعلا من مادة وطاقات وحياة ولا يريد الله تعالى في الآية المتقدمة :

« قـل سيروا في الارض فانظروا كـيف بدأ الخلق » اكثر من ذلك . ان علينا ان نبحث مستندين على ما كشف في عـلم الجيولوجي Geologie والاحياء Biologie وعلم الذرة والاشعاع وعلوم أخرى تمس الموضوع عن مراحل الخليقة .

ولا ريب أن العالم الاكبر قـد تكوّن باذن الله تعالى وأمره من العالم الأصغر ، فلنتكلم شيئاً عن العالم الأصغر ممثلا في أصغر لبنات او دقائق بنيت منها المواد وهي الذرة .

***

وقوام الذرات أشياء متناهية الصغر غير مادية تتشابه في جميع ذرات العناصر المختلفة ، ويتوقف على عددها وترتيبها داخل كل ذرة تحديد

نوع المادة او العنصر التي تتكون من هذه الذرات . وأبسط الذرات تركيباً على الاطلاق ذرة الايدروجين ، وهو المعروف باسم الغاز الكوني او الغاز الذي خلق منه الكون وتطورت عنه سائر المواد المعروفة .

وتتركب ذرة الايدروجين من (نواة) عبارة عن : بروتون موجب التكهرب يدور من حوله على كثب منه : الـكترون وهو كهرب سالب كما في العالم الاكـبر وهو الشمس وما حولها من كواكب تسعة ، ويتحقق قوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » (١) .

ويتعقـد تركيب الذرة كلما صعدنا قدما في سلم العناصر المادية .

وكـان المعتقد الى عهد ليس ببعيد (منذ خمسة وعشرين عاماً تقريباً) ان الذرات غير قابلة للتجزئة الى جسيماتها الأولى ، وكانت الطرق المستخدمة في محـاولات تحطيمها طرقا عقيمة غير مجدية ، ولكن لما عرفت وسائل تحطيم الذرة في هذا العصر امكن الجزم نهائيا بأن طاقات عظمى تدخر بين ثنايا الذرة أساسها الطاقة التي استخدمت اصـــلا في ربط جسيماتها الأولية ، خصوصاً فيما يختص بمكونات النواة التي نشأت أول ما نشأت داخل النجوم تحت درجات من الضغوط والحرارة تفوق حدود الوصف والخيال . وكل ما يلزم لتفتيت الذرة هو بذل نحو هذا القدر من الطاقة الرابطة بطريقة من الطرق .

وفي أغلب العناصر لا تقتصر النواة على البروتون الموجب ، بل قد

---

(١) سورة الملك : ٣

توجد أيضاً : النيوترونات وهي الجسيمات او اللبنات التي ليس لها شحنة تميزها ، والمعروف ان المحدد الاول لصفات الذرة هو نواتها ، فنواة الهليوم مثلا ـ وهو غاز ينجم عن تفجير الايدروجين ـ قوامها اثنان من النيوترونات واثنان من البروتونات . وعندما نصعد في سلم النويات حتى نصل الى العناصر الثقيلة ممثلة في عنصر اليورانيوم مثلا نجد أن نواة هذا العنصر الاخير تتكون من ٩٢ من البروتونات مع ١٤٦ نيوتروناً . وفي العادة تكون الشحنات السالبة داخل أي ذرة مساوية للشحنات الموجبة ، وبذا تكون الشحنة الكهربية للذرة في مجموعها صفراً .

فذرة الهليوم تتكون من نواة فيها بروتانان يدور حولها اثنان من الألكترونات او الكهارب السالبة لاحداث التعادل الكهربي .

اما ذرة اليورانيوم فيسبح حول نواتها (٩٢) الكتروناً .

وتدور الألكترونات حول النواة في أفلاك شبه دائرية تتعدد بازدياد عدد الألكترونات ، اذ يتشبع كل فلك بعدد معين منها . ولا يتسع أقرب الأفلاك او المدارات الى النواة لأكثر من الكترونين اثنين ويشبع المدار الذي يليه ٨ الكترونات وهكذا ، ويبقى الفائض عن تشبع الطبقات الداخلية في الطبقة الخارجية وهي التي يسهل فصلها واعادة ترتيبها .

ومن الممكن أن يفصل الكترون واحد أو اكثر من الذرة ، وبذلك تنفصل شحنتان احداهما موجبة والأخرى سالبة ، وتسمى هذه العملية

علمياً باسم (التأين) . وأبسط الاجهزة التي يتم فيها تأين الغازات هي الأنابيب الكهربية المستخدمة في الاضاءة او اللافتات والاعلانات ، حيث يتوهج الغاز تحت ضغوط منخفضة بسبب تصادم الالكترونات مع ذرات الغاز . وينجم عن هذا التصادم مع بعض الذرات اضافة طاقات اليها تنطلق في صورة ضوء هو مصدر الوهج المعروف ، بينما يتأين البعض الآخر من الذرات .

* * *

ومنذ سنوات معدودات تمت كشوف جديدة فى عالم الكونيات تناولت صميم تكوين الذرة وأثارت اهتمام العلماء وعلى رأسهم رجال الفلك وأهم نتائج هذه الكشوف العثور على البروتون السالب ـ أو البروتون المضاد للبروتون الذي نعرفه ـ ، و الكهرب الموجب ـ وهو الالكترون المضاد للالكترون الذي نعرفه ـ ومعنى ذلك أن في هذا الوجود نوعين مختلفين من المادة تبنى منهما النجوم والشموس والكواكب وسائر الأجسام « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (١) .

واذا حدث ان التقى نوع منهما بالآخر أو تصادم معه تحدث عمليات إفناء ذرية تختفي معها معالم المادة من الوجود ، بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي استخدمت فى الاصل فى ربط (جسيمات) نويات وذرات تلك المواد . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم

(١) سورة الذاريات : ٤٩

حتى يتبين لهم انه الحـــق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (١) .

ونحن نستطيع ان نرمز للنوع الاول من المادة ذات البروتونات الموجبة بالحرف (م) مثلا وهي التي تكون الكتروناتها سالبة التكهرب كما نستطيع أن نرمز للنوع الثاني من المـــادة المضادة ذات البروتونات السالبة والألكترونات الموجبة بالحرف (س) .

واستفاد علماء الفلك من هذه الكشوف عن طريق تلك الامكانيات والتطبيقات الواسعة التي تكمن من ورائها وتفسر كثيراً من ظواهر الكون الغامضة ، مثل ظهور أرجاء في المجرات برمتها مظلمة وخاصة في السدم الحلزونية ، ومثل ظاهرة النجوم البراقة ونحوها .

وهنـاك بعض كهارب نووية ، أو (جسيمات) ذات شحنات كهربية فى نويات الذرات الثقيلة تسمى الميسونات ، واذا تحول بروتون الى نيوترون فانه يفقد شحنته الموجبة التي تنفصل بانفصال ميسون موجب اما اذا تحول نيوترون الى بروتون فالميسون يحمل في هذه الحالة شحنة سالبه ، وعندما يتصادم بروتون موجب مع آخر سالب ، او عندما يتصادم كهرب سالب مع آخر موجب ، يعدم احدهما الآخر من عالم الوجود بينما تنطلق الطاقة الكلية حسب معادلة اكتشفها (أينشتاين) :

ط تساوي ك في س^{٢} : ط = ك س^{٢} .

---

(١) سورة حم ـ سجدة : ٥٣

أي : الطاقة المنطلقة تساوي الكتلة المادية المختفية في مربع سرعة الضـــوء .

وهكذا نرى عندما تدخل ذرة من المادة (م) الى عالم المادة (س) أو العكس تفنى الكهارب أولا ثم يعقب ذلك إفناء البروتونات ، ومهما يكن من شيء فنحن لا نعرف ـ ولو على وجه التقريب ـ ما اذا كان عدد البروتونات الموجبة المودعة في الكون يساوي تماماً عدد البروتونات السالبة فيه أم لا ؟ الا ان هذه الحالة يرى فريق من العلماء ضرورتها ووجوبها فى عالم نشأ من العدم الذي هو نفس النتيجة المتوقعة لو أتيحت الفرصة لتلاقي المجرات وتصادمها مع بعضها .

« وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (١) .

« إنما امره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن ، فيكون » (٢) .

« كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » (٣)

وعلى أية حال ، فان امكان زوال السموات والأرض مسألة يقرها العلم ولا ينكرها ويفسرها تفسيراً طبيعياً على النحو الذي وصفناه ، برغم اننا قد لا نستطيع ان نقرر ان البروتونات الموجبة والبروتونات السالبة نشأت أول ما نشأت كأكداس من الأزواج انفصلت الى افراد بحيث لم يزد مجموع شحناتها جميعاً على الصفر . او انها نشأت هكذا حسب أي

---

(١) سورة القمر : ٥٠ : (٢) سورة ياسين : ٨٢ :

(٣) سورة الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧ :

احتمال (كجسيمات) فردية منفصلة ، وكذلك برغم انه لم يقل احد بتوزيع البروتونات والالكترونات توزيعاً منتظماً فى سائر أرجاء هذا الكون ، اما احتمال التعادل الكهربي بين الشحنات السالبة والشحنات الموجبة فى مكان معين بمضى الوقت فهو امر تدعمه المشاهدة .

وما قلنا تفسير لهذه الآية الكريمة :

« ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ، انه كان حليما غفوراً » (١) .

وعلى اية حال ، فان الآية الكريمة تشير باعجاز رائع الى امكان إفناء ما فى الكون من سدم ومجرات اذا هي تغير نظام توزيعها ، بأن تتداخلت مثلا او اعترض بعضها بعضاً اثناء سبحها فى الفضاء ، ثم هي بالاضافة الى تقرير تلك الحقيقة تظهر ضعف الكائنات جميعاً وعجزها عن إمساك السماوات والارض من الزوال اذا قدر الخالق لها تلك النهاية : كما يقول الله تعالى :

« يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » (٢) :

« يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب » (٣) .

« واذا السماء كشطت » (٤) . (أي : نزعت عن اماكنها) :

---

(١) سورة فاطر : ٤١

(٢) سورة ابراهيم : ٤٨ (٣) سورة الانبياء : ١٠٤

(٤) سورة التكوير : ١١

« واذا الشمس كورت » (١) (أي : رفعت) :

« واذا النجوم انكدرت » (أي : اظلمت) .

« واذا الجبال سيرت » : (أي : ذهبت) :

---

(١)سورة التكوير : ١ ـ ٣

ثم استوى الى السماء وهي دخان [١]

والمقصود بالدخان هنا : الغاز . والمتفق عليه في العلوم الكونية ان اصل هذا الكون بدأ حين انتشر فى الفراغ الكوني غاز (الايدروجين) وهو المعروف علمياً باسم الدخان أو الغاز الكوني . وأعقب ذلك بأمر من الله تعالى سلسلة من الخطوات او التطورات التي صحبها ازدياد تركيز الغاز الكوني رويدا رويدا بفضل الجاذبية التي اودعها الله تعالى بين الأجسام ، قبل ان يظهر فى صورة السدُم (٢) والمجرات (٣) ، فالنجوم ، ثم الكواكب ، وتلخص هذه الخطوات كما يلي :

الغاز الكوني ، المجرات ، النجوم ، الكواكب السيارة .

وبديهي ان نجد درجة تضاغط الغاز الكوني ليكوّن المجرات اقل بكثير من درجة تضاغطه داخل النجوم ، وتبلغ كثافة او درجة تركيز هذا

---

(١) سورة حم سجدة : ١١ (٢) السدُم : جمع سديم

(٣) المجرة : منطقة طويله تمتد فوق رؤوسنا كالقوس وقد تركزت فيها النجوم بمقدار كثير وتكثفت فيها الى حد بعيد ، بعضها فوق بعض ، تشبه بياض ماء النهر في سواد الارض .

الغاز الكوني من القلة انه يوجد منه نحو ذرة واحدة في فراغ يبلغ حجمه علبة الكبريت العادية . وبالرغم من هذا فان كتلة هذا الغاز في الوجود تزيد الف مرة في عصرنا هذا على كتلة المواد المكدسة في جميع المجرات رغم انه قد مضى على عمليات التحور التي صحبت ظهور الكون آلاف ملايين السنين ، ولعل السبب في ذلك ان المجرات رغم اتساعها وكبرها المتناهي لا تشغل من الفضاء الكوني المترامي الأطراف الا جزءاً ضئيلا جداً .

فان الآية : « ثم استوى الى السماء وهي دخان » تنبئنا بأن اجرام السماء إنما بدأت بصورة دخان وهي عين ما افترضته كافة النظريات الفلكية مهما اختلفت تفاصيلها . وكلها تقول : ان الوجود بدأ في صورة الدخان الكوني أو الايدروجين ، وعندما ينتهي دور الارض والسماوات ترجع هذه الأجرام الى حالتها الاولى الى دخان وطاقات هائلة :

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » (١) .

« يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا انا كنا فاعلين » (٢) .

« يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد

---

(١) سورة الدخان : ٤

(٢) سوره الأنبياء ١٠٤

القهار » (١) .

ويعترف العلماء ان الغاز الكوني الذي هو أساس الخليقة يخلق فى الفضاء خلقاً ، أي يخلق من العدم وهكذا بقية العناصر التي يتكون منها الكون كله .

ثم انه تعالى يقول : « أو لم يَرَ الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » (٢) .

وهى اشارة رائعة ومعجزة خالدة تُعتبر من الوجهة العلمية عن عملية انفصال أجرام السماء والأرض عن بعضها بعد أن كانت دخانا يملأ الفضاء ، ثم سُدُما . فمجرات تكدست فيها النجوم والكواكب . كل ذلك ، بفعل الدوامات التي انتابت الغاز الكوني والجاذبية ، والقوى الطاردة المركزية ونحوها من سنن الطبيعة ومعاول الخلق التي لعبت دورها فى تكوين اجرام السماء والأرض وانفصالها عن بعضها من الغاز الكوني .

ثم علم أخيراً أن الفضاء الكوني الذي يقع بين اجرام السماء ليس فراغا خالياً من كل شيء كالمادة ومعالمها وانما تنتشر فيه أيضاً جسيمات غير مرئية على غرار ما كشف العلم فى عصر الفضاء ، وهو قوله تعالى :

« ولله ملك السماوات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء » (٣) .

---

(١) سورة ابراهيم : ٤٨

(٢) سورة الانبياء : ٣٠ (٣) سورة المائدة ١٩

« ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير » (٣) .

وان الغاز الكوني بين النجوم والمجرات هو بحالة تخلخل شديد جداً اذ قدرت كثافته بنحو ميليغرام واحد فى كل مليون ميل مكعب في الفضاء . وهذا الغاز مكون كله تقريباً من غازي الايدروجين والهليوم ومن دقائق ترابية .

والدخان الكوني هو مادة الكون الأولى وهو لا يفنى إلا بمشيئة الله تعالى ولا تقل كمياته في كوننا المرئي بشكل مستمر ، ولهذا يتساءل العلماء من اين يقبل هذا الدخان أو الغاز ؟

أهو يقبل من الفضاء اللانهائي في تتابع مستمر ليعوض النقص في كمياته بسبب تولد المجرات الجديدة ؟

أم هو يأتي من مكان خفي ؟

أم هو يخلق خلقاً ؟

ولكن القرائن والمشاهدات العلمية كلها تدل دلالة واضحة ان هذا الدخان الكوني لا يأتي من مكان معين ، وانما يخلق خلقاً ، فاحياناً لا توجد ذرات هذه المادة وبعد ذلك تظهر ، واذن فان عملية خلق الايدروجين هى عملية مستمرة . والا نفد هذا الغاز من الوجود بسبب استمرار تكدسه ، ومن ثم استنفاده داخل المجرات المتباعدة .

ويتكدس الايدروجين كذلك داخل النجوم ويتضاغط بدرجات

---

(١) سورة المائدة : ٢٠

اكبر فاكبر بفعل الجاذبية ، وينجم عن هـذا التضاغط ارتفاع درجة الحرارة الى حدود الملايين من الدرجات فى مراكز تكون النجوم والشموس وعند ذلك تنشط العمليات الذرية ، ويتحول هـذا الدخان الى رماد (غاز الهيليوم) والى عناصر أخرى بأمره تعالى تحت الضغوط المختلفة

وهذه السلسلة كلها غير تراجعية ، أي انها لا يمكن ان تعود القهقرى ، الى الوراء ، لتنتهي بظهور الايدروجين من جديد وتحت أي ظرف آخر . وبديهي ان بقاء الغاز في الفراغ الكوني حتى الآن رغم تدخل هذه العوامل كلها لهو اكبر دليل على انه في تجديد مستمر أو خلق مستمر ، ولهـذا السبب يبقى متوسط كثافة الغـاز ثابتاً في الفضـــاء .

والحق يقال : ان معدل خلق مادة الكون الأولى هو معدل بطيء جداً . ولا يظهر هـذا الدخان فجأة متكتلا في مكان معين . ويمكن ان يقدر ظهوره بنحو خلق ذرة واحدة فى العـام داخل فراغ يعادل حجم قاعة كبيرة ! ! نعم . ان مثل هـذا المعدل لا يمكن قياسه ولا مشاهدته عملياً ، ولكن يمكن حسابه رياضياً ، بحيث اذا طبقنـاه على فراغ الكون المرئي كله تمخضت قيمة المـادة المخلوقة عن كميات فوق حدود الوصف والخيال . فهي تربو على ١٠٠ مليون مليون مليون مليون مليون طن فى الثانية الواحدة ! ! وتسبب هذه المادة الجديدة من الضغط والحركة في الكون ما يدفعه على التمدد وما يجعل المجرات فيه تتباعد

بسرعة هائلة . قد تبلغ نصف سرعة الضوء فى الثانية : (١٥٠٠٠٠ كيلومتر / ثانية) ، ويتحقق قوله تعالى (وهو الحق قبلا وبعداً) حيث يقول :

« والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » (١) .

والحديث العلمي عن السماء فى هذه الآية انما يتناول حدود الكون المرئي واتساع هذه الحدود أو تمددها بمضي الزمن . وهى ظاهرة أو نتيجة من أعجب ما توصل اليه العلم فى السنين الأخيرة . ومعاني الآية فى غاية الوضوح والجلاء ، لا تحتاج الى شرح أو بيان . الا أن إعجازها العلمي اوضح وأروع .

فالمعروف علمياً ان وحدات الكون العظمى أو المجرات انما تتباعد عن بعضها البعض بسرعة فائقة . ويزداد بذلك حجم الكون أو يتمدد . وكلما تباعدت المجرات ازدادت سرعة انطلاقها فى الفضاء اللا نهائي ، فقد شوهد قبلا ان المجرات القريبة من مجرتنا بالذات انما تتباعد بسرعة تقدر فى حدود بضعة ملايين الأميال في الساعة الواحدة ، وتصل سرعة تباعد المجرات الواقعة على اضعاف هذه المسافات من مجرتنا الى حدود سرعة الضوء . اما فيما وراء ذلك من حدود فان سرعة انطلاق المجرات الى أعماق الفضاء قد تزيد على سرعة الضوء نفسه ! خلافاً لنظرية (أينشتين) في نظرياته النسبية بشأن السرعة والكتلة لجسم ما .

---

(١) سورة الذاريات ٤٧

فلا يمكن بذلك للاضواء المنبعثة منها ان تصل الينا . أي أنها في الكون غير المرئي ، وعلى اية حال ، فان الحد الفاصل بين ما يمكن ان نراه من الوجود المادي وما لا يمكن ان نراه هو المجرة التي تتباعد عنا بسرعة الضوء . وتبعد مثل هذه المجرة عن مجرتنا في هذا العصر بنحو ٤ آلاف مليون سنة ضوئية .

ومجمل القول انه نظراً لازدياد حجم الكون الذي نحن فيه ، أو نظراً لتباعد مجراته تباعداً كبيراً بمضي الوقت ، فاننا نستطيع ان نعرف نهاية هذا الكون بانه الحد او السماء الذي لا تستطيع المناظير المكبرة أو التلسكوبات الكبيرة جداً ان ترى ما بعده .

ويحتوي هذا الكون على أكثر من (١٠٠) الف مليون مجرة . كلها آخذة في التباعد ، وبذلك ، فانه من الممكن ان تختفي كلها وراء حدود الكون المرئي رويدا رويدا بمضي الوقت وازدياد سرعة تباعدها عن مجرتنا فوق سرعة الضوء . وعندها تتوحد في كون فارغ من المجرات الا مجرتنا ! الا ان الحقيقة ان هذا لن يحدث تماماً ، ولن يصبح الوجود فارغا على النحو الذي صورناه في يوم من الأيام . بل سيظل يعج بالمجرات كما نراه اليوم . على وجه التقريب . وعلة ذلك أنه تتولد فيه مجرات جديدة كلما اختفت المجرات البعيدة وراء الحدود المرئية . ويتم توليد هذه المجرات الجديدة من الدخان الكوني على نفس النمط الذي تولدت به المجرات القديمة .

وقد وضعت في نشوء الكون نظريات كثيرة على ضوء علم طبقات الأرض والكيمياء والفيزياء وعلم الأنواء والرياضيات ، قبل لابلاس العالم الرياضي وبعده . نظريات تفند وتجرح من حين الى حين ، ثم تأتي نظريات اخرى وتفند ايضاً وهكذا لحد اليوم . وقد يستنتج من النظريات السابقة ما يستفاد منها فى وضع نظرية جديدة ، ولكن العلم المادي لا يزال ناقصاً وسيبقى ناقصاً مهما كملت الآلات والاجهزة ومهما توغل العلم في استقصاء حقائق الذرة والاشعاع ومعادلاتها ، وهكذا تكون النظريات التي توضع على ضوئها ، ناقصة متزلزلة قابلة للجرح والتعديل .

ومن أراد استقصاء موضوع نشوء الكون باسلوب علمي أي على ضوء الرياضيات العالية وعلم الذرة والكيمياء العالية والفيزياء العالية فليراجع كتاب : (نشوء الكون) لمؤلفه (جورج گاموو) (١) .

انه تعالى يقول : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٢) .

« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » (٣) .

مع العلم ان النظرية : (theoreme) ليست معادلة رياضية

---

(١) the creation of universe

(٢) سورة اسرى : ٨٥

(٣) سورة الكهف : ١١٠

مجردة عن التطبيق على الكونيات حتى تكون حقيقة ناصعة لا تقبل النقاش والرد .

فالمعادلات المجردة عن حدود التطبيق أي تطبيق الابعاد والكتل والزمان وما الى ذلك هي معادلات صحيحة منطقية لا تقبل الشك والارتياب ولها جواب يحقق التعادل أو المساواة في تلك المعادلة أو المتطابقة الى ما هنالك .

ولكن لو كانت المعادلة تربط أجزاء هذا الكون بعضها ببعض أو تفسر الحوادث الكونية كدستور نيوتون في الجاذبية تظهر فيها مواضع النقص أو الضعف ، فتأتي دساتير (أينشتين) مصححة لها . وقد يأتي بعد (أينشتين) من يصحح نظريات (أينشتين) ويجد فيها مواطن للطعن والنقد وهكذا .

فلا ينبغي لدارس هذه النظريات ان يراها حقائق ناصعة لا تقبل الشك والتعديل ، لا سيما النظريات التي توضع عن بزوغ الحياة وخلق الأحياء على وجه البسيطة ، فانها مهما حاول المتتبع الاستقصاء والتحقيق لا تتجاوز عن كونها نظرية قابلة للجرح والتعديل كما يعرفنا بذلك كبار علماء الطبيعة مثل (الكسيس كارل) في كتابه « الانسان ذلك المجهول » .

ولكن هنالك متطفلين على العلم الحديث ، لم يبلغوا من العلم ولا سيما الرياضيات العالية والفيزياء العالية وهما دعامتا العلم الحديث شأوا

يعتد به ، يحكمون ويحتمون ويهوسون ويأخذهم الغرور الى حد بعيد . فيرون النظرية حقيقة ، فيسخرون من الذين يعارضونهم في الرأي . حين ان الموضوع لا يتجاوز مشاهدات معدودة لا يمكن الاستنتاج منها بالاستقراء الا حكما مبتوراً بعيداً عن الحق والحقيقة .

انه تعالى يقول :

« إن يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (١) .

« وإن تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (٢) .

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » (٣) .

« إن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (سورة النجم : ٢٣) .

« وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً » (سورة النجم : ٢٨) .

* * *

يقول « جورج واينايس بيشوف » في كتابها : الشمس والأرض والانسان : (ص : ٤٤) .

ولقد مر على الارض مئات الملايين من السنين منذ تكونت ، ثم

---

(١) سورة يونس : ٦٦ (٢) و (٣) سورة الانعام : ١١٦ و ١٤٨

جاء اغرب حدث واعجبه في تاريخ الكرة ، وهـذا الحدث هو بداية الحيـاة ، اما كيف جاءت الحياة في بدايتها أو كيف كـان مظهرها ، فان العلم لعاجز عن معرفة ذلك ، وكل ما يمكن ان يقال بشيء من التوكيد هو ان الحياة بدأت في المحيط الدافىء : الماء . وان أول كائن حي لم يكن لا بالنبات ولا بالحيوان بل كان أبا للاثنين ، وربما كانت الحياة الأولى على هيأة بقع من مادة حية أو كتل من مادة هلامية تشبه الجيلاتين في الشكل .

ثم هما يقولان : « وكان أعجب العجائب بعد بداية الحياة هو نموها وتطورها الى النباتات والحيوانات المختلفة التي عاشت على هذه الأرض يوماً ما . ويطلق على دراسة هذه الكائنات الحية وكيفية نشوئها وتطورها الواحد من الآخر أو الأصح تلو الآخر ، اسم : التطور » .

ذلك لأن كل تغيير انما يكون عن حكمة بالغة وهدف صحيح . ولا مجال للصدفة ان تلعب دوراً ولو بسيطا في هذا المضمار . اذ توالى مالا نهاية له من مراحل في عالم الخليقة وتشكلها بادىء ذى بدء من اجزاء شتى . ثم قطعها مراحل لا تعـد ولا تحصى . مراحل مترتبة بعضها إثر بعض ، مراحل متسقة ومتزنة . مراحل علمية ينحصر بها وجود هذا الكائن الجديد لا يمكن ان تحدث بالصدفة . وقد أثبت حساب الاحتمالات استحالة ذلك . اذ درجة الاحتمال تساوى $\frac{1}{\infty}$ وهي الصفر وقـد برهنا على ذلك بطريق رياضي في أوائل الجزء الثالث

من هذا الكتاب .

والطبيعة عمياء ، لا تبصر المستقبل ولا تعلم الى ماذا سيؤول الامر وكيف يعيش الحي في ظروف مختلفة وتحت عوامل متعـــددة . لا سيما الطفرات (١) التي يشاهدها المتتبعون في الكائن الحي ، حتى يصبح شكلا آخر ونمطاً آخر .

لذلك يقول العالم الطبيعي : (وهو قد لا يؤمن بالقـــدرة الالهية ، والدور العلمي الذي يسير عليه الوجود المادي) :

« قـد نشأت الخلية الأولى قبل نحو سبعمائة مليون سنة او اكثر حين شرعت الارض تبرد . وتتخثر الغازات الى سوائل ، ثم تجمدت هذه الى مواد صلبة . ومن العسير علينا ان نعرف تلك الحال الأولى حين نبض الطين بالحياة ، اذ أين كـان النتروجين والكاربون والاوكسيجين والهيدروجين ، وكيف كانت الأشعة الشمسية وأثرها في الغيوم التي كـانت تكسو الكرة الارضية ، مع العـلم ان الكرة الارضية كـانت تدور أسرع ما تدور الآن حول نفسها وحول الشمس . . كل هذا نجهله كما يجهل أحدنا ما يقوم به الكيماوي في معمله المقفل .

فترون انه لا بد لنشوء الخلية الأولى من عوامل متعددة جـداً . قد تعد بالآلاف ، لان لكل عامل ، أيضاً ، عوامل أخرى . وهكذا دواليك ! حتى ينتهي الى واجب الوجود ، وهو الله الذي لابد من

---

(١) motation

وجوده من الأزل ، قبل كل شيء ، حيث لا زمان ولا مكان ، لابد من وجوده كلما رجعنا الى الماضي السحيق في حدود لا تتناهى .

وخير مثال لهذا ، تركيب الصاروخ ، إذ هو يتألف من ٣٠٠٠٠٠ قطعة على أقل تقدير . فهل يمكن ان تترتب هذه القطع بالصدفة . ثم لابد من وجود هذه القطع أو الأجزاء قبل تركيب الصاروخ . مهندسة كل واحد منها هندسة صحيحة من حيث الأبعاد والتركيب بحساب هندسي دقيق كي ينشأ من تركيبها على أساس علمي ومنطقي هذا الصاروخ الذي نراه .

وهل يمكن ان يقال : إن القطعة الأولى من هذا الصاروخ تعلمت كيف تنشيء وتهيء القطعة الثانية وهكذا دواليك الى ٣٠٠٠٠٠ قطعة فأكثر .

ولسائل ان يسأل : مم تعلمت القطعة الأولى ، من كان المعلم لها ؟ فان قلنا بالتجربة ، ففي أى مختبر اجريت التجارب حتى حصل بعد مشاهدات واستنتاج علم عن كيفية تهيئة القطعة الثانية بصورة هندسية صحيحة ومناسبة من قبل القطعة الأولى .

فاذا كان هذا القول بعيداً عن المنطق ، فكذلك القول :

« كذلك تكونت اجنحة لبعض الزواحف الأخرى وتعلمت الطيران ! » .

من الذي كون هذه الاجنحة ، ولم تكن هنالك مدرسة عالية تعلم

هندسة الطائرات وصنعها . فالطبيعة عمياء . ليس لها ان تفكر فى المستقبل والصدفة لا تهندس ولا تنشيء ، انما تأتي الصدفة في دور التركيب بعد الانشاء الهندسي .

ولو فكرنا فى أنفسنا وتراكيب بدننا ، علمنا اننا لم نتصرف فيها يوما لتكون كذا ولا تكون كذا . لماذا لم نكون لانفسنا أجنحة كالطيور ولمَ لم نتعلم الطيران كما (تعلمت الزواحف) على ما جاء في التفكير المادي ، حتى نغير فى اجسادنا تغييراً يريحنا من عناء السفر المرير .

ويقول أيضاً مؤلفا كتاب : الشمس والأرض والانسان (١) :

« وقد مضت ملايين السنين قبل أن تظهر أولى النباتات على اليابسة ، وبظهورها تكونت لها جذور تعلقت بالتربة الحديثة وبالصخور كما انها كانت تمتص الماء بواسطتها . كما تعلمت هذه النباتات بطريقة ما كيف تستخدم (الكربون) الموجود فى الجو مع الماء في صناعة الغذاء » ! .

انظروا الى هذه الفلسفة المبتورة والمنطق السقيم ، فانه يقول : مضت ملايين السنين قبل ان تظهر أولى النباتات . ولكن المؤلف يسكت عن بيان كيفية الظهور ومراحل الظهور وتكون الجذور وتعلقها بالتربة وبالصخور وكيف امتصت المـاء بواسطة الجذور . ومم تعلمت هذه النباتات بطريقة ما حتى تستخدم الكربون الموجود في الجو مع الماء في صناعة الغذاء . وكيف وجد الكربون في الجو وكذا الماء . أو ليس

---

(١) ص : ٤٦

الغذاء يصنع من عدة أجزاء وبعوامل مختلفة ، وقد اثبتنا ان الصدفة منتفية في جمع العوامل والاجزاء لصناعة الغذاء في الجزء الثالث من هذا الكتاب فلابد من حكيم مدبر ، دبر الامور ورتبها أيما ترتيب حتى كان هذا الوجود بجماده ونباته وحيوانه وانسانه .

« قل أرأيتم ان اخـذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ، مَن اله غير الله يأتيكم به ، انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون » (١) . . . . (يعرضون) .

* * *

أما الصدفة التي تلعب دوراً هاماً فى الاكتشاف والاختراع ، فانها لطف رباني يتيحها لهذا الانسان كي يستفيد مما أودع الله تعالى فى الطبيعة من خواص للشفاء والغذاء والصناعات المفيدة الى ما هنالك .

فالصدفةالتى لعبت دوراً هاماً فى كشف الاشعة السينية (Rayon X) هي لطف رباني ، كان قد من الله بها على (كروكس) وكذلك الصدفة في ربط الاسلاك الكهربائية بطريقة التوازي ، والصدفة التي أتاحت لباستور العالم الفرنسي في استعمال التطعيم للقضاء على مرض الجدري وأمراض أخرى .

فالصدفة التي يمنحها الله تعالى تفضلا منه للعالم حين تتبعه وقيامه بالتجارب ليس الا لجعله واقفاً على ما أودع الله من قوانين وأنظمة

---

(١) سورة الانعام : ٤٦

وخواص موجودة قبل حدوث الصدفة في هذا الكون من جانب الله تعالى. والصدفة المتاحة نوع تعليم من جانب الله تعالى لهذا الانسان . فكأن الله يريد ان يكافىء هذا المخترع أو بلفظ أصح هذا المكتشف على تتبعه وجهوده ، فيجعله يقوم بأعمال لا يعلم ماذا ينتج منها واذا به يقف دونما انتظار سابق على خواص جديدة ومكتشفات حديثة .

لذلك ، يرى كثير من المكتشفين ان بداً سحرية ترافقهم في مكتشفاتهم حتى المرحلة الأخيرة من ربط الآلات او وضع المعادلات والدساتير !

أما الملحد الذي لا يؤمن بالله الذي بيده ملكوت كل شيء ، يرى التغيرات والتطورات تأتي تباعا وبطريق منطق وتدرج علمي ، فكيف يفسر كل ذلك وهو لا يؤمن بالله الذي خلق المرحلة الأولى والاصل والاساس بما فيه من أجزاء وقوى وطاقات والمراحل التالية وما يحيط بها من عوامل ومؤثرات . . و . . .

ان الملحد ليعترف بالقصور الذاتي (Inestie) في الفيزياء فاذا جاء دور عزو المراحل وحدوثها وانتظاماتها : هذه المراحل التي لا تعد ولا تحصى ، هذه المراحل التي تكاد لا تتناهى . . . . الى خالقها وموجدها ومرتبها أحكم ترتيب ، وهو الله تعالى ، توقف الملحد وعزا كل ذلك الى قوة يراها موجودة في ذلك الكائن الحي أو غير الحي ، كالاكسيجين والنيتروجين ، وقال بتطورات ذاتية في ذلك الموجود الحي أو

غير الحي . تطورات متسلسلة على ضـــوء المنطق الصحيح . فكأنه يريد أن يقول : ان في ذلك الكائن الحي أو غير الحي عقلا يدبر نمو وتكاثر هذا الكائن حين ان هذا الملحد مع ما أوجد الله فيه من عقل لا يقوى على ان يغير مما في نفسه او بدنه شيئاً ، ولا يعلم كيف وجدت عينه او اذنه او شامته . . . الخ . . .

* * *

وهكذا ، ترون ، يقول أحد هؤلاء الماديين : « ليس لأحد يمكنه الآن ان يجزم في شيء عن أصل المادة ونهايتها » . وقد قرر (كوستاولوبون) بالتجربة ان المادة تفنى وتعود أثيراً غير محسوس .

ويقول المادي : لا نعلم شيئاً عن كيفية تطور المادة ، والشك لا يزال قائماً عن هذا الكون . هل هو متناه أو غير متناه .

فترون : ان المادي ، يبني فلسفته على أشياء يجهلها هو ولا يعلم حقيقتها وكيفية نشوئها وتطورها وقطعها المراحل ثم وجود هذا الكائن الحي بعد ذلك على وجه البسيطة .

كان يقول « بركسون : (Bergson) الفيلسوف الفرنسي : ان الحياة مبدأ أو عنصر أو فكرة مستقلة عن المادة ، وانها إنما تستخدم المادة فقط كي تبدو او تتمثل في أجسام الأحياء . ويقول : انه ليس بعيداً ان تتخلص الحياة من المادة في المستقبل وتحيى الأحياء بلا أجسام .

والمادي يعترف قائلا : لسنا نعرف ماهية الحياة الأولى ، فربما

كانت أبسط من الخلية ، وذلك لأن الخلية الأولى كانت من الصغر ولين المادة الهلامية بحيث اذا ماتت لم يبق لها أثر يشهد على وجودها كبقية المتحجرات Focils ، ثم يعرِّف المادة قائلا : لا نعرف كيف دبّت الحياة في الخلية الأولى . . . ويقول المادي : « لقد مضى زمن كان يحسب فيه الناس أن هناك تشابهاً عظيماً بين تكون المبلورات كالبرَد والثلج والالماس وبين تكون الحياة . ولكن الفرق عظيم بين الاثنين ، فالتبلور يحدث بالاضافة الخارجية ، اما الحي فينمو بالتمثيل الداخلي ، أي انه يحتوي على مادة جامدة أو حية ، ثم يهضمها ويجعلها مثله ، وهو يقول : ان دبيب الحياة الأولى في الجماد لا يزال سرا ، وانما المقرر المعروف : انه ليس فى الحي عنصر أو مركب لا نجده خارجاً في الجماد .

فالجسم الحي مؤلف من الكاربون والنيتروجين والأوكسيجين والايدروجين والكبريت وجملة أملاح أخرى . وبعض المركبات التي يصنعها الجسم الحي مثل النشا والبول والكثول يمكن صنعها الآن في المعامل الكيميائية . إلا اننا لو جمعنا المواد المؤلف منها الحي لما أمكننا مع ذلك ان نصنع خلية حية (١) .

وهذا اعتراف جميل : ان الحيوية شيء آخر ، غير المواد . وان العلم الحديث يجهل تكون الخلية الأولى بما فيها من حيوية ، ولقد بسطنا

(١) نظرية التطور واصل الانسان . لسلامة موسى . ص : ٤٥

القول في هذا المقام فى الجزء الأول من التكامل ص : ٢١٣ وفي الجزء الثاني : ص : ١٠٣

* * *

وعندما كنت اكتب هذا المقال ، شاهدت عصفوراً كان قد دخل من ثقب فى نافذة من نوافذ الغرفة ، ولم يستطع العود الى الحديقة فصار يطير ساعات هاهنا وهاهنا ، ويصطدم بالنافذة والزجاج تارة بعد أخرى ، وهو لا يهتدى الى سبيل ، مع أني قد فتحت له نافذة كان في امكانه ان يفر منها ، لان الشبكة السلكية كانت ممزقة والطريق مفتوح أمامه . وهكذا بقي حائراً مضطربا ، حتى جاء ولدي محمد أخذه وأخرجه الى الحديقة بيده !

فلو كان لهذا العصفور أدنى تصرف فى صنع أجهزة بدنه الدقيقة التي قد بلغت من الدقة وإتقان الصنع ما يجب ان يكتب فيه آلاف الصفحات لوجد طريقه من تلك النافذة المفتوحة الى الخارج ونجا فوراً .

كل ذلك يدلنا على أن الكائن الحي بأنواعه المتنوعة وتطوراته المختلفة وتكامله المادي البطيء أو السريع وطفراته ونموه العقلي أو الغريزي ، ليس له أدنى تصرف من تلقاء نفسه ، وكل ما يحدث فى داخله وكيانه إنما هو بأمر من الله وارادة الله ومشيئة الله وقدرة الله التى لا تتناهى .

فليست نظرية التطور ان صحت في بعض المجالات الا بياناً لما ألهم

الله هذا الكائن الحي من مراحل لا تعد واراد تحقيقها بمشيئته ، إذ هو الذي هيأ له الظروف والكفاءات والقابليات الى ما هنالك .

وخير دليل على ذلك بقاء كثير من الكائنات الحية فى حدود معينة من التكامل المادي ، مع ان جهاز الهضم مثلا من حيث الدقة وحسن الصنع هو نفس الجهاز في كائن حي آخر أرقى في عالم التفكير والحياة الاجتماعية .

فالتفكر فى الموجودات في معزل عن يد ربانية مسيرة بشكل لا نفهمه ولا نعلمه تفكير مبتور يؤدي الى فلسفة ضالة ، مضللة ، تسوق الانسان الى جهل مرير .

« فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور » (١) .

***

فالنفوس الضالة ، أو بالاحرى : النفوس الشريرة التى تحجرت بآثامها وفسوقها وكبريائها ، فجحودها ، تكون فلسفتها فلسفة خيالية ، مضلة فلا تتوجه الى الحق المتعال ، بل يكون استنتاجها الفكري الحاداً وزندقة لعمى القلب من جراء الفسوق ، « وان أعمى العمى عمى القلب » . كما جاء في الحديث .

« بل ادّارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون » (٢) .

---

(١) سورة الحج : ٤٦ (٢) النمل : ٦٦

« أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق ، كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولو الالباب » (١) .

« قل من رب السماوات والأرض ، قل الله ، قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً . قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ، ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار » (٢) .

« قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون » (٣) .

وفى الحديث : « ما ضرب ابن آدم بعقوبة أشد من قسوة القلب » .

وان الله لا يضل الا من تردى وضل بسوء اختياره وكثرة آثامه « وما الله يريد ظلماً للعباد » (٤) .

انه تعالى يقول : « ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » (٥) بسوء اختيارهم وذلك لذنوب كثيرة أدبرت لذاتها وأقامت تبعاتها .

فطريق الحق مغلق على النفوس المتحجرة « وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا » فتكون فلسفتها الحادية غير

---

(١) الرعد : ١٩ (٢) الرعد : ١٦ (٣) الانعام : ٥٠

(٤) آل عمران : ١٠٨ (٥) الانعام : ١٢٥

منطقية ، مبتورة ، مستندة على اساس اوهن من بيت العنكبوت ، ذلك لانك لو تدرجت مع هـذا الفيلسوف ! نحو المراحل الأولى من الخليقة ، قال لك : « اني لا أعلم ، ولا يزال العلم يجهل ذلك ، أو ، لم يحن الوقت ليكتشف العلم حقيقة هذا السر . ولكن الزمان كفيل بذلك » ! ! . . كلام سوفسطائي يدع النفوس المنحرفة ، الأثيمة الحالكة التي لا تبصر نفسها ومالها من عوالم شتى ليس لها ادنى تصرف في تغييرها وتعديلها لذلك يقول تعالى : « وفي انفسكم أفلا تبصرون » (١) .

« والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات » (٢) .

ولا يكون التكذيب الا من جراء تلوث النفوس بالذنوب والظلم والفساد في الأرض .

هذه سنة الله في أرضه : « فلن تجـد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٣) .

والله تعالى قد اخبرنا فى كتابه المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، عن هذا الانسان الجاحد العـــدو لله الذي مَنَّ عليه بأنواع النعم ، نعم لا تعد ولا تحصى ، بقوله جل من قائل : « أَوَ لم يرَ الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (٤) .

* * *

---

(١) سورة الذاريات : ٢١ (٢) سوره الأنعام . ٣٩

(٣) سورة فاطر : ٤٣ (٤) سورة يس : ٧٧

كيف يفسر لنا المادي ما يصنعه النمل الأبيض فى افريقيا من مستعمرات ضخمة من الطين مخلوطاً بلعاب فمه ، وكل منها برج شامخ فى الهواء ارتفاعه عن سطح الارض حوالي ٦ امتار ومحيط قاعدته قد تصل الى ١٥ متراً ولا يمكن هدم هذا البرج الا بالديناميت . ويصنع النمل بالقرب من هذا البرج في جهة أخرى حصنا صمم بطريقة خاصة اذا سألت عنه أحد الأهلين فسيخبرك انه البوصلة . وبواسطة هذا المبنى يستطيع الأهالي معرفة الجهات الأصلية في الصحارى والجبال . ذلك لان لها سطحين عريضين أحدهما يشير الى الشرق والآخر يشير الى الغرب وسطحين ضيقين متجهين الى الجنوب والى الشمال ولا يمكن ان تشذ عن هذه القاعدة أي مستعمرة من مستعمرات هذا النوع من النمل . ولهذا يثق الأهالى في ذكائه الغريب ، ولم يستطع احد ان يعرف الحكمة التي تكمن وراء هذا النظام .

ففي أية مدرسة عالية تعلم النمل الابيض صنع بروج شامخة لا يمكن هدمها لما فيها من صلابة إلا بالديناميت ، ومم تعلم صنع المزولة لتعيين الجهات الاربع ؟ لماذا لا يستطيع القرد صنع المزولة وجعل لعاب فمه من حيث التركيب الكيمياوي كما في النمل الابيض ، وهو على ما يقوله البعض أقرب الى الانسان من حيث التشكيلات الجسدية فحسب ؟

اذن ليس التطور فى الحيوانات والحشرات وغيرها بتطور ذاتي ، وانما يد ربانية ومشيئة إلهية تتصرف في ما خلق عن حكمة بالغة كي

يري الناس آثار عظمته تعالى في الآفاق والأنفس: « سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أوَ لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (١) .

« هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (٢) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره . ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذّكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الارض رواسيَ ان تميدَ بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق ، أفلا تذّكرون ، وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم » (٣) .

---

(١) حم سجدة : ٥٣ (٣) سورة النحل : ١٠ ـ ١٨

(٢) تسيمون : ترعون دوابكم ، ذرأ : خلق ، مواخر : تشق الماء بجريها رواسي : جبالا ثوابت .

عوالم القدس

ليس الانسان هذا البدن فحسب ، أي ليس الانسان مجموعة كذا غراما من الآزوت وكذا غراماً من الكالسيوم وكذا غراماً من الفوسفور وكذا غراما من الهايدروجين ومن الاوكسيجين ، الى ما هنالك من عناصر ، كما يقوله المادي . انما هو نفس حساسة وروح فياضة وعقل وشعور واحساسات وأمان وعواطف وميول الى ما هنالك .

فالانسان انسان بنفسه لا بعضلاته وعظامه ودمه ولحمه وبما يؤلف بدنه من عناصر .

ان الاعضاء المادية التي تشكل هذا البدن تساعد الانسان لبلوغ أمانيه ولبلوغ تلك الغاية التي خلقه الله تعالى لاجلها . الا وهي معرفة الله جل وعلا . وقوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (١) دليل واضح على ان العلة الغائية من وجودنا في هذه الدنيا انما هي عبادة الله تعالى وتوحيده وتقديسه والتقرب اليه ، ثم معرفته . ذلك ، لأن العبادة بما فيها من تسبيح وتحميد وخشوع

(١) سورة الذاريات : ٥٦

وخضوع وصلاة وصوم وحج وزكاة وخمس وصبر على النوائب واخلاق فاضلة والقيام بأعمال صالحات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مقدمة لمعرفة الله تعالى .

فلا يمكن الوصول الى معرفة الله : معرفة تتناسب والاستعداد البشري الا بعبادة مقبولة ، بكل ما في العبادة من معنى واسع مع خشوع وخضوع . فكلما شعر الانسان أنه يذوب حباً لله ويزداد له خشوعاً وإنابة علم انه يتقرب الى الغاية التي خلق لأجلها ، الا وهى معرفة الله جلت قدرته .

هل شعرت في صلاتك بانجذاب نحو المبدأ الأعلى وحبور وسرور من جراء هذا الانجذاب اللاهوتى ؟

هل دمعت عيناك وانت في صلاتك عند تلاوة بعض الآيات من كتاب الله المجيد ؟ . وهل عرجت نفسك اثنـــاء القنوت وانت رافع يديك نحو السماء الى معالم قدسية تفوق حدود الوصف والتعريف ؟

وهل أحسست عنـد قراءتك دعاء كميل ليلة الجمعة وانت تناجي ربك عن قريب ، ذليلا ، خاشعاً ، معترفاً بذنوبك ، ودموعك تنهمل على خديك ندما وتأسفاً بانجذاب روحي نحو الله الذي لا تتناهى عظمته . فزدت فرحا لا يشبه أفراح الدنيا المشوبة الزائلة في شيء ؟ .

وهل شعرت بعد الانتهاء من دعاء كميل كأن حملا قـد وضع عن كاهلك ، وقد أصبحت فى عالم آخر قد رفع عنك أوزار الذنوب والآثام ورفع عنك الحجاب على قـدر معرفتك بالله المتعال . . أو بالأحرى

على قدر طهارة نفسك ؟

وهل حضرت المآتم الحسينية ، فصرت تذكر تلك التضحية الغالية التي عجز عنها الانبياء (ع) ، تذكر مناجاة أصحاب الحسين (ع) في ليلة العاشر من محرم ولهم دوّى كدوّي النحل بين راكع وساجد وقائم وقاعد ؟ هل ذكرت كيف يستسقى عليه السلام لطفله الرضيع والقوم أبوا أن يرحموه ، فقال (ع) : « هوّن علىّ ما نزل بى أنه بعين الله » وانهملت دون ارادة منك دموعك ، فدخلت في ذلك العالم الروحانى الرقيق الذي كان قد دخل فيه أصحاب الحسين عليهم السلام ليلة العاشر من محرم ويومه ؟

وهل وُفقتَ ان تقوم جوف الليل وتصلى ركعات ثم تناجي ربك بقلب ملؤه الاخلاص وقد اغرورقت عيناك بالدموع حزناً على ما فرطت في جنب الله ، وفرحاً بهذا المثول اللاهوتى ، المثول بين يدي رب العالمين ، وصرت تفكر فى عوالم الآخرة وعظمة الله تعالى وموقفك الضئيل منه ، وشعرت اذ ذاك انك تدخل فى عالم جديد ، عالم بعيد عن عالم المادة الحالك كل البعد ، عالم كله صفاء وعلو وارتفاع ؟

وهل وُفقتَ ان تخاطب الله تعالى فى قنوتك قبيل الفجر قائلا بكل خشوع واسترحام : « الهى أسأت وظلمت نفسي وبئس ما صنعتُ وهذه يداي يا رب جزاءاً بما كسبت وهذه رقبتي خاضعة لما أتيت وها أنا ذا بين يديك ، فخذ لنفسك من نفسي الرضا حتى ترضى ، لك العتبى ، لا اعود . . . ثم ، تقول وقد ملئت حزناً وبكاءاً وندامة

هذا مقام العائذ بك من النار (٧ مرات) ؟ .

وهل ناجيت الله تبارك وتعالى ، بعد الانتهاء من صلاة الليل ، صلاة المتهجدين ، الخاشعين ، صلاة المستغفرين بالأسحار (١) قائلا : « الهي غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أنامك وأبوابك مفتحات للسائلين ، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه محمد صلى الله عليه وآله في عرصات يوم القيامة ، ثم تبكي وتقول ـ كما كان يفعل إمامنا زين العابدين عليه السلام ـ وعزتك وجلالك ، ما أردت بمعصيتي مخالفتك وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شاك ولا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك ستر المرخى عليَّ فالآن من عذابك مَن يستنقذني وبحبل مَن اعتصم ان قطعت حبلك عني ، فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا والمثقلين حطوا ، أمع المخفين اجوز ، ام مع المثقلين أحط ، ويلي ، كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب ، اما آن لي أن استحيي من ربي ، وتبكي وتقول :

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح زرية ومافي الورى شخص جنى كجنايتي

وهل خاطبت الله تعالى يوماً في معزل عن الناس وناجيته مناجاة

---

(١) « الذين يقولون : ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » . (سورة آل عمران : ١٦ ـ ١٧) .

التائبين ، قائلا : « الهى البستنى الخطايا ثوب مذلتي ، وجلانى التباعد منك لباس مسكنتى وامات قلبي عظيم جنايتي ، فأحيـــه بتوبة منك يا أملي وبغيتى ويا سؤلي ومُنيتى ، فوعزتك ما أجد لذنوبي سواك غافراً ، ولا أرى لكسري غيرك جابرا ، وقـد خضعت بالانابة اليك وعنوت بالاستكانة لديك ، فان طردتني من بابك فبمن الوذ ، وان رددتني عن جنابك فبمن أعوذ . . . . الخ » .

فدخلت فى عالم جديد من عوالم القدس ، قد رفع الحجاب اذ ذاك بينك وبين خالق السماوات والارضين وبلغت مرتبة مرموقة من اليقين .

وهل تلوت القرآن قبيلَ الفجر بصوت حزين ، مفكراً في آياته ، متدبراً معانيه ، وقد ألهمت من جانب الله تعالى معاني جديدة لم تكن تتلقاها فى وقت آخر او بالتعلم ، وقـد عرجت بك هذه المعاني الى عوالم سامية رفيعة يستحيل بيانها وشرحها باللسان والبنان ؟ .

وهل وقفت مع الحجاج يوم عرفة عند العصر عندما تأخذ الشمس بالأفول وقرأت دعاءاً كان يقرأه ابو عبد الله الحسين عليه السلام : بخشوع وخضوع ودموع . فترى كيف ان النفس تخرج من عوالم الناسوت صاعدة نحو عوالم الملكوت ، وكيف تخرج من حضيض المـادة العمياء الى العالم العلوي ، الى معالم القدس ، فتسبح فى عوالم قدسية ليس لهذه الألفاظ ان تعبرَّ عنها ، فقد بلغت من القدسية مرتبة تفوق تعبير المعبرين وبيان البلغاء المفوهين ؟ .

وهل وفقت الى خدمة جارك المريض من اول الليل الى السحر .

تجلب له الطبيب وتقدم له الدواء وتسليه وتداريه وتقرأ له الادعية المأثورة للشفاء وخالفت هواك في ميلها الى الراحة والنوم . كل ذلك طلبا لمرضاة الله وشعرت اذ ذاك براحة الضمير وحبور ناصع لا يشبهه أي حبور ، حبور يسمو على البيان والتعبير ، فكنت مصداق هذا الحديث النبوي : « من سرته حسنته وأساءته سيئته فذلكم المؤمن » فبلغت إذ ذاك مرتبة مرموقة من الايمان تقارب مرتبة اليقين : ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (١) .

وهل وفقت ان تذهب من تلقاء نفسك الى قرية من القرى لوجه الله دون ان تعلم احداً بذلك ، فتجتمع بالمؤمنين وتستعين بهم في هداية الشباب الى دين الله القويم ، ودفع ما يختلج في صدورهم من شبهات جاءت من دسائس المستعمرين وكيد الكائدين . فتنور قلوبهم بمعالم الدين وسنة سيد المرسلين والأئمة الاطهار سلام الله عليهم أجمعين ؟

كل ذلك من عوالم القدس يقربك الى سعادة حقيقية ، سعادة فيها الزلفى والقربى من الساحة الملكوتية وهي غاية الغايات .

ليست السعادة فى نيل أموال طائلة وقصور مشيدة وجاه ورئاسة الى ما هنالك ، فقد قال الله تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (٢) . وفى الحديث ، عن أبي الحسن (ع) انه ذكر رجلا فقال : انه يحب الرئاسة

---

(١) سورة هود : ١١٥

(٢) القصص : ٨٣

فقال : ما ذئبان ضاريان (١) في غنم تفرق رعاؤها بأضر في دين المسلم من الرئاسة (٢) .

وعن أبي عبد الله (ع) : قال : من طلب الرئاسة هلك .

وعن عبد الله بن مسكان ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون ، فو الله ، ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك وأهلك .

وقد قال أبو عبد الله عليه السلام : ملعون من ترأس ، ملعون من همّ بها ، ملعون من حدث بها نفسه (٣) .

وعن أبي حمزة الثمالي ، قال : قال لي ابو عبد الله (ع) : إياك والرئاسة وإياك ان تطأ أعقاب الرجال ، قال : قلت : جُعلت فداك ، اما الرئاسة فقد عرفتها ، واما أن أطأ أعقاب الرجال ، فما ثلثا مافي يدي الا مما وطئت أعقاب الرجال ، فقال لي ليس حيث تذهب ، إياك ان تنصب رجلا دون الحجة ، فتصدقه في كل ما قال .

عن أبي الربيع الشامي ، عن ابي جعفر عليه السلام : قال : ويحك يا أبا الربيع ، لا تطلبن الرئاسة ولاتكن ذئبا . ولا تأكل بنا الناس ، فيفقرك الله ، ولا تقل فينا مالا نقول في أنفسنا ، فانك موقوف ومسؤول لا محالة ، فان كنت صادقا صدقناك ، وان كنت كاذبا كذبناك .

---

(١) الضاري : من الحيوانات كالاسد والنمر .

(٢) اصول الكافي ج ٢ / ٢٩٧

(٣) اصول الكافي — ج ٢ ، ص / ٢٩٨ ، ط : طهران .

وعن ابن مياح عن أبيه ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : من اراد الرئاسة هلك .

وعن محمد بن مسلم ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أترى لا أعرف خياركم من شراركم . بلى والله وان شراركم من حب ان يوطأ عقبه ، انه لابد من كذاب او عاجز الرأي .

انما تتحقق السعادة فى قطع مراحل في عوالم التقوى والتزكية ، مراحل تقرب هذا الانسان الى ربه المتعال ، توصله الى الغاية التي خلقه الله لأجلها .

« والسابقون السابقون ، اولئك المقربون ، في جنات النعيم » (١) .

ليست السعادة على ما جاء في بعض كلمات فلاسفة الغرب : ان يتناول الانسان صبيحة يوم ممطر بارد أشد البرد كوبا من الحليب على فراش وثير فى غرفة دافئة ، انها نظرة مادية حالكة سخيفة ، توصل الفرد الى الحضيض » . لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون » (٢) .

* * *

فالسعادة ان تُصلح ما بك من صفات وقوى على وجه يريده الله ، تصلحها جميعاً دون تبعيض وبصورة دائمة ، حتى تتكون فيك عادة متأصلة

---

(١) سورة الواقعة : ١٠ ـ ١٢

(٢) سورة التين : ٤ ـ ٦ .

لا تغيرها الأحوال والازمان ، ولا تزول مع الحوادث والمصائب . فيقينك اذ ذاك ثابت لا تؤثر فيه الشبهات ، وشكرك دائم لا يزول مع المحن والنوائب . وصبرك حاكم لا يزول مع الفتن والأحداث واحسانك أبدي لا يزول بالاساءة ، وصداقتك مستقرة لا تزول بالعداوة ، فالسعيد من تطهر من جميع الخبائث الجسمانية والاقذار الحيوانية ، فلا يحوم حوله شيء من العوارض الطبيعية (١) ، انه ممتلىء من الأنوار الالهية والمعارف الحقيقية ، فعلينا ان نتأسى برسول الله (ص) لنيل بعض هذه المراتب « ولكم في رسول الله أسوة حسنة » . فمن بلغ هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الالهية واللذة الحقيقية ، لذة تفوق اللذات بأسرها ، وانتعاش نفسي لا يدنو منه أي انتعاش .

السعادة لحظات انخطاف تحلق بالنفس البشرية وراء حدود المكان والزمان . فتضع عنها آصار المادة وتحررها من اوضار الحقد والاثرة فلا ترى الا الجمال ولا تستشعر سوى الحب .

فاذا هي واقع يعيشه المؤمن سلاما لا قلق فيه ، وغبطة لا كدر معها وطهرا روحيا لا يتسلل اليه ضغن .

واية غبطة يمكنها ان تضاهي تلك التي يستشعرها المؤمن هناك ؟

وفي هذه الغمار النورانية يعيش الانسان آمن السرب ، مطمئن القلب ، خالى الذهن من كل شاغل يصرفه عن الاستغراق فى ملكوت الله .

أو ليس فى هذا السلام والطمأنينة والاخوة الضالة التي يفتش عنها

---

(١) جامع السعادات ج ١ / ١٤٧

المفكرون ، ويتلهف اليها الحزانى والمعذبون .

فالانسان باخذه المعارف الالهية واقتفاء الفضائل الخلقية يعرج الى أفق الملائكة .

ولنصغ الى موعظة اخلاقية للشيخ الفاضل احمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه : الاستاذ في علم الاخلاق وأقـدم المسلمين فى تدوينه . انه يقول :

« اني تنبهت من نوم الغفلة بعد الكبر واستحكام العادة ، فتوجهت الى فطام نفسى عن رذائل الملكات وجاهدت جهاداً عظيماً حتى وفقني الله لاستخلاصها عما يهلكها ، فلا ييأسنَّ احد من رحمة الله ، فان النجاة لكل طالب مرجوة وأبواب الافاضة ابدا مفتوحة .

« فبادروا إخواني الى تهذيب نفوسكم قبل ان يصير الرئيس مرؤوسا والعقـل مقهوراً . فيفسد جوهركم وتمسخ حقيقتكم ويدرككم الانتكاس في الخلق الذي هو خروج عن افق الانسان ودخول في زمرة البهائم والسباع والشياطين نعوذ بالله من ذلك ونسأله العصمة من الخسران الذي لا نهاية له . وقد شبه الحكماء من أهمل سياسة نفسه الغافلة بمن له ياقوتة شريفـــة حمراء فرماها في نار مضطرمـــة فيحرقها ، حتى تصير كلساً لا منفعة فيها » (١) .

فطوبى لنفوس عاشت ما ذكرنا من عوالم قدسية ، فبلغت في عوالم

---

(١) جامع السعادات . ج ١ / ص : ٤٩ ، من كلام المولى محمـد مهدي النراقى

القدس مقامات رفيعة ، وتخلصت من ادرانها وأوضارها ، فشعرت حبورا فوق حدود الوصف بهذا الاتصال اللاهوتي واطمأنت بأذكارها واورادها ومثولها بين يدي رب العباد ليل نهار . « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » فاصبحت من النفوس المطمئنة ، بعد ان كانت لوامة ، فصار لها أنوار قدسية يمن بها الله على المطهرين من عباده الصلحاء : « أوَ من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها . كذلك ، زين للكافرين ما كانوا يعملون » (١) .

وطوبى لنفوس بلغت من الصفاء والجلاء حتى استفادت من الانوار الالهية والالهامات الحقة الربانية . وحصلت على علم هو « نور يقذفه الله في قلب من يشاء » . فكانت مصداق قول علي عليه أفضل الصلاة والسلام . حيث يقول :

« ان من احب عباد الله اليه عبداً اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف . فزهر مصباح الهدى في قلبه » الى ان يقول : « قد خلع سرابيل الشهوات . وتخلى من الهموم الا هما واحداً انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى ، وصار من مفاتيح ابواب الهدى . ومغاليق ابواب الردى ، قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره ، وقطع غماره (٢) ، واستمسك من العرى بأوثقها ومن الجبال

---

(١) سورة الانعام : ١٢٢

(٢) غمرة الشيء ، شدته ومزدحمه ، جمعه : غمرات وغمار ومنه غمرات الموت أي : مكارهه وشدائده .

بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس » .

ويقول عليه السلام في كلام آخر .

« قد أحيى قلبه وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه ، وبرق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق وسلك به السبيل ، وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة ، وتثبت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه » .

العلوم الكونية في القرآن

سؤال :

دارت بيني وبين أحد الاخوان مناقشة حول الاختراعات الحديثة : الميكانيكية التي توصل اليها المخترعون على مختلف جنسياتهم ، مما دعا أحدنا ان يقول : ان لهذه المخترعات علاقة وثيقة بالقرآن الكريم ، وان هؤلاء المخترعين لم يتوصلوا الى ما توصلوا اليه لولا القران الكريم ، وقال الآخر عكس ذلك . نرجو توضيح هذا . واليكم قسماً من الاختراعات التي دارت المناقشة حولها :

التلفزيون ، الطائرة ، الراديو ، التلفون .

داود السعدون

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب :

ليس القرآن الكريم كتاباً يبحث عن علم الميكانيك العملي او الرياضي والكيمياء الصناعية أو العضوية أو علم الفيزياء النظرية أو العملية أو علوم اخرى لها علاقتها بالمخترعات الحديثة ، ذلك لأن هذه العلوم تستند الى مقدمات مفصلة وكثيرة يحتاج شرحها وبيانها الى آلاف الصفحات ، وان تاريخ العلوم يشرح لنا جانباً منها ، وما اكتشف فى الميكانيك أو الفيزياء أو الكيمياء قليل جداً بالنسبة الى ما اودع الله من قوانين كونية فى هذا الكون الرحيب . وان العلماء الكونيين ليعترفون بذلك فهم كلما اكتشفوا شيئاً نادوا بأعلى اصواتهم : انهم أمسوا امام اودية من المجاهيل ! حتى انهم ليشكوّن فى بعض ما اكتشف من قوانين لحد الآن ، ويرونها لا تنطبق إلا فى مجال محدود ، ولذلك عمد آينشتين الى تصحيح دساتير (نيوتون) في الجاذبية .

فلو أراد الله تعالى تعليم البشر العلوم الكونية أو المادية لاحتيج في تدوينها الى ما لا يتناهى من الصفحات ، ذلك لان ما اودع الله من خواص وصفات وكيفيات وقوانين ودساتير في ربط اجزاء هذا العالم المادية بعضها ببعض وانقلاب هذه المادة الى طاقات أو الطاقات الى مادة الى ما هنالك من تفاعلات ومفاعلات تكاد لا تتناهى ، حسب

قوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » . (سورة الكهف : ١١٠)

ولكنه تعالى جهز العقل الانساني بقابليات وقوى من استنتاج واستقراء وتجريد وتعميم وتخيل وتصور وتداعي الافكار الى ما هنالك كي يتمكن الانسان بمعونتها من كشف ما يجهله باذن الله تعالى . على ان الصدفة تلعب دوراً كبيراً في المخترعات ، وليست الصدفة إلا يداً ربانية تهيىء المخترع مصادفات تتجلى له كثير من الحقائق والصفات والحالات بل والدساتير .

وقد قال عز من قائل : « وعلم آدم الاسماء كلها (١) » وهذه الاسماء هي القابليات المكنونة في العقل الانساني والتي بها يتمكن من الكشف والاكتشاف باذن الله تعالى .

وهذا (پوانكاره) من اعاظم رياضيي فرنسا كان يقول : ان ريشة سحرية كانت تملي عليّ المعادلات وطرق الحل والدساتير . وبمثل ذلك كان يقول : أينشتين : اعلم علماء القرن العشرين .

ان القرآن ليس كتاب جبر أو هندسة أو الحساب التمامي والتفاضلي ، وانما هو مجموعة دساتير تهدي هذا البشر سواء السبيل : سبيل لا يقوى اعظم الفلاسفة أن يحدها أو يعينها ، لان نفس هذا الفيلسوف متأثرة بمحيطه وبيئته . فنفسه نفس غير متكاملة ، وأنى لنفس

---

(١) سورة البقرة : ٣١

غير متكاملة ان تأتي بدساتير كاملة لاسعاد البشر في النشأتين . ولذلك كان من لطف الله ان يرسل انبياء مبشرين ومنذرين لهداية البشر واسعادهم في النشأتين عملا بسنة الكمال ، ذلك لان الكمال ضارب باطنابه في عوالم المادة أي في كل ما خلق الله تعالى في هذا الكون المادي ، ولا ينبغي ان يشذّ هذا الانسان عن هذا الكمال ، ذلك لان الله تعالى وهو الكامل على الاطلاق لا يصدر منه الا الكمال . فأرسل الانبياء وانزل معهم الكتب المقدسة تحقيقاً لسنة الكمال وتعميماً لتحقق الكمال فى كل ما خلق من نفوس وارواح ومواد الى ما هنالك .

وان قوله تعالى « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » (١) أي ما من شيء إلا وعلمه عند الله تعالى او فى اللوح المحفوظ ولا يراد في الآية من (كتاب مبين) القران حتى نقول : ما من علم إلا وهو في القرآن .

فالقرآن كتاب تهذيب وهداية ، كتاب تزكية وتطهير لنفوس البشر الضالة . وهو القائل : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٢) .

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٣) .

---

(١) سورة الانعام : ٥٩

(٢) سورة التوبة : ٣٤

(٣) سورة الجمعة : ٢

القرآن موصل هذا الانسان الى ما لا عين رأت أو اذن سمعت أو خطر على قلب بشر . القرآن يوصل البشر ـ لو عمل به ـ الى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

فى القرآن آيات جمة تبلغ ٧٥٠ آية تعطينا عصارات العلوم الحديثة وما توصلت اليه المكتشفات في شتى النواحي وما ستصل اليه في المستقبل فقد قال ابن عباس : « ان في القرآن معاني سيكشفها الزمن » .

كان العلم الحديث يجهل الى قبل ٥٠ عاماً أن للشمس حركة خاصة بها ، ولكن القرآن كان ينادي منذ ١٤ قرناً : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » . حتى اذا تقدمت العلوم الرياضية بما فيها الميكانيك الرياضي واخترعت تلسكوبات كبيرة جداً علموا ان الشمس تتحرك فى الفضاء بحركة لولبية أي تسير فى الفضاء بسرعة قدرها ٧٢٠٠٠ كيلو متر في الساعة على وجه التقريب نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع على شكل لولبي (المنحنى اللولبي) ، فالقرآن فى علومه سابق للعلم الحديث ولكن باعطاء النتيجة النهائية دون شرح المقدمات والدساتير والمعادلات كما في كتب الفلك العالي والميكانيك السماوي وغيرها .

كان يقول القرآن بحركة الارض قبل (كوبرنيك وكبلر) و (گاليلة) بقرون وذلك بقوله :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء » (١)

---

(١) سورة النمل : ٨٨

كذلك ، ما كان البشر يعلم ان الزوجية متحكمة بأمر الله في كل شيء ، حتى الجماد ، حتى اذا اكتشف بطن الذرة وعلم أن ذرة كل عنصر من العناصر من هايدروجين وهليوم وكالسيوم واورانيوم .. الخ تتألف من الكترون : كهربائية سالبة وبروتون : كهربائيـــة موجبة ونيوترون : كهربائية متعادلة وان الالكترون يدور بسرعة فائقـــة حول البروتون فالالكترون بمثابة الانثى والبروتون بمثابة الذكر . ولكن الله قد ذكر ذلك منذ قرون في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بقوله جل من قائل : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وبقوله : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » فالذي ما كان يعلمه البشر ثم علمه باذن الله هو هذه الزوجية فى الجماد أو العناصر أي الذرات برمتها .

وكذلك بالنسبة الى تشكل الامطار في قوله تعالى « ألم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما » والتأليف هو الكهربائية التي تلعب دوراً هاماً فى هطول الامطار على حد قوله تعالى : « وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماءاً وما انتم له بخازنين » ، فهذا التلقيح هو التلقيح الكهربائي بين سحابة وسحابة او بين ذرات بخار المـــاء لقوله تعالى بعد : ارسلنا الرياح : (فأنزلنا من السماء ماءاً) فنزول الماء من السماء متوقف على هذا التلقيح الكهربائي . وهذا من مكتشفات القرن العشرين .

وهناك آيات اخرى كثيرة لا مجال الى ذكرها تنبيء عن آخر ما توصل اليه العلم الحديث . وآيات اخرى لا يزال المراد الحقيقي منها مجهولا الى ان يتقدم العلم المادي اشواطاً اخرى كي يعلم البشر حقيقتها والمراد منها . وكفى بالقرآن معجزة انه قد سبق العلم الحديث بآيات بينات هي عصارة العلم الحديث وما سيكتشفه الانسان باذنه تعالى فى مستقبل قريب أو بعيد .

هل يجوز لنا ان نقول : « رجل عظيم »

سؤال يسأله احد المؤمنين قائلا : هل من الجائز ان يقال : (رجل عظيم) مع العلم ان العظمة خاصة بالله تعالى ، لا يشاركه فيها احد .

الجواب : العظمة على نوعين : عظمة لا تتناهى وهي عظمة الله تعالى في كل شيء : في القدرة والعلم والهيمنة والسلطان والرحمة وهو القائل (ورحمتي وسعت كل شيء) (١) لذلك لا يقاس علم الانسان المحدود بعلم الله الذي لا يتناهى ، وقد قال جل من قائل : (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) (٢)

فلو فرضنا علم الانسان = ب ، فيكون علم الله تعالى = ∞

(لا نهاية) ونسبة علم الانسان الى علم الله = $\frac{ب}{\infty}$ ومعلوم ان مآل هذا الكسر الذي مخرجه غير متناه هو الصفر . فلا قيمة لعلم الانسان تجاه علم الله غير المتناهي .

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٥ (٢) سورة لقمان : ٢٧

وكذلك القول بشأن قدرة الله تعالى وبقية صفاته التي هي عين ذاته . ذلك لان صفات الله من علم وقدرة و ... غير مكتسبة . كصفات الانسان التي تكتسب بالتدريج اما بالتعلم ، او بالتمرين والممارسة . فالانسان عالم بالاكتساب وبالهام من جانب الله تعالى .

واما قولنا : رجل عظيم ، فهذه عظمة محدودة ، مقتضبة ، عظمة نسبية ، بالنسبة الى عظمة اناس آخرين . ومعنى ذلك : ان ملكات هذا الرجل وقابلياته واستعداده اعظم أو اكثر من اقرانه فيسمى عظيما بالنسبة الى افراد آخرين محدودي العظمة . كما يقال : دار عظيمة بالنسبة الى دور اخرى . أو شجرة عظيمة بالقياس الى اشجار اخرى . وما دمنا نقصد المحدودية في قولنا : رجل عظيم ، فليس هنالك أية حرمة فى ايراد هذا الوصف النسبي . مع العلم انه لا عظيم بصورة لا نهائية الا الله تعالى .

وهكذا قولنا : الله اكبر . فلا نقصد من لفظ : اكبر ، ما جاء في صيغة افعل التفضيل ، انما نقصد : ان لا شيء اكبر من الله دونما قياس وينتفي وينعدم مفهوم القياس في هذا المقام . ولا تتحقق اللانهائية بصورة حقيقية الا في الله تعالى وكل ما في الكون من فضاء ومجرات ونجوم وطاقات محدود بالنسبة اليه تعالى . وهو الذي خلقها وانشأها ورطها بدساتير ومعادلات رياضية رصينة تدهش الالباب : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (١) . وجميع ما هنالك من قابليات وصفات ، وطاقات

---

(١) سورة الملك : ٣

ونظم وكمفاءآت في الجماد والنبات والحيوان والانسان وغيرها إنما هي من جانب الله تعالى وعظيم رفده وكمال لطفه .

لذلك يقول امامنا ومولانا سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام في دعاء علمه أبا حمزة الثمالي مخاطباً رب العباد : « من أين لي الخير ولا يوجد إلا من عندك » .

وبما ان الله تعالى لا نهائي ، فليس لأي انسان مهما سما في عوالم القدس ان يعرف الله تعالى حق المعرفـــة . ذلك لانه يستحيل على المحدود وهو الانسان : المحدود في جميع قابلياته وملكاته ، ان يحيط بغير المحدود وهو الله تعالى .

لذلك يقول رسول الله (ص) : « لا احصي ثناءاً عليك ، أنت كما اثنيت على نفسك » .

وقال علي (ع) : « الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ، ولا تحويه المشاهد ، ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر ، الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم ان لا شبهَ له » .

فعبثاً يحاول المادي ان يرى الله تعالى فى مختبره او مخبره Tube وهو محدود في مختبره ومخبره وعقله وكفاءاته . إنما يعرف الله بعقله : ذلك العقل الذي قد اودع الله فيه غريزة السؤال والعلية والسببية ، بحيث يسأل عن سبب حدوث كل شيء وعن الخواص والقوانين المترتبة بعضها على بعض . وكذلك عن المعادلات والدساتير الرياضية والقوانين التي تربط

اجزاء العالم من الذرة فصاعداً بعضها ببعض فيعزو كل ذلك الى الله المتعال ، لو كان هذا العقل باقياً على فطرته ، لم تفسده او تحرفه نفس جامحة شريرة بذنوبها وآثامها ، والا انقاد الى ما يمليه عليه شيطانه ، من الشكوك والريب والجحود . الى ما هنالك .

« ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » (١)

« إنا جعلنا الشياطين اولياءَ للذين لا يؤمنون » (٢)

---

(١) سورة الزخرف : ٣٦ ـ ٣٨

(٢) سورة الاعراف : ٢٧

علي عليه السلام والتقويم

جاء احد علماء بني اسرائيل علياً عليه الصلاة والسلام وسأل ما مؤداه :

لماذا جاء فى قرآنكم ان مدة لبث اصحاب الكهف في كهفهم : ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا . من سورة الكهف : وذلك في الآية : ٢٥ « ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا » ولم يقل : ثلاث مائة وتسع سنين ، وفى كتبنا ان مدة لبث اصحاب الكهف في الكهف : ثلاث مائة سنة فقط .

فأجاب علي (ع) دونما تفكير : « سنوكم شمسية وسنونا قمرية » .

ومعنى ذلك ان الله جمع فى عبارة موجزة بين نوعين من السنين ، سنين شمسية وهي ٣٠٠ سنة وسنين قمرية المعادلة للسنين الشمسية وهي ٣٠٩ سنين .

توضيح ذلك : ان اليهود كانوا يعتبرون السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وان السنة القمرية تعتبر ٣٥٤ يوماً و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة .

وقد علم الاقدمون بعد تجارب عدة واختبارات شتى ان الفترة الزمنية بين هلالين متواليين هي ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة .

فعليه لو ضربنا هذه الفترة الزمنية بين هلالين فى ١٢ أي :

١٢ × (٤٤ دقيقة / ١٢ ساعة / ٢٩ يوما) = ٤٨ دقيقة / ٨ ساعة / ٣٤٥ يوماً وإن ٣٠٠ سنة على ما كان معتبراً عند اليهود لتعادل :

٣٠٠ × ٣٦٥ = ١٠٩٥٠٠ يوم

و ٣٠٩ من السنين القمرية دون ملاحظة الكسر تساوي ٣٠٩ × ٣٥٤ = ١٠٩٣٨٦ يوما

وبما ان ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة تعادل $\frac{١١}{٣٠}$ من اليوم الواحد .

فلنكرر $\frac{١١}{٣٠}$ ، ٣٠٠ مرة ايضاً

$$٣٠٠ \times \frac{١١}{٣٠} = ١١٠ \text{ ايام}$$

وبما ان في السنوات القمرية تحسب السنة الثانية والخامسة والسابعة والعاشرة كبيسة أي عدد ايام سنتها ٣٥٥ يوماً ، اذن في ٩ سنوات قمرية توجد ٤ سنين كبيسة ، لأن السنة التاسعة اقرب الى العاشرة اذن :

١٠٩٣٨٦ + ١١٠ + ٤ = ١٠٩٥٠٠ يوم

وهكذا يكون عدد ايام ٣٠٠ سنة شمسية مساوياً لعدد ايام ٣٠٩ سنة قمرية دونما فرق . (١)

---

(١) مترجمة عن مجلة (مكتب الاسلام) الصادرة في قم

ليلة ميلاد الحسن عليه السلام

ما ابهجها من ليلة وما أسعدها . انها ليلة يولد فيها أول السبطين سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله (ص) وأحد الخمسة أصحاب العباء .

فلما ولد عليه السلام قالت فاطمة (ع) لعلي (ع) : سمه ، فقال : ما كنت لأسبق رسول الله (ص) في تسميته ، فجاء النبي (ص) ، فأخرج اليه في خرقة صفراء ، فرمى بها وقال : ألم انهكم ان تلفوا المولود فى خرقة صفراء ، وأمر أن يلف فى خرقة بيضاء ، وسرّه (قطع سرته) وألباه بريقه (١) كما يصب اللبا في فم الصبي وقال : اللهم اني اعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم ، وأذنّ في أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى .

وعقّ رسول الله (ص) عن الحسن بيده ، وقال : بسم الله ، عقيقة عن الحسن ، وقال : اللهم عظمها بعظمه ، ولحمها بلحمه ، ودمها بدمه ، وشعرها بشعره ، اللهم اجعلها وقاءاً لمحمد وآل محمد ، وتصدق بزنة شعره فضة .

---

(١) أي صبه فى فمه .

وكان الحسن (على ما جاء في الارشاد للمفيد عليه الرحمة) أشبه الناس برسول الله (ص) خلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً .

وكان الحسن (ع) أعبد الناس فى زمانه وأزهدهم وأفضلهم ومن أوسع الناس صدراً وأسجحهم خلقاً .

وكان عليه السلام ، اذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً ، وكان اذا ذكر الموت بكى واذا ذكر القبر بكى واذا ذكر البعث والنشور بكى واذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقة يغشى عليه منها ، واذا قام في صلاته ترتعد فرائصه وكان اذا ذكر الجنة والنـــار اضطرب اضطراب السليم وسأل الله الجنة وتعوذ بالله من النار .

وكان لا يقرأ من كتاب الله عزوجل : (يا ايها الذين آمنوا) الا قال : لبيك ، لبيك ، اللهم لبيك .

وكان عليه السلام : إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفر لونه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : حق على كل من وقف بين يدي رب العرش أن يصفر لونه وترتعد مفاصله وكان اذا بلغ باب المسجد ، رفع رأسه وهو يقول : إلهي ضيفك ببابك ، يا محسن قد أتاك المسيء ، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عنـدك يا كريم . . . كل ذلك لان النفس القدسية تخاف الله الى حد بعيد ، فتزداد علماً ومعرفة بالله تعالى وقد جاء فى الحديث : « اعلمكم بالله اخوفـكم له » .

وكان رسول الله (ص) يحب الحسن والحسين حباً جماً ، وهو

القائل : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة ،

وروى الترمذي بسنده عن أسامة بن زيد في حديث : أن الحسنين كانا على وركي رسول الله (ص) فقال : هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم اني احبهما ، فأحبهما وأحب من يحبهما .

وكان رسول الله (ص) يصلي ، فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فاذا ارادوا ان يمنعوهما أشار اليهم أن دعوهما ، فاذا قضى الصلاة وضعهما في حجره ، فقال من أحبني ، فليحب هذين .

وقد قال رسول الله (ص) : ان الجنة تشتاق الى اربعة : علي وفاطمة والحسن والحسين .

وان هذه الواقعة لتدل على ما للحسن والحسين من كرامة عند الله تعالى وذلك أن الحسن والحسين (ع) اصطرعا بين يَدَي رسول الله (ص) فقال رسول الله : ايها حسن خذ حسيناً ، فقالت فاطمة : يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير ، فقال (ص) : هذا جبرائيل يقول : إيها حسين ، خذ حسناً .

وقال مدرك بن زياد لابن عباس وقد أمسك الحسن ثم للحسين بالركاب وسوى عليهما ثيابهما ، أنت أسن منهما ، تمسك لهما بالركاب ، فقال : يا لكع وما تدري من هذان . هذان ابنا رسول الله (ص) أوَ ليس مما انعم الله عليّ به أن امسك لهما وأسوّى عليهما .

وان هذه الحادثة تعلمنا آداب التعليم والجمال الاخـــلاقي وتوقير الـكبير :

روي أن الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء ، فاظهرا تنازعاً ، يقول كل منهما للآخر ، أنت لا تحسن الوضوء ، وقالا : ايها الشيخ كن حكماً بيننا ، فتوضئا وقالا أينا يحسن الوضوء . فقال الشيخ : كلاكما تحسنان الوضوء ، ولـكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يحسن وقد تعلم الآن منـكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على امة جدكما .

ومن سخاء الحسن (ع) انه قاسم الله ماله ثلاث مرات وخرج من ماله مرتين وقد روى ابن شهراشوب في المناقب : ان رجلا سأله فأعطاه خمسين الف درهم وخمسمائـة دينار وقال إئت بجمال يحمل لك ، فأتى بجمال ، فأعطاه طيلسانه وقال : هذا كرى الجمال .

وقـــد خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر حجاجاً ففاتتهم اثقالهم ، فجاعوا وعطشوا فرأوا عجوزاً في خباء فاستسقوها ، فقالت : هذه الشويهة ، احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا واستطعموها ، فقـالت : ليس الا هذه الشاة فليذبحها احدكم ، فذبحها احدهم وكشطها ، ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا وقالوا (١) عندها . فلما نهضوا قالوا ، نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فاذا عدنا فألميّ بنا ، فانا صانعون بك خيراً ثم رحلوا ، فلما جاء زوجها اخبرته ، فقال . ويحكِ ، تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم . ثم تقولـين نفر من قريش ، ثم مضت الايام ،

---

(١) أي ناموا عند الظهيرة

فأضرت بها الحال فرحلت حتى اجتازت بالمدينة ، فرآها الحسن (ع) فعرفها ، فقال لها : أتعرفيني ؟ قالت . لا ، قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا ، فأمر لها بالف شاة والف دينار ، وبعث معها رسولا الى الحسين (ع) فأعطاها مثل ذلك ، ثم بعثها الى عبدالله بن جعفر فأعطاها مثل ذلك .

ومن تواضعه عليه السلام انه مرّ على فقراء قد وضعوا كسيرات على الارض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها فقالوا له : هلمّ يا ابن بنت رسول الله الى الغداء ، فنزل وقال : فان الله لا يحب المتكبرين وجعل يأكل معهم ، حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ، ثم دعاهم الى ضيافته وأطعمهم وكساهم .

وروى الصدوق في كتاب التوحيد : انه جاء رجل الى الحسن (ع) فقال له : يا بن رسول الله ، صف لي ربك كأني انظر اليه ، فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي لم يكن له اول معلوم ولا آخر متناه ولا قبل مدرك ولا بعد محدود ولا أمد بحتى ولا شخص فيتجزى ولا اختلاف صفة فيتناهى . ولا تدرك العقول واوهامها ، ولا الفكر وخطراتها ولا الالباب واذهانها صفته ، فنقول : متى ، ولا بدىء مما ولا ظاهر على ما ولا باطن فيما ولا تارك فهلا ، خلق الخلق فكان بديا بديئا ، ابتدأ ما ابتدع وابتدع ما ابتدأ . وفعل ما اراد واراد ما استزاد ، ذلكم رب العالمين .

حقا ، ان ما جاء في كلام الامام هو غاية ما يقال في التوحيد ،

فاذا كان ما خلق الله من عوالم لا يمكن استقصاؤها فكيف بخالقها ومبدعها .

وقد علم اخيراً انه تعالى قد خلق من الاجرام والكواكب ما يبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية ، والسنة الضوئية عشر مليون مليون كيلو متر (١) فيجب ان تمضي آلاف الملايين من السنين حتى تصل الينا اشعة تلك الانجم وأما ارضنا هذه مع شمسنا وما يدور حولها من انجم تسعة لا تعد شيئاً بالنسبة الى ما خلق الله من انجم وكرات ، فأرضنا كهباءة ملقاة فى الفضاء وهي من انجم المجرّة المسماة بدرب التبانة التي نشاهدها فوق رؤسنا في ليلة صافية كالسحابة ، انها ليست بسحابة وانما ملايين النجوم تكدست واجتمعت بعضها الى جنب بعض وان مجموعتنا الشمسية هذه واقعة في مكان مدحور لا يعبأ به من هذه المجرة وهي تبعد عن مركز المجرة ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية ، ومن بداية هذه المجرة الى نهايتها (٢٠٠٫٠٠٠) سنة ضوئية ويوجد مثل هذه المجرة في هذا الكون الرحيب ملايين من المجرات وهي تتباعد بعضها عن بعض بسرعات هائلة ، كذلك الانجم كلها تتباعد بعضها عن بعض بسرعة مدهشة ، قد تبلغ السرعة الى (١٥٠٠٠٠) كيلو متر فى الثانية أي بقدر نصف سرعة الضوء . وهكذا تتسع السماء ، حتى اصبحت عشرة امثال ما كانت عليه سابقاً ، ولا تزال آخذة بالاتساع بسرعة هائلة ويتحقق قوله تعالى : « والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون » .

---

(١) ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو متر تقريباً .

فينبغي ان لا يغتر هذا الانسان ، ولا يتكبر فيسجد لله شكراً وتعظيماً وتقديساً ، بعدما يرى هذه العظمة غير المتناهية فى مخلوقات الله تعالى ، انه تعالى يقول :

« يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك » .

نعم ، حتى ان الطير في السماء تسبح الله تعالى وتقدسه ، ولكنا لا نفهم هذا النوع من التسبيح ، وهو القائل : « وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » . « ألم ترَ ان الله يسبح له من في السماوات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » . فللطير صلاة وتسبيح ، فكيف بهذا الانسان ان لم يصلّ ولم يسبح الله تعالى .

انه تعالى يقول : « ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نكُ من المصلين ولم نكُ نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين » .

فأهل النار اول ما يعترفون به ، أنهم لم يكونوا من المصلين ، لم يكونوا من المسبحين ، لم يشاركوا حتى الجماد في تسبيحه ، على حد قوله تعالى : « وان من شيء إلا يسبح بحمده » . وبعد ذلك يعترفون بأنهم لم يطعموا المسكين ولم يقدموا فضول اموالهم الى الفقراء والمساكين ذلك لأن الله قد جعل قوت هؤلاء في اموال الاغنياء . ثم يعترفون بأنهم ولجوا فيما ولج فيه الناس من انحراف عن الطريق السوي وانغماس فى شهوات وفساد وافساد باسم التطور ومواكبة مفاهيم القرن العشرين

هذه المفاهيم التي صنعتها يد البشرية الأثيمة ! مفاهيم لا يقرها الدين ولا العقل السليم « فماذا بعد الحق الا الضلال ، فأنى تُصرفون » . (سورة يونس : ٣٢)

لقد حدث انفجار في الشمس (شمسنا هذه) سنة ١٩٥٦ م كان قد أولد طاقة تعادل طاقة ١٠٠ مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة ، فأي قدرة أو طاقة قد أودع الله تعالى فى شمسنا هذه ، على ان الله تعالى قد خلق شموساً اخرى اعظم من شمسنا هذه آلاف المرات ، تدهش الالباب . فما اعظم ما اودع الله من طاقات في هذا الكون الرحيب !

أفلا يجدر بهذا البشر أن يسجد لله سجود خضوع وتعظيم « قتل الانسان ما اكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدّره ، ثم السبيل يسره ، ثم اماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ، كلا ، لما يقضِ ما أمره » . (سورة : عبس)

* * *

ومما قال الحسن (ع) في الحكمة :

سئل عليه السلام : ما الغنيمة ؟ فقال : الرغبة فى التقوى والزهادة فى الدنيا .

وقد عرف الله تعالى التقوى والمتقين بقوله جل من قائل :

« ان المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار

هم يستغفرون ، وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » (١) .

فمن صفات المتقين : الاستغفار بالاسحار وجعل حق للسائل والمحروم فى الاموال والتهجد في جوف الليل والاحسان الى الناس اجمعين .

وفي الحديث : التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك وان لا يفقدك حيث امرك .

ثم يقول الله تعالى : « وفى الارض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون » (٢) .

ومن الآيات في الارض : ان النمل الابيض فى افريقيا يصنع بوصلة بالقرب من عمارته (بنيانه الرفيع) وهي سطحان متعامدان ، احدهما متجه نحو الشمال والجنوب ولا يحيد عن هذا الاتجاه قيد شعرة والسطح الاخر متجه نحو الشرق والغرب كذلك . وان المهندسين ليعتمدون على بوصلة يصنعها النمل الابيض في اعمالهم الهندسية ويندهشون من هذه الهندسة العجيبة .

ويقول الله تعالى : « وفى انفسكم أفلا تبصرون » . حقاً ان الانسان فى تشكيلاته العضوية (عدا الروح) لشيء محير للالباب فان في جسم الانسان اكثر من ٢٠٠ عظم ، لكل واحد منها شكل خاص ، ولولا هذا الشكل الخاص لما تمكنا من الحركة . وفى جسم الانسان ٥٠٠ عضلة كل منها تتغذى بمئات الاوردة والعروق ، تديرها اعصاب كثيرة جداً ، والقلب وهو بين هذه العضلات ينبض في السنة (٣٠)

---

(١) سورة الذاريات : ١٥-١٩ ، (٢) الذاريات : ٢٠-٢١

مليون مرة . وللعين طبقات : القرنية والعدسية والمائية الزجاجية وتنتهي بالشبكية ، وان الشبكية لا تزيد عن ثخن الورقة وتتألف من تسع طبقات أبعدها تتألف من ٣ ملايين مخروط ونحو من ٣ ملايين اسطوانة . وقد حسب احد العلماء فعلم ان المادة السنجابية التي في تلافيف الدماغ فيها نحو ٦٠٠٠ر٠٠٠ خلية ، وكل خلية تتألف من الوف الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر .

وقد علم ان في المخ (٢٠٠٠٠٠٠٠٠) عصب ، قد رتبت ترتيباً عجيباً ولكل فعاليته . فاذا جسّ احد هذه الاعصاب حصلت حالة نفسية خاصة تختلف عن غيرها .

ومن حكمه عليه السلام : انه سئل : ما الغنى ؟ فقال : رضى النفس بما قسم الله وان قلّ وانما الغنى غنى النفس .

وسئل : فما الفقر ؟ قال : شره النفس الى كل شيء .

فما المجد ؟ ان تعطى في الغرم وتعفو عن الجرم .

فما السؤدد ؟ إتيان الجميل وترك القبيح .

فما الحزم ؟ طول الأناة والرفق بالولاة ، (والاحتراس من جميع الناس) .

ومن كلامه عليه السلام : يا بني ، لا تؤاخ احداً حتى تعرف موارده ومصادره ، القريب من قربته المودة وان بعد نسبه ، والبعيد من باعدته المودة وان قرب نسبه .

ومن كلامه (ع) : هلاك المرء في ثلاث : الكبر والحرص والحسد

فالكبر هلاك الدين وبه لعن ابليس ، والحرص عدو النفس وبه اخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل .

وقال : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مروءة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له .

ومن قوله عليه السلام :

يا ابن آدم ، لم إنك تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فخذ مما فى يديك لما بين يديك ، فان المؤمن يتزود والكافر يتمتع .

فهـذه الليالي المتبركة ، ليالي شهر رمضان المبارك هي ليال يتزود فيها المؤمن لآخرة سعيدة ، فيصلي ما شاء ويبتهل الى الله بخشوع وخضوع ويسأله تعالى المغفرة والرضوان ، فيخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فيزداد ايمانـاً بالله وبعوالم الآخرة ، فهذا الشهر شهر تطهير وتزكية ، شهر تجلية وتصفية . فالنفوس بقدر خشوعها لله تتزكى وتتطهر . فلنحسن العبودية لله ، فما من شيء فى هذا الكون الرحيب الا ويظهر العبودية لله تعالى والخشوع والخنوع .

« ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا ، لقد احصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (١) (٢)

---

(١) سورة مريم : ٩٣ ـ ٩٥ (٢) القيت هذه الكلمة فى ليلة النصف من شهر رمضان المبارك فى حسينية الهاشمية : سنة ١٣٨٦ هـ

لماذا هذه الزلازل

سؤال يتشدق به كثير من الماديين وهم يريدون بسؤالهم هذا ان يصموا العالم بالتبلبل وعدم الانتظام وعدم التدبير من قبل خالق عالم بعواقب الامور وبكل ما يحدث : منظم الكون الى اقصى مرتبة من مراتب الانتظام .

انهم يقولون : لماذا هذه الاوبئة التي لا تبقى ولا تذر ، وهذه العواصف الهوجاء الهدامة للقرى والارياف ، وهذه الكوارث المميتة . ولقد سمعت احدهم وهو على فراش المرض ، يعزو العالم ، لمرض اصابه ، بعدم الانتظام والبلبلة .

وكثيراً ما سمعت من بعض المثقفين بثقافة العصر : لماذا هذه الصواعق والفيضانات المدمرة والموت جوعاً في بعض الاحيان ، ثم لماذا يسلب العقل من بعض الناس فيعيشون بين العقلاء عيشة البهائم . ولماذا يتنعم بعض الناس القلائل على حساب آلاف من الناس يكدحون ليل نهار لسد ما تحتاج اليه بطونهم على الأقل .

فهل هناك مفاضلة قبل ان يولد الانسان ؟

ثم هم يقولون : لاشك ان عقلا جباراً قد خلق هذه الكائنات

من جماد ونبات وحيوان وانسان بحكمة فائقة وتدبير عال دقيق ، والعالم سائر حسب قوانين محكمة تدل على عظمة خالقه ومبدعه . فلماذا هذه المفاضلات والفروق ؟ ولماذا لم يحم الخالق هذا الانسان الضعيف من المفاجآت المهلكة الآنفة الذكر ؟

ان الاعتراف بحكمة المبدع : الباريء عزوجل لدليلٌ جلي على ان الحكمة المتجلية في كل ناحية من نواحي هذا الكون : في الذرة والتراكيب الكيمياوية والتفاعلات بين العناصر وفى دساتير الفيزياء والفلك والميكانيك الرياضي والميكانيك السماوي وفى عالم الميكروبات والنباتات والحيوانات والانسان .. الخ : حكمة يعجز العقل البشري أن يحيط بها تمام الاحاطة وانما يظفر ببعضها نتيجة جهد جهيد واختبارات متتالية وصدف متعاقبة بالهام من الله ، تفضلا منه ورحمة .

فهذا الاعتراف بعظمة الخالق في العلم والقـــدرة والتدبير والحكمة البالغة المتجلية فى ارجاء هذا الوجود لدليل ساطع على ان الحكمة متجلية ايضاً فى حـــدوث الزلازل والنوائب والعواصف والفيضانات وهجوم الجراثيم المؤذية ، المميتة ، إلا أنه قـــد تخفى علينا الحكمة والسبب ، وهذه الحكمة قد تنكشف للصلحاء من عباد الله من انبياء واوصياء ومؤمنين ابرار واخيار وتخفى على كثير من الناس ، لأن نفوسهم لم تبلغ مرتبة من الكمال لتتجلى لهم الحقائق وتنكشف لهم الاسباب .

* * *

لو تتبعنا البلايا والنوائب لرأيناها على ضربين : منها ما هي مهذبة

منبهة ، مزكية لهذه النفوس ، آخذة إياها الى عوالم القدس . ذلك لأن البلايا والنوائب تصقل النفوس وتطهرها من أدناسها وارجاسها .

فالدنيا أشبه شيء بمدرسة ، وفيها مواد امتحانية ، وعلى طلابها اجتياز هذه الامتحانات ، وموادها ليست بمواد مادية كالجبر والهندسة والفيزياء والكيمياء الى ما هنالك ، وانما هي مواضيع تمس النفس الانسانية مباشرة ، وتعمل فى تربيتها وتهذيبها وتزكيتها . مواضيعها : الصبر ومخالفة الهوى والنفس الامارة بالسوء ، وترك الشهوات والموبقات والجلد امام الملذات التي نهى عنها الشرع . موادها . العفة والعفاف والتقوى واحترام الوالدين وصلة الأرحام ، ومواساة المؤمنين ومساعدة الفقراء والمساكين والتضحية والايثار في سبيل الخير ، موادها : ترك الحسد والبخل ، والتواضع والرفق بالآخرين ، موادها : تفويض الأمر الى الله والتوكل عليه وحسن الظن بالله ، والاعتراف بالتقصير ، والشكر الكثير وحسن الخلق ، والصدق وأداء الامانة والحياء وكظم الغيظ والعفو والحلم والصمت وحفظ اللسان ، والحب في الله والبغض فى الله والقناعة والزهادة والانصاف والعدل ، والاهتمام بأمور المسلمين والتزاحم والتعاطف وزيارة الاخوان في الله وقضاء حوائج المؤمنين لوجه الله وترك المكر والغدر والخديعة والغيبة والنميمة ، وسوء الظن والنفاق ، موادها : الاستغفار ومحاسبة النفس ، والتكفير عن الذنوب . ففي الحديث : « حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات » .

ومن النوائب ما هي مبيدة لهذه النفوس كالزلازل التي لا تبقي ولا

تذر والعواصف التي تغرق السفن والأوبئة التى تزهق الارواح .

أما النوع الاول فهي امتحانات بسيطة يجتازها هذا الانسان ليسير سيره التكاملي .

وهي لا تتجاوز المرض والفقر ومشاكل عائليـــة واجتماعية وامثالها وكلها مفيدة ، تصقل النفوس البشرية وتجعلها (إن كانت مؤمنة) تتقرب الى الله وترجو النجاة ، فقد قال الله تعالى :

« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم » (١) فالله تعالى يختبرنا ليعلم (وهو العالم قبلا وبعداً) درجة مجاهدتنا مع نفوسنا الأمارة بالسوء ودرجة صبرنا ، ولكي نعلم نحن درجتنا فى الامتحان الآلهي العالمي ، لننال عنده تعالى ما نستحق من المنازل الرفيعة : « ولكل درجات مما عملوا ، وما ربك بغافل عما يعملون » (٢) .

« ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون » (٣) .

ويقول تعالى : « ألم ، أحسب الناس ، ان يتركوا ، ان يقولوا : آمنا ، وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (٤) .

فلا مناص حسب هذه الآية الكريمة من الاختبار والامتحان . فان الامتحان كان جاريا في الامم الغابرة وهو جار في الامم اللاحقة ،

---

(١) سورة محمد (ص) : ٣١ ، (٢) سورة الانعام : ١٣٢

(٣) سورة الاحقاف : ١٩ ، (٤) سورة العنكبوت : ٣

« سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (١)

فيمتحن الفرد أو بالأحرى نفس هذا الفرد بأنواع البلايا والنوائب بالخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات . وهو القائل :

« ولنبلونكم شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » (٢)

فالله يبشر الصابرين على البلايا والنوائب من فقد الاولاد والارحام والثمرات والاموال بالأجر الجزيل ، شريطةَ ان يقولوا حينما يدهمهم البلاء : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ويرجعوا امرهم الى الله المتعال ، ويعترفوا ان مآل امرهم الآخرة ، وحياة دائمة أخروية . فهؤلاء الذين يؤمنون بالآخرة ويرجعون مآل امرهم الى الله هم الذين اختصوا برحمة الله وعظيم رفده وهم السائرون نحو سبيل السلام .

ذلك لانه ما من شيء من المواد الامتحانية التي يمتحن الله به عباده في هذه الدنيا هو كالصبر . وهو القائل : « لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » (٣) .

وفي الحديث : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد . ولا

---

(١) سورة الاحزاب : ٦٢ . (٢) سورة البقرة : ١٥٧

(٣) سورة آل عمران : ١٨٦

جسد لمن لا رأس له ، ولا ايمان لمن لا صبر له » .

وفي حديث آخر : قال رسول الله (ص) : « ما تجرع عبد قط جرعتين أحبّ الى الله من جرعة غيظ ردّها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ، ولا قطرت قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم أهريقت فى سبيل الله ، وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبدٌ خطوتين أحب الى الله تعالى من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم » .

وروي أن المسيح (ع) قال للحواريين : « إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم علي ما تكرهون » . وقال رسول الله (ص) : « الصبر نصف الايمان » . وفي خبر آخر : الايمان نصفان : « نصف صبر ونصف شكر » .

انه تعالى يقول « وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا » (١) « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٢) ، « اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » (٣) .

وقال رسول الله (ص) : « أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس » ولا مراء ان الصبر في الدرجة الاولى في هذا المقام .

وقال رسول الله (ص) : « الصبر ثلاثة : صبر عند المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردها

---

(١) سورة السجدة : ٢٤ (٢) الاعراف : ١٣٧ (٣) القصص : ٥٤

بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش » .

وقال (ص) : سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك إلا بالقتل والجبر ، ولا الغنى الا بالغصب والبخل ، ولا المحبة الا باستخراج الدين واتباع الهوى ، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغيضة وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي » . كل ذلك لأن النفس الانسانية تنصهر في تحمل المشاق والصبر عليها وتصقل فى تحمل المكاره والنوائب . ولذلك يقول الله تعالى : « إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١) فيجازى الصابر المحتسب جزاءً موفوراً لا نهائياً خارجاً عن حدود الحساب والتقدير .

وقد قال رسول الله (ص) : « اذا اراد الله بعبد خيراً ، وأراد أن يصافيه ، صبّ عليه البلاء صبا وتجه عليه تجا ، فاذا دعاه قالت الملائكة : صوت معروف ، واذا دعاه ثانياً ، فقال : يا رب ، قال الله تعالى : لبيك عبدي وسعديك ، ألاّ تسألني شيئاً الا اعطيتك (٢)

---

(١) جامع السعادات : الجزء الثالث : ٢٨٨ (٢) هكذا وجدناه في جامع السعادات . ج : ٣ ص : ٢٨٦ ، مطبعة النجف .

او رفعت لك ما هو خير ، وادّخرت لك عندي ما هو افضل منه ، فاذا كان يوم القيامة جيء بأهل الاعمال ، فوزنوا اعمالهم بالميزان : أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء ، فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، يُصبّ عليهم الأجر صبا كما كان يصبّ عليهم البلاء صبا ، فيود أهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض ، لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب ، فلذلك قوله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وقد قال تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون وكان ربك بصيراً » . فقد أمرنا بالصبر في الفتن والبلايا والنوائب ، لكي تظهر حقيقة النفس بهذا الجهاد المبين ، فالجهاد مع النفس لهو الجهاد الاكبر على ما جاء على لسان سيد المرسلين (ص) .

وقد قال الصادق (ع) : واذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه ، والزكاة عن يساره ، والبر يطل عليه ، ويتنحى الصبر ناحية ، فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته ، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر : دونكم صاحبكم ، فان عجزتم عنه فأنا دونه » .

وقال (ع) « اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه ، فيقال لهم : من انتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : على ما صبرتم ، فيقولون : كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله . فيقول الله تعالى : صدقوا ، ادخلوهم الجنة وهو قول الله تعالى : « إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١) .

---

(١) جامع السعادات ، ج ٣ : ٢٨٩

وقال عليه السلام : « من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر الف شهيد » .

ومن علامات الصبر : ان يصلَ الانسان من قطعه ، ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه ، فقد قال رسول الله (ص) : صِل من قطعك وأعطِ من حرمك ، واعفُ عمن ظلمك » .

وإن معيار الايمان الحقيقي هو الصبر على النوائب . فمن كان صبره اكثر كان ايمانه بعوالم الآخرة اكثر فأكثر .

* * *

يجدر بهذا الانسان أن يعمل في هذه الدنيا لينال درجات عالية ويذهب منها طاهراً مطهراً الى آخرة سعيدة . ذلك لان « الدنيا دار عمل ولا حساب ، والآخرة دار حساب ولا عمل » ولا مجال هناك للتهيؤ لامتحان (الاكمال) ، أي لا يكون الفرد مكملاً (كما في المدارس الحديثة) بعد الموت ، فطوبى لمن هيأ نفسه لآخرة سعيدة قبل حلول الأجل .

فقد قال رسول الله (ص) في خطبة له عندما جمع الأقربين من قريش : « ان الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله الا هو : اني لرسول الله اليكم خاصة . والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان إحساناً وبالسوء سوءاً ، وانها للجنة ابدا ، أو النار ابدا » .

على أن هناك ، كما في بعض الاخبار ، نوع تطهير في عالم البرزخ من عذاب وتعذيب وتأديب ، ليكون الفرد بذلك أهلا لشفاعة الشافعين اذا أذن الله بذلك ، وهو القائل : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (١) « ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » (٢) .

والعاقل هو الذي يخرج في دنياه مما تدنس به من حرام وموبقات : في عالم الفرصة والملافاة .

فقد قيل : ان حاكماً جائراً أراد أن يتوب ، فخرج من جميع ماله من مال ومنال وبيوت وعقار ، قدم جميع ذلك الى عالم البلد (العالم الديني) لتوزيعها على الفقراء والمساكين (لكونها مجهولة المالك) واستقرض من العالم الديني إزاراً يستتر به ، وصار يعمل كحمال ثم ارتقى ، فصار يكتسب كسباً بسيطاً ويكفر عن سيئاته بأعمال صالحات وعبادات يتخللها خشوع وخضوع « ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (٣)

***

فالانسان انما خلق للامتحان والابتلاء ، ولا مفرّ له من اجتياز هذه الامتحانات الهادفة الى اصلاح النفس مباشرة ، ذلك لأن كماله النفسي ينحصر في اجتيازه امتحانات تصقل النفس وتهذبها أيما تهذيب وهو القائل : « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً

---

(١) سورة المدثر : ٤٨ (٢) سورة الانبياء : ٢٨

(٣) سورة هود : ١١٥

بصيرا » فمن الله علينا بالسمع والبصر كي نستفيد منهما للنجاح في الامتحانات النفسية .

فالغني يختبر بالفقير ، والفقير يمتحن بالصبر ، والولد يمتحن باطاعة والديه ، وصاحب الجاه يمتحن فى قضائه حوائج الناس ، فكل انسان مُذ نهوضه من نومه الى ساعة منامه يختبر بأنواع الاختبارات ، فطوبى لمن راقب نفسه فى هذه الامتحانات النفسية وقدر لنفسه درجات عليها ليعلم منزلته في سيره التكاملي ، كمن يقيس ضغط الدم من حين لآخر .

انه تعالى يقول: « هو الذي خلق السماوات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم احسن عملا » فجعل الله علة خلقه هذه النفوس الابتلاءَ ، أي ان الله انما خلقنا ليبلونا ويختبرنا بمرض وسقم وعاهة وطاعة وصبر وغيرها .

فـ « إن عظيم الاجر مع عظيم البلاء ، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم » .. الحديث .

وفي حديث آخر : (اذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه) . ذلك لان هذا التضرع مطهر لهذه النفوس من ادرانها وأوضارها .

لن الله يحب ان يتضرع العبد ويبكي على ذنوبه ، وان هذا التضرع أو البكاء موصل الفرد الى مقامات رفيعة من التقرب الى الحق المتعال . فقد جاء في حديث قدسي ، حيث يقول الله تعالى : (أنين المذنبين أحب اليّ من تسبيح المسبحين) .

وكثيراً ما يكون الغنى سبباً لتسافل الانسان وتجبره وتكبره وتعجرفه

وتحقيره للآخرين وكسره الخواطر والقلوب ، فيزداد بعداً من الله تعالى مع انفاقه وبذله فى بعض الاحيان . ولذلك يقول جل من قائل : « ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » ، ويخاطب المترفين قبل غيرهم عند ارسال الرسل والأنبياء بقوله : « واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول ، فدمرناها تدميرا » . ولذا كان الأنبياء والأولياء يكتفون بالكفاف ، ويخشون الزيادة والترف فقد جاء في الحديث القدسي ، حيث يقول الله تعالى : « وإن من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو صرفته الى غيره لهلك » .

ذلك لان هذه الدنيا ، كما جاء في الحديث ، مزرعة الآخرة ، ومحل للتزود والتهيؤ لآخرة سعيدة وجنة عرضها السماوات والارض أعدّت للمتقين .

فمن أراد الله تعالى انقاذه من نار جهنم وعذاب الآخرة ، هيأ له اسباب هذا الفوز العظيم ، بتعذيبه فى دار الدنيا قبل الآخرة ، لكي يطهر فى دنياه ويذهب من هذه الدنيا نقي الثوب . وحاشا ان يبغض الله تعالى ويفرق بين عبد وعبد دونما سبب ويؤثر احداً على آخر دون مرجح . ان الله تعالى أعلم بما قام به هذا العبد من اعمال ، فاذا كانت اعماله السابقة اعمالا تقربه الى حد ما الى الله تعالى ، هيأ الله تعالى له فى دنياه الأسباب التي تطهره وتوصله الى عاقبة محمودة بمرض واقتار وانواع البلايا حسب قابليته ومرتبته ودرجته . فقد جاء فى حديث

قدسي حيث يقول الله تعالى :

« ما من عبد اريد ان ادخله الجنة الا ابتليته في جسده ، فان كان ذلك كفارة لذنوبه ، والا ضيقت عليه رزقه ، فان كان ذلك كفارة لذنوبه والا شددت عليه الموت ، حتى يأتيني ولا ذنب له ، ثم ادخله الجنة . وما من عبد اريد ان ادخله النار الا صححت جسمه ، فان كان ذلك تماماً لطلبته عندي والا أمنت له من سلطانه ، فان كان ذلك تماماً لطلبته والا هونت عليه الموت ، حتى يأتيني ولا حسنة له ثم ادخله النار » .

وان الله تعالى لا يدخل عبداً النار الا بعد اتمام الحجة عليه مرات ومرات ، الا بعد تزويده بالوسائل الهادية المرشدة الى الصراط السوي مرات ومرات . فاذا امسى جرثومة فساد وغواية وضلال لا تفيد فيه النصائح والبلايا والنوائب والامراض لم تكن له عاقبة الا النار ، فتطهره من ادرانه وتعقمه من جراثيمه وأوضاره ، وقد قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . « ولله على الناس الحجة البالغة » .

فلم يترك الله تعالى شيئاً فيه ارتقاء البشر في النواحي الروحية الا وقد بينه على لسان انبيائه ولم يترك ما فيه تسافل النفس الانسانية الا وقد فصله انبياؤه وأوصياء انبيائه (ع) . ومع ذلك فقد اودع النفس الانسانية اصول المساوي والمبرات بقوله جل من قائل : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » . كل ذلك ، « لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل » (سورة النساء : ١٦٣) .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : « ان الله عزوجل اذا كان من امره ان يكرم عبداً وعليه ذنب ابتلاه بالسقم ، فان لم يفعل ذلك به ابتلاه بالحاجة ، فان لم يفعل ذلك به شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب . وان كان من امره ان يهين عبداً وله عنده حسنة صحح بدنه وان لم يفعل ذلك به وسع عليه رزقه ، فان لم يفعل ذلك به هون عليه الموت فيكافيه بتلك الحسنة » .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : إن العبد اذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها .

ولا مراء أن المقربين عند الله (ص) امتحاناتهم أشد واصعب ، فقد أوذي رسول الله (ص) كثيراً حتى قال : « ما أوذي نبي مثل ما أوذيت » .

وان الحسين (ع) بلغ الدرجة القصوى في تقبله الشهادة بشكل لم يسبق له مثيل ولن يرى الدهر مضحياً مثله في سبيل الدين أبد الآبدين .

وقد قال رسول الله (ص) : ان أشد الناس بلاءاً النبيون ، ثم الوصيون ، ثم الامثل فالأمثل وانما يبتلى المؤمن على قدر اعماله الحسنة فمن صح دينه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه ، ومن سخف دينه وضعف عمله قل بلاؤه ، والبلاء أسرع الى المؤمن التقى من المطر الى قرار الارض ذلك ان الله عزوجل لم يجعل الدنيا ثواب المؤمن ولا عقوبة الكافر » ولذلك يقول جل من قائل : « ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا

لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » .

فالامتحان أو البلاء إما يكون لزيادة الدرجات وبلوغ المنازل الرفيعة وهذا خاص بالانبياء والاوصياء (ع) ثم الامثل فالامثل ، واما أن يكون لتطهير النفوس مما علق بها من أدران واوساخ ، وذنوب وآثام فهو تكفير لما اجترحت الايدي من ظلم وبغي ولما قامت به النفوس من حسد وغيبه وكل ما نهى عنه الدين .

فعلى كل فرد ان يحاسب نفسه من حين لآخر ويعمل في إزالة ما علق بها من ادران . وفي الحديث : « حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا » فعن ابى الحسن الماضي : (الامام موسى بن جعفر (ع)) « ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم . فان عمل حسنة استزاد الله عزوجل ، وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب اليه » .

فعلينا ان نعلم انه كلما زدنا تقرباً الى الله تعالى وكلما زيد فى ايماننا ويقيننا كلما زدنا بلاءاً ونوائب ، وهجمت علينا همومُ وغمومٌ « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » . ولذلك يحدثنا الامام موسى بن جعفر (ع) : « ان المؤمن بمنزلة كفتي الميزان ، كلما زيد فى ايمانه زيد فى بلائه ، ليلقى الله عزوجل ولا خطيئة له » .

يحدثنا ابو عبدالله (ع) فيما يبتلى به المؤمن : انه يقول : اخذ الله ميثاق المؤمن على ان لا تصدق مقالته ولا ينتصف من عدوه وما من

مؤمن يشفى نفسه الا بفضيحتها ، لان كل مؤمن ماجم » .

وفى حديث آخر : قال ، قال رسول (ص) : ان الله اخذ ميثاق المؤمن على بلايا اربع . أيسرها عليه مؤمن يقول بقوله (١) يحسده ، او منافق يقفو اثره او شيطان يغويه ، أو كافر يرى جهاده فما بقاء المؤمن بعد هذا » .

ويقول ابو عبدالله (ع) ايضاً : « ما افلت المؤمن من واحدة من ثلاث ولربما اجتمعت الثلاثة عليه ، اما بعض من يكون معه فى الدار يغلق عليه بابه يؤذيه ، أو جار يؤذيه أو من فى طريقه الى حوائجه يؤذيه ويجعل الله له من ايمانه أنساً لا يستوحش معه الى احد» (٢)

فالمؤمن فى هذه الدنيا لا يخلو من أذى الآخرين لو كان مؤمناً حقاً

---

(١) أي يدين بدينه

(٢) اصول الكافي ج : ٢ ص : ٢٥٠

ننقل هنا ما جاء فى حاشية اصول الكافى . الجزء الثاني ص : ٢٥٠

ذكروا لتسليط الشياطين والكفرة على المؤمنين وجوهاً من الحكمة . الاول : انه كفارة لذنوبه ، الثاني : لاختبار صبره وادراجه فى الصابرين . الثالث : لتزهيده في الدنيا لئلا يفتتن بها ويطمئن اليها فيشق عليه الخروج منها ، الرابع توسله الى الحق سبحانه في الضراء وسلوكه مسلك الدعاء لدفع ما يصيبه من البلايا فترتفع بذلك درجته . الخامس : وحشته عن المخلوقين وأنسه برب العالمين (راجع مرآة العقول ج ٢ ص ٢٢٢)

اما بحسد او نفاق او عداء أو اغواء الشيطان . فعن ابي عبدالله (ع) : اربع لا يخلو منهن مؤمن او واحدة منهن : مؤمن يحسده وهو أشدهن عليه ومنافق يقفو اثره او عدو يجاهده او شيطان يغويه » . و (ان الله عزوجل جعل وليه في الدنيا غرضاً لعدوه) كما جاء في الحديث .

يقول محمد بن عجلان ، كنت عند ابي عبدالله (ع) : فشكا اليه رجل الحاجة فقال : اصبر ، فان الله سيجعل لك فرجاً ، قال : ثم سكت ساعة ، ثم اقبل على الرجل فقال : اخبرني عن سجن الكوفة كيف هو ؟ فقال : ـ أصلحك الله ـ ضيق ، منتن واهله بأسوء حال . قال : فانما انت في السجن ، فتريد ان تكون فيه في سعة ، أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن .

وعن ابي عبدالله (ع) انه قال : « المؤمن مكفر » . أي ان الناس لا يشكرون له معروفه وإحسانه .

وفي خبر آخر : « ما من مؤمن إلا وقد وكل الله به اربعة : شيطاناً يغويه ، يريد ان يضله وكافراً يغتاله ومؤمناً يحسده وهو أشدهم عليه ومنافقاً يتبع عثراته » .

فالمؤمن في هذه الدنيا مسلوب الراحة ، ممتحن لا محالة بأنواع الأذى والنوائب ، فعن ابي عبدالله (ع) ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن الا وله جار يؤذيه ، ولو ان مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لابتعث الله له من يؤذيه .

فكلما كان العبد الى الله أقرب كان بلاؤه أشد واصعب ، فعن

ابي عبدالله (ع) : ان أشد الناس بلاءاً (١) الانبياء ثم الذين يلونهم . ثم الامثل فالامثل .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : سئل رسول الله (ص) : من أشد الناس بلاءاً في الدنيا فقال : النبيون ، ثم الامثل فالامثل . ويبتلى المؤمن ، بعد ، على قدر ايمانه وحسن اعماله ، فمن صح ايمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخف ايمانه وضعف عمله قل بلاؤه » .

فنرى ان زيادة البلاء تتناسب طرديـاً مع قوة الايمان ، حتى ان الله تعالى يدفع عن المؤمن الحقيقي بعض المتـع الدنيوية . فعن ابي عبدالله (ع) : « ان لله عزوجل عباداً في الارض من خالص عباده ، ما ينزل من السماء تحفة الى الارض إلا صرفها عنهم الى غيرهم ، ولا بلية إلا صرفها اليهم » . وفي خبر آخر : عن ابي عبدالله (ع) انه قال ـ وعنده سدير ـ « ان الله اذا أحب عبداً غتـه بالبلاء غتا ، وأنا وإياكم ، يا سدير ، لنصبح بـه ونمسي » .

وعن ابي جعفر (ع) قال : إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه ـ أو قال ـ على حسب دينه » .

فلابد للمؤمن من احزان وهموم يطهر بها نفسه ، حتى لا تتراكم عليه ذنوبه فيسوّد القلب على ما جاء في بعض الاحاديث . لذلك يقول امامنا ابي عبدالله (ع) : « المؤمن لا يمضي عليه اربعون ليلة الا عُرض له أمر يحزنه ، يذكّر بـه » .

---

(١) ما يختبر ويمتحن به من خير وشر . اصول الكافي : الجزء الثاني . ط : طهران

يقول ناجيه ، قلت لابي عبدالله (ع) ان المغيرة (١) يقول : ان المؤمن لا يبتلى بالجذام ولا بالبرص ولا بكذا ولا بكذا ؟. فقال : ان كان لغافلا عن صاحب ياسين ، انه كان مكنعاً (٢) ثم رد اصابعه (٣) فقال : كأني انظر الى تكنيعه أتاهم فأنذرهم ، ثم عاد اليهم من الغد فقتلوه . ثم قال : ان المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة الا انه لا يقتل نفسه (٤) .

وقد قال ابو عبدالله (ع) : إن فى الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا بالابتلاء في جسده .

---

(١) هو المغيرة بن سعيد الذي روى الكشي روايات كثيرة تدل على لعنه وروى ان ابا الحسن الرضا عليه السلام قال انه كان يكذب على ابى جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحديد .

(٢) (إن كان لغافلا) : ان مخففة من المثقلة ، وصاحب ياسين هو حبيب بن اسرائيل النجار رضي الله عنه ، وهو الذي جاء من اقصى المدينة يسعى ، وكان ممن آمن بنبينا (ص) وبينهما ٦٠٠ سنة وعن النبي (ص) : « سباق الامم ثلاثة ، لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن ابي طالب وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون » وفى رواية هم الصديقون وعلي افضلهم . والمكنع (بتشديد النون المفتوحة) : أشل اليد ومقطوعها . وهو من رجعت اصابعه الى كفه وظهرت مفاصل اصول الاصابع

(٣) « ثم رد اصابعه » من كلام الراوي ، أي رد عليه السلام اصابعه الي كفه اشارة الى تكنيعه .

(٤) نقلنا الحديث مع الشرح من اصول الكافي ج ٢ ص : ٢٥٤

ويقول عبدالله بن ابي يعفور : شكوت الى ابى عبدالله (ع) ما القى من الاوجاع ، وكان مسقاما ، فقال لي يا عبدالله ، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنى انه قرض بالمقاريض .

وقال عليه السلام : « إن اهل الحق لم يزالوا منذ كانوا فى شدة أما ان ذلك الى مدة قليلة وعافية طويلة . وعن ابى جعفر (ع) : ان الله عزوجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل بالهدية من الغيبة ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض (ويحميه الدنيا ، أي يمنعه الدنيا) . وعن ابى عبدالله (ع) : لم يؤمن الله المؤمن من هزاهز الدنيا ، لكنه آمنه من العمى فيها والشقاء فى الآخرة . وقال (ع) : ان المؤمن من الله عزوجل لبأفضل مكان ـ ثلاثاً ـ إنه ليبتليه بالبلاء ثم ينزع نفسه عضواً عضوا من جسده وهو يحمد الله على ذلك .

وقال علي بن الحسين (ع) : اني لأكره للرجل ان يعافى في الدنيا فلا يصيبه شيء من المصائب .

ذلك لأن من لا يبتلى بمصائب ونوائب بعيد عن رحمة الله ، تركه الله تعالى ونفسه . فتتراكم عليه ذنوبه ومآله النار « نسوا الله فنسيهم » (التوبة : ٦٨) لذلك يخرج النبي (ص) كما في الحديث الآتي من بيت رجل لم يرزأ قط . فقد قال ابو عبدالله (ع) : دعي النبي (ص) الى طعام . فلما دخل منزل الرجل نظر الى دجاجة فوق حائط قد باضت ، فتقع البيضة على وتد في حائط فثبتت عليه ، ولم تسقط ولم تنكسر ، فتعجب النبي (ص) منها فقال له الرجل : اعجبت من هذه البيضة ، فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قط (قال) : فنهض رسول الله (ص) ولم يأكل من طعامه شيئاً ، وقال : من

لم يرزأ فما لله فيه من حاجة (١) .

* * *

ونعوذ بالله من استدراجه وترك العبد يلهو ويلعب لا يفكر في مصيره وما سوف يعذب به في آخرته . ذلك العذاب الذي يصفه الله تعالى بقوله « إذ الاغـــلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ، ثم فى النار يسجرون » (سورة المؤمن : ٧١ ، ٧٢) وهو القائل : « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم ان كيدي متين » (سورة الاعراف : ١٨١) « فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث ، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم ان كيدي متين » (٦٨ : ٤٤)

وقد قال رسول الله (ص) في مقام تحذير الناس من استدراج الله تعالى : « اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى : فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (الانعام : ٤٤)

وروي أن نبياً من الانبياء شكى الى ربه فقال : « يا رب ، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك ، تزوي عنه الدنيا وتعرضه للبلاء ، ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجتريء على معاصيك ، تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا ، فأوحى الله تعالى اليه ، ان العباد إلي والبلاء لي ، وكل يسبح بحمدي . فيكون المؤمن عليه من الذنوب ، فأزوي عنه الدنيا واعرض

---

(١) اصول الكافى . ج ٢ : ص : ٢٥٦

له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ، ويكون الكافر له من الحسنات ، فأبسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته » .

وقد سمعت نقداً كثيراً واعتراضات واهية بالنسبة الى تنعم الكافر والافتار في الرزق بالنسبة الى المؤمن ، وأنا ادرس في جامعة استانبول . ولقد سمعت اخيراً ايضاً ان فلاناً كان في ضنك من العيش وهو يصلي ويصوم ، فترك الصلاة والصوم فوسع عليه في رزقه ، حتى ان البعض ينصح غيره بترك الدين وفرائضه ليعيش عيشة هنيئة ويبلغ مناصب دنيوية زائلة ، وما ذكرناه جواب للمعترض ، ونستجير بالله من استدراجه .

وقال رسول الله (ص) : لا حاجة لله في من ليس له في ماله وبدنه نصيب . (ويراد بالنصيب هنا : النقص) .

وعن ابى عبدالله (ع) قال : ان الله عزوجل يبتلى المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله . أما ترى ايوب كيف سلط ابليس على ماله وعلى ولده وعلى اهله وعلى كل شيء منه ولم يسلط على عقله » ترك له ليوحد الله به .

وقال ايضاً : انه ليكون للعبد منزلة عند الله ، فما ينالها الا باحدى خصلتين ، اما بذهاب ماله أو ببلية فى جسده .

وقال ايضاً : قال الله عزوجل : « لولا ان يحد عبدي المؤمن في

قلبه (١) لعصبت رأس الكافر بعصابة حديد لا يُصدع رأسه ابداً » .

وقال ايضاً . قال رسول الله (ص) : مثل المؤمن كمثل خامة الزرع (٢) تكفئها (٣) الرياح كذا وكذا ، وكذلك المؤمن تكفئه الاوجاع والامراض ومثل المنافق كمثل الارزبة المستقيمة التي لا يصيبها شيء حتى يأتيه الموت فيقصفه قصفا (٤) .

وعن ابي عبدالله (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) يوماً لاصحابه : ملعون كل مال لا يزكى ، ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوماً مرة فقيل : يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفنا ، فما زكاة الأجساد ؟ فقال لهم : ان تصاب بآفة ، قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال لهم : أتدرون ما عنيت بقولي ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : « بلى ، الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا ، حتى ذكر في حديثه اختلاج العين » (٥)

وقال ابو عبدالله (ع) : ان المؤمن ليكرم على الله حتى لو سأله الجنة بما فيها اعطاه الله ذلك من غير ان ينتقص من ملكه شيئاً وان

---

(١) شكا او حزنا شديداً . (٢) اول ما نبت على ساق .

(٣) (بالهمزة) أي تقلبها . الارزبة : عصبية من حديد .

(٤) قصف الشيء : كسره .

(٥) الاختلاج : مرض من الامراض وقد ذكره الاطباء وهو حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن .

الكافر ليهوّن على الله ، حتى لو سأله الدنيا بما فيها اعطاه ذلك من غير ان ينتقص من ملكه شيئاً ، وان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغائب اهله بالطرف (١) ، وانه ليحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض .

وعن يونس بن عمار قال : قلت لابي عبدالله (ع) : ان هذا الذي ظهر بوجهي (٢) يزعم الناس ان الله لم يبتل به عبداً له فيه حاجة ، قال ، فقال لي : لقد كان مؤمن آل فرعون مكنع الاصابع (٣) ، فكان يقول هكذا ـ ويمدّ يديه ـ ويقول : « يا قوم اتبعوا المرسلين » ثم قال لي : اذا كان الثلث الاخير من الليل في اوله فتوضأ وقم الى صلاتك التي تصليها ، فاذا كنت في السجدة الاخيرة من الركعتين الاوليين فقل وانت ساجد : « يا عليّ يا عظيم ، يا رحمن يا رحيم ، يا سامع الدعوات يا معطي الخيرات ، صلِ على محمد وآل محمد واعطني من خير الدنيا والآخرة ما أنت اهله واصرف عني من شر الدنيا والآخرة ما انت اهله واذهب عني هذا الوجع ـ وتسميه ـ فانه قد غاظني واحزنني ، والحّ في الدعاء قال : فما وصلت الى الكوفة حتى اذهب الله به عني كله .

***

على كل فرد ان يعتبر بما يراه من نقص في الآخرين ، فاذا

---

(١) الطرف : جمع طرفة وهي ما يستطرف أي يستملح . ويحميه : يمنعه .

(٢) الآثار التي ظهرت بوجهه كان برصاً ويحتمل الجذام .

(٣) هو الذي وقعت اصابعه .

رأى رجلا اعمى عليه أن يشكر الله الذي عافاه من العمى ، وان رأى رجلا ألكن عليه ان يشكر الله على وهبه من طلاقة فى اللسان وان رأى سائلا محتاجاً عليه ان يقدم له مع الامتنان من فضول ماله وان يشكر الله على ما انعم عليه من غنى وعدم الحاجة الى آخرين .

فعن ابى جعفر (ع) قال : اذا رأيت الرجل مرَّ به البلاء فقل : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلقه ، ولا تسمعه .

* * *

ان ما ذكرناه لحد الآن خاص بنوائب بسيطة لا تؤدي الى الابادة والهلاك ، لكن الزلازل تزهق النفوس وتبيد القرى ، وكذلك العواصف الشديدة ، والاوبئة وامثالها ، فان الله تبارك وتعالى يريد بهذا ان يعلم الناس ان الحياة والممات بيده ولا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء ، كي ينتبه هذا الانسان عن غوايته وطيشه ، فلا يعصي الله فى السر والعلن (١) ويترك ما عليه من فساد وافساد فى الارض . « والله لا يحبّ الفساد » ، وهو القائل :

« أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أوَ أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله ،

---

(١) انه تعالى يقول : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه ، ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون » (سورة الانعام : ١٢٠) .

فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، أو لم يهدِ للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » (١) .

وفي استطاعته تعالى ان يبيد الارض ومن عليها في طرفة عين وهو القائل : فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد (سورة هود : ٨٢ ، ٨٣) .

« واخذ الذين ظلموا الصيحة ، فاصبحوا في دارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ، الا ان ثمود كفروا ربهم ، ألا بعداً لثمود » (٢)

وحاشَ لله ان يريد ظلماً بأحد من الناس . وهو القائل : « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » (٣) « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير » (سورة الشورى : ٣٠)

فتارة تكون هذه الزلازل للعقاب أي ان الله يبيد قسماً من عباده العاصين لافسادهم في الارض ولعدم تأثير النصح فيهم والامهال ، بعد اتمام الحجج البالغة مع تنوعها وكثرتها .

وتارة تكون عبرة للآخرين ليعلموا : « ان ربك لبالمرصاد » ولكي ينتهوا عما هم فيه من معاصٍ وافساد في الارض ، ويتوجهوا الى الحق المتعال . فاذا كان في من ابيدوا رجال صالحون ، فسينالون اجرهم

---

(١) سورة الاعراف : ٩٦ ـ ٩٧

(٢) سورة هود : ٦٧ ـ ٦٨ ، (٣) سورة النحل : ١١٨

اضعافاً مضاعفة في آخرة سعيدة تستمر ملايين السنين . وان كان أحد هؤلاء الذين تنتابهم الزلازل او يصيبهم الغرق من الصلحاء فقد فاز بدرجة الشهادة كما جاء في بعض الاخبار . وان كان ممن « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » أي كانت له اعمال صالحة واعمال سيئة ، فهذا الغرق أو الحرق أو ابتلاع الارض له يكون كفارة لذنوبه ، فيكون بفضله تعالى من اصحاب الجنة فيصبح ما نعدّه نقمة ، رحمة له .

فكم من اناس ينهدم عليهم سقف أو حائط فيموتون حالا ، ولكن هذا النوع من الموت رحمة ، يجب على العبد ان يشكر الله عليه لأن مآله الجنة ان شاء الله ، شريطة ان لا يكون هذا الشخص ممن كفر بأنعم الله أو جحد وجود الله !؟ فلا تطهره الحالات الخاصة من الكوارث والبلايا المهلكة !

إذن ، ليست الزلازل والعواصف على ما يظنه البعض ، بلاءاً ونقمة ، وإنما هي ألطاف ربانية ورحمة .

يحدثنا عبدالله بن سلام عن رسول الله (ص) ، قال سألت رسول الله (ص) فقلت : اخبرني ، أيعذب الله عزوجل خلقاً بلا حجة فقال : معاذ الله ، قلت : فأولاد المشركين في الجنة أم في النار ؟ فقال : الله تبارك وتعالى أولى بهم ، انه اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لفصل القضايا . يأتي بأولاد المشركين فيقول : عبيدي وإمائي مَن ربكم وما دينكم وما اعمالكم قال فيقولون : اللهم أنت ربنا ، أنت خلقتنا ولم نخلق شيئاً وأمتنا ولم نمت شيئاً ، ولم تجعل لنا ألسنة

ننطق بها ولا اسماعاً نسمع بها ولا كتاباً نقرؤه ولا رسولا فنتبعه . ولا علم لنا الا ما علمتنا ، قال فيقول لهم عزوجل : عبيدي وامائي : إن امرتكم بأمر تفعلوه ، فيقولون : السمع والطاعـــة لك ربنا ، قال : فيأمر الله عزوجل ناراً : يقال لها الغلق . أشد شيء في جهنم عذابا ، فيخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والاغلال . فيأمرها الله عزوجل ان تنفخ في وجوه الخلائق نفخة . فمن شدة نفختها تنقطع السماء وتنطمس النجوم وتجمد البحار وتزول الجبال وتظلم الابصار وتضع الحوامل حملها وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة . ثم يأمر الله تبارك وتعالى : اطفال المشركين ان يلقوا انفسهم في تلك النار . فمن سبق له في علم الله عزوجل ان يكون سعيداً القى نفسه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً ، كما كانت على ابراهيم (ع) . ومن سبق له في علم الله عزوجل ان يكون شقيا امتنع ، فلم يلقِ نفسه فى النار ، فيأمر الله تبارك وتعالى النار فتلتقطه لتركه امر الله وامتناعه من الدخول فيها ، فيكون تبعاً لآبائه في جهنم ، وذلك قوله عزوجل : « فمنهم شقي وسعيد ، فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك ، عطاءً غير مجذوذ (١) .

وعن ابى جعفر عليه السلام قال : اذا كان يوم القيامة ، احتج الله عزوجل على سبعة : على الطفل ، والذي مات بين النبيين ، والشيخ الكبير الذي ادرك

---

(١) سورة هود : ١٠٩ . غير مجذوذ : غير منقطع .

النبي وهو لا يعقل ، والأبله ، والمجنون الذي لا يعقل ، والاصم والابكم . فكل واحد منهم يحتج على الله عزوجل ، فيبعث الله عزوجل اليهم رسولا ، فيؤجج اليهم ناراً ويقول : ان ربكم يأمركم ان تثبوا فيها ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً ومن عصى سيق الى النار » .

وقد علمنا الله تبارك وتعالى على لسان انبيائه واوصياء انبيائه كيف ندرأ عنا العذاب فان الصاعقة لا تصيب المؤمن اذا كان ذاكراً لله تعالى لا ينفك عن ذكره .

فعن ابي بصير قال : سألت ابا عبدالله عن ميتة المؤمن قال « يموت المؤمن بكل ميتة : يموت غرقاً ويموت بالهدم ، ويبتلى بالسبع ويموت بالصاعقة ولا تصيب ذاكراً لله عزوجل » .

وقد يعترض البعض : لماذا يبكي الطفل ؟ ولقد ثبت ان هذا البكاء رياضة مفيدة لجوارح الطفل ، فبكاؤه يؤدي الى حركات مختلفة نافعة في اعضائه ، في القلب والدم والرئة والحنجرة والأعصاب والعضلات والاطراف والوجه والبطن الى ما هنالك . وهو نداء في بعض الاوقات لبعض حاجات الطفل وكلما تقدم هذا العلم المادي عُلم أن ما من شيء في تركيب جسم الانسان وسائر الحيوانات الا عن حكمة بالغة ، لم يقف عليها البشر لقلة معلوماته وجهله غير المتناهي وعدم تقدم العلم الى درجة مرموقة ، وقد علموا اخيراً أن للزائدة الدوديه واللوزتين آثارها وفوائدها .

إن الله قد يجعل الولد يولد اعمى ، محروماً من البصر ، وفي ذلك اسباب وحكم خفيت علينا ، منها ان هذا الاعمى قد قبل في عالم الذر وارتضى ان يكون عديم البصر ، حتى ينال في هذه الدنيا الموقتة

مراتب تقربه الى الله ومزيداً من المعارف الآلهية ، ذلك لان من أهم القربات تقبل الأذى والصبر على النوائب ، وقد صبر هذا الاعمى طوال عمره على هذه المحرومية ، ليكف عن نفسه تلك المعاصي الكثيرة التي يرتكبها بالباصرة . فأجره عظيم وثوابه جزيل ، ولعله خير فى عالم الذر بين أن يكون مبصراً مع العصيان والكفر وسوء العاقبة ، وبين ان يكون اعمى ، متقرباً الى الله مع حسن العاقبة ، فاختار لصفاء في نفسه ولعقل أودعه الله فيه ، الشق الاول ، ففاز بحسن العاقبة وجنات عدن .

واصبح بتقبله العمى عبرة الآخرين وموعظة للمبصرين ، حتى يشكروا الله على ما منحهم من نعمة الابصار ، وما اعظمها !..

فعلى المرء ان لا يغتر بأفكاره وما هو عليه من معلومات ضئيلة جداً بالنسبة لما اودع الله من قوانين وانظمة مترابطة في هذا الكون الرحيب ، « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » (١) .

وهو القائل : « ولو أن ما في الأرض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » (٢)

ذلك ، لأن الارض التي نعيش عليها كهباءة ضئيلة في شعاع الشمس اذا دخل من نافذة في غرفة مظلمة . فاذا نسبنا حجم مجرة موضوعة على

---

(١) سورة الملك : ٣ ـ ٤

(٢) سورة لقمان : : ٢٧ ما نفدت : ما انتهت

منضدة الى الغرفة بل الى البيت ، بل الى المدينة التي نعيش فيها بل الى القطر الذي نعيش فيه ، الى القارة (آسيا) التي نحن من ضمنها لكانت نسبة حجم ارضنا الى هذا الكون الرحيب ، أقل بكثير من تلك النسبة . فما اوسع هذا العالم !

ومعلوم ان ارضنا هذه ليست الا واحداً من الكواكب السيارة التسعة ، وهي تدور مع رفيقاتها (وهي بالترتيب) : عطارد ، الزهرة ، الارض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، اورانوس ، نبتون ، بلوتو حول الشمس في منحنيات اهليليجية (قطع ناقص) . وما اصعب رسم القطع الناقص فى الهندسة ، ومعادلته :

$$\frac{س^{٢}}{ب^{٢}} + \frac{ص^{٢}}{ج^{٢}} = ١$$

(ب = نصف القطر الكبير ، ج = نصف القطر الصغير)

وان هذه المجموعة الشمسية تضم فضلا عن ذلك حوالي ١٦٠٠ كويكب صغير يتراوح قطر الواحد منها ما بين كيلو مترين الى ٨٠٠ كيلو متر تقريباً . وكل منها يدور في فلك خاص به ، ولكنها جميعاً موجودة فى الفضاء الواسع المحصور بين فلكي المريخ والمشترى .

وان الاجرام السماوية التي نراها منتشرة بكثرة هائلة في السماوات ليست كلها نجوماً ، كما نتحدث عنها فى حياتنا العامة ، بل انها تضم اجراماً اخرى كثيرة من اهمها الكواكب وتوابعها من الاقمار ، ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نميز بسهولة بمجرد النظر الى السماء بالعين المجردة بين الكواكب والنجوم لانها جميعاً تبدو متشابهة الى حد كبير .

ولهذا السبب فان لنا كثيراً من العذر فى ان نطلق عليها : اسم النجوم (١) .

أما علماء الفلك فيمكنهم ان يميزوا النجوم عن الكواكب بواسطة المناظر المكبرة ، وهم يقولون ان النجم ((Star)) يختلف عن الكوكب ((Planet)) من ناحيتين اساسيتين هما :

١ — ان النجم اعظم حجماً بكثير من الكواكب ، فبينما نجد مثلا أن قطر اكبر كوكب من كواكب المجموعة الشمسية وهو المشترى يبلغ حوالي (١٤٤) الف كيلو متر ، أو : (٩٠ الف ميل) نجد ان قطر الشمس وهي النجم الذي تتبعه هذه الكواكب ١٣٨٤٠٠٠ كيلو متر ، (٨٦٥٠٠٠ ميل) ، مع ملاحظة ان الشمس ليست هي اكبر النجوم بأي حال من الاحوال . فمن النجوم ما هو اكبر منها بكثير ومنها ما هو اصغر منها . ويطلق على الاولى اسم : النجوم العالقة ، بينما يطلق على الثانية اسم : « النجوم الاقزام » .

٢ — ان النجم يكون دائماً ملتهباً ومضيئاً إضاءة ذاتية ، ويرجع ذلك الى عظم حجمه لان هـــذا العظم يترتب عليه ازدياد الضغط والحرارة فى باطنه زيادة تؤدي الى حدوث تفاعلات كثيرة تتولد عنها باستمرار طاقة هيدروجينية وذرية عظيمة جداً . اما الكوكب فان صغر حجمه نسبياً لا يساعد على تولد مثل هذه الطاقة ، ولذلك ، فانه يكون دائماً معتماً وليس له ضوء خاص به . ولـكن على الرغم من ذلك . فان الـكواكب تبدو لنا مضيئة بسبب انعكاس ضوء النجوم على سطحها .

---

(١) أسرار غزو الفضاء : للدكتور عبدالعزيز شرف .

وتوجد فى الفضاء ملايين ملايين من النجوم والكواكب . وعدد النجوم المعروفة لنا في الوقت الحاضر اكثر من ١٥٠ الف مليون نجم بكثير وليست الشمس الا واحداً منها . وتفصل النجوم بعضها عن بعض مسافات لا يمكن تصورها ولا يمكن تقديرها بوحدات القياس العادية ، ولهذا السبب اتفق علماء الفلك على استخدام وحدة خاصة لقياس هذه المسافات (١) ، وهذه الوحدة هي السنة الضوئية ويقصد بها المسافة التي يستطيع الضوء ، وسرعته (٣٠٠ر٠٠٠) كيلو متر في الثانية ، او (١٩٥٠٠٠ ميل) ان يقطعها فى سنة كاملة وهي تساوي على وجه التقريب (٩٤٦١٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) كيلو متر أو (٥٨٧٥ر١٥٧ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل) .

أما البعد بين الكواكب السيارة بعضها عن بعض فتستخدم في قياسه وحدة اخرى اصغر من السنة الضوئية ، ويطلق عليها اسم الوحدة الفلكية .

Astr onomical Unit ومقدارها هو متوسط البعد بين الارض والشمس فى الفصول المختلفة وهو ١٤٨ مليون كيلو متر : (٩٣ مليون ميل) .

واذا نظرنا الى السماء في ليلة صافية لاحظنا ان بعض النجوم اكثر لمعاناً من بعضها الآخر ، ولكن يجب ان لا نأخذ هذا اللمعان دائماً دليلا على ضخامة النجم ، لان بعض النجوم قد تكون اكثر لمعاناً من نجوم اخرى اضخم منها ، لا لشيء الا لأن الاخيرة ابعد عن الاولى .

وربما يخيل الى البعض منا ان النجوم مبعثرة فى السماء دون ان يكون لها

---

(١) قد شرحنا هذا الموضوع فى بقية اجزاء التكامل شرحاً وافياً .

نظام ثابت ، وفي هذا خطأ شديد . إذ الواقع انها منظمة الى ابعد الحدود ، بحكمة الله جلت قدرته في مجموعات : هي التي تسمى بالمجرات . ومن اهمها بالنسبة لنا : المجرة التي نحن من ابنائها وهي تشتهر عندنا باسم : (سكة التبانة) ، بينما تشتهر عند الاوربيين باسم : (السكة اللبنية Milky way) ويمكننا ان نميزها بسهولة اذا نظرنا الى السماء حيث نجد انها تمتد على شكل نطاق عظيم متصل لا نهاية له ، وفى هذا النطاق تتزاحم النجوم بدرجة يجعل لونها يميل الى الى البياض . وهذا هو السبب الذي اوحي للعرب بأن يطلقوا عليه اسم : سكة التبانة ، وفى هذه التسمية تشبيه بين النجوم الكثيرة المتناثرة وجزيئات التبن التى تتطاير على طول الطريق الذي يسير فيه بائعوه . وهو نفس السبب الذي اوحي للكتاب الغربيين ان يطلقوا عليه اسم : (طريق اللبن) .

وليست شمسنا بكواكبها واقمارها الا جزءاً من هذه المجرة ، ولكنه جزء ضئيل جداً لا يشغل منها الا مساحة اشبه بالمساحة التى تشغلها حبة رمل واحدة من اراضي مصر كلها .

وبالاضافة الى مجرتنا : سكة التبانة ، خلق الله مجرات اخرى كثيرة جداً ، بعضها اكبر من مجرتنا حجماً ويبلغ عدد المجرات المعروفة عندنا لحد اليوم مائة مليون مجرة تقريباً . ومن اقربها الى مجرتنا مجرة : الأندروميدا ، او ، المرأة المتسلسلة ، وهي تبعد عنا بنحو ٧٥٠ الف سنة ضوئية ، ولهذا فليس من العجيب ان نراها ضئيلة في الفضاء ، وهي تبدو على شكل سحابة صغيرة يبلغ طولها حوالي قطر قرص القمر عندما يكون بدراً ، بينما يبلغ عرضها نصف ذلك تقريباً وهي ذات ذراعين يميزانها عن غيرها من المجرات .

وتفصل المجرات بعضها عن بعض مسافات شاسعة جداً من الفضاء يبلغ طولها فى المتوسط حوالي مليونين من السنين الضوئية ، وهي جميعاً تتبع نظاماً واحداً فى حركاتها . فكل مجرة منها تدور حول نفسها كما يدور قرص الرحى ، وكل نجم من نجومها يدور حول نفسه بنفس النظام وكل كوكب أو قمر من اقمارها يدور كذلك بنفس النظام وفى نفس الاتجاه ولكن بسرعات مختلفة ، كما نشاهد ذلك في حركة الالكترونات حول البروتونات المتجمعة فى بطن الذرة ولكن بسرعات مختلفة ايضاً . وهذا دليل على وحدة الخلق ووحدانية الخالق جلت عظمته « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » (١) « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ، ان الله سميع بصير » (٢)

ويبلغ قطر مجرتنا : (سكة التبانة) من أحد طرفيها حتى طرفها الآخر مائة الف سنة ضوئية ، وتقع الشمس على بعد حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركزها ، وتدور الشمس حول هذا المركز مرة كل ٢٥٠ مليون سنة تقريباً : « وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » (٣) .

وحتى في المجرة الواحدة تجد أن الابعاد التي تفصل النجوم بعضها عن بعض شاسعة جداً . فالبعد بين شمسنا وبين اقرب النجوم الاخرى الينا يزيد على ٤١ مليون مليون كيلو متر أو : (٢٦ مليون مليون ميل) أي

---

(١) سورة الملك : ٣

(٢) سورة لقمان : ٢٨ ، (٣) سورة الحج : ٤٧

حوالي ٤٫٤ سنة ضوئية . فلو اننا مثلنا الشمس بنقطة وأردنا ان نمثل اقرب نجم لها لمثلناه بنقطة اخرى تبعد عن الاولى بنحو ٦ كيلو مترات !

وهكذا نجد اننا بأرضنا وشمسنا وقمرنا واقربائنا من الكواكب وتوابعها فى عزلة تامة عن سائر الاكوان ، ويفصل بيننا وبينها فضاء تام لا نعرف حتى الآن صفاته على وجه التحديد .

وشمسنا عبارة عن كرة ضخمة ملتهبة قطرها ١٫٢٢٤٠٠٠ كيلو متر أو : (٨٦٥٣٨٠ ميلا) ، اما الارض فقطرها بين القطبين ١٢٧١٤ كيلو متراً = (٧٩٠٠ ميل) ويزيد قطرها الاستوائي بنحو ٤٣ كيلو متراً . اما حجمها فلا يزيد على $\frac{١}{٣٣٣٤٠٠}$ فقط من حجم الشمس .

وتقدر درجة الحرارة على سطح الشمس بنحو ٦٠٠ درجة مئوية ، اما في باطنها فترتفع الى اكثر من ٢٠ مليون درجة . ويمكننا ان نقدر مدى هـذه الحرارة اذا عرفنا ان الحديد ينصهر فى ١٥٠٠ درجة مئوية فقط .

وتتولد حرارة الشمس وغيرها من النجوم نتيجة للانفجارات الذرية والهيدروجينية التي تحدث فيها باستمرار بسبب الضغط والحرارة العظيمين في باطنها من ناحية ووجود عنصري الهيدروجين والهيليوم بكثرة هائلة فيها من ناحية اخرى . فمن المعروف ان هذين العنصرين هما العنصران الاساسيان فى توليد الطاقة الهيدروجينية ، وفضلا عن ذلك فقد ثبت ايضاً : أن اليورانيوم وهو العنصر اللازم لتوليد الطاقة الذرية موجود هو الآخر بكثرة هائلة في الشمس ولكنه أقل نسبياً من الايدروجين والهيليوم .

وتنبعث من الشمس باستمرار اشعاعات قوية جداً ولكن لا يصل الى ارضنا منها الا ما يعادل $\frac{١}{٢٢٠٠٠ \text{ مليون}}$ فقط . وهي ميزة لم يخص بها أي كوكب آخر ، فلو أن الارض اقتربت من الشمس اكثر مما عليه الآن لازدادت الاشعة التي تصل اليها بدرجة تؤدي الى امتناع الحياة فوقها ، كما هي الحال في عطارد والزهرة ، ولو انها ابتعدت عنها اكثر مما هي عليه الآن ، لحدث العكس وقلت الأشعة وازدادت قسوة البرد بدرجة تؤدي كذلك الى امتناع الحياة ، كما هي الحال في المشترى وزحل وغيرهما من الكواكب التى تلي الارض من الناحية البعيدة عن الشمس : وهو القائل : « فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم » (١)

فالله تعالى بعظيم حكمته وسريع حسابه اختص الارض بهذا الموقع ، وكذلك اختصها بميزة اخرى لم تكن الحياة لتقوم بدونها ، وهذه الميزة هي انها مغلفة تماماً بغلاف غازي كثيف يتكون من جميع العناصر الضرورية للحياة . وهذا بخلاف الحال بالنسبة لباقي الكواكب التي ليس لأي واحد منها غلاف هوائي كافٍ لظهور الحياة ، وان كان بعض علماء الفلك يعتقدون أن المريخ له غلاف غازي ولكنه رقيق جداً ، وغير صالح للحياة لخلوه من الاوكسيجين ، وان الزهرة لها كذلك غلاف غازي . ولكنه مكون فى جملته من ثاني اوكسيد الكاربون مما يجعله هو الآخر غير صالح لظهور الحياة ، وكذلك قمرنا المعروف له غلاف غازي ولكنه رقيق جداً وخالٍ من العناصر الضرورية للحياة مثل الاوكسيجين .

---

(١) سورة الواقعة : ٧٥ ـ ٧٦

وتدور الكواكب والكويكبات كلها حول الشمس في افلاك إهليلجية (بيضاوية تقريباً) تقع كلها فى مستوى واحد تقريباً ، ولكنها تختلف فى سرعة دورانها سواء حول الشمس أو حول نفسها . إلا أن سرعة دورانها تكون اكبر بصفة عامة كلما كانت اقرب الى الشمس . فبينما يتحرك عطارد في فلكه حول الشمس بسرعة ٤ كيلو مترات في الثانية نجد ان سرعة الزهرة هي ٣٥ كم والارض ٢٩٫٥ كم والمريخ ٢٤ كيلو متراً في الثانية .

ومن المعروف أن جاذبية الشمس هى العامل الرئيسى الذي يتوقف عليه نظام حركة الكواكب في افلاكها ، وما ذلك الا لعظم حجم الشمس التى تستحوذ بمفردها على ٩٨٫٨٦٦ ٪ من حجم المجموعة الشمسية كلها . أما بقية المجموعة بكواكبها وكويكباتها واقمارها فتكون ١٫١٣٤ ٪ .

وان المشترى اكبر الكواكب حجماً ويعادل حجم الارض وحدها ٣١٨ مرة . وأقرب الكواكب الى الارض هي الزهرة التي يبلغ حجمها ٦/٥ من حجم الارض ، ويلي الزهرة في ذلك : المريخ ثم عطارد ويبلغ حجمها ٩/١ و ٢٧/١ من حجم الارض على الترتيب .

ويعتبر المشترى اكثر الكواكب اقماراً ، اذ أن له احد عشر قمراً ويليه فى ذلك زحل وله تسعة اقمار .

وتضم المجموعة الشمسية ، بالاضافة الى الكواكب والاقمار التى سبق ذكرها عدداً كبيراً من المذنبات Comets التى تدور حول الشمس في

افلاك مستقلة ليست لها علاقة واضحة بالافلاك التى تدور فيها الكواكب السيارة . وأهم ما تتميز به المذنبات هو الغازات الملتهبة التى تنبعث منها وتظهر خلفها على شكل ذنب طويل قد يمتد الملايين الكيلو مترات . وتخرج من رؤوس المذنبات كذلك اجسام مختلفة الاحجام من نوع الشهب ، وتدور هذه الاجسام مع المذنب وكثيراً ما تحترق خصوصاً عندما يكون المذنب فى اقرب وضع له من الشمس ، فيساعد احتراقها هذا على زيادة حجم المذنب ، وهناك عدد من المذنبات المعروفة التى من اشهرها : المذنب هالى : Halley والمذنب مورهاوس Morehouse ويتميز هذا الاخير بأن له ذنبين .

ويجب ان نشير هنا ايضاً الى تلك الاجسام الكونية التي تنتشر بكثرة هائلة في الفضاء وتشمل الشهب والنيازك والغبار الكوني ، والشهب Meteors ليست الا جزيئات صغيرة جداً ، قد لا يزيد حجمها على حجم حبات الرمل . وهي تندفع باستمرار نحو الارض بمعدل عدة آلاف يومياً . ولكنها لا ترى الا عند اختراقها للغلاف الغازي المحيط بالارض لان احتكاكها الشديد بالهواء يؤدي الى احتراقها وظهورها مضيئة .

ومنظر الشهب المحترقة في الجو منظر مألوف لنا جميعاً . ويمكننا ان نشاهده بكثرة في الليالي الصافية . ففي مثل هذه الليالي يستطيع المرء ان يحصي اكثر من عشرة من الشهب المتساقطة في الدقيقة الواحدة ، وتكون سرعة هذه الشهب عند اختراقها للغلاف الغازي عظيمة جداً .

بحيث تصل احياناً الى حوالي ٧٠ كيلو متراً في الثانية . ولهذا فان اغلبها لا يصل الى الارض بل يحترق ويتبخر في الفضاء . وهذا فضل من الله سبحانه وتعالى ، فلولا ذلك ، لكانت لهذه الشهب اخطار شديدة جداً على كل مظاهر الحياة على وجه الارض ، بسبب قوة اندفاعها التى تزيد على قوة اندفاع اقوى المقذوفات النارية على الرغم من صغر حجمها . « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون » (١)

أما النيازك Meteorites فلا تختلف في اصلها عن الشهب ، وكل ما هنالك هو انها لا تحترق ولا تتبخر تماماً فى الجو بل تستطيع أن تصل الى سطح الارض . ويرجع ذلك غالباً الى انها تكون اكبر حجماً واثقل وزناً من الشهب العادية ، وليس هناك حجم او وزن معين لهذه النيازك ، فقد يبلغ وزن البعض منها عشرات الاطنان . واذا ما سقطت مثل هذه النيازك على بقعة عامرة ، فقد يترتب على سقوطها حدوث خسائر جسيمة ، ولكن سقوطها نادر الحدوث جداً بفضله تعالى .

ومن اشهر النيازك التي سقطت على الارض ذلك النيزك الذي سقط على سيبريا سنة ١٩٠٨ واختفت بسببه الحياة النباتية اختفاءاً تاماً من منطقة قطرها حوالي ٧٥ ميلا ، ثم النيزك الذي سقط على اريزونا وتكونت بسببه حفرة اشبه بفوهة بركان ضخمة قطرها حوالي كيلو متر

---

(١) سورة الانبياء : ٣٢

ونصف وعمقها حوالي ١٨٠ متراً . ولا يزال هـذا النيزك ظاهراً في قاع تلك الحفرة حتى الآن على الرغم من تراكم الرمال فوقه .

اما الغبار الـكوني Cosmic Dust فيتكون من جزيئات ميكروسكوبية تسبح بكثرة هائلة في الفضاء ، وقد اجريت فى روسيا والولايات المتحدة خلال السنوات الاخيرة عدة تجارب لدراسة اثر هذا الغبار على الاجسام الصلبة ، حيث كانت تطلق في الفضاء الى اقصى ارتفاع ممكن اطباق مصنوعة من معدن مصقول جداً (الاطباق الطائرة) ، وقد تبين من اختبار هذه الاطباق بعد عودتها الى الارض أن بها آثاراً عديدة جداً لضربات الحبيبات الدقيقة للغبار الـكوني ، ولـكنها عموماً آثار صغيرة جداً ، لدرجة ان اغلبها لا يرى الا بالميكروسكوب .

وقـد تبين من بعض التجارب التي اجريت فى الولايات المتحدة خلال سنة ١٩٥٣ والتي اطلقت فيها الطباق طائرة وصلت الى ارتفـاع يتراوح بين ٤٠ و ١٤٠ كيلو متراً في الفضاء ، أن الضربات التى سجلت على هذه الاطباق من حبيبات الغبار الـكوني كانت تحدث بمعدل ٤٫٩ ضربة في الثانية على السطح الذي تبلغ مساحته متراً مربعاً واحداً .

وقد علم اخيراً ان هناك نوعاً آخر من الاشعاعات الخطرة فى الفضاء على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متر ، وان هذه الاشعاعات شديدة جداً لدرجة انها كانت تؤدي الى تعطيل عمل الاجهزة الخاصة بقياس الأشعة فوق البنفسجية .

* * *

على الانسان ان يتصاغر امام عظمة الله تعالى ، تلك العظمة التى تتجلى بعض مظاهرها في ما خلق من هذه العوالم اللانهائية وما فيها من انظمة دقيقة ومعادلات رصينة ودساتير ثابتة ، فاذا رأى حادثة لا يقوى على تفسيرها وكشف الحكمة فيها ، فليصم نفسه بالجهل لقلة معلوماته عن هذا الكون الغامض . فمن شاهد لوحة تصوير فى غاية الاتقان والبداعة ورأى في اسفلها بعض الخطوط والنقوش ولم يتمكن من تفسيرها وتعليلها فلا ينبغي ان يصم المصور الفنان بفقدان الذوق ، بل عليه ان يتهم نفسه بعدم الفهم بعد ان شاهد الروائع والكمال الى اقصى حد ممكن في اللوحة بأسرها .

نعم ، كان يقول : (بوخنر) المادي « بما أنا لا نعلم سبب وجود هذه النجوم بهذه الكثرة إذن ليس هناك هدف من خلق هذا العالم ، وقد وجد هذا الكون بطريقة عشوائية ! » حين ان الرجل لم يكن من المتضلعين في علم الهيئة والفلك والميكانيك السماوي ، ولم يكن قد اكتشف فى وقت قال فيه قولته الالحادية : علم الفلك اللاسلكي وخصائص الذرة ومعادلاتها الرصينة . نعم ان النفوس الحالكة لا يصدر منها الا ما يناسبها . « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . (وكل اناء بالذي فيه ينضح) .

يقول (ويليام كروكس) وهو احد اساطين علم الذرة : « ان اعتقادي بجهلي هو الذي ساعدني فى دراساتي الروحية وكشف كثير من اسرار الطبيعة : تلك التي ما كنت اتوقع ان تنكشف لي ابداً » .

ويقول : (اوليفر لودج) ، وكانت له يـدٌ في كشف اللاسلكي : « ان ما اعلمه صفر تجاه ما لا اعلمه » ، وقد يعترف البعض بجهلهم لا عن عقيدة راسخة ، الا اني اقول ذلك واعترف بجهلي عن عقيدة رصينة وايمان كامل » .

وكان يقول (اينشتاين) شيخ علماء العصر الحديث ، بعد ان رماه بعض اعدائه بالكفر والالحاد نتيجة لما نشره من نظريات في علوم الطبيعة والكون : « كيف يتهمني هؤلاء الناس بالكفر والالحاد ، وانا الذي يزداد ايماني في كل يوم بوجود الله وعظمته ، فكلما تعمقت في العلم تبين لي بجلاء ان هذا الكون بنظامه الدقيق لابد ان يكون له خالق عاقل ، له القدرة على تنظيمه والمحافظة على هذا التنظيم » (١)

ويقول العالم الامريكي (فون براون) : « ان العالم الحقيقي هو الذي يزداد ايمانه بالله كلما تبحر في العلم ، لانه كلما تعمق في دراسة علوم الطبيعة مثلا تبين له ان بعض التعبيرات الرنانة التي يستخدمها في دراساته مثل : الطاقـــة والمادة ما زالت في الواقع غير مفهومة له ، وفضلا عن ذلك ، فان هناك مشاكل كثيرة ما زال الانسان وسيظل دائمـاً عاجزاً عن تفسيرها وحل الغازها ومن اهمها مشاكل الوراثة ، ويكفي ان يعرف الانسان انه يولد من ابوين لا يمكن ان يكون له أي دخل في اختيارهما » .

* * *

فلله في خلقه شؤون ، وهو خير محض وما يصدر منه خير محض

---

(١) اسرار غزو الفضاء : ص : ٣ للدكتور عبدالعزيز شرف

وعن حكمة تامة ، ليس لهذا البشر ان يحيط بجميعها ، فيعزو لغروره الكوارث والنوائب والزلازل الى البلبلة وعدم الانتظام والهدف فى هذا الكون المنظم بدساتير رياضية وبحكمة بالغة الى أبعد الحدود .

وعلينا ان نعلم انه لم يؤتَ بنا الى هذه الدنيا الموقتة لنخلد فيها ولكي ننعم بأنواع النعم والملذات ، وانما جيء بنا ها هنا لكي نقطع هذا الدور الامتحاني ونذهب منها حسب الدرجة التكاملية التى نحصل عليها بعملنا وحسب جهدنا وجهادنا : « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه » (١) « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » (٢) . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » (٣) .

* * *

أما موضوع الموت ، فليس بالشيء الذي يقلق البال ، وقد يكون موت هؤلاء الاطفال لزلزلة أو عاصفة شديدة وهم غير مثقلين بالذنوب خيراً لهم من أن يموتوا بعد عمر طويل وهم مليئون بانواع الآثام والاجرام . وانهم بهذا الموت الفجائي اقرب من غيرهم الى رحمة الله تعالى . فالدنيا دار ممر والآخرة دار مقر . ويقول علي (ع) : « ماذا يصنع بالدنيا من خُلق للآخرة » .

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » (٤) .

* * *

---

(١) سورة العنكبوت : ٦ (٢) سورة النجم : ٣٩ ـ ٤٠

(٣) سورة العنكبوت : ٦٩ (٤) سورة العنكبوت : ٦٤

وخلاصة القول : على الانسان ان يعلم : أن لا شر من جانب الله تعالى ، وكل ما يرد من جانب الله فهو إما رحمة أو تأديب او عقاب دنيوي لسعادة اخروية دائمة ، واما مطهر لهذه النفس من ذنوبها وادرانها ، وأن يعلم ان الله غني عن هذا الانسان وعن ظلمه وتعذيبه . ولكنه وهو الكامل على الاطلاق يريد به الكمال ، شأنه في كل ما خلق ، لأن الكامل لا يصدر منه الا الكمال . وقد يتوقف كمال هذا الانسان بما يطهره ويؤدبه ، ونعم الادب ، ادب الله تعالى . فقد قال رسول الله (ص) « أدبني ربي فأحسن تأديبي » ، وهو القائل : « يعظكم لعلكم تذكرون » (١) .

والانسان لحرصه الكثير على الراحة وحبه للخير وميله الى المادة يظن الكوارث أو بعض البلايا أو الاسقام شراً من الله تعالى ، « ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد » (٢) وهو القائل : « ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك » (٣) فكل خير منه تعالى والشر مما اجترحت ايدينا .

فالكارثة أو المصيبة انما تأتي لتطهير النفس من ذنوب ادبرت لذاتها وأقامت تبعاتها ، فهي رحمة وأيما رحمة ، وقد أتم الله الحجة علينا بشتى الوسائل والمناسبات ، وقد تكون لمزيد الاجر ونيل درجات رفيعة ،

---

(١) سوره النحل : ٩٠

(٢) سوره العاديات ٦ ـ ٨ (٣) سوره النساء : ٧٩

وقد تضم الحادثة الواحدة بين جوانبها شتى التأثيرات . فرحة لقوم ونعمة او عقاب لآخرين ونقمة ، أو عبرة لقوم وموعظة للمتعظين ، كالطوفان والرياح والعواصف الى ما هنالك .

فليعمل الانسان لنيل الدرجات العالية في عوالم القدس وليحسن الظن بربه ، ففي حديث قدسي عن الله تعالى : « اني عند حسن ظن عبدي » .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١)

* * *

ولنذكرها هنا بعض الادعية التي لها اثرها الفعال في تسكين النفس وإزالة بعض الهموم :

فعن الصادق (ع) : « اذا حزنك أمر من سلطان او غيره فأكثر من : « لا حول ولا قوة إلا بالله » فانها مفتاح الفرج . وكنز من كنوز الجنة .

وقد روي ان من صلى ركعتين بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة ، يقرأ في كل ركعة بعد الحمد سبع مرات سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) ويدعو بعدها بهذا الدعاء :

« اللهم اجعلني من اهل الجنة التي حشوها البركة وعمارها الملائكة مع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وأبينا ابراهيم عليه السلام » لم يرَ بلاءاً أو فتنةً الى الجمعة الآتية ويجمع الله بينه وبين محمد (ص) وابراهيم (ع) .

وعن ابي حمزة ، قال : قال محمد بن علي عليهما السلام : يا أبا حمزة ، ما لك اذا اتى بك أمر تخافه أن لا تتوجه الى بعض زوايا بيتك ـ يعني القبلة ـ فتصلي

---

(١) سورة التوبة : ١٠٦

ركعتين ، ثم تقول « يا ابصر الناظرين ويا اسمع السامعين ويا اسرع الحاسبين ويا ارحم الراحمين » سبعين مرة ، كلما دعوت بهذه الكلمات (مرة) سألت حاجة (١) .

وعن اسماعيل بن جابر ، عن ابي عبدالله (ع) في الهم ، قال : تغتسل وتصلي ركعتين وتقول : يا فارج الهم ، يا كاشف الغم ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها ، فرج همي واكشف غمي ، يا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، اعصمني وطهرني واذهب ببليتي . واقرأ آية الكرسي والمعوذتين . (سورة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس) .

كان علي بن الحسين عليهما السلام ، يقول : ما ابالي اذا قلت هذه الكلمات لو اجتمع علي الانس والجن : بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (ص) ، اللهم اليك اسلمت نفسي واليك وجهت وجهي واليك الجأت ظهري واليك فوضت امري . اللهم احفظني بحفظ الايمان من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ومن قبلي (٢) وادفع عني بحولك وقوتك ، فانه لا حول ولا قوة الا بك (٣) .

وخاتمة المقال : علينا أن نعلم ان النوائب والكوارث بأنواعها المتعددة رحمات وألطاف ربانية تهدينا الى الصراط السوي وتزيل عنا ما علق بنا من أدران ، فتطهر نفوسنا وتجعلها قمينة لمعرفة الله المتعال ، وهي غاية الغايات .

« وما الله يريد ظلماً للعباد » (٤)

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص : ٥٥٦ (٢) في بعض النسخ (وما قبلي)

(٣) نفس المصدر ص ٥٥٩ (٤) سورة المؤمن : ٣١

« وما ربك بظلام للعبيد » (١)

« وما أنا بظلام للعبيد » (٢)

« ذلك بما قدمت ايديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد » (٣)

« ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت ايديكم ، وان الله ليس بظلام للعبيد » (٤) « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله ، له في الدنيا خزيٌ ونُذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك ، وان الله ليس بظلام للعبيد » (٥) .

« ووضع الكتابُ ، فترى المجرمين مُشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا احصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك احدا » (٦) .

« ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور . ولئن أذقناه نعماءَ بعد ضراء مسته ليقولنّ ذهب السيئات عني ، انه لفرح فخور ، إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرةٌ وأجر كبير » (٧) .

---

(١) سورة حم ـ سجدة : (٤٦)

(٢) سورة ق : ٢٩

(٣) سورة آل عمران : ١٨٢

(٤) سورة الانفال : ٥٠ ـ ٥١

(٥) سورة الحج : ٨ ـ ١٠ (٦) سورة الكهف : ٤٩ ، ٥٠ ـ مشفقين : خائفين

(٧) سورة هود : ٩ ـ ١١

ونسأل الله ان نكون ممن صبروا على النوائب والمحن وعملوا الصالحات ، فنالوا اجراً ومغفرة من الله المتعال ولم يكونوا من الآئسين من رحمته تعالى اذا نزعت منهم رحمته لحكمة ربانية خفيت علينا ، وان لا نكون فرحين فخورين ، اذا منّ الله علينا بنعماء بعد ضراء ، فنكون ممن استثناهم الله في ما سبق من آيات بينات ، بقوله جل من قائل : « إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، اولئك لهم مغفرة وأجر كبير » .

اسلام روجيه في بروكسل (١)

بدأ والد روجيه حياته المبكرة عامل كهرباء عند أحد المتعهدين الذين يتولون تمديد الاسلاك ، وتوقيع مرافقها المختلفة . . ولكنه كان من الفطنة ونفاذ النظر بحيث لا يفوته ان ينتفع بكل لحظة وكل سانحة ، لذلك لم يكد يستوثق من قدرته الذاتية وخبرته المكتسبة حتى عمد الى الاستقلال بعمله ، فأحدث لنفسه مركزاً صغيراً في ابرز شوارع انفرس . . ثم لم يمض سوى القليل من الزمن حتى عرف لدى اصحاب الانشاءات بأنه من ابرع العاملين في هذه المهنة واكثرهم اخلاصاً واتقاناً ، ومن هنا شق الطريق الى قمة النجاح ، حتى اصبح اليوم من اكبر تجار الادوات الكهربائية ، ليس فقط في انفرس بل في مختلف الانحاء من بلجيكا وما يجاورها من المدن الهولندية والفرنسية .

ولعل من حسن حظ (روجيه) أن يلده هذا المصامي الناجح ، وأن يتولى هو نفسه تربيته وتنشئته ، بالدقة نفسها التي اعتاد ان يبذلها في ميدان العمل والتجارة ، وكان من الأسس الاولى لهذه التربية أن

---

(١) للاستاذ محمد المجذوب ، من مجلة حضارة الاسلام ، للسنة الرابعة شوال : ١٣٨٣

يحرر مواهب ولده من كل ضروب التقييد ، فيفسح له مجال البحث في كل شيء ، ويمكنه من الاطلاع على كل ما من شأنه مساعدة هـذه المواهب على الانطـلاق . . وقد تعمد بوجه خاص ان يقوي في ولده جانب الاعتماد علي النفس ، فلم يكرهه على اتجاه محدد . حتى في نطاق الدراسة ترك له ان يقف عند حدود الشهادة الاعدادية دون ان يضغط عليه للملازمـة المدرسة . . وربما كان غرضه من ذلك ان يجعله اقرب الى عمله هو . . الذي لا يتطلب منه انقطاعاً الى الدراسة ، التي قد تحيد به الى أي اتجاه آخر .

على أن انقطاع (روجيه) عن المدرسة لم يصرفه عن مواصلة الدرس بطريقته الخاصة ، فلقد اقبل على المطالعة الحرة يلتهم بها كل ما وصلت اليه يده من الكتب ، ولاسيما في موضوعات الادب والتاريخ والآثار القديمة ، وقد ركز ذهنه في هذا الطريق عناية والده بالسياحات الدورية ، اذ كان شديد الحرص على هذه الهواية يخصص لها من كل عام شهراً كاملا ، فما ان تشرق شمس الربيع حتى يشحن سيارته الخاصة بضروري الامتعة وطيب الزاد ، ثم ينطلق مع ولده الى الجهة المقررة ، فلا يزالان يتنقلان بين آثارها حتى يأتيا على اجازتهما ، فيعودا وقد ملآ اعينهما ، واترعا صدريهما بالمتع التي لا تنسى . وحتى الآن لم يدعا جانباً هاماً من اوربا دون ان يأخذا بحظ من مشاهدته وتملي آثاره . . وها هما ذان يتمان طوافهما بين آثار اليونان وقد انتهت بهما الرحلة الى جزيرة (رودس) حيث مضى عليهما قرابة الاسبوع .

كان التقدير المبدئي ان لا تزيد اقامتهما في رودس عن اليومين ، ولـكن رغبة روجيه في تمديدها ، واهتمام والده بتحقيق رغبته ، فرضا على الوالد ان

يعدل تخطيطه السابق ، ليتيح لولده ان يستكمل مشاهدته فى الجزيرة اليونانية .

وكان روجيه يقوم بجولة منفردة فى بعض شوارع رودس حين وجد نفسه امام مسجدها الوحيد . . ورأى هيكل المسجد شيئاً طريفاً تقع عليه عيناه لاول مرة خارج نطاق الرسوم السياحية . . فلم يشأ ان يبارح ذلك الموقع قبل ان يطل على داخله ، ويشهد حالة رواده اثناء بعض العبادات . . واتفق ان حدث ذلك ظهر يوم الجمعة ، اذ رأى افواج المصلين يتجهون نحو المسجد فلم ينتبه لنفسه الا وهو بينهم متجهاً الى مدخله وهناك خلع نعليه بالطريقة التي رآها من الناس ، ثم جلس كما جلسوا ، وصمت كما صمتوا ، ولما نهضوا الى الصلاة وجد نفسه يفعل فعلهم ، ولكنه اكتفى بالوقوف ينظر اليهم دون ان يعلم ماذا ينبغي ان يعمل . . ولما جلسوا يستمعون الى الخطيب شاركهم في الاصغاء دون ان يفهم حرفاً مما يسمع .

وانتظر روجيه حتى غادر معظم المصلين المسجد . . فتقدم صوب المحراب حيث كان الامام الخطيب لا يزال يستقبل الدعاء فما ان أحس هذا باقترابه حتى انهى دعاءه ونهض ليصافحه ! وكان من حسن حظ روجيه ان الرجل يحسن الفرنسية الى حد كان كافياً للتفاهم معه ، وبهذه اللغة دارت بينهما المحاورة القصيرة التالية :

— انا بلجيكي من انفرس . . اقوم بسياحة مع والدي . وقد استهواني منظر هذا المعبد الشرقي فدخلته وشهدت صلاة الناس فيه .

— الف مرحباً . . هل سرك ما رأيت ؟

— بل استهواني .

— وبماذا ؟.

- بهذه البساطة وذلك الخشوع الذي رأيته يغمر الناس .. وراح روجيه يجيل عينيه في جدران المسجد ثم تابع : ان خلو هذه الجدران من الرسوم مما يساعد النفس على الاستغراق فى اعمق الخشوع ، لانها لا تجد حولها ما يصرفها عن الله .

ولقد رأيتك تتحدث من أعلى المنبر الى الناس فى هيئتك العادية دون مساعدة من المغنين ، ودون استعانة بالبخور .. فتتجاوب معك نفوسهم حتى لتسيل دموع الكثيرين منهم دون تصنع .. وهذا ما لا يكاد المصلون الآخرون يحسونه في معابدهم التي احالتها ايدي الفنانين متاحف تشغل الناظر عن نفسه وما جاء من اجله .. ثم اصارتها حركات الكهنة وجوقات المغنين شبه مسارح ، لا يكاد المشاهد يفرق بينها وبين أي مسرح للتمثيل ! ! .

- هو امتياز الاسلام .. لانه الدين الذي انزله خالق العباد لاسعاد عباده ، فطبيعي ألا يكون بينه وبين الفطرة البشرية أي تباين .

— يؤسفني أن لا اعرف شيئاً ذا بال عن هذا الاسلام .

— اكثر ما يعرف هذا الاسلام من خلال سلوك المسلمين .. وهذا ما يتعذر على الاوربي ان يدركه ، وهو الذي لا يعرف هذا الدين الا من خلال اكاذيب اعدائه ! .

— حقاً .. ان هناك اشياء سيئة قرأتها عنه فى بعض كتب « لامانس » المبشر اليسوعي البلجيكي ، وكم أود لو يتاح لي قضاء

بعض الوقت في وسط اسلامي صحيح ، لأتبين الحقيقة التي لا تتيسر معرفتها إلا من خلاله .

— كم يسرنا ان نستقبلك ضيفاً كريماً فى ما بيننا .. فلعلك بذلك واقف على بعض ما تشاء من هذا الامر ، مع العلم بأننا لا نعتبر انفسنا أهلا لتمثيل فضائل الاسلام على الوجه الذي يقتضيه .

وصحب روجيه امام المسجد الى والده الذي كان ينتظره في حديقة الفندق وهناك قر الرأي على ان يكون الأبن فى ضيافة الشيخ اياماً ثلاثة ، وبهذا قدر لروجيه ان يعيش أحب ايام حياته ، في اوساط تلك الجالية التي تعرف من سلوكها واخلاقها ومعاملاتها الكثير من حقائق الاسلام .

— ٢ —

لا يتذكر روجيه انه عاد من رحلة ما خلال عشر سنوات مضت بمثل الشعور الذي يخالجه هذه الايام التى اعقبت عودته من بلاد اليونان .

كان فيما مضى اذا رجع من رحلة أعاد النظر فى مذكراته ، يرتبها وينقح عباراتها ، ويتحقق من صحتها ، ثم يطويها فلا يعود اليها إلا في الاحيان المتباعدة ، عندما يريد التحدث عن مشاهداته الى أحد ، أو عندما يقع في مسمعه خبر عن أحد هذه الاماكن التي ألم بها اثناء هذه الرحلات ، وكلما أوغل الزمن في الكر على هـذه الاحداث اسرع النسيان بدوره الى آثارها في ذهنه ، حتى تصبح اخيراً اشتاتاً من الذكريات ، لا تستيقظ في صدره إلا تحت ضغط المناسبات المشابهة .

على أن رحلته الاخيرة كانت شيئاً جديداً في وجوده ، اشبه بالبذرة

الحية صادفت الجو المخصب ، فاذا هي تربو وتنمو ثم تمد ساقها وتطلق اوراقها ، ولا تزال تنتشر هنا وهناك ، حتى تمسي دوحة ذات كيان وظل وجمال ؟. ولقد ضمرت في ذهنه آثار (الكروبول) وعبر (بومبي) وتماثيل الآلهة وروائع الطبيعة في البندقية وصقلية ، حتى كادت تغيب أو تمحى .. ولكن شيئاً واحداً من بقايا هذه الرحلة ظل ، على بساطته ، ثابتاً لا تزيده الاصباح والامساء إلا تعميقاً وامتداداً .

ذلك هو مشهد المسجد بقبته المستديرة البيضاء ، وبمنارته القائمة في الهواء تشد أعين الناس لتذكرهم بما تحتها من خشوع لله لا يشوبه شاغل من زخارف الدنيا .. ثم ذلك الانسان العجيب الذي ترك حديثه واطمئنانه وسمو روحه في اعماق روجيه ما لا يمكن زواله على مر الايام ، وتتابع الاحداث .. انه ليتذكر هيكله الفارع ، ونظراته الرحيمة وعمامته الناصعة البياض كقلبه النقي فتتفاعل نفسه بالمعاني التي لا يسعه تحديدها ، ولم يكن له بمثلها عهد من قبل .. وتستتبع ذكريات الشيخ صور الأسر التي عاش في ظلها تلك الايام الثلاثة ، ينتقل من ضيافة كريمة الى اخرى مثلها ، وكأنه يعيش في جنة من غير هذا العالم لا تقع منها العين على سوء ، ولا يمس السمع ما يجرح أو يخجل . وانما هي خلوات سعيدة يغمرها روح الايمان الذي يستولي على قلوب افرادها فيصفيهم من الخطيئة حتى في الضمير ، فاذا هم آية في نقاء الخاطر ، وسلامة الفطرة وطهارة اليد ، لا يأتون امراً ولا يذرون شيئاً إلا على ضوء من روح ايمانهم ، الذي نظم علاقتهم بما حولهم على اساس من تعاليم السماء . فما من شيء الا وله في تعاليمهم هذه حكم الحلال او الحرام .. وقد بات انسجامهم مع هذه النظم شيئاً

طبيعياً كالملكة الاصيلة لا سبيل الى عصيانها ، بل انهم ليجدون أقل انحراف عن سبيلها باعثاً لاكبر الشقاء .

وشيء آخر لا يقل في الروعة عن كل اولئك : هو ذلك التفتح الروحي الذي يمدهم بالحل المرضي لكل معضلاتهم ، فهم يقبلون على اعمال الدنيا بأحفل طاقات النشاط البشري ، وأتم ما يملكون من وسائل الاتقان ، فاذا ما انتهوا الى ثمرات جهودهم تناولوها شاكرين راضين لا يحسد فقير منهم غنياً . ولا قروي مدنياً ، بل اعتبروا ذلك غاية ما قدر لهم ربهم في عالم الغيب ، ومع ذلك فليس ثمة موسر يضن بالمعونة على معسر ، بل انهم ليعتبرون ثرواتهم الخاصة حقاً للجميع ، ينال منها كل متخلف ما يعوزه عند الحاجة . ويكاد لا يوجد بينهم فرد لا يحفظ ؟ حكمة نبيه العربي : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم به .. » ومن هنا كان مجتمعهم لوناً جديداً لا مثيل له بين المجتمعات التي يعرفها روجيه ، أو يقرأ عنها ، فلا حقد ، ولا بغضاء ، ولا تحاسد ، بل اخوة سعيدة تنتظم الكل في تناغم عجيب ، يجعل الجميع كالجسد الواحد ، لكل فرد منه منزلة العضو الحي . ولاشك ان مثل هذه الجماعة اغنى الناس عن هاتيك النظريات الفلسفية والاقتصادية التي تتمخض بها اوربا بأجمعها فتفكك الجماعات ، وتضرب الافراد ، وتثير حرب الطبقات ، حتى لتجعل الحياة كلها اشبه بالكرة في كف عفريت فلا يستريح فيها الفرد الى واقعه ، ولا يطمئن الى مستقبله ! لا بل أن روجيه ليتذكر ما أحسه من سعة الشقة بين واقع هذه الجماعة وواقع

الطوائف الاخرى ممن يجاورها فى فى رودس نفسها ، اذ ما يكاد الانسان يخرج من نطاقها الى غمار اولئك حتى يخيل اليه انه انتقل من عالم الى عالم . من عالم كل شيء فيه متجه الى الله مرتبط بتعاليمه ، الى عالم لا يكاد يذكر الله الا في اوقات العبادة المعينة ، حتى اذا تفلت من طقوسها انطلق الى اخرى من العبادات .. مركزها المال والجسد والوان الشهوات !.

ولقـــد بات قلب روجيه مرتعاً خصباً لموحيات تلك البيئة ، فهو اليوم يعيش الكثير من احساساتها وكأنه زود من هناك بطاقة من نوع غريب ، فيها يطل على الحياة فيرى منها ما لم يكن يرى ، ويسمع منها ما لم يكن يسمع .. انه اليوم ليقف امام الزهرة من حديقته فيتفاعل صدره بألوان المشاعر ، وينظر الى اشعة الشمس تنسكب على الأفق وتشحن الوجود بعوامل النشاط .. فاذا قشعريرة لاذة تنساب في كيانه ، فيخطفه ذلك الى ما فوق واقع التراب ، حتى ليخيل اليه انه يسمع من خلاله صوت الله او يشاهد في اليقظة وجهه !.

أجل .. انها اعين ثالثة لا يعرف مكانها من جسده ، ولكنه يحس فعلها في اعصابه وخياله .. هي التي جعلته قادراً على تذوق الحياة وتلقي اشاراتها الخفية على هذا الوجه الذي لا يحسن له تحديداً ولا تفسيراً .

لقد اصبح على أتم اليقين ان الكون بما فيه من الناس شيء تافه يبعث السأم ، ويهيج الغثيان حين ينفصل عن نور الله ، ولكنه بهذا النور وحده يتحول الى سمفونيـــة ساحرة . تنشيء الغبطة ، وتنبت

السعادة ، وتفجر الالهام ، وتنشر في اعماق البشر روح الاخوة والمحبة والسلام .. وانه لادراك لا عهد له بمثله قبل ايام رودس ، بل قبل الساعة التي جمعه القدر فيها بشيخ رودس !.

ولكم يؤسف روجيه ان لا يجد في يده أي كتاب عن الاسلام ، يفصل له المزيد من حقائقه ، ويجيبه على الكثير من اسئلته !.. لقد كانت ايامه في رودس محدودة لا تتسع لكل ما يجب معرفته . . إذ كل ما حصل عليه من هناك هو كلمات ذلك الامام التي لا تزال تعمل فى قلبه عملها .. وتلك المشاهد السلوكية التي تبينها فى حياة قومه فعلمته الكثير من فضائل ذلك الدين . . لقد ايقظت هذه المؤثرات فى كيان روجيه عطش التطلع الى الحق .. فلم يعد قادراً على الاكتفاء بما انتهى اليه ، بل قد استحالت مباديء المعرفة هذه عوامل دفع تحثه ابداً للمزيد من الاستكشاف .

إن شيخ رودس قد وصله بأسس الايمان القائمة على الاقرار بوجود الله واحداً لا شريك له ولا ولد ، وبالكتب التي انزلها على انبيائه ، وبالنشور لاداء الحساب على الاعمال ، فلا يضيع سعي مهما يصغر ، ولا تغفل ظلامة مهما تستر . . ثم بسلطان الله على الكائنات جميعاً بحيث لا يقع فى الكون كله شيء الا وفق قوانينه التي هي صورة العدل المطلق .

وانه ليستشعر الاطمئنان الكامل الى هذه الاسس ، لان عقله لا يتصور الانكار لخلق العالم ، الا اذا أمكن العقل ان يتصور انكار

نفسه وما يحس به من حوله .. وهو لم يقتنع قط بأن هـذا الخالق يمكن ان يكون له ند أو ولد ، ما دام بحقيقته مخالفاً لاجناس الحوادث وما دام كل موجود غيره خاضعاً للعناصر نفسها التي يتألف منهـا كل مخلوق من سفليات الكون وعلوياته .. وأما الايمان بالكتب والنبيين فانما هو ايمان بوحدة الدين ووحدة الانسانية ، ولا سبيل الى الاسلام الا عن طريق هاتين الوحدتين . ثم ليس في العقل حقيقة اكبر من النشور والحساب ، لانهما السبيل الوحيد الى ضبط النفوس البشرية ضمن حدود الفضيلة العليا ، ومن ثم الى تحقيق العدل المطلق الذي كثيراً ما تنصرف النفوس البشرية عن جادته تحت ضغط الاهواء والمنافع الزائلة .. واخيراً أي جدوى من الدين كله لو رفعت سلطة الله عن مخلوقاته ؟. او ترك هذا الكون فوضى لا تضبطه سنةٌ ولا قانون !.

غير أن هذا كله ـ على جلالة قدره ـ لا يروي ظمأ روحه .. فهو يريد ان يعلم بتفصيل تام اوامر الله ونواهيه ، لانه مستيقن ان الانسان اعجز من أن يعرف طريق الحق الخالص ، اذا لم يهتـد الى التعاليم الآلهية التي تحدد له معالمه .. ولاسيما بعد التعقيد الكثيف الذي طمس به الانسان دروب الحياة ، وكاد يحجب مسالكها عن العقل المجرد .

ـ ٣ ـ

وقرأ روجيه ذات يوم نبأً حرك فضوله . نبأ يتحدث عن نشاط مسلم هندي اسمه بشير ، يقيم في لاهاي . وقد جعل من داره مركزاً ثقافياً جامعاً ، يرتاده اساتذة الجامعات ، وطلاب المعرفة .. وتدعوه

بين الحين والحين بعض جامعات هولندة للمحاضرة في قضايا الاسلام والتعريف بعقائده .

وقد قرأ هذا فى صحيفة بلجيكية معروفة بالتعصب ، فهي اذن لم تنشر ذلك الخبر خدمة للعلم ، أو تقديراً لعمل هذا الهندي . وانما تريد بذلك انذار من يهمهم الامر من دعاة التبشير ورجال الاستشراق ليأخذوا حذرهم بازاء هذه البادرة غير المأمونة !.

وساورته الرغبة في زيارة ذلك الهندي ، وكانت رغبة قوية لم يستطع مقاومتها ، فلم يتردد الا ريثما اعلن أباه بالامر ، ثم قاد سيارته (البويك) عبر الحدود .

ولم يجد صعوبة في العثور على الرجل إذ الفى بين عملاء ابيه فى لاهاي من يعرفه ويشهد مجالسه ، فأخذ هـذا بيده اليه ، وفى منزل الرجل شاهد روجيه كل مظاهر العلم والثقافة العالية ، وحسب الزائر ان يلقي نظرة عابرة على تلك الكتب المذهبة ، المالئة جدران قاعة الاستقبال ، حتى يدرك انه تلقاء رجل غير عادي ، على انه لم يلبث هناك الا قليلا حتى صدمته الخيبة ، فعاد الى انفرس في اليوم نفسه ، وفي صدره شعور موجع بمرارة الاخفاق !.

لقد عبر الحدود الى لاهاي وفي نفسه لهفة الى روح كريم ، يتعهد مشاعره المتوهجة بمدد من الخير الذي قبس اضواءه لاول مرة في رودس .. ولكن سرعان ما فقد ذلك الحلم لانه وجد فى لاهاي العلم ولم يجد الروح .. وجد رجلا يملك زمام البلاغة فيرد على كل سؤال ،

ويجول في كل ميدان ، ولكنه يعجز عن ملامسة القلوب الظمأى الى الاطمئنان والحب ! (١) ويغلب على ظن روجيه ان موضع النقص فى الرجل انما يتجلى فى غروره بوجه خاص ، فهو شديد الثقة بنفسه ، قوي الاعتزاز بمعرفته لمذاهب الفلاسفة واصحاب النحل ، يتحدث الى زائريه في كبرياء الكهنة لا في تواضع الربانيين .. وكان هذا وحده كافياً لبملأ نفس روجيه بالنفرة من هذا الانسان ، الذي فى وسعه ان يعثر بأمثاله في كل مكان من هذا العالم .. المترع الى حلقه بأساطين المنطق المادي ممن لا يستطيعون مجتمعين أن يمنحوه لحظة من الاشراق الروحي الذي هو بحاجة الى المزيد منه ! .

كان روجيه غارقاً في غمرة هذه التصورات ، وهو يقود سيارته فى شوارع انفوس باتجاه متجر ابيه ، عندما لمحت عينه ذلك البناء الشرقى الضخم الذي يحمل اسم (مطعم قرطاجنة) .. وفي انسياق عفوي وجد نفسه يميل الى ساحة المطعم ليقف سيارته ، ثم يعرج الى داخله ليأخذ كأساً من الشاي المبرد .. وعندما هم بمغادرة المطعم خالجته فكرة فاقترب من صاحبه التونسي ليجري معه ـ بعد تردد خجول ـ هذا الحوار :

ـ انت مسلم ..؟

ـ طبعاً .. والحمد لله !

ـ ألا تعرف مركزاً أو جماعة يعملون لعرض الاسلام فى هذه البلاد ؟.

واطرق التونسي مليا قبل ان يجيب على سؤال روجيه هذا . ثم قال :

---

(١) كان الرجل قاديانياً من صنايع الاستعمار .

— وهل لي ان اعلم الباعث لسؤالك ؟

— انها رغبة خالصة فى تعرف هذا الدين .

— هل قرأت عنه شيئا ؟.

— قليلا .. ولكني اتصلت ببعض اتباعه من سكان رودس ، فاستهواني ما رأيت لديهم من فضائله .

— اذن فسأرشدك الى شابين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل واني لأرجو ان تجد لديهما ما ينقصك معرفته عن الاسلام .

واخذ التونسي يحدد لروجيه الشارع والمنزل والاتجاه .. وذكر له رقم الهاتف الذي يوصله بمسكن الشابين ، واشار عليه بكتابته .. ولكن الغبطة اعجلت روجيه عن كتابة أي شيء ، ومضى الى سيارته وهو يردد اسم الشارع ، ورقم الهاتف واسم الشاب الشامي الذي لقنه إياه .. واستمر على ذلك حتى دخل بروكسل ، غير انه ما كاد يغيب في زحامها حتى فقدت ذاكرته كل علامة ورقم واسم ، وراح يدور كالولب في دائرة مغلقة على غير هدى أو تعيين .. وكان مستحيلا ان يستعين بأحد لمعرفة ما يريد ، ما دام هو نفسه لا يملك أي اشارة تساعد على تعيين ما يريد !.

وبعد تجوال طويل وقف سيارته فى زاوية أحد المفارق من شارع (١٠ فيلان ١٩) ، وفي نيته ان يتصل بهاتف المطعم ، ليستعيد من صاحبه التونسي صورة المكان ورقم الهاتف .. وبينما هو متجه ناحية المكتبة المجاورة لاستعمال هاتفها اذا هو بفتى يغادرها ، وفي سمرته الجذابة

هويته العربية .. فجمد قليلا يتبين ملامحه ، كأنه يستعيد بعض الصفات التي سمعها من صاحب المطعم .. ورأى الفتى يبتسم له ثم يحييه ، فلم يتمالك أن دنا منه ، ثم صافحه كأنه صديق قديم .. وقال في أدب بالغ :

« انني افتش عن فتيين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل . وكنت أردد قبل قليل اسم احدهما ، غير انني نسيته في زحام الشوارع ونسيت معه صورة المسكن الذي ينزلانه !! » .

فابتسم الفتى مجدداً .. وقال « .. وأنا شامي .. فلعلي استطيع مساعدتك على الاجتماع بمن تقصد . ألا تذكر بعض حروف الاسم الذي أضعته ؟ »

— بلى .. انه أ .. أ .. « الحرف الذي ليس فى لغة الاوربيين » .

— حرف العين !. عدنان مثلا ؟..

وصاح روجيه بمثل فرحة الانسان الذي استرد مفقوداً عزيزاً !

— أدنان !.. هو نفسه .

— وأنا ايضاً اسمي عدنان .

ومرة اخرى يحدق روجيه في وجه الفتى .. وفي نشوة آسرة جعل يهز يده بكلتا راحتيه وهو يقول : « يجب أن تكونه . . انك هو حتماً !. »

وضحك عدنان مشاركة للفتى .. وقال : ارجو ان اكونه .. فلنمض اذن الى المسكن .. انه قريب .. في هذه البناية المقابلة .

— ٤ —

لم يراود روجيه أي شعور بالغربة وهو يلج مع عدنان مدخل الدور العلوي بل لقد صعد الدرج الحجري الانيق يده فى يده كأن بينهما وداً قديماً ، يسقط

معه كل تكليف ، ولما صارا الى قاعة الاستقبال راح يصافح الحضور بالروح نفسها التي دخل بها المنزل .

وقدم عدنان اليه كلا من هؤلاء باسمه وجنسيته : هذا اخي محمد يستعد لأجازة الدكتوراه في الكيمياء والصيدلة ، وهذا السيد .. عامل من لاجئي الالبان الهاربين بدينهم من الشيوعية ، وهذه هدى اخت لنا في الله ، فرنسية الاصل بلجيكية المولد ، قد شرح الله صدرها للاسلام ، وهذه الاخت فاطمة ابنة سفير السنغال . وهذه اخت لنا اخرى اندونيسية واسمها فاطمة ايضاً » .

واخذ روجيه محله في المقعد الذي اخلي له في صدر القاعة ، وهنا قدم نفسه للجميع بهذه الكلمات البسيطة . روجيه بن .. تاجر الادوات الكهربائية في شارع .. من انفرس .. اساعد والدي في تجارته ، ولكن مشغلتي الكبرى في هذه الايام البحث عن الحق .

وجواباً على بعض الاستيضاحات قص روجيه على الجماعة حكايته في ايجاز بليغ ثم قال : اني في التاسعة عشرة من سني الزمن ، ولكن حياتي الروحية والعقلية لم تبدأ الا منذ ربيع العام الفائت منذ ايام رودس .. التي قدحت في صدري جذوة القلق .. فأصبحت ثائر الشوق مرهف الشعور الى حد لا أجد معه قراراً .

ولم ينس ان يحدثهم عن سفره الى لاهاي ، والخيبة التي مني بها هناك حتى هداه القدر الى سؤال التونسي صاحب مطعم قرطاجنة .. وختم ذلك بقوله : لقد بت على يقين ان يداً خفية تقود خطاي الى مواطن الخير الذي أنا بحاجة اليه ، ولعل عثوري — بعد يأس — بمقركم هذا من طلائع التوفيق

الى هذا الخير . . « . . وتصاعدت اصوات الحضور فى انسجام حنون : ان شاء الله ! . »

وكان كل ما فى القاعة مساعداً على التركيز حول الهدف الروحي الأعلى : الكتب المرصوفة على النضـــد النصفي ، والمصحف فى غلافه الحريري الشرقي ذي الوشي المذهب معلقاً فى صدر القاعة . . وبجواره تلك القطعة الفنية الانيقة مرسوماً على جانب منها بخط عربي ساحر آية من القرآن الكريم ، وعلى جانب آخر ترجمتها الفرنســـية التي تعني (إن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم) .

وليست مظاهر الحضور دون ذلك كله ايحاء . . ولاسيما اولئك النسوة الثلاث اللواتي أضفين على المجلس فيضاً من المعاني السامية ضاعف من روعته . . ولقد وجد روجيه نفسه مدفوعاً الى التفكير بهؤلاء النسوة وما يوحيه منظرهن . . اكثر من أي شيء يتعلق بأولئك الحضور من الرجال .

ان أول ما لفت نظره منهن تلك الوجوه الملائكية التي خلت من كل اثر للصنعة ، فبدت نسيج وحدها ، فى بـلاد تحرم حضارتها على وجه الانثى ان يواجه الناس بصورته الطبيعية . . ثم اردیتهن السـابغة التى تشبه الى حد بعيد اردية الرواهب الـكاثوليكيات . . لا تـكشف منهن أي جزء خارج حدود الوجه والـكفين . وهي ظاهرة قد تكون مألوفة بالنسبة للاندونوسية والسنغالية بوجه خاص ، بما حملتاه من تقاليد اوطانهما ، ولـكنها شيء لا يصدق بالنسبة الى تلك الفرنسية التي سلخت

الاربعين من السنين فى مجتمع يعتبر التبرج ، بل التعري ، أول معالم الانوثة الراقية !.

وطبيعي ان يعجب روجيه لهذه المظاهر الغريبة فى محيطه ، ولكن عجبه لم يكن ليحجب عن وعيه موطن العبرة .. فقد تحقق لديه حتى الآن ان الاسلام نظام كامل متميز ، لا يأتلف مع التلفيق والترقيع ، يصفي النفس من كل انحراف عن الله ، ويؤلف بينها وبين تعاليمه ، حتى يصبحا معاً وحدة لا سبيل الى تجزئتها .. وبذلك يكون اعتناق الاسلام نقطة البدء في هجرة تامة من عالم الى عالم .. من عالم الظلام الذى تمحي فيه معالم الحقائق وينتهي السالك فيه الى الضياع ، الى عالم النور الذى وضع فيه كل شيء وفق قوانين الفطرة ، فكل سالك فى ضوئه موقن انه على بينة من ربه .. وليس هذا التستر الذى يشهده الساعة في ثياب هذه الفرنسية ، الا توكيداً لهذه الحقيقة ، حقيقة الهجرة الى فضائل الاسلام وهي بذلك تقرر لكل ناظر فلسفة هذا الدين ، من حيث نظره الى المرأة ككيان انساني كامل ، عليها من المسؤولية نحو المجتمع مثل الذى على اخيها الرجل ، وذلك على النقيض من هذه الحضارة الاوربية التى زيفت طبيعة الانسان ، حتى جعلت من المرأة أداة للتسلية الفاجرة ، فشغلت الرجل عن مواهبها وفضائلها بما عرته لعينه من جسدها ومفاتنها !.

وشيء آخر لا يقل عن ذلك اثراً فى قلب روجيه .. انه الانسجام الذى يطالعه بين هذه الاجناس التى يتألف منها مجتمع القاعة .. ان هنا الاسود والابيض والاصفر ، في وحدة اخوية لا يشوبها شيء مما يجيش به مجتمع البيض خارج هذا المكان .. وهي صورة طالما غذي بالنفور منها ، بعد ان اقتنع بنظرية

(مونتسكيو) التى تؤكد ان الله قد حمل الجنس الابيض رسالته الى الارض ، فهو وحده الجنس السيد ، اما الآخرون فلايعدون منزلة الحيوانات والحشرات كل مهمتهم خدمة البيض ، وتوفير الوسائل المحققة لهناءتهم ، حتى اذا ما فاضوا عن حاجتهم كان من حق السادة ان يتخذوا الوسائل الممكنة للتقليل من وجودهم الى الحد الضرورى كما صنع رجال الدين المسيحي في هنود امريكا ، اذ قتلوا الكثير منهم بواسطة الحصبة التي قدموا اليهم جراثيمها في الاغطية الموبوءة !.

أجل .. انه لانسجام مدهش ... ومخالف لكل ما قرأه روجيه وما لقنه ، ولكنه ـ على غرابته ـ اصبح شيئاً مقبولا في قلبـــه الذى بات فريسة للارتياب في كل ما جاءه عن طريق هؤلاء الاوربيين من فلاسفة أو رجال دين !.

ـ ٥ ـ

وتناول الدكتور محمد الحديث فقال موجهاً الـكلام الى الضيف :

اليوم الاثنين .. وهو موعدنا الاسبوعي لقراءة بعض ما ينبغي معرفته عن الاسلام .. وما يفتريه خصومه من المبشرين والمستشرقين وموضوعنا الآن حول النبوة في كتاب (الوحي المحمدى) المترجم الى الفرنسية .. ولـكنه لا بأس ان نؤخر هذه الحصة اذا شئت لنجعل منها فرصة لما عندك من الاستيضاحات .. فلعلنا واصلون بالتعاون الى الخير الذى افتقدته عنـــد ذلك (القادياني) في لاهاى !. وشكر روجيه للمتكلم اهتمامه واخوانه .. وأعلن ان حاجته لا تنحصر في سؤال او جانب ، ولكنها واسعة تتطلب الالمام بكل ما امكن الالمام به

من حقائق هذا الدين . ولا شك أن موضوع الوحي من اوليات هذه الحقائق لانه من الغوامض التي قلما يعيها العقل الاوربي المحبوس في نطاق المادة !. ولهذا فهو يؤثر الآن المشاركة في الاستماع الى ذلك البحث .

ولقد كان البحث شائقاً وممتعاً . تناول موضوع (الوحي) الآلهي بطريقة لا تدع مجالا للريبة في حقيقته ، اذ تعتمد بالدرجة الاولى على موازين الفطرة الانسانية بكل ما فيها من قوى الفكر والحدس والتخيل ، حتى ليحس السامع والقارىء انهما يتحدثان الى نفسيهما من خلال البحث نفسه ، فلا يلبثان ان يستروحا نفحات الاطمئنان ، ثم يخرجا من الحديث وقد أيقنا ان الوحي الآلهي الى محمد واخوانه من سابقي الانبياء انما يمثل ذروة الشرف بالنسبة الى الجنس البشرى ، لانه المظهر الاسمى لعناية الله به ، ورعايته لمصالحه ، واهتمامه بهدايته .

وعلى الرغم من قوة المؤلف في عرض الموضوع ، لم يشأ القوم ان يتلقوه بالاستسلام بل كانت الخطة ان يقرأ احدهم البحث ، ثم يعمد آخر الى تقسيم فقراته وفق الفكر الرئيسية ، ثم يأخذون في مناقشتها جزءاً جزءاً .

وكان الباب مفتوحاً لكل مستوضح . . فلم يحجم روجيه عن اقتحامه بما خالجه من تساؤلات لم تخل من الفائدة .

ولما آذنت حصة البحث بالانتهاء نهض الحضور ليؤدوا صلاة العصر فى جماعة ، وخيره الدكتور بين ان يستريح قليلا بانتظارهم ، او ينتقل معهم الى القاعة الاخرى ليشهد صلاتهم ، ولكن روجيه لم يستطع الا ان يعرب للدكتور عن شوقه الحار الى مشاركتهم في تلك العبادة التي طالما شهدها في رودس فاستهوت لبه ، وأسرت قلبه .

وهنا افتر ثغر الدكتور عن ابتسامة سعيدة وقال لروجيه :
« .. ذلك حق كل انسان عندما يقتنع بحقائق هذا الدين » .

فقال روجيه فى حماسة لم يطق كتمانها : « .. انني مقتنع .. فما السبيل الى اعلان هذا الاقتناع ؟. »

— الشهادتان .. ثم تغتسل وبذلك تتهيأ للدخول في الصلاة .. التى لا تصلح الا مع الطهارة .

وسرت رعشة بارزة في جسد روجيه .. ثم نظر الى محدثه بعينين تتوهجان بروعة الحزن ، ومضى يقول : « أود لو استطيع ذلك لفوري فانني لأخشى ان يدركني الأجل وأنا على هذه الحال ! .. »

وخرجت كلماته هذه في غصة مؤثرة ، لم تلبث أن هزت اعصاب الحضور جميعاً ، فاذا هي تلهب مشاعرهم ، وتفجر في اعماقهم منابع الغبطة ، حتى غلبت بعضهم دموعه ، فراح يذرفها في صمت وخشوع .

ولم يجد محمد في لسانه القدرة على الكلام في هذا الجو المشحون بالانفعال ، فاكتفى بأن تأبط ذراع روجيه ، ثم مضى به نحو حمام المنزل وفي جهد استطاع ان يقول له وهو يمسح جفونه : « تستطيع ان تستحم ، وسآتيك بثوبين داخليين طاهرين .. ولسوف تجدنا بانتظارك للصلاة » .

وفي تلك القاعة التى طالما ضمت صفوف المصلين . والمتهجدين .. اعلن روجيه اسلامه على مسمع من شهود جمعتهم اخوة الاسلام ، من مختلف اقطار الدنيا واجناسها .. واختار لنفسه اسم (اسماعيل) جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم اخذ مكانه من الصف ، في اول صلاة قام بها لله ، على نحو من الخشوع لم يحلم بمثله قبل اليوم .

صلة الارحام والكمال النفسي

ان الاسلام دين متكامل يعالج جميع النواحي الحياتية معالجة جذرية معالجة لا تشبه معالجات الفلاسفة وعلماء النفس المحدثين في شيء . ذلك لان ما يسنه هؤلاء وما يقترحونه إنما هو بشريّ حالك ، تنم عن نفس صاحب النظرية . ونفوس الفلاسفة وعلماء الاجتماع أو علماء النفس نفوس ناقصة وان سموا انفسهم فلاسفة وحملوا القاباً مختلفة ومنحوا لقب الدكتوراه لتلاميذهم خريجي الجامعات .

فالنفس الناقصة لا يترشح منها إلا شيء ناقص مبتور ، كيف لا تكون هذه النفوس ناقصة ، وهي تحلل حرمات الله فى ارضه : بسكر أو فسق أو فجور أو اكل الربا أو الحرام أو افساد في الارض « والله لا يحب الفساد » (١) . كيف لا تكون هذه النفوس بعيدة عن الله وهي تتبع الهوى : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (٢) .

لذلك : كان من فضل الله على البشر أن لا يتركهم وشأنهم يملي عليهم دساتير الكمال ! (هذا الكمال الناقص أو المفسد) من هم على

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ (٢) سورة النجم : ٢٣

شاكلتهم من حيث النقص ، وإن دعوا على لسان البعض : فلاسفة وعلماء .. الخ « فأرسل رسولا ليزيل به علتهم » (١) : يملي عليهم دساتير الكمال ، تلك الدساتير التي لا شائبة فيها ولا نقص ، لأنها جاءت من عين صافية وضاءة ، جاءت من وراء الحجب ، جاءت من جانب الله تعالى على لسان انبيائه (ع) .

يقول (هوكنج) استاذ الفلسفة بجامعة (هارفرد) في كتابه : روح السياسة العالمية : « إن سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب الغربية التي تدعى أن الدين ليس له ان يقول شيئاً عن حياة الفرد اليومية وعن القانون والنظم السماوية ، وانما يجب ان يجد المرء في الدين مصدراً للنمو والتقدم » .

وقد شبه غوته (گوته) شاعر المانيا الشهير الدين الاسلامي بالنبع الذي تدفق فشكل النهر الكبير وبعد ذلك صبَّ في البحر الواسع : الأوقيانوس .

وقد قال العلامة : (سانتيلانا) : « ان فى الفقه الاسلامي ما يكفي المسلمين فى تشريعهم المدني إن لم نقل أن ما فيه يكفى للانسانية كلها » .

ومن جملة تلك الدساتير أو سنن الكمال : صلة الارحام ، ذلك لان الاسلام دين اجتماعي وليس بدين انزواء ورهبنة ، دين يريد من الناس ان يتقربوا بعضهم من بعض ، بالمعونة والمساعدة والألفة والتحابب والتعاطف .

ولا مراءَ ان كل مجتمع مؤلف من عوائل ، والعائلة مؤلفة من الارحام والاقارب ، فلو كانت العلاقات بين افراد العائلة علاقات متينة على اساس الحب والولاء والمحبة سعدت هذه العائلة في الدنيا وبسعادتها تسعد الامة

---

(١) من كلام لعلي عليه السلام

إذ لا مفهوم للامة عدا انها مؤلفة من عوائل عدة وأسر متعددة ، فبسعادة هذه الأسر تسعد الامة وبشقائها تشقى .

لذلك حثّ الدين الاسلامي على صلة الارحام وجعل ذلك من أفضل القربات ، وذلك بقوله جل من قائل : « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » . فذكر الله جل جلاله لفظ الارحام بعد اسم الجلالة مباشرة لما هنالك من خطورة فائقة .

فالله تبارك وتعالى يأمرنا ان نتقي الله في قطيعة الارحام . فالمراد بالتساؤل في قوله تعالى : « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » سؤالُ بعض الناس بعضاً بالله ، يقول احدهم لصاحبه : اسألك بالله ان تفعل كذا وكذا . فكما يجب ان نتقي الله تبارك وتعالى في اعمالنا كذلك يجب ان نتقي الله في قطيعة الرحم : بأن لا نقطعها وأن نصلها بأنواع المحبة والمودة والتزاور والتعاطف .

فقد قال رسول الله (ص) : من ضمن لي واحدة ضمنت له اربعة يصل رحمه ، فيحبه الله ويوسع عليه في رزقه ويزيد في عمره ويدخله الجنة التي وعده .

وقد قال رسول الله (ص) : « صِلوا ارحامكم ولو بالسلام عليهم » .

وقال (ص) : الرحم اذا وصلت ثم قطعت قطعها الله .

وقال (ص) : بلوا ارحامكم ولو بالسلام .

وقال (ص) : برّ الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب .

وقال (ص) : حسنوا اخلاقكم والطفوا بجيرانكم واكرموا

نساءَكم تدخلوا الجنة بغير حساب (١) .

وقال (ص) : صلة الارحام وحسن الجوار زيادة في الاموال .

* * *

ثم انه تعالى يقول : « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا » (٢) . فجعل (الأحسان بالوالدين) في المرتبة الثانية ، أي بعد عبادته تعالى وتقديسه وتوحيده .

فاذا كان للوالدين هذا المقام الرفيع فيجب ان يكون لمن يتصل بهما من اخوان واخوات وجدود وجدات واعمام وعمات واخوال وخالات وغيرهم من الارحام مقام يناسبهم . فالعطف عليهم والقيام بخدمتهم خدمة للوالدين وموجب لادخال السرور عليهم . كل ذلك لما للوالدين من حق كبير على الاولاد ، فلا يمكن ان يؤدى شكر هذا الحق إلا بخدمة الارحام خدمة صادقة . لذلك جاء في خبر عن الرسول (ص) : « نظر الولد الى والديه حبًا لهما عبادة » ، ذلك لان هذا الحب الذي ملؤه الاخلاص والولاء مقرّب العبد الى الله ، وكل ما يقرب العبد الى الله عمل عباديّ .

* * *

وفي حديث آخر : « ووالديك فبرّهما وأطعمهما حيين وميتين . فان امراك أن تخرج من أهلك وما لك فافعل . فان ذلك من الايمان » .

---

(١) ذكرت هذا الحديث في غير محله لأهميته .

(٢) سورة الاسراء : ٢٣

فعلى الانسان ان يبرّ والديه حيين كانا أم ميتين . وأن يطعمها كذلك ، فالبر بهما حيين هو إطاعتهما والقيام بشؤونهما وتحقيق آمالهما المشروعة .

حتى ان الله تعالى أمرنا أن نصاحبهما فى الدنيا بالمعروف وان امرانا بالشرك بالله تعالى ، لا سمح الله . « وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إليّ » (١) . ومعلوم انه لا ظلم أشد من الشرك بالله ، وان الله قد يغفر لعباده ذنوبًا عظاما ، ولكنه لا يغفر لمن يشرك به ابدا . وهو القائل : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) . ذلك لأن الشرك يضاد الفطرة ويخالفها لما جبل عليه الانسان من توحيد الله . فـ « ان الشرك لظلم عظيم » (٣) وما يشرك بالله الا من أمسى جرثومة فساد وإفساد وعصارة الشر والبغي والظلم مع نفس متحجرة ، مدلهمة ، لا تصلحها إلا النار ! وهيهات ان تصلح وإن خلد في السعير .

والبر بالوالدين ميتين ، هو التصدق عنهما والاستغفار لهما وتلاوة القرآن على مرقديهما وسورة الفاتحة والاخلاص كذلك ، وكذلك تلاوة القرآن فى اوقات مختلفة وجعل ثوابها على روحيهما .

---

(١) سورة لقمان : ١٥ (٢) سورة النساء : ٤٨

(٣) سورة لقمان : ١٣

فقد قال رسول الله (ص) : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » .

يقال : قد مرّ عيسى (ع) بقبر ، فرأى بنظر النبوة : أن من فيه يُعذّب ، ثم مرّ بعد سنة على ذلك القبر فرأى من فيه قد رفع عنه العذاب . فسأل الله تعالى عن السبب ، فجاءه الوحي : أن ولد هذا الرجل قد سوى طريقاً واكسى يتيماً ، فرفع الله العذاب عن والده .

وكم يرى الناس الآباء والامهات فى منامهم بعد وفاتهم وهم يطلبون الى ابنائهم وبناتهم ان يتصدقوا عنهم أو يقوموا بعمل عبادي ليرفع عنهم العذابُ .

ويقال عن مغنية كانت قد توفيت قبل امها ، تأتي في منام امها تلتمس ان تشتري جميع الاسطوانات التي تخص صوتها وتحرقها جميعاً ، لأنها تعذب ، كلما خرج صوتها في آلة الكرامافون أو غيرها .

وان كثيراً من الناس يحفظون كثيراً من هذه الاحلام واستغاثة الموتى بالاحياء لقيام الاحياء بعملٍ ، لعل الله تعالى يرفع عنهم العذاب في عالم البرزخ ، وقد ذكرت بعضها في الجزء الثالث من هذا الكتاب .

واني اذكر هنا من تلك الاحلام حلماً واحداً :

كان لي صديق من الاخيار رحمه الله ، وقد توفى صديق له ، وان هذا الصديق الحي كان يقرأ كل يوم بالنيابة عن صديقه المتوفي (زيارة عاشوراء) . ويجعل ثوابَ ذلك على روح صديقه . ثم انة ترك هذا

العمل اياماً ، فجاءه صديقه المتوفى في منامه كئيباً حزيناً معاتباً ، يلتمسه ان يثابر على عمله وان لا ينقطع عن زيارة عاشوراء بالنيابة عنه ، لاحتياجه الشديد الى هذا العمل العبادي المكفر عن ذنوبه والرافع عنه العذاب .

وقد نقل لي احد الاخيار : انه كلما تعسرت اموره وقتر في رزقه جاء الى قبر والده يقرأ الفاتحة وسوراً من القرآن . فيفرج الله عنه عاجلا ، ويوسع عليه في رزقه .

* * *

انه تعالى يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذي القربى » (١) .

فالاحسان بالوالدين من الاهمية بمكان . لذلك يذكرهما الله تعالى بعد توحيده وعدم الشرك به . لما لهما من حقوق عظيمة ومقام رفيع .

وخص الله تعالى حال الشيخوخة بمزيد من الحنو والترفق والاكرام والتوقير ، فهي المرحلة التي يجني الوالدان فيها ثمار الكدح ويتوجان بتاج الكفاح ويجزيان جزاء الجهاد والدأب ، انه تعالى يقول :

« اما يبلغن عندك الكبرَ احدُ هما او كلاهما ، فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل ربِ ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٢) .

---

(١) سورة النساء : ٣٦ (٢) سورة الاسراء : ٢٤

وتلك مشاعر الفطرة نحو من لم يشب احسانهما غرض ، ولم يبغيا بجهادهما اجراً ، بل بذلا الرعاية الموصولة والحنان الغامر قربة وفطرة فلا أقل من التقدير والعرفان . حفظاً على الوفاء وصيانة للانسانية من آفات الجحود والنكران .

ثم انه تعالى يقول : « وإذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى » (١) .

فجعل الله تعالى للوالدين حق البر واللطف والرعاية والرحمة واكد هذا الحق بان قرنه بحقه تعالى .

فان عقوق الوالدين (أي الاساءة اليهما) وجحد احسانهما من كبائر الذنوب ، اذ هو قرين الشرك بالله تعالى ، وان رضا الوالدين طريق للجنة ، فاذا حازه الولد فقد بلغ الغاية وأدرك في الكمال النفسي النهاية .

* * *

ولا بأس بذكر هذا الحديث ، لنتعلم منه دستوراً قيماً فى خدمة الوالدين .

يقول زكريا بن ابراهيم ، قال : كنت نصرانياً ، فأسلمت وحججت فدخلت على ابى عبدالله (ع) فقلت : اني كنت على النصرانية واني اسلمت فقال : وأي شيء رأيت فى الاسلام ، قلت : قول الله عزوجل ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه

---

(١) سورة البقرة : ٨٣

نوراً نهدي به من نشاء » فقال : لقد هداك الله ثم قال : اللهم اهده - ثلاثاً - سل عما شئت يا بني ، فقلت : ان ابي وامي على النصرانية وأهل بيتي ، وامي مكفوفة البصر ، فأكون معهم وآكل في آنيتهم فقال يأكلون لحم الخنزير قلت : لا ، ولا يمسونه فقال : لا بأس ، فانظر امك فبرها فاذا ماتت فلا تكلها الى غيرك ، كن انت الذي تقوم بشأنها ، ولا تخبرن احداً انك اتيتني حتى تأتيني بمنى ان شاء الله .

قال : فأتيته بمنى والناس حوله كأنه معلم صبيان . هذا يسأله وهذا يسأله فلما قدمت الكوفة ألطفت لأمي وكنت اطعمها وأفلي ثوبها ورأسها واخدمها فقالت لي : يا بني ما كنت تصنع بي هذا وانت على ديني ، فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفية ، فقلت : رجل من ولد نبينا امرني بهذا فقالت : هذا الرجل هو نبي ؟ فقلت : لا ، ولكنه ابن نبي ، فقالت : يا بني ، ان هذا نبي ، ان هذه وصايا الانبياء فقلت : يا أُمه ، انه ليس يكون بعد نبينا نبي ، ولكنه ابنه ، فقالت : يا بني دينك خير دين ، اعرضه عليّ ، فعرضته عليها ، فدخلت في الاسلام ، وعلمتها فصلت الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم عرض لها عارض في الليل فقالت : يا بني ، أعد عليّ ما علمتني ، فأعدته عليها . فأقرت به وماتت فلما اصبحت كان المسلمون الذين غسلوها وكنت أنا الذي صليت عليها ونزلت في قبرها (١) .

* * *

وفي حديث آخر عن ابي عبدالله (ع) قال : جاء رجل الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ، من أبرّ ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال :

---

(١) اصول الكافي . ج : ٢ ص : ١٦٠

أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أباك .

وعن ابي ولاد الخياط قال :

سألت أبا عبدالله (ع) عن قول الله عزوجل : « وبالوالدين احسانا » ، ما هذا الاحسان ؟ فقال : الاحسان : ان تحسن صحبتهما وان لا تكلفهما ان يسألاك شيئاً مما يحتاجان اليه وان كانا مستغنيين أليس يقول الله عزوجل : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . قال : ثم قال ابو عبدالله (ع) : واما قول الله عزوجل : اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما » . قال : ان اضجراك فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما إن ضرباك . قال : « وقل لهما قولا كريما » قال : ان ضرباك . فقل لهما : غفر الله لكما ، فذلك منك قول كريم . قال : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ، قال : لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برحمة ورقة ، ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق ايديهما ولا تتقدم قدامهما (١) .

وقد سئل رسول الله ، ما حق الوالد على ولده ؟ قال : « لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسب له » (٢) .. (اصول الكافي . ج : ٢ ص : ١٥٩)

* * *

ذكر لي استاذي في الفقه اني زرت الحسين (ع) يوم عرفة ، فقلت في نفسي : أزور زيارة عرفة مرة اخرى بالنيابة عن جدي ،

---

(١) اصول الكافي : ج : ٢ . ص : ١٥٨

(٢) أي لا يفعل ما يكون سبباً لسب الناس له ولوالديه .

حتى اذا رجعت الى النجف الاشرف قال لي ابي : وما الذي قمت به بالأمس ؟ قلت : زرت زيارة عرفة بالنيابة عن جدي ، فقال : قد رأيتُ الليلة البارحة جدك في المنام وقد نزل من اعلى جواده ، وهو يقول : ها إني راجع من حج بيت الله الحرام . فعلمت : ان زيارة عرفة تعادل عند الله من الاجر بقدر حج بيت الله الحرام .

* * *

وعن معمر بن خلاد قال : قلت لابي الحسن الرضا (ع) : ادعو لوالديَّ اذا كانا لا يعرفان الحق ؟ قال : ادعُ لهما ، وتصدق عنهما وان كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما ، فان رسول الله (ص) قال : « ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق » (١)

وعن جابر عن ابي عبدالله (ع) قال : اتى رجل رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله اني راغب في الجهاد نشيط ، قال : فقال له النبي (ص) : فجاهد في سبيل الله ، فانك ان تقتل تكن حياً عند الله ترزق . وان تمت فقد وقع اجرك على الله . وان رجعت رجعت من الذنوب كما وُلدت ، قال يا رسول الله ، ان لي والدين كبيرين يزعمان انهما يأنسان بي ويكرهان خروجي . فقال رسول الله (ص) : فقر مع والديك ، فوالذي نفسي بيده لأُنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة » (٢) .

---

(١) اصول الكافي : ج ٢ ص : ١٦٠

(٢) اصول الكافي : ج ٢ ص : ١٦٠

عن عمار بن حيان ، قال : خبرت أبا عبدالله ببر اسماعيل ابني بي فقال : لقد كنت أحبه وقد ازددت له حباً . ان رسول الله (ص) أتته اخت له من الرضاعة (١) . فلما نظر اليها سرّ بها وبسط ملحفته لها ، فأجلسها عليها ثم اقبل يحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت وجاء اخوها ، فلم يصنع به ما صنع بها . فقيل له : يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟ فقال : « لانها كانت أبرّ بوالديها » (٢) .

وفي اصول الكافي عن عنبسة بن مصعب عن ابي جعفر (ع) قال : ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهن رخصة : اداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر ، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين » (٣)

وقد قال ابو عبدالله (ع) : « من السنة والبر ان يكنى الرجل باسم ابيه » (٤) .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : جاء رجل وسأل النبي (ص) : من برّ الوالدين ، فقال : إبرر امك ، إبرر امك ، إبرر امك . إبرر اباك ، إبرر اباك ، إبرر اباك . وبدأ بالام قبل الأب (٥) .

---

(١) اخته واخوه صلى الله عليه وآله من الرضاعة هما ولدا حليمة السعدية .

(٢) اصول الكافي : ج : ٢ ص : ١٦١

(٣) اصول الكافي : ج٢ ص : ١٦٢

(٤) « « « « : ١٦٢

(٥) « « ٢٢ « : ١٦٢

وقد قال رسول الله (ص) : « كن باراً واقصر على الجنة ، وان كنت عاقـاً فاقصر على النار » (١) .

وقد قال ابو جعفر (ع) قال رسول الله (ص) في كلام له : « إياكم وعقوق الوالدين . فان ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زانٍ ولا جارٌ أزارَه خيلاءَ ، انما الـكبرياء لله رب العالمين » . وقال ايضاً : « من اصبح مسخطـاً لأبويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار » (٢) .

وقد قال الصادق (ع) : من نظر الى ابويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة (٣) .

وقال الصادق (ع) : اذا كان يوم القيامة كشف غطاء من اغطية الجنة ، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنفاً واحداً ، فقيل له من هم ؟ قال : العاق لوالديه » (٤) .

وقال (ع) : لو علم الله شيئـاً هو ادنى من أفٍّ ، لنهى عنه وهو من ادنى العقوق . ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر اليهما .

---

(١) عق الولدُ والده : عصاه وترك الشفقة عليه والاحسان اليه واستخف به فهو عقٌّ وعاقٌّ .

(٢) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٧

(٣) « « « « ٢٥٧

(٤) « « « « ٢٥٨

وفي حديث قدسي : « بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو ان العاق لوالديه يعمل بأعمال الانبياء جميعاً لم اقبلها منه » .

وروى ايضاً : « ان اول ما كتب الله في اللوح المحفوظ اني انا الله لا إله الا أنا ، من رضي عنه والداه فأنا منه راضٍ ، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط » (١) .

وقد ورد عن رسول الله (ص) انه قال : « كل المسلمين يروني يوم القيامة إلا عاق الوالدين وشارب الخمر ومن سمع اسمي ولم يصلِّ عليَّ » .

كما انه ثبت من الاخبار والتجارب ان دعاء الوالد على ولده لا يرد ويستجاب البتة (٢) .

وفي الاخبار ان من لا ترضى عنه امه تشتد عليه سكرات الموت وعذاب القبر ، وقد يموت كافراً .

فقد ورد ان رجلا قد حضرته الوفاة ، فلقن الشهادتين ، فأبى أن يقر بهما . فأخبر رسول الله (ص) بذلك . فقال (ص) احضروا لي امه . فأحضرت بين يدي رسول الله (ص) فقال لها (ص) هل بينك وبين ولدك شيء ؟ قالت : ان ولدي كان يداريني ويحسن إلي ويتفقدني حتى اذا تزوج تركني ولفظني ولم يسأل عني . فقال رسول الله (ص) يا بلال احضر الحطب واضرم فيه النار . فقالت الأم ، لمَ يا رسول الله فقال (ص) حتى أريك كيف يحرق ولدك اذا مات وانت غير راضية عنه . فقالت ، اشهد الله ورسوله وملائكته اني قد

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٨

(٢) « « « « ٢٥٨

رضيت عنه . فقال رسول الله (ص) يا بلال ، اذهب ، ولقنه الشهادتين ، فذهب بلال ولقنه الشهادتين ، واذا به يقول : اشهد ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله (١) .

وقال رسول الله (ص) رضا الله مع رضا الوالدين ، وسخط الله مع سخط الوالدين (٢)

وقال «ص» ما من ولد بار ينظر الى والديه نظر رحمة الا كان له بكل نظرة حجة مبرورة ، قالوا يا رسول الله ، وان نظر كل يوم مائة مرة ؟ قال نعم ، الله اكبر وأطيب .

وقال رسول الله « ص » من بر والديه زاد الله في عمره .

وقال الصادق (ع) من أحب ان يخفف الله عنه سكرات الموت فليكن بقرابته وصولا وبوالديه باراً ، فاذا كان كذلك هون الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبداً .

وعن الباقر « ع » قال : سئل رسول الله «ص» من اعظم حقاً على الرجل ؟ قال : والداه .

* * *

وقد قال رسول الله « ص » بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج

---

(١) من كتاب محمد المثل الكامل ، بتصرف

(٢) من كتاب مصابيح الهداية للسيد عبدالحسين الحائري ج ٢ ص ٦٨

والعمرة والجهاد في سبيل الله (١) .

وقال (ص) من اصبح مرضياً لأبويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة (٢)

وقد ورد ان رجلا اتى النبي (ص) فقال يا رسول الله أوصني فقال « لا تشرك بالله شيئاً وان حرقت بالنار وعذبت الا وقلبك مطمئن بالايمان ووالديك فأطعمهما وبرهما حيين كانا او ميتين ، وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل ، فان ذلك من الايمان » (٣)

* * *

انه تعالى يقول « ووصينا الانسان بوالديه ، حملته امه وهناً على وهن وفصاله فى عامين ، ان اشكر لي ولوالديك وإلي المصير » ... سورة لقمان ١٤

وفى آية اخرى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ... سورة الاحقاف ١٥

ان الولد جزء من الام حملته فى الاحشاء وغذته من الغذاء ، فلما خرج الى الدنيا حضنته وسهرت عليـــه وربطت حياتها به ، تتحمل الاثقال وتنهض بالاحمال عن رضا وفرحة ، فهل يسوغ ان يذهل الانسان عن تلك المضحية من اجله ، المنهكة في سبيله . فقد جاء في الحديث « الجنة تحت اقدام الامهات » .

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٩

(٢) نفس المصدر

(٣) ذكرنا هذا الحديث من جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٩ بشكل آخر لما فيه من زيادة .

ان إطاعة الوالدين واجبة وطلب رضاهم حتم ، فيجب ان لا يرتكب الولد شيئاً من المباحات والمستحبات بدون اذنهما . حتى ان الفقهاء قد أفتوا انه لا يجوز السفر لطلب العلم الا بأذن الوالدين ، ويستثنى من ذلك سفر الولد لطلب علم الفرائض من الصلاة والصوم واصول العقائد اذا لم يكن في بلده من يعلمه .

وروي أن رجلا هاجر من اليمن الى رسول الله (ص) وأراد الجهاد . فقال له رسول الله (ص) : « ارجع الى ابويك . فاستأذنهما ، فان اذنا فجاهد ، وإلا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد » . وجاء آخر اليه للجهاد فقال : ألك والدة ؟ قال : نعم : قال : فالزمها ، فان الجنة تحت قدمها (١) . وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة الى الجهاد قال : ما جئتك حتى أبكيت والديّ قال (ص) : ارجع اليهما ، فأضحكهما كما ابكيتهما » .

ويجدر بمن أراد أن يبر والديه بعد موتهما :

١ ـ ان يصلي هذه الصلاة في اوقات فراغه وان امكن ففي كل يوم .

وهي ركعتان ، يقول في الركعة الاولي بعد الحمد (٢) عشر مرات « ربنا (٣) اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٦٢ (٢) سورة الفاتحة

(٣) في القرآن : ربنا ، وفي المفاتيح : رب

ويقول في الركعة الثانية بعد الحمد عشر مرات : « ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً والمؤمنين والمؤمنات » .

ويقول بعد التسليم (بعد الانتهاء من صلاته) عشر مرات : « رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

٢ ـ وان يتصدق عنهما

٣ ـ وان يقضي ما فاتهما من صلاة وصوم

٤ ـ وان يقضي ما عليهما من ديون

٥ ـ وان يحج عنهما

٦ ـ وان يزور المراقد المتبركة عنهما ويدعو لهما في تلك المشاهد المشرفة وفى صلاة الليل وليالي الجمعة .

فان فعل ذلك فقد فتح على نفسه ابواب الرحمة والسعادة في النشأتين وختمت اعماله بحسن العاقبة وذلك غاية الغايات .

* * *

ان المدنية الحاضرة لتحجرها وغلبة النزعة المادية عليها باعدت بين الآباء والأبناء ، فلا ترى كثير علقة بين الابناء وآبائهم . وقد لا يجتمع الولد بوالده أو امه الا قليلا ، لذلك عمدت بعض الجمعيات الدينية كجمعية الشبان المسيحيين الى الجمع بين الآباء والأبناء فى مجلس واحد وايجاد التآلف والمحبة بينهم .

وقد رأيت ان مؤسس جمعية الشبان المسيحيين : Y. M. C. A.

في استانبول يفتخر لقيام الجمعية المذكورة بالجمع بين ٤٠٠ ولد ووالد في مجلس واحد . لتقوى أواصر المحبة بينهم .

أن الحياة الميكانيكية المجردة عن الروح والعواطف والمحبة ترجع بالفرد الى جاهلية جهلاء . بل أشد من ذلك ، فلا يشعر الفرد إلا بمنافعه الذاتية ولا يرى وراء المادة شيئاً ، والحضارة الحقيقية هي التي تحقق رغبات الروح والجسم في وقت واحد فلا يضحى بالكمال النفسي على حساب عمارة الجسم وتطمين شهواته ونزواته ، فـ « حضارة الاسلام » هي الحضارة الحقة لجمعها بين عمارة الروح والبدن فى وقت واحد .

صلة الارحام

ان الله تعالى قد أمر في آيات جمة بصلة الرحم وأكد ذلك رسول الله (ص) في مواضع عدة . ذلك لأن الاسرة اساس المجتمع ، فان سعدت الأسرة سعد المجتمع ، انه تعالى يقول :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى (١) » وفى آية اخرى يقول الله تعالى : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبي الدار : جنات عدن .. (٢) »

فالله امرنا في الآية المتقدمة بصلة الرحم . فصلة الرحم واجبة

---

(١) سورة النساء : ٣٦ (٢) سورة الرعد : ٢١ ـ ٢٢

وجوب الصلاة ولا يدخل قاطع الرحم الجنة .

وقال رسول الله (ص) « أوصي الشاهد من امتي والغائب ومن في اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيامة ان يصل الرحم وان كانت منه على مسيرة سنة ، فان ذلك من الدين » (١) .

وجاء في كتاب انوار الهداية (٢) قال النبي (ص) : من مشى الى ذي قرابة بنفسه في ماله ليصل رحمه اعطاه الله عزوجل أجر مائة شهيد وله بكل خطوة اربعون الف حسنة ومحى عنه اربعون الف سيئة ، ورفع له من الدرجات مثل ذلك وكأنما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً .

وعن الحسين بن علي (ع) انه قال : من سره ان ينسأ في اجله ويزاد في رزقه فليصل رحمه .

وقال رسول الله (ص) : بر الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا : « والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » .

وقال رسول الله (ص) : عن جبرائيل عن الله عزوجل قال : « أنا الرحمن ، شققت الرحم من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٤

(٢) نقلا من كتاب : مصابيح الهداية ، للسيد عبدالحسين الحائري ج ٢ ص ٦٩

وقال رسول الله (ص) ان اعجل الخير ثواباً صلة الرحم، وقال: « من سره النساء (١) في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه » .

وقال: « ان القوم ليكونون فجرة ولا يكونون برة . فيصلون ارحامهم فتنمى اعمالهم وتطول اعمارهم، فكيف اذا كانوا ابراراً برة » (٢) .

وقال (ص): الصدقة بعشرة، والقرض بثمانيـــة عشر وصلة الاخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين » .

سُئل رسول الله (ص) أيّ الناس أفضل؟ فقال: « اتقاهم لله وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » .

وقال (ص): أفضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك (٣) .

وقال (ص): « من سرّه ان يمد الله في عمره وأن يبسط في رزقه، فليصل رحمه، فان الرحم لها لسان يومَ القيامة ذلق، تقول: يا رب، صِل من وصلني، واقطع من قطعني . فالرجل ليرى بسبيل خير، اذا أتته الرحم التي قطعها فتهوى به الى أسفل قعر في النار » .

وقال الباقر (ع): « ان الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش تقول: اللهم صِل من وصلني، واقطع من قطعني » . وهذا تمثيل للمعقول

---

(١) النساء: طول العمر، نَسأَ الله اجله: أخره .

(٢) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٤

(٣) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٥

بالمحسوس واثبات لحق الرحم على ابلغ وجه ، وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبة حقها بمشهد الله (١)

وقال (ع) « صلة الارحام تحسن الخلق وتسمح الكف وتطيب النفس وتزيد فى الرزق ، وتنسىء الأجل » . وقال ايضاً : « صلة الارحام تزكي الاعمال وتنمي الاموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسيء في الأجل » .

وقال الصادق (ع) صلة الرحم والبرّ ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا ارحامكم وبروا باخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب .

وقال عليه السلام « صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة وهي منسأة في العمر وتقي مصارع السوء » وقال ايضاً « صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار » . وقال ايضاً « ما نعلم شيئاً يزيد فى العمر إلا صلة الرحم ، حتى ان الرجل يكون اجله ثلاث سنين ، فيكون وصولا للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة ، فيكون قاطعاً للرحم ، فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة ويجعل اجله الى ثلاث سنين » (٢)

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٥

(٢) « « « « ٢٥٦

وفى اصول الكافي ج ٢ ص : ١٥٠ ، ان رجلا اتى النبي (ص) فقال يا رسول الله أهل بيتي أبو إلا توثباً علي وقطيعة لي وشتيمة ، فأرفضهم ؟ قال إذن ، يرفضكم الله جميعاً قال فكيف اصنع ؟ قال تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، فانك اذا فعلت كان لك من الله عليهم ظهير » .

وعن ابى الحسن الرضا (ع) قال ، قال ابو عبدالله عليه السلام « صل رحمك ولو بشربة من ماء ، وافضل ما توصل به الرحم كفّ الأذى عنها ، وصلة الرحم منسأة في الرجل ومحبة فى الاهل » .

قال ابو ذر رضي الله عنه ، سمعت رسول الله (ص) يقول . حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والامانة ، فاذا مرّ الوصول المؤدي للامانة نفذ الى الجنة ، واذا مرّ الخائن للامانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفأ به الصراط في النار » (١)

وعن ابى جعفر (ع) قال ، قال رسول الله (ص) وان اعجل الخير ثواباً صلة الرحم .

عن عبدالله بن سنان ، قال : قلت لابى عبدالله (ع) ان لي ابن عم أصله فيقطعني وأصله فيقطعني ، حتى لقد هممت لقطيعته إياي ان اقطعه قال : إنك اذا وصلته وقطعك وصلكما الله جميعاً ، وان قطعته وقطعك قطعكما الله » (٢)

---

(١) أي تقلب .

(٢) اصول الكافى ج ٢ ص ١٥٦

وعن داود بن فرقد قال : قال لي ابو عبدالله ﴿ ع ﴾ اني أحب أن يعلم الله اني قـــد أذللت رقبتي في رحمي واني لأبادر اهل بيتي ، اصلهم قبل ان يستغنوا عني » .

عن عمر بن يزيد قال : سألت أبا عبدالله ﴿ع﴾ عن قول الله عزوجل : الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فقال : قرابتك .

عن الجهم بن حميد . قال قلت لأبي عبدالله ﴿ع﴾ تكون لي القرابة على غير امري . ألهم علي حق ؟ قال نعم ، حق الرحم لا يقطعه شيء ، واذا كانوا على امرك لهم حقان : حق الرحم وحق الاسلام .

وقال ابو عبدالله : ﴿ع﴾ صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة وهي منسأة في العمر وتقي مصارع السوء وصدقة الليل تطفيء غضب الرب » .

* * *

ويراد بالرحم مطلق القريب المعروف بالنسب ، وان بعدت النسبة وجاز النكاح ، فهذه الرحم يحرم قطعها وتجب صلتها ولو وهب لها شيء لا يجوز الرجوع عنه .

والمراد بقطع الرحم ايذاؤها بالقول والفعل او منعها مما تحتاج اليه من مسكن وملبس ومأكل مع وجود زيادة عن قدر الحاجة او عدم دفع ظلم الظالم عنها مع القدرة ، او هجرها غيظاً وحقداً .

قطيعة الرحم

ولنورد ها هنا بعض ما جاء في قطيعة الرحم ، فان قطيعة الرحم كما

يستفاد من الاخبار والآثار تؤدي الى قصر العمر والضيق في الرزق وتفكك اواصر الأسرة والتحلل الاجتماعي . وان الاسلام بحثه على صلة الرحم والتزاور والتعاطف والتراحم وعيادة المرضى وتشييع الجنائز ، دين اجتماعي بكل ما في الاجتماع من معنى سامٍ رفيع .

انه تعالى يقول « والذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض ، اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » (١) .

وقد قال رسول الله (ص) : أبغض الاعمال الى الله : الشرك بالله ثم قطيعة الرحم ، ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف » .

وقال (ص) : « لا تقطع رحمك وان قطعتك » .

وقال امير المؤمنين علي عليه السلام في خطبته : أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء ، فقام اليه عبدالله بن الكوى اليشكري فقال : يا امير المؤمنين ، أوَ تكون ذنوب تعجل الفناء ؟ فقال : نعم ، ويلك : قطيعة الرحم ، ان أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة ، فيرزقهم الله وان اهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله وهم اتقياء » (٢) .

وقال (ع) : « اذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في ايدي الاشرار » .

وقال الباقر (ع) : في كتاب علي صلوات الله عليه ، ثلاث خصال :

---

(١) سورة الرعد : ٢٥

(٢) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٣

لا يموت صاحبهن ابداً ، حتى يرى وبالهن : البغي وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وان اعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم ، وان القوم ليكونون فجاراً ، فيتواصلون ، فتنمى اموالهم ويثرون . وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من اهلها ، وتنقل الرحم ، وان نقل الرحم انقطاع النسل » (١)

وقال الصادق (ع) : اتقوا الحالقة (٢) فانها تميت الرجال ، قيل : وما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحم .

« جاء رجل اليه (ع) فشكى اقاربه فقال له : « اكظم وافعل » فقال : انهم يفعلون ويفعلون .. فقال : أتريد ان تكون مثلهم ، فلا ينظر الله اليكم » .

أثر صلة الارحام في الايمان بالله

كان لي صديق شاهدته بعد مدة مديدة ، فألفيته قد ترك صلاته وتسبيحه واندمج في العالم الجديد . وصرت انصحه واوجهه الى عالم العبادة والتقوى ، الى عوالم القدس والصفاء . فرأيته ذات يوم في حرم الكاظمين عليهما السلام ، يصلي . وقال لي : انه يصلي في الاسبوع مرة واحدة يوم الجمعة عند زيارته مرقد الامامين (ع) .

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٣

(٢) الحالقة : هي الخصلة التي من شأنها ان تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر .

ثم زدت في النصيحة له وصرت اقرأ عليه بعض الاشعار العرفانية وشرحت له فلسفة الصلاة وكيف انها تطهر النفوس وتزيل الادران ، وكيف ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق . وان الانسان لا يصلحه الا الصلوات الخمس لطرد الشيطان ووساوسه في فترات متقاربة ، ولئلا يستفحل امره ، فتتراكم الذنوب ويسوّد القلب ، ذلك لان الذنوب تسدّ على الانسان ابواب السماء .

دعاني صديقي هذا يوماً الى طعام الظهر . ذهبت الى بيته . فاستقبلني اخوه قلت : أين اخوك ؟ قال : ذهب الى مسجد قريب ، ليصلي صلاة الظهر ، ثم انه حضر بعد دقائق فقال : آليت على نفسي ان لا انتعم بنعمة من نعم الله إلا وقد اديت واجب الشكر قبلا .

وعلمت من حاله ، انه كان يأخذ امه العرجاء كل مساء حاملا إياها على ظهره الى السطح العالي وينزلها على ظهره الى قاعة الدار كل صباح . ويخدمها خدمة صادقة (١) فعلمتُ ان ايمان الرجل انما هو نتيجة تلك الخدمة الصادقة نحو امه العجوز .

* * *

عرفت رجلا آخر كان قد استولت عليه افكار غريبة وكان متأثراً الى

---

(١) عن ابراهيم بن شعيب قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : ان ابي قد كبر جداً وضعف ، فنحن نحمله اذا اراد الحاجة . قال : ان استطعت ان تلي ذلك منه ، فافعل ولقمه بيدك . « فانه جنة لك غدا » ... من اصول الكافي ج ٢ ص ١٦٢

حد بعيد بأخلاق الغرب وعاداته وحضارته المادية وحياته الاجتماعية ويقدرها أيما تقدير ، ويرى ان اصلاح الشرق انما يتم باتباع الغرب في حياته الاجتماعية ، ومع ذلك ما كان لينقطع عن صلاته وتلاوة القرآن كل صباح وعن الصوم في شهر رمضان المبارك . فكان مسلماً متطرفاً بعيداً عن كثير من حقائق الاسلام ، يجهل الآداب الاسلامية التي فيها حياة القلوب وسعادة الدارين .

ولكن الله تعالى أراد ان يمنّ عليه بتوفيق الهداية ، فأتيح له ان قام بخدمة صادقة نحو خالته العجوز ، التي كادت ان تصاب بالعمى من جراء رمد شديد ، فاهتم اهتماماً بالغاً في شفائها وصرف مبالغ لا يستهان بها وشفيت خالته ونجت من العمى ، فرأى الشاب بعد ذلك في نفسه توجهاً عجيباً نحو تفهم الدين الاسلامي من منابعه وتطبيق بعض المستحبات التي فيها جلاء القلوب وتزكية النفوس ، واذا به يقف على مواطن الضعف في الحضارة الغربية المادية ويزيفها بأدلة رصينة من نواح شتى ويتضح له انها حضارة شهوات ونزوات في جميع المجالات حتى في الكنائس ! انها جاهلية جهلاء بكل ما في الجاهلية من تسافل مرير . انها جاهلية القرن العشرين ، جاهلية أشد خطراً على البشر من الجاهلية الاولى ، من الدور الجاهلي قبل الاسلام .

وقد جاء في الحديث ما مؤداه : ان رجلا اتى رسول الله (ص) قائلا : يا رسول الله ، ما من ذنب الا وقد ارتكبته . فما هو خير عمل اقوم به لكي يغفر الله لي .

فقال رسول الله ، « هل لك أم . احدمها يغفر الله لك . قال الرجل كلا ، انها توفيت . فقال رسول الله ، هل لك خالة ؟ قال الرجل ، نعم ، فقال

رسول الله : اخدمها ، يغفر الله لك .

* * *

هذه دساتير اجتماعية جاءتنا من جانب الله تبارك وتعالى على لسان الرسول والائمة من بعده عليهم افضل الصلاة والسلام ، لو عمل بها البشر « لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم » (١) ولنالوا سعادة النشأتين .

* * *

ولنختتم هذا المقال بما جاء في رسالة لمولانا وإمامنا زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام بشأن حق الأم وحق الأب وحق الولد وحق الأخ من الأقارب والأرحام .

يقول عليه السلام : واما حق امك : ان تعلم انها حملتك حيث لا يحتمل احد احدا . وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم احد احدا . ووقتك بجميع جوارحها ، ولم تبال ان تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لأجلك ووقتك الحر والبرد لتكون لها . وانك لا تطيق شكرها الا بعون الله وتوفيقه .

وأما حق ابيك . فأن تعلم انه أصلك فانه لولاه لم تكن ، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم ان اباك اصل النعمة عليك فيه . فاحمد الله واشكره على على قدر ذلك ولا قوة الا بالله .

---

(١) سورة المائدة : ٦٦

وأما حق ولدك : فأن تعلم انه منك ومضاف اليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وانك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عزوجل والمعونة على طاعته . فاعمل فى امره عملَ من يعلم انه مُثاب على الاحسان اليه ومعاقب على الاساءة اليه .

وأما حق اخيك : فأن تعلم انه يدك وعزك وقوتك ، فلا تتخذه سلماً على معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له ، فان اطاع الله ، والا فليكن الله اكرم عليك منه ، ولا قوة الا بالله .

* * *

فحقوق الوالدين والارحام ليست من قبيل التزين بالأدب الاجتماعي بل هي فروض وواجبات وعزائم ، اذا اداها المرء فقد ابرأ ذمته من تبعة المسؤولية بين يدي الله ، واذا لم يؤدها فلن تنفعه صلاة ولا صيام ولا غير ذلك من اعمال البر والطاعة . فالاسلام لا يحبّ ان يخرج للمجتمع إلا انساناً دقيق الحس ، مرهف الوجدان ، يفيض قلبه بالبر والمواساة والحب ، ولاشك ان الوالدين هما اول من يجب أن يمسه نفح ذلك الود بما اسلفاه من جميل ومن بعدهما الارحام .

هذه دساتير لها قيمتها الاجتماعية والتوجيهية ، فبتطبيقها تعمر البلدان ويسعد الناس فيشد بعضهم أزر بعض بالتواصل والتعاطف والتراحم والحب والولاء ، كما يؤدي تطبيقها الى الايمان الرصين وازالة الشكوك والأوهام ، يؤدي الى الايمان بالله وملائكته واليوم الآخر واقامة

الصلاة وايتاء الزكوة والخمس وبقية الحقوق ، يؤدي الى سعادة أبدية ، سعادة الآخرة ، وهي التي تدوم ملايين السنين في « جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين » (١) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٢

سؤال عن حكم شرعي

يسأل احد الاطباء ، لماذا : البول نجس والعرق طاهر ؟ وهما شيء واحد . ذلك ، لان البول يخرج مع العرق في الصيف ، فيقل البول ، وفي الشتاء يكثر البول لعدم خروج العرق من البدن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب :

اخي الدكتور ، زاده الله تعالى توفيقاً

بعد تقديم خالص التحية والتقدير لشخصيتكم المؤمنة ، ابدي :

ان احكام الشرع توقيفية ، يجب اتباعها على ما جاء من الشارع سواءً ظفرنا ببعض العلل الطبية أو الاجتماعية أو لم نظفر ، وان العلم الحديث فتح علينا ابواباً لتفهم علل كثير من الاحكام الشرعية ، على ان العلل قد لا تنحصر في ما اكتشفه العلم الحديث ، ووراء هذا الكشف علل وعلل قد خفيت علينا وسوف نظفر بها مع تقدم العلم ، غاية ما هنالك ان ما جاء من احكام في الشريعة الاسلامية لا يعجها العقل ان جهل بعض الاسباب او كلها . لذلك يقال : كل

ما حكم به الشرع حكم به العقل ، أي يراه العقل مستساغاً وان جهل العلة ، ولا عكس أي لا كل ما حكم به العقل البشري حكم به الشرع ، لان العقل البشري قد لا يستوعب الاحكام ويرى الامور من ناحية او ناحيتين وتبقى بقية النواحي خافية عليه . والله هو المحيط بالحكم والاسباب والنتائج .

اما الجواب على سؤالكم : من الواضح ان مقدار البول يقل في الصيف لخروج قسم من السائل بشكل عرق دون الشتاء ، فيزداد مقدار البول . ولكن هل أن كل ما في البول لدى التحليل من عناصر وجراثيم وميكروبات و (كاست) : Casts وبلورات يوجد في العرق . ذلك لان رائحة البول تختلف كثيراً عن رائحة العرق . وهذا دليل على الاختلاف والفرق في العناصر والكميات والجراثيم الى ما هنالك وليس في العرق إلا الماء والملح ومواد دهنية .

فالبول ، وهو الذي تفرزه الكليتان في المثانة ثم يخرجه الانسان بالارادة على الاغلب يشتمل على مواد واملاح كثيرة منها مادة فوسفات وحامض الصوديوم وحامض اللاكتيك ومواد عطرية وعناصر جامدة واكسانتين وكرانتين وحامض الاليوريك وحوامض دسمة ومواد ملونة وملح الطعام والفوسفات القلوية وفوسفات النورة وفوسفات المنيزى والسلفانات القلوية وحامض السليك والامونياك وغيرها ومادة الأورة .

وتكون غالباً في البول بنسبة ثلاثين الى الف واربعمائة من مجموع البول ومادة تسمى حامض الاوريك ونسبتها الى مجموع البول أقل من نسبة الواحد الى الالف الا انها سامة قوية التأثير جداً تقرح الجلد وتخدش ما اتصل به ، والمواد البولية بتراكيبها سامة مضرة . وما دامت في بدن الانسان لا تضر ، لان تأثيرها

ضعيف او معدوم فاذا مسها الهواء بعد خروجها اشتد ضررها كماء الاستنجاء ، ويزداد ضررها كلما طال زمن اتصالها في الهواء ولا تخلو من لزوجة .

وبول المرأة يختلف عن بول الرجل من حيث المواد ، كما ان بول الصبي قبل ان يأكل شيئاً من الطعام كالخبز وغيره يختلف عن بوله بعد ان اعتاد الاكل ، لذلك تختلف كيفية التطهير من البول فى ابوال من ذكرنا ، وان الطب والفسلجة ليؤيدان ذلك .

وبما ان العرق يختلف عن البول من حيث التحليل والوزن النوعي والرائحة ومروره ببعض اعضاء الجسم الانساني لا يكون ضاراً كي يصب عليه الماء بعد الخروج من الجلد ، كما فى البول .

وبالختام اتمنى لتلك النفس الطاهرة التي اخذت على عاتقها خدمة هـذا الدين في النواحي العلمية سعادة أبدية ، سعادة الدنيا ونعيم الآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اسلام عائشة بردجت هني [١]

Aisha Bridget Honey

يعرف المسلمون في بريطانيا عائشة المسلمة بنشاطها المتوقد ، وكتاباتها التي تدل على فهمها الاسلامي ووعيها حقيقة هذا الدين الحنيف ، فهي عضو في لجنة تحرير « رسالة الاخبار » التي يصدرها شهريا اتحاد الجمعيات الطلابية الاسلامية فى المملكة المتحدة وايرلندا .. وهي عضو في الجمعية الاسلامية بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن .. وهي كذلك امينة سر جمعية النساء المسلمات فى بريطانيا Moslem women Association وهي تساهم في جميع وجوه النشاط الاسلامي الذي تنظمه جمعيتها او اتحاد الجمعيات الاسلامية . تعرض عائشة قصة اسلامها ووجهة تفكيرها . وهذه هي الاسئلة واجابات عائشة عليها .

س١ ـ متى اسلمت ؟ وكم كان عمرك عندها ؟

ج ـ هداني الله للاسلام منذ ثلاث سنوات ونصف . وقد كنت عندها في الحادية والعشرين .

س٢ ـ هل لك ان تروي لنا قصة اعتناقك الاسلام ؟

---

(١) من مجلة حضارة الاسلام للسنة السادسة (٣ ٤) (جمادي الاولى والآخرة عام ١٣٨٥)

ج ـ نشأت في اسرة هي فى رأيي مثل للأسر البريطانيـة اليوم من حيث نظرتها للدين .. فوالدتي نصرانية غير انها لا تمارس أياً من العبادات النصرانية .. ووالدي لا يؤمن بأي دين من الاديان. وقد سجلت فى طفولتي باحدى مدارس الاحد « وهي مدارس دينيـة تشرف عليها الكنيسة » وتلقيت علوم مدارس الكنيسة الانكليزية (١) غير ان احاديثنا في المنزل لم تكن تتعرض للدين من قريب او بعيد. ولا استطيع ان اتذكر يوماً واحداً من ايام طفولتي سمعت فيه اسم الله يذكر في منزلنا .

لم استطع في خلال سنوات دراستي فى مدرسة الكنيسة ان اقتنـع ببعض الافكار الجوهرية فى النصرانية ، وخصوصاً فكرة التثليث وفكرة الفداء .. « وهي ان الله ـ أو المسيح ـ قد افتدى الناس وكفر عنهم سيئاتهم عندما صلب » ولكم نوقشت هاتان الفكرتان .. ولكم دارت الاحاديث حولهما .. إلا ان كل ما سمعته عنهما ، كان فى رأيي مجانباً للحقيقة التي حيرتني معرفتها . والتي طال شوقي اليها . لقـد كانت مدرستي مدرسة نصرانية إلا انني تخرجت منها ملحدة .

كنت محبة للفلسفة ، مغرمة بها وكنت في شوق لمعرفـة الحقيقة

---

(١) أوجدت الكنيسة الانكليزية بأمر ملكي . بعد ان برم القصر بالخلافات الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم .. وهي بمثابة حل وسط يجمع بين المتناقضات .

فقرأت وأنا فى الخامسة عشرة كتاب تاوته تشنغ Taoteh Ching الذي يضم اوائل الكتابات في الفلسفة التاوية الصينية ، وقد تأثرت بنظرة الكتاب تأثيراً عميقاً . وسمعت عن البوذية ، واخذت اقرأ بنهم عن هاتين العقيدتين الفلسفيتين . وعزمت على تعلم اللغة الصينية والذهاب الى الصين غير ان هذا لم يكن بالامر السهل بالنسبة لفتاة في الخامسة عشرة من عمرها ، لا مال لديها ولا مؤهلات . لذا ذهبت عندما بلغت السابعة عشرة الى كندا حيث عملت مدة سنتين وجمعت مبلغاً من المال يكفيني لمتابعة دراستي كي احصل على الشهادة الثانوية وادخل الجامعة لدراسة اللغة الصينية .

وفي كندا عرفت الفلسفة الهندية ، وقرأت الكتب الهندوسية المقدسة ولقد وجدت في كتب العقائد الفلسفية الثلاث التي عرفتها ـ التاوية والبوذية والهندوسية ـ جمالا وسموقاً وعمقاً .. غير انها جميعاً لم تكن لترضي تفكيري واحساسي .. فلقد اخطأت جميعها الوصول الى توازن بين الكون الواسع العظيم من جهة ، ومتطلبات الحياة اليومية الاجتماعية والعملية من جهة اخرى .. بل مالت جميعها الى اهمال الاخيرة او نبذها . ويروى ان صاحب التاوية ومنشئها هام على وجهه في ارجاء الارض كصوفى زاهد . كما هجر بوذا زوجته واسرته كي يبحث عن الحقيقة أما الكتب الهندوسية فهي كتب اخلاقية فى جوهرها فهل ترى كل الاواصر الانسانية والحياة الاجتماعية اوهام وخيالات لا معنى لها ؟

ازعجني هذا السؤال وأقض مضجعي طويلا ، ولم استطع ان اؤمن

بأي من هذه العقائد .. وعشت في حيرة .. بماذا اؤمن ؟ ما هي غاية الحياة ؟ أهي مجرد مصادفة كما يقول البعض ؟ أن كانت كذلك فالموت افضل منها الف مرة ! وزادت حيرتي ، وزاد أرقي .

لذا كان نجاحي فى امتحانات الثانوية العامة وقبولي في جامعة لندن لدراسة اللغة الصينية انتصاراً هزيلا فارغاً لا معنى له .. صحيح انني حققت طموحي بدراسة الصينية الا ان الحقيقة التى كنت انشدها بدت أبعد مما كانت .

جاء تعرّفي بالمسلمين بعد التحاقى بالجامعة .. ولم اكن قد سمعت أو قرأت شيئاً عن الاسلام من قبل ، بل لقد كان لدي ما لدى كل الغربيين من احقاد ومفاهيم خاطئة عن الاسلام . ولقد شرح لي الطلبة المسلمون مبادىء دينهم بصبر وأناة ، واجابوا على كل ما اعترضت عليه ، وأعطوني بعض الكتب لاقرأها .. وقد كنت في البدء أتصفح هذه الكتب تصفحاً سريعاً ارضاءً لبعض فضولي ، وكنت انظر اليها على انها مدعاة للضحك والسخرية .. الا ان الشذرات التى قرأتها جعلت شكي في سمو الاسلام يتلاشى شيئاً فشيئاً ، وبدأت اقرأ الكتب بعناية واهتمام .. فأذهلني الوضوح الرائع فى اسلوبها ، واخذت بقوة الحجة والمنطق التي تعتمد عليها في نظرتها للخلق والخالق وتأكيدها حقيقة البعث بعد الموت .

ثم اعطاني الطلبة المسلمون القرآن مترجماً للانكليزية .. ولست مستطيعة مهما حاولت ان اعبر عن مدى تأثير هذا الكتاب فى نفسي

فقبل أن انتهي من قراءة السورة الثالثة سجدت لله تعالى . وكانت هذه اول مرة في حياتي اصلي فيها لله . . ومنذ تلك اللحظة اصبحت بحمد الله مسلمة .

اعتنقت الاسلام ولما تمض ثلاثة شهور على بدء معرفتي به . وطبيعي انني لم أكن اعرف منه إلا الافكار الاساسية . وبدأت بعدها سلسلة طويلة من الاسئلة اطرحها على اخوتي المسلمين واناقشها معهم في جزئياتها وتفصيلاتها .

يسألني كثير من الناس عن الاسباب الرئيسية التي دعتني الى اعتناق الاسلام . وهذا سؤال يصعب علي ان اجيب عليه اجابة مقتضبة إذ أن مثل الاسلام ـ كما يقول احد المسلمين الاوربيين ـ كمثل عمل هندسي متكامل رائع كل جزء فيه يتمم الاجزاء الاخرى ويجملها . وهذه الظاهرة في الاسلام هي الشيء الذي يترك في النفوس أروع أثر عن الاســـلام . فاذا ما نظرت اليه عن بعد اخذت بعمق نظرته للاشياء . وسحرتك روعة تشريعاته بشمولها اهداف واعمال وطبيعة الدولة المسلمة . ولئن بحثت في جزئياته فانك واجد الطريقة المثلى للحياة الاجتماعية المبنيـة على الخلق القويم . ورأيت ان كل عمل يقوم به المسلم يذكره بالله . . وعندما يذكر الله يراجع نفسه ويحاول البلوغ بعمله ذاك مرتبة الكمال . . وهكذا يزول ما كان بين متطلبات الحياة اليومية ومتطلبات الدين من صدع ، ويصبح الطرفان متكاملين متناسقين .

س٣ ـ ماذا كان رد الفعل عند اسرتك واصدقائك عندما عرفوا باعتناقك الاسلام ؟

ج ـ تقبل والداي اعتناق الاسلام دون كبير عناء ، واعتقد انهم اول الامر ظنوا اسلامي مجرد « فكرة غريبة » اخرى من افكاري التى تبدو شاذة لبعض الناس ـ كتعلمي الصينية ـ وانها ستنطفىء بهجتها وتزول مع الايام .. الا انهم بعد ذلك بدأوا ينحون علي باللائمة خاصة بعد ان وجدوا أن ظنهم قد خاب وأن ايماني يزداد رسوخاً مع الايام الى حد أن تأثيره لم يقتصر على طريقة تفكيري بل امتد الى عاداتي وطريقة حياتي فغيرها وقد كرهوا ان يروني امتنع عن شرب الخمور وأكل لحم الخنزير .. كما كرهوا ان يروني ملتفعة بخماري ، وأضعه على رأسي في كل مكان وأعتقد أن اهتمامهم ينصب على آراء الناس وماذا يقولون عني ، دون ان يهتموا بالعقيدة والايمان .

أما اصـــدقائي الانكليز فأمرهم مختلف .. اذ انهم على استعداد للمناقشة ومحاولة التفهم .. فهم عاقلون متقبلون للمنطق . وعندما اناقشهم في نظرة الاسلام ومبادئه فى الحياة الاجتماعية مثلا أرى لديهم استعداداً للاعتراف بحكمة النظرة الاسلامية واصالتها . واذكر مرة دار فيها نقاش بيني وبين بعض صديقـاتي حول نظرية تعدد الزوجات وحدودها التى وضعها الاسلام .. والحلول التى تقرها الحضارة الغربية .. فاعترفن جميعاً ـ وبينهن فتاة مجازة في عـلم اللاهوت النصراني ـ بأن تعدد الزوجات المحدود بشروطه الاسلامية افضل الحلول لمشكلات الزواج .

س٤ ـ هل لاقيت أية مضايقة أو ايذاء نتيجة اسلامك ؟

ج - ان الذين لم يؤتوا درجة طيبة من العقل والفهم هم بصورة عامة متحاملين على الاسلام يكنون له في صدورهم الاحقاد والضغائن ، وهم دوماً يسخرون من المسلمين ويهزؤون بهم ، ولئن اخفوا سخريتهم فى حضور احد المسلمين فهم لاشك ساخرون منه في غيبته هازئون به غامزون منه ومن دينه . وهؤلاء لا يعبؤون بالملحدين بل يحترمونهم لتفكيرهم « الحر » كما يقولون ، لكنهم متحاملون حاقدون على الاسلام والمسلمين . ومع اني شخصياً لم ألق أية مضايقة جديه نظراً لانني طالبة في الجامعة في مدرسة الدراسات الافريقية والشرقية واختلاطي دواماً بأناس يعرفون شيئاً من الاديان والمعتقدات ، الا انني أعلم ما يقاسي غيري من المسلمين .

س٥ - ماذا قمت به من دراسات اسلامية منذ اعتنقك الاسلام ؟ وكيف تتطور مشاعرك كلما ازدادت معلوماتك عن هذا الدين الحنيف ؟

ج - انحصرت دراساتي عن الاسلام في قراءة ما وصل الى يدي من كتب اسلامية ، وفي اسئلة اوجهها الى بعض المسلمين ذوي المعرفة الجيدة به ، وفى مناقشات تدور حول بعض التعاليم والآراء الاسلامية ، بيني وبين من اعرف من المسلمين الذين ينتسبون الى مختلف الامصار الاسلامية . ولقد سعدنا في العام الماضي بوجود طالب سوداني اوتي معرفة كبيرة بالفكرة الاسلامية والفلسفة الغربية على السواء ، وقد دعا هذا الطالب الى عقد اجتماع دوري اسبوعي كان ذا فائدة كبيرة .. فقد حصر الحضور بعشرة اشخاص كي تتركز الفائدة وتتسع . وقد كانت طريقتنا في هذه الندوة ان ندرس أهم ترجمات القرآن بالانكليزية ونقارنها بالاصل العربي لنصل الى اقرب

معنى للآية (١) ثم نناقش المعنى معتمدين على مختلف التفاسير بصورة عامة وتفسير الطبري بصورة خاصة . كما نناقشها من زاوية فهمنا ولكنه يؤسفني ان اقول انه منذ رحيل هذا الاخ السوداني لم نستطع ان نجد في لندن شخصاً عنده مثل معرفته ورغبته في مواصلة هذا الجهد القيم والعمل النافع .

س٦ — هل تعتقدين ان الاسلام يستطيع التأثير في الحضارة الحديثة ؟ وبأية طريقة ؟

ج — لاشك ان الاسلام يستطيع كبح جماح الحضارة الحديثة وتوجيهها الوجهة الصحيحة . فالعالم الغربي يعيش اليوم في عماوة لا يكاد يرى فيها بصيص أمل ينير له الطريق لسعادة النفس والروح .. وأن من يعرف حقيقة المجتمعات الاوربية ليرى الفراغ الهائل الذي يختفي تحت ستار براق خداع من الرقي والازدهار ان القلق النفسي قد عم الجميع . . والناس اليوم يبحثون عن منفذ يخلصون منه من مشاكلهم ولكن بلا جدوى والطريقة الوحيدة التي تبدو امامهم هي ان يزيدوا في سرعة سيرهم نحو الهاوية .. فالتحلل الجنسي الواسع أدى الى اقامة مستعمرات العراة ، والى انتشار الشذوذ الجنسي والاسلام يستطيع بما يوفره من توازن رائع بين متطلبات الجسم ومتطلبات الروح ان يوجه الحضارة الحديثة في الوجهة التي تستطيع ان توفر للانسان سعادته وتجعله

---

(١) ان التراجم الانكليزية لمعاني القرآن — على كثرتها — تختلف اختلافات كبيرة في اعطاء المعنى المراد . ومن المؤسف انه لا توجد بعد ترجمة واحدة يمكن ان يقال عنها : انها وافية وجيدة . « المترجم »

يحس الغاية من وجوده في هذه الحياة كما تجعله يسعى حثيثاً للفوز برضاء الله الكبير المتعال كي يسعد في حياته الاخرى اللهم اجعلنا جميعاً من سعداء الدارين .

س٧ - ما هي في رأيك افضل طريقة لنشر الاسلام ؟

ج - قبل ان نفكر في نشر الاسلام علينا ان نحاول ان نكون في حياتنا واعمالنا على المستوى الذي يطلبه منا هذا الدين الحنيف . ان الله تعالى يقول : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » فالمفروض فينا ان نكون دعاة للاسلام ، لا نشرك فيه أية فكرة اخرى . . الا ان علينا ان نكون داعين له عالمين به بحيث نستطيع ان نجيب على سؤال من يسأل واعتراض من يعترض . ولاشك ان توفر بعض الكتب الجيدة عن الاسلام يفيد كثيراً في الدعوة اليه . اذ عندما نعير كتاباً لشخص غير مسلم يقرؤه بتمعن اكثر من تمعنه في مناقشة شفهية . . غير ان من المؤسف ان الكتب الاسلامية الجيدة المتوفرة باللغة الانكليزية قليلة .

ولكني أعود فأركز على اهمية المثل الحي إذ لاشيء يترك في النفوس انطباعاً اقوى من المثل الحي فعلينا ان نكون في حياتنا امثلة للانسان المسلم كما يتطلب منا القرآن .

س٨ - ماذا يحتاج المسلمون البريطانيون خاصة ؟

ج - يعتنق بعض البريطانيين الاسلام لدى زواجهم او زواجهن بنساء مسلمات أو رجال مسلمين . . وهؤلاء يجدون عادة الحياة العائلية الاسلامية ويسعدون بها . . اما غير المتزوجين الذين يعتنقون الاسلام بالاقتناع الشخصي وحده سواء كانوا فتياناً او فتيات . . نساء او رجالا فانهم

يواجهون بعض المشكلات . فهم الى حد ما لا يشعرون بأن جو المجتمع البريطانى جوهم ولا هو مجتمعهم .. وهم فى نفس الوقت لا يعيشون في مجتمع اسلامي .. وهم يجدون عنتاً في المحافظة على الصلاة والصيام في مواقيتهما .. الخ لذا فان القضاء على الشعور بالعزلة عند المسلمين الجدد أمر متوقف على العائلات الاسلامية الموجودة هنا .. ويسعدنى ان اقول ان معظم الأسر الاسلامية هنا تقوم بواجبها من هذه الناحية خير قيام .

كذلك فاننا نحتاج ـ كما ذكرت آنفاً ـ الى مدرسين ذوي ثقافة اسلامية جيدة كي يساعدوا المسلمين الجدد في فهم القرآن . فكثير من المسلمين الجدد يتوقون الى فهم القرآن فهماً جيداً الا انهم لا يستطيعون ذلك .. ويؤسفني ان اقول ان المركز الثقافي الاسلامي في لندن لا يقوم بأي نشاط من هذا القبيل وانما ينحصر مثل هذا العمل بالطلاب الذين لا يستطيعون تكريس جزء كبير من وقتهم لهذا العمل نظراً لانشغالهم بدراساتهم .

س٩ ـ هل زرت بعض الاقطار الاسلامية ؟ وما هي انطباعاتك عنها ؟

ج ـ لقد سعدت بزيارة لمصر قمت بها منذ عامين بدعوة من اسرة مصرية كريمة .. وقد اعجبت بها اعجاباً كبيراً .. واخذت بكرم الشعب هناك .. غير انى اعيب على الشعب المصري المسلم ان معاملته للخدم وللحيوانات ليست من الاسلام في شيء .. فلئن كان ديننا قد اوصى بحسن معاملة الرقيق والحيوان فان علينا ـ نحن المسلمين ـ ان ننفذ اوامره

ووصاياه . . وفى هذا اذكر حديثين شريفين فقد قال رسول الله (ص) « اخوانكم خولكم . . جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس » وقال : « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » . فاذا كانت المعاملة الطيبة واراحة الحيوان مطلوبة ساعة قتله فهي مطلوبة فى حياته . واذا كان من الواجب علينا معاملة العبيد كأخوان لنا ، فأن معاملة الخدم كأخوة أمر مفروض ايضاً .

كذلك آخذ على الشباب انبهارهم ببعض المظاهر الزائفة في الحضارة الغربية فهم ينخدعون ببريقها الوهاج دون ان يعرفوا زيفها .

وأحب هنا أن اسطر اعجابى بقوة الاواصر العائلية وبالحياة الاجتماعية الكريمة التى ان قورنت بالحياة الاجتماعية في الغرب بدت في القمة فكيف بالحياة الاجتماعية الاسلامية الحقة ؟ اللهم اجعلنا مسلمين حق الاسلام .

جاهليـــة الغرب

إن شبابنا المتعلم عندما يذهب الى الغرب ويتصل بالعلم المـادي وما فيه من دقة متناهية وحسابات دقيقة ومعادلات رصينة ، ودسـاتير متنوعة وكتب انيقة ومختبرات عديدة ومعامل تطبيقية مدهشة ، يزعم بل يوقن ان الغرب قد بلغ مرتبة الـكمال في كل شيء وان لا سبيل لنجاة الشرق الا باتباع اساليب الغرب الحضارية في كل شيء .

وقد فاته أن الموضوع ذو فرعين مستقلين : (١) عمارة الاوضاع المادية ، (٢) عمارة النفس الانسانية . وان العلم المـادي لا يؤثر فى عمارة النفس وصناعتها . وهو يجتمع مع الموبقات وانواع الفحشـاء وما يؤدي الى تحطيم النفس وابعادها عن خالقها والازدراء بالمقدسات وعوالم الآخرة .

إذ لا علاقة بين حل المعادلات التفاضلية Equations différentielles والتخلق بالأخلاق الكريمة والتجنب عن الفحشاء والظلم والبغي والخشوع لله المتعال وتقديســه وتسبيحه بأنواع التسبيح . ولا رابطة بين تحضير واستحصال حامض الـكبريتيك : (H_2SO_4) والـكمال النفسي كما لا علاقة بين تحطيم الذرة والحصول على طاقة ذرية تقدر بـ (MC^2) مربـع سرعة الصوت في الكتلة ، وبين كـف النفس عن هتك

الحرمات وتجنب المحارم ، هما من واديين مختلفين .

فالعلم المادي ينمو سواء أكان الفرد العامل فى نموه فاسقاً او مؤمناً والله تعالى يقول :

« أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » . (سورة :)

ولأجل هذا السبب نفسه لم يعن الانبياء عليهم السلام بالعلوم المادية وحصروا همهم في تكميل النفوس وتطهيرها ، اصلاحها وتزكيتها ، ذلك لان العلم المادي ينمو نتيجة قابليات وملكات اودعها الله تعالى في العقل الانساني : من تجربة ومشاهدة واستقراء واستنتاج الى ما هنالك .

الا ان هذا العقل نفسه لا يصل ، لكونه اسيراً بين ايدي الشهوات والنزوات والميول الحيوانية الى جميع ما من شأنه تكميل النفس . فوجب اذن تعميماً لسنة الكمال في هذا الكون المتكامل في النواحي المادية ان يتعلم هذا العقل اصول تكامل النفس عما وراء الطبيعة : عن الرسل سلام الله عليهم اجمعين .

فعندما ترك الغرب اتباع اوامر الرسل (ع) لغرورهم العلمي وقولهم : العلم يغزو الفضاء ! والعلم وحده يوصلنا الى الكمال المنشود وتطبيقهم الطريقة العلمانية Laïcisme في معزل عن الله تعالى ، انطمس في جاهلية جهلاء ورجع القهقرى في حقل الكمال النفسي وهو ، دون ريب أهم الحقول وغاية الغايات لتحقق انسانية هذا الانسان ، وأهم من اختراع قنبلة ذرية او هيدروجينية ، سواء استخدمت للهدم والبطش او في امور عمرانية .

ونحن ها هنا نورد نماذج من جاهلية الغرب ، لكي يعلم شبابنا ، ـ حفظهم الله من مضلات الفتن ـ ان الغرب اخذ يتردى يوماً بعد يوم . وإن هذه الحضارة المادية بجميع اساليبها آئلة الى انهيار ، ولا نجاة لهذا العالم الا بالتمسك بروحيات صحيحة إلهية وبما يؤدي الى خشوع النفوس تجاه خالقها وبارئها ، فما من شيء في هذا الكون الا ويسبح الله تبارك وتعالى ، حتى الطير فى السماء .

« ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والارض ، والطيرُ صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » (١) .

* * *

(البروفو) الذين يريدون تحطيم كل شيء

برزت في هولندا فى الآونة الاخيرة حركة تمرد غريبة يقوم بها الشباب الجانح المتمرد الذي يشتبك مع البوليس بمناسبة أو بدون مناسبة بحيث تطور الأمر الى قذف قنابل الدخان على موكب الملكة مؤخراً . ويطلق هؤلاء على انفسهم اسم (البروفو) او الساخطين الذين ملوا كل الاوضاع القائمة ! ! والمقال التالي هو تحليل طريف لتصرفات هؤلاء الشبان الذين يغرقون فى الانحلال والضياع والفوضى .

كان الاسبوع الماضي حافلا بالنشاط المحموم للشباب الهولندي المتمرد وهم بدون شك من اكثر احداث العالم المنحرفين اثارة ومتعة ، وقد يتصور الناس انهم يثيرون السخرية والضحك ، غير ان هؤلاء الشبان يزعمون

---

(١) سورة النور : ٤١

انهم فنانون يتمتعون بقوة سياسية بحيث يتمكنون من تدبير مظاهرة سيرالية(١) لتحطيم السيارات في الشوارع ! ففي لاهاي ـ عاصمة هولندا ـ قاموا قبل

---

(١) السيريالية : هي حركة فنية ادبية نشطت فى مطلع القرن العشرين . وقد اخذت وجهاً سياسياً فى الفترة الاخيرة قوامها الثورة المطلقة ، والعصيان التام والتخريب المنظم ، وعبادة اللامعقول ، انها دعوى ضد كل شيء ، ورفض لكل الحدود والقيود باصرار وتحدٍ ، تنكر وتهدم كل قيمة وكل موروث في كل ما وصل اليه الانسان في كل الميادين . تنظر الى الانسان على انه رغبة ، لذلك تسعى الى تحرير هذه الرغبة تحريراً مطلقاً ، تقدس التناقض وعدم المعنى ، لهذا كان المذهب العقلي اعدى اعداء السيريالية .

تحاول السيريالية ان تدمر الأدب بالأدب والرسم بالرسم ، فهي تحاول ان تحقق العدم عن طريق امتلاء الكينونة الطافح ، بواسطة حذف (الأنا) حذفاً رمزياً بالتناوم والكتابة الآلية ، وحذف المواضيع حذفاً رمزياً بانتاج موضوعات تتلاشى تدريجياً ، وحذف اللغة حذفاً رمزياً بانتاج معانٍ مضللة ، ويعتبر كل اثر من آثارها بألوانه المتقلبة على سطحه عدم وليس هو الا ذبذبة للمتناقضات لا نهاية لها .

يتجسد أمل السيريالية البعيد في ادراك نقطة موهومة تكف فيها متناقضات الحياة والموت . الواقعي والخيالي ، الماضي والمستقبل ، القابل الايصال وغير القابل الايصال . العالي والداني .

وقد أشادت السيريالية بالقتل والانتحار ، واعتقد « كرفيل » ان هذا الحل : « صحيح ونهائي على ارجح احتمال » .. وانتحر « كرفيل » مثل الشاعرين الفرنسيين السيرياليين : (ريفو ، فاشيه) اللذين سبقاه الى الانتحار =

ايام بمهاجمة موكب الملكة (جوليانا) اثناء شق طريقه الى البرلمان لافتتاح دورته الجديدة رسمياً ، فقذفوا قنابل الدخان على الموكب وكانت النتيجة ان القت سلطات البوليس القبض على (٨١) مشاغباً منهم ! وفي يوم الاربعاء الماضي صرح احد قادتهم بأنهم سيقومون برش مسحوق قابل للانفجار في كل نافورة للزينة بامستردام ولكن يبدو ان الخطة احبطت قبل التنفيذ ولهذا لم يتدفق الزبد الابيض في الشوارع !

وفي يوم الخميس هتف (روبرت جاسبر غروتفليد) الزعيم البارز بين هؤلاء المنحرفين والذي كان هو مدبر معظم حوادث الشغب هتف بالمتمردين، قائلا : هيا وتدفقوا للتفرج على الحادث المثير فى قارب البروفو . اما الحادث المثير الذي قصده فكان جلوس (٥٠) من هؤلاء الناقمين للتفرج على افلام تلفزيونية سبق التقاطها اثناء ممارستهم الفوضى في الشوارع واماكن تجمعاتهم ، وتضمنت المشاهد هؤلاء الفتيان وهم يتصارعون فوق الوسائد فى الصالة الخافتة الاضاءة بينما كانت المخدرات تنتقل من يد الى يد !

ويقول الزعيم الفوضوي غروتفليد :

« إننا مجتمع مُدمن على العقاقير وعبيد للظروف ، وقد سببت

= وقد قال (اندريه بريتون) زعيم السيريالية : « ان ابسط عمل يقوم به السيريالي هو النزول الى الشارع بمسدس في اليد واطلاق النار على الجماهير حيثما اتفق » (١) .

(١) من مجلة حضارة الاسلام العدد العاشر السنة السادسة من مقال للاستاذ غازي التوبة بعنوان : الحضارة الغربية .

المواصلات الحديثة تفسخنا ، كما ان السجاير تسبب السرطان » ، ثم يأخذ بالقهقهة بشكل جنوني !

وفى الساعات المبكرة من صباح السبت الماضى وتحت تأثير المخدرات وضع المستر (روب ستولك) وهو احد قادة الساخطين ، اجراء خطة لهؤلاء البروفو حتى الآن : وهي الاستيلاء على ميدان (دام) الذي هو الميدان الرئيسي فى امستردام ، استناداً الى ان هذا الميدان كان قد بيع قبل عشرين عاماً الى مواطني امستردام بثمن رمزي هو (غليدر) واحد لكل سانتيمتر مربع واحد . وذلك لجمع المال اللازم لاقامة نصب تذكاري لضحايا الحرب ، وما زالت وثائق البيع موجودة لدى المواطنين الذين احتفظوا بها كأثر تذكاري . والآن ينوي البروفو الحصول على هذه الوثائق بواسطة الاستجداء والاستعارة أو حتى السرقة بحيث يتجمع لديهم منها ما يكفي للادعاء بأن ميدان دام اصبح ملكهم ومن ثم يبادرون الى منع جميع مواطنيهم الآخرين والذين يكبرونهم سناً من دخول الساحة ، ورغم غرابة الفكرة الا ان خيال (البروفو) الخصب فيه متسع للعمل على تنفيذ مثل هذا المشروع الجنوني !!

ومن الطبيعي ان كل هذا ما هو إلا سخف صادر عن احداث جانحين ، ومع ذلك فانه يجسد ثورة من لدن الشباب ، ذات مظهر سيريالي مضحك ، ثم انهم يزدادون قوة ونفوذاً !!

ففي امستردام تم انتخاب المستر (برناردي بيرز) مرشح (البروفو) لعضوية مجلس المدينة بأغلبيـــة ١٣٠٠٠ صوت . ويزعم البروفو انهم

يتمتعون بمساندة ٤٠٠٠٠ شاب على الأقل في الجامعات والمدارس ، ممن هم في السن التي تخولهم حق الانتخاب ، واذا علمنا ان عدد سكان امستردام لا يتجاوز المليون شخص فان رقم مساندي البروفو لا يستهان به ! (١)

شبان مخنثون يغرقون السويد ويزحفون الى كل الغرب

استكهولم — موضة شاذة جديدة تزحف اليوم بسرعة لتغرق المجتمات الغربية (الراقية) . انها موضة الشبان الذين يتخنثون فيطيلون شعر رؤوسهم ويستعملون احمر الشفاه والبودرة ويزججون حواجبهم ويعمدون الى تقليد الاساليب النسائية كلها ، ويعرف هؤلاء باسم (البوب) أو الشبان اصحاب الشعر الطويل .

وتعتبر السويد ـ وعاصمتها استكهولم على الأخص ـ المركز الرئيسي لهؤلاء المخنثين !

منذ سنوات كانت هذه الظاهرة امراً شاذاً . . اما اليوم فقد اصبح التخنث فلسفة وطريقة خاصة في الحياة كما يزعم المخنثون ويجاهرون بذلك بكل فخر انهم يتركون شعورهم تتدلى ويتزينون بالمجوهرات ، ويتطيبون بالعطور النسائية ويرتدون ايضاً الالبسة النسائية الداخلية . وهم يفاخرون بتخنثهم ويقولون : إن تشبههم بالنساء يزيد من شعورهم برجوليتهم . . اما كيف ذلك . . فان المخنثين يؤكدون انها فلسفة خاصة.

---

(١) مجلة حضارة الاسلام ، شعبان : ١٣٨٦

اما علماء النفس فانهم يرفضون هذه الفلسفة ويحتارون كيف يصنفون هؤلاء الشبان المتأنثين ، ولكن قد يكون تفسير فلسفتهم وزعمهم هو ان تخنثهم جعلهم صنفاً مرغوباً من قبل النساء كما ثبت ذلك فى ليالي السويد الماجنة . بل حتى فى الحدائق والمتنزهات وفي الشوارع ايضاً . وفى كل وقت ، فهنا الحرية الاباحية !! (١)

* * *

جاء في مقال نشر فى مجلة Stern الصادرة في همبورغ فى في المانيا الغربية بتاريخ ١ ايلول ١٩٦٣ برقم ٣٥

« ان الاولاد الصغار بين ١٤ و ١٦ سنة الذين يتأهلون للعمل ، يقولون حينما يبحث امر الزواج امامهم : أنا اتزوج ؟! لماذا ؟! انني استطيع الحصول من أي فتاة في العمل على كل ما اريد دون أن اتزوجها » .

إن اتصال المرأة الدائم بالرجال اثناء العمل قد فل من حدة شعورها الحقيقي تجاه الرجل ، فلم يعد عندها شوق اليه ، واصبح الرجل عندها شيئاً عادياً ، وكذلك الرجل ، فانه لم يعد يتشوق للمرأة لانها تحت نظره فى كل لحظة وسهلة التناول ، وكما انه لم يعد يشعر بالاحترام نحوها ، لانها اصبحت رخيصة . ان شباب اليوم لم يعودوا يتحرجون من الخوض في مواضيع او نكات جنسية عميقة بمحضر

---

(١) مجلة حضارة الاسلام : ربيع الاول ١٣٨٦

من زميلاتهم (١)

* * *

ويقول المتتبعون : ان بريطانيا تنغمس اليوم في الفجور الى حدود مذهلة ، حتى ان الدعوة الى اباحة الشذوذ الجنسي بين الرجال استطاعت ان تظفر بالاباحة من مجلسي اللوردات والنواب ، وبارك هذه الاباحة معظم الشعب الانكليزي وعلى رأسه اساتذة الجامعات والاطباء والمفكرون بل حتى رجال الكنيسة !؟.

لقد انتشر الانهيار الخلقي فى ربوع بريطانيا على نحو يفوق كل تصور . ويجعل من العاصمة البريطانية ـ بدون مبالغة ـ ماخوراً كبيراً للدعارة والموبقات ! فقد اصبح الشذوذ الجنسي هو موضة اليوم التي يباركها المسؤولون الكبار ، واصبح من الصعب التمييز بين الشبان والفتيات ، لان الشبان اصبحوا يطيلون شعورهم ويرتدون الملابس النسائية ويطلون وجوههم بالاصباغ والمساحيق ، كما ان البغاء فى لندن قد انتشر ولم يعد محصوراً فى المحترفات ببيع الفجور ولكن اصبحت تمارسه نساء وفتيات من مختلف الفئات والطبقات .

وقد جاء في تقرير اللجنة الذي رفعته الى البرلمان : ان كثيراً من الزانيات فى لندن لسن من المحترفات المتفرغات لهذه المهنة القذرة ، وانما هن من صغار الموظفات اومن طالبات الجامعات او من المعاهد ، اللواتي

---

(١) حضارة الاسلام : العدد السابع ، السنة الرابعة .

يمارسن البغاء الى جانب اعمالهن ليحصلن على دخل اضافي يمكنهن من الانفاق عن سعة على الثياب المغرية وعلى مستحضرات التجميل .

ولذلك كله . فقد نشأ الجيل الجديد فى بريطانيا وقد اهتزت جميع القيم وانهارت لديه ولم يؤمن بشيء الا بالبحث عن المتعة وعن المال الذي ييسرها له . بأي ثمن وأي طريقة ! ولذلك فقد انتشرت جرائم الاحداث فى بريطانيا ، واصبح البغاء مهنة تمارسها الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة على اوسع نطاق (١) .

* * *

وفى خبر : ان الدكتور رسلي باري اسقف (نوتنجهام مشير) دعا رجال التعليم ورؤساء اتحادات الطلبـــة والمسؤولين الى حضور مؤتمر لمناقشة مشكلة ما سماه « انهيار مستوى الاخلاق » بين الاطفال والمراهقين من سن العاشرة الى سن التاسعة عشرة .

وفى خبر آخر : وافق مجلس النواب الامريكي على اعتماد ٢٢ الف دولار لتزويد سفارات امريكا فى افريقيا بالويسكي . وقال النائب الديموقراطي جون روني : ان الويسكي هو (عدة الشغل) في سفارات امريكا !

وفي تقرير انه تتصدر التكساس قائمة اكثر الولايات الامريكية من حيث الجرائم ، ففي كل ٣ دقائق و ٤ اعشار الدقيقة ترتكب فيها جريمة جنائية وفي خلال السنوات الاربع التي سبقت ١٩٦١ فاق عدد جرائم

---

(١) حضارة الاسلام ، جمادي الاولى : ١٣٨٦

القتل المرتكبة في التكساس ١٠٨٠ شخصاً أي ضعف عدد من قتلوا في نيويورك .

ومن بين مدن التكساس تبرز (دالاس) في عدد الجرائم والمجرمين . فجرائم القتل في (دالاس) يفوق عددها جرائم القتل في بريطانيا كلها .

وفي خبر ان عالماً نفسانياً بريطانياً اعلن : ان ربع عدد البالغين فى بريطانيا يعانون من الشذوذ العقلي .

* * *

وجاء في تقرير لوزارة الداخلية البريطانية عام ١٩٦١ ان عصابات النساء والمراهقات زادت زيادة خطيرة مما يهدد الامن العام . وقد القي القبض على ٧٤٢ الف فتاة وسيدة خلال العام الماضى بتهمة السطـــو والسرقة و١٠٠٠٠ فتاة تحت سن العشرين بتهمة الدعارة والتسكع والتحريض على الفسق .

اصدرت ادارة احدى المؤسسات الامريكية منشوراً تحرم فيه على الموظفات لبس الفساتين القصيرة ، جاء فيه : « محظور ان تكون ركبتا العاملات بالمؤسسة عاريتين وهن جالسات الى مكاتبهن » وقـد ثارت ثائرة الجمعيات النسائية هناك لهـــذا القرار وبعثت احـــداها لادارة المؤسسة تقول « ان هـذا أمر تعسفي . . . وتقول أن جو العمل سوف تنقصه متعة كبيرة اذا لم تكن الركبتان مرئيتين » .

جنيف ٨ آذار ١٩٦٤ ـ اعلنت منظمة الصحة العالمية المجتمعة الآن فى جنيف بأن اهم مشكلة صحية ، تعانيها اوروبا هي انتشار الامراض الجنسية ـ التناسلية بين الشباب الاوروبي بصورة مخيفة . ولقد وصلت نسبة الاصابـــات بمرض (السفلس) حدا قياسيا منذ الحرب العالمية

الثانية حتى اليوم . وتقول هذه المنظمة في تقريرها : بان الامراض الجنسية هذه تنتشر ايضاً فيما عدا بين الشباب ، بين التجار والعمال الاجانب والعاهرات والغانيات والمصابين بالشذوذ الجنسي .

في إحصائية لمكافحة تهريب المخدرات في امريكا جاء ان ٦٥.٠/ من الرجال والشباب يدمنون المخدرات وان النسبة في فرنسا ٥٥.٠/ وان النساء والفتيات تشترك فيها وفي انكلترا تبلغ النسبة ٢٥.٠/ من الرجال و١٥ ٠/ من النساء المدمنات ، اما في ايطاليا فلا تزيد على ٧ ٠/ فقط .

جاء في تقرير لرجال التربية في امريكا : ان الطفل الامريكي اصبح كسولا مائعاً وغير مطيع . وقد علق الرئيس الامريكي المتوفى ـ كنيدي ـ على هذا التقرير : ان الطفل الامريكي اصبح ايضاً رخواً وناعماً ويعمل والداه على تسمينه .

وفي نبأ انه يموت في فرنسا كل دقيقة شخص واحد بسبب ادمانه على الخمر ويبلغ متوسط مايشربه الفرد في فرنسا كل عام ٧ غالونات من الكحول النقي . وتحاول الحكومة الفرنسية معالجة المدمنين وبلغ ماتنفقه على علاج المدمنين ١٧٠ مليون دينار .

تعاني وزارة الداخلية في امريكا مشكلة معقدة للغاية وهي العمل على منع رجل البوليس الامريكي من التحول الى لص او مجرم بعد ان كثرت في الآونة الأخيرة حوادث سرقة وقتل ، كان ابطالها من رجال البوليس انفسهم ، وآخر هذه الحوادث هو اقدام احد الضباط الكبار في وزارة الداخلية الامريكية على سرقة بضائع ومجوهرات قيمتها ثلاثون الف دولار . وفي المحكمة العسكرية

المختصة اعترف (وليام مارلو) الضابط السارق بجريمتـــه . وقام بتمثيل الحادثة . الا انه اتهم في نهاية المحاكمة عدداً من زملائه الضباط ورجال البوليس العاديين بالاشتراك معه في هذه العملية ، كما اعترف بأنـــه قام هو وزملاؤه بحوادث مماثلة في العام الماضي !! . .

يقول الدكتور : الكسيس كاريل في كتابه : الانسان ذلك المجهول :

« ان المادية البربرية التي تتسم بها حضارتنا لاتقاوم السمو العقـــلي فحسب ، بل انهـــا تسحق ايضاً الشخص العـاطفي واللطيف والضعيف والوحيد واولئك الذين يحبون الجمال ويبحثون عن اشياء اخرى غـير المال (ص : ٣٧١)

ويقول في مقام آخر :

« يكاد المجتمع الحديث ان يهمل الاحساس الادبي اهمالا تاماً ، بل لقد كبتنا مظاهره فعلا ، فقد اشربنا جميعاً الرغبة في التخلص من المسؤولية . اما اولئك الذين يميزون الخير من الشر ، والمرأة التي انجبت عـــدة اطفال واوقفت نفسها على تعليمهم ، بدلا من الاهتمام الخاص بها تعتبر ضعيفة العقل ، واذا ادخر رجل بعض المال لزوجته وتعليم اولاده سرق منه هذا المبلغ بواسطة الماليين اصحاب المشروعات او اخذته الحكومة ».

ص : ١٨٥

ويقول :

« الانسان نتيجة الوراثة والبيئة وعادات الحيـــاة والتفكير التي يفرضها المجتمع العصري . وقد وصفنا كيف تؤثر هـــذه العادات في

جسمه وشعوره وعرفنا انه لا يستطيع تكييف نفسه بالنسبة للبيئة التي خلقتهـا « التكنولوجيا » . (١)

وان مثل هـذه البيئة تؤدي الى انحلاله . وان العلم والتكنولوجيا ليسا مسؤولين عن حالته الراهنة . وانما نحن المسؤولون لاننـا لم نستطع التمييز بين الممنوع والمشروع. لقد نقضنا القوانين الطبيعية فارتكبنـا بذلك الخطيئـة العظمى . الخطيئة التي يعاقب مرتكبها دائماً . ان مبادىء « الدين العلمي » والآداب الصناعية قد سقطت تحت وطأ غزو « الحقيقة البيولوجية » . . . فالحياة لاتعطي الا اجابة واحدة حيـنما تستأذن في ارتياد الارض المحرمة . . . هي اضعاف السائل . . . ولهذا فان الحضارة آخذة بالانهيار . لان علوم الجماد قادتنا الى ارض ليست لنا ، فقبلنا هداياها جميعاً بلا تمييز ولا تبصر . ولقـد اصبح الفرد ضعيفاً ، متخصصاً ، فاجراً ، غبياً ، غير قادر على التحكم في نفسه ومؤسساته .

---

(١) التكلوجينيا ـ Technologie مبحث الفنون والصنائع

من خرافـــات الغرب

كل عقيدة او عمل لايستند الى ركن وثيق : الى نص سماوي صحيح او تجارب علمية صحيحة ، فهو خرافة يجب ان يلفظها الانسان ، لو كان تابعاً للمنطق الصحيح ، بعيداً عن الوساوس الشيطانية .

وان الغرب يصم الشرق بأنه منبع الخرافات والاوهام كي يلفظ الشرقي معتقداته الدينية ويظنها خرافة يأباها العقل والمنطق . امـــا المستشرقون والقسيسون الذين قاموا بتأسيس مدارس تبشيرية في الشرق ليحققوا بذلك اغراضاً سياسية واقتصادية وتبشيرية ، فهم ان لم يستطيعوا تنصير الشاب المسلم ، فلا اقل يجعلونه عدواً للاسلام والمسلمين !

ولقد سمعت منذ اربعين عاماً ممن كان قد رجع من دراسته في الجامعة الامريكية ببيروت : ان الشرق منبع الخرافات ، وبلاء الشرق دينه فلو لفظ الشرق هذا الدين فهنـــاك التقدم وهناك الازدهار ! فالصلاة خرافة والصوم خرافة والحج خرافة . . . . الى ماهنالك . والمدنية القائمة في الغرب هي التي يجب ان نتتبع ففيها الحياة والنجاة من عقائد بالية وافكار خرافية لاتلائم مفاهيم القرن العشرين عصر النور والثقافة والتقدم المطرد

وأن شبابنا بجهله معادينه وحقائق الاسلام وحكمه وتجرده من كل خرافة وكل مالا يسنده المنطق غير المغلوب بشهوات النفس ونزواتها، يتقبل مايملى عليه من قبل اعداء الاسلام ، بل الانسانية ، ظناً منه انه قد خرج من الظلمات الى النور ، من عالم رجعي الى آخر تقدمي، وهو يأسف على ماكان فيه من رجعية مريرة وخرافات وسخافات !

ونحن هاهنا نورد بعض خرافـــات الغرب ولا نتطرق الى مافي المسيحية من خرافات اولدته اليد البشرية الاثيمة ، فسمته ديناً سماوياً ، مع العلم ان مايأتينا من جانب الله تعالى مجرد عن كل خرافة ، ومطابق للمنطق الصحيح الى ابعـد الحدود ، شريطةَ ان لاتمسه يـد التحريف والاهـــواء .

١ ـ كان (دوبربويل) البريطاني فيزياويا مشهوراً وكيميائيا معروفا، يحمل معه دائماً جمجمة انسان ظنـــاً منه انه لايبتلى بحمله هذه الجمجمة بنزيف دموي في انفه .

٢ ـ (باسكال : Blaise Pascal) الفرنسي من اشهـــر الفلاسفة الرياضيين ، كان قد خاط في قسم من لباسه قطعة من جلد الغزال ، ظناً منه ان هذا العمل ينجيه من كل ريبٍ وخيبة .

٣ ـ كان السحر رائجاً في اوربا فى القرون الوسطى الى حد بعيد . فالعجائز كن يتعاطين السحر . وكن يحتفظن في بيوتهن بسنور اسـود وبومة . وقد تفاقم امر السحرة في اوربا في ذلك الحين حتى احرق منهم عدد كبير من قبل القسيسين .

٤ ـ ان القرويين فى فرنسا لحد اليوم يخافون من حيوان موهوم لايرى بالعين رأسه كرأس الذئب وبدنه كبدن الانسان . يدعى : بـ (لوكارو) وهم يضعون الطلاسم فى بيوتهم للتخلص من شرور هذا الحيوان الخيالي !

٥ ـ وفي القرون الوسطى كانوا يلقون المتهم فى حوض ماء كبير، فان طاف على سطح الماء ، ولم يغرق فهو بريء والا فهو مجرم يستحق العقاب !

٦ ـ ولا يزال في الغرب من يتفاءل اذا التقطت دجاجة بسرعة ما يلقى لها على الارض من حبوب ، وكذلك اذا صادف احدهم طيراً يطير نحو اليمين او صادف نحلة او نملة او سمع احداً يعطس قبيل الظهر . او إذا اضطرب جفن العين اليمنى .

وعلى العكس يتشاءم الغربي اذا رأى سنوراً او قرداً او ذئباً او ثعلباً أو حية ، او دجاجة لاتلتقط مايلقى لها على الارض من حبوب ، او اذا تعلق ثوبه بمسمار الكرسي ، فيصيب الغربي في كل هذه الحالات : حزن وأسى .

٧ ـ ان الغربي ليعتقد ان العدد ١٣ عدد نحس وشؤم وتعس ، ولذلك لايجلسون حول منضدة الطعام اذا كانوا ١٣ شخصاً . حتى ان الشرقي صار يقلد الغربي ، فلا يكتب على باب غرفته ١٣ وانما يكتب ١٢ + ١ . دفعاً لشرور العدد المنحوس وشؤمه !

٨ ـ والاوربيون لايمرون من تحت السلم ويتشاءمون من ذلك . كما

انهم يحملون معهم نعل الفرس كطلسم السعادة ! ويهابون السنور الاسود والبومة كذلك :

٩ ـ ولقد رأيت قبل حوالي اربعين عاماً مفتشاً المعارف بريطانياً كان اذا نظر فى اوائل الشهر الى الهلال غمض عينيه حتى يفتحهما على شيء او رجل يتفاءل من النظر اليه ، كي لايرى في ذلك الشهر الا خيرا .

ولكن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يخاطب علياً فى هذا المقام قائلا « ياعلي اذا رأيت الهلال فكبر ثلاثاً . وقل : الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدرك منازل وجعلك آية للعالمين » .

فنبينا محمد (ص) : لاينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى والادب الاسلامي يهدف دائماً الى توحيد الله وتجليله وتقدير مخلوق كي يزداد الفرد ايماناً بالله فمعرفة ، وهي غاية الغايات ، فلا ترى عملا في الدين الاسلامي يمجه العقل او يأباه الا اذا كان العقل قد انسحب بنتيجة الاسراف والسفه والآثام ، فيرى الحق باطلا والباطل حقاً .

وقد نهى الاسلام عن كل خرافة بقوله : « ماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) .

١٠ ـ في ضواحي باريس(Paris) محل يدعى : لورد . وان امرأة من اهالي لورد ادعت ذات يوم قبل حوالي تسعين عاماً انها رأت فى الغار بالقرب منها : مريم عليها السلام . واعلمت الناس بذلك

سورة (١) الحشر . آية : ٧

فهرع الناس افواجاً الى ذلك المحل يقدسونه ويتبركون به وهكذا فى كل سنة ، في يوم معين .

وان قسما من المسيحيين يعلقون مجسمات الحيوانات فى رقابهم للحفظ !

* * *

وفي لندن توجد محلات خاصة بالفقراء : قذرة مملوءة بالاوساخ والذباب وانواع الميكروبات والباعة البستهم قذرة وهم في فقر مدقع .

فانك لو ذهبت الى حارة (كوى ليفربول) لشاهدت ازقة ضيقة ، مملوءة بالاوساخ ومزدحمة بالسكان وهم باشكال غريبة . وباعة السمك والخضرات والفواكه جالسون بعضهم جنب بعض ينادون باصوات مزعجة لجلب النـاس الى شراء بضائعهم وفيها النتنى . وهنـاك حمالون يحملون البضائع على رؤوسهم وظهورهم وعليها الذباب !

وتجري في تلك الازقة مياه نتنة (١) ملوثة بدم الخنزير والسمك وترى هناك اطفالا مشردين متسكعين عراة . يجولون هاهنا وهاهنا حرفتهم السرقة ونهب الجيوب .

وليس لاحد من الاجانب ان يصور هذا المنظر ويستعمل جهاز التصوير فان البوليس له بالمرصاد .

وهناك حارة اخرى في لندن تسمى (كونت كاردن) يباع فيها الخضرات والفواكه ، فاذا دخلت فيها لشاهدت عددا لايستهان به من الحمالين بثياب رثة وسخة ، كما ان هناك قرى اخرى اطراف لندن سكانها

---

(١) مؤنث نتن : نتنى وما تعارف عليه الناس نتنة

كسكان المغارات والحفر الجبلية .

ولقد قرأت قبل حوالي خمسة وعشرين عاماً مقالا لعراقي كان قد ذهب الى المانيا لينال درجة الدكتورا في الكيمياء . جاء فيه : انه اتفق ان قال لامرأة انها ستلد ولدا بعد سنة ، وشاء الله ان تلد هذه الامرأة ولدا فشاع الخبر واذا بنساء كثيرات يراجعن هذا العراقي ليبشرهن بمولود ، ويطلبن منه بعض الادعية والطلاسم .

فالمأمول من شبابنا ان لا ينظر الى كل مافي الغرب نظرة تجليل واكبار ، فليس كل مافى الغرب كمالا وجمالا ، انهم ركزوا جهودهم نحو الحياة المادية وخواص المادة واهملوا النواحي النفسية وما يؤدي الى سعادة النفس في النشأتين . وان المادية لتجتمع مع كل خرافة ، والاسلام بعيد عن كل خرافة . لانه آت من منبع صاف نمير . لاكدر فيه ولا انحراف . لذلك ينهي عن الظن ويأمر بالتدبر والتفكر : « أفلا يتدبّرون القرآن ام على قلوب اقفالها » (١) .

« قل هل يستوي الاعمى والبصير . افلا تتفكرون » (٢)

« الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض،ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »(٣)

« قل الله يهدي للحق ، أفمن يهدي الى الحق أحق ان يُتبع أمّن

---

(١) سورة محمد (ص) : ٢٤ .

(٢) سورة الانعام : ٥٠

(٣) سورة آل عمران : ١٩١

لايهدي الا ان يُهدى . فمالكم كيف تحكمون . وما يتبع اكثرهم الا ظناً ، ان الظن لايغني من الحق شيئا ، ان الله عليم بما يفعلون » (١)

« ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (٢) .

فلا تكامل لهذا الانسان الا بنبذ الظنون الباطلة والخرافات المضلة وجاهلية القرن العشرين الملوثة بمادية عمياء واتباع العقل المجرد عن الشهوات وتطبيق سنة سيد المرسلين واولاده المعصومين عليه افضل الصلاة والسلام .

انتهى ، والحمد لله ، الجزء السادس . وسيليه ، ان شاء الله تعالى ، الجزء السابع .

---

(١) سورة يونس : ٣٦

(٢) سورة النجم : ٢٣

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
« قل سيروا في الارض ، فانظروا كيف بدأ الخلق »	١٨
عوالم القدس	٥٦
العلوم الكونية في القرآن	٦٨
هل يجوز لنا : ان نقول : رجل عظيم	٧٥
علي عليه السلام والتقويم	٧٩
ليلة ميلاد الحسن عليه السلام	٨١
لماذا هذه الزلازل ؟	٩٢
اسلام روجية فى بروكسل	١٤١
صلة الارحام والكمال النفسي	١٦١
سؤال عن حكم شرعي	١٩٢
اسلام : بردجت هني	١٩٥
جاهلية الغرب	٢٠٦
من خرفات الغربيين	٢٢٠

- تصويب -

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٣	ويات	ويلات
١٧	٥	ألا	ألا
١٩	٩	الاذره	الانارة
٢٦	٥	اليودانيوم	اليورانيوم
٣٠	١٠	تتداخلت	تداخلت
٤٧	١٤		
٤٨	١	ضو	ضوء
٥٣	٥	سوفطائى	سوفسطائي
٥٣	٥	دع	يخدع
٦٣	٥	حب	أحب
٧٦	١٣	قوانا	قولنا
٧٦	١٧	أسأنا	أشأها
٧٦	١٧	رطها	ربطها
٩١	٦	لم إنك	إنك لم
٩٤	٦	تهديبها	تهذيبها
٩٤	١٥	التزاحم	التراحم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٦	٤	شيء	بشيء
٩٦	١٦	وان	فان
١١٥	١٨	كان	كانت
١١٦	٢	على	على ما
١٣٧	١	او	و
١٣٧	٢	او	و
١٤١	١١	يجاور	يجاورها
١٤٩	٢٠	لخلق	لحالق
١٦٤	٩	عليهم	عليهما
١٧٦	٩	والى	الي
١٨٣	٧	الرجل	الاجل
١٨٧	١٨	حمه	جنة
١٩١	١	قية	بقية
١٩٨	١١	اباه	أناة
٢٠٧	٤	حم،	سجده ١٨
٢٠٧	٨	مشاه ة	مشاهدة

مطبعة النعمان النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

Library of

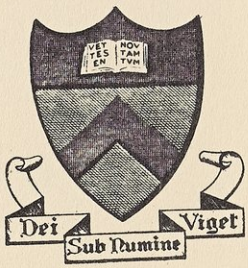

Princeton University.

Princeton University Library
32101 073838383